

الجزء الأول

من

السنة الأولى

أيلول ١٩٥٠ = ذو القعدة ١٣٦٩

مطبعة التفيض - بغداد





Vol. I

الجزء الأول

من

السنة الأولى

أيلـــول ١٩٥٠ = ذو القعدة ١٣٦٩



مطبعة التفيض ـ بغداد

مجلة

المجمع العلمي العراقي

العنوان : بغداد ـ المجمع العلمي العراقي

ثمن الجزء : في بغداد ٦٠٠ فلس

وفي غيرها يضاف اليها أجرة البريد

مجلة المجمع العلمي العراقي

الجزء الأول

من

السنة الأولى

أيلـــول ١٩٥٠ = ذو القعدة ١٣٦٩

مطبعة التفيض ـ بغداد



بسم الله الرحمن الرحيم

أنشىء المجمع العلمي العراقيّ ، والدواعي اليه متوافرة ، وطبيعة النهضة التي انبعثت طلائعها في وادي الرافدين تقتضي كينونته كما اقتضت النهضة في مصر وبلاد الشام من قبل ما أنشىء فيها من مجامع علمية ولغوية تتوخى تقرير الحقائق في علوم العرب وآدابهم ولغتهم وتأريخهم ، وتعنى بتوجيه حركة التأليف والترجمة والنشر في النهضة الحاضرة ، مستعينة بالباحثين المحققين حيث كانوا ، لبلوغ غاياتها المثلى ، وتحقيق مقاصدها السامية .

ولئن جاءت نشأة المجمع العلمي العراقي متأخرة عن نشأة المجامع العلمية في مصر والشام ، انّه ليرجو أن يكون له من حوافز النهضة في العراق واعانة الدولة ايّاه على استكمال عدده ووسائله ومؤازرة العلماء له ما يسهّل له مسايرتها وتنسيق مجهوده مع مجهودها ، ويمكنه من التعاون واياها فيما تطمح اليه جميعاً من الارتقاء بهذه النهضة العتيدة في ديار العرب الى ذروة كمالها ان شاء الله تعالى .

وها هو ذا يصدر مجلته هذه في مطلع نشأته ، مستعيناً بالله وطالباً منه العون في اطراد أعماله ونجح مساعيه ، لتكون ملتقى أقلام أنصار العرب والعربية في الشرق والغرب ، ومثابة تعاون وتآزر بين العلماء والمجمع على تجديد شباب اللغة العربية واذاعة ألوان الثقافات القديمة والحديثة مما يلائم

خطته ، ويوائم طبيعة وظيفته .

لذلك سيعنى عناية خاصة بنشر ما يلقى فيه من المحاضرات ، وما يكتبه أعضاؤه ومؤازروه ومراسلوه فى موضوعات العلوم والفنون والآداب انشاء وترجمة ، ويذيع للقراء خلاصة أعماله ، ويفتح باباً للكتب يتناولها فيه بالوصف والنقد ، ثم يساير الزمن فيدخل فيها من الأبواب ما يراه من لوازم تقدمه وأسباب كماله .

وهو يأمل من العلماء المخلصين البحث والمجاهدين فى رفعة شأن العلم والحضارة أن يشدوا أزره بنشر تحقيقاتهم فى هذه المجلة ، وأن يوافوه بنقدهم واقتراحاتهم وهو أكبر ما يحرص على الظفر به ، ليفيد منه هو وجمهرة القراء فى كل مكان . والله من وراء القصد وهو ولى التوفيق .

نظـــام

المجمع العلمي العراقي

رقم (٦٢) لسنة ١٩٤٧

استنادا الى الفقرة السادسة من المادة الأولى من قانون المعارف العامة رقم (٥٧) لسنة ١٩٤٠ وبناء على ما عرضه وزير المعارف ووافق عليه مجلس الوزراء ، أمرنا بوضع النظام الآتي :

المادة الأولى – يؤسس مجمع علمي عراقي يرتبط بوزير المعارف ، وله شخصية حكمية واستقلال مالي حسب الميزانية .

المادة الثانية – يقوم المجمع :

أ – بالعناية بسلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافية بمطاليب العلوم والفنون وشؤون الحياة الحاضرة .

ب – بالبحث والتأليف في آداب اللغة العربية وفي تأريخ العرب والعراقيين ولغاتهم وعلومهم وحضارتهم .

جـ – بدراسة علاقات الشعوب الاسلامية بنشر الثقافة العربية .

د – بحفظ المخطوطات والوثائق العربية النادرة واحيائها بالطبع والنشر على أحدث الطرق العلمية .

هـ – بالبحث في العلوم والفنون الحديثة وتشجيع الترجمة والتأليف فيها وبث الروح العلمي في البلاد .

المادة الثالثة – يتوسل المجمع الى تحقيق أغراضه :

أ – بتقديم المساعدة المالية للباحثين والمؤلفين والمترجمين بمقادير يقررها المجمع .

ب – باقامة مباريات في الموضوعات العلمية والأدبية والاجتماعية ، ومنح الفائزين جوائز مالية .

جـ ـ بالاتصال بالجامعات والمجامع العلمية واللغوية والثقافية •

د ـ بانشاء دار للطباعة •

هـ ـ باصدار مجلة •

و ـ بانشاء دار كتب •

المادة الرابعة ـ للمجمع أن يدعو بعد موافقة مجلس الوزراء الى عقد مؤتمرات علمية وأدبية وأن يقيم احتفالات فى حدود هذا النظام ، وأن يوفد الى المؤتمرات العلمية من أعضائه من يمثله ، تحقيقاً لاغراضه ، بعد موافقة مجلس الوزراء على الايفاد •

المادة الخامسة ـ أعضاء المجمع أربعة أصناف :

أ ـ أعضاء عاملون لا يتجاوز عددهم خمسة عشر عضوا •

ب ـ أعضاء مساعدون •

ج ـ أعضاء فخريون من العراقيين وغيرهم •

د ـ أعضاء مراسلون من العراقيين وغيرهم •

المادة السادسة ـ يراعى فى انتخاب العضو العامل :

أ ـ أن يكون عراقيا متمتعا بالحقوق المدنية ولا تقل سنه عن الخامسة والثلاثين •

ب ـ أن يتحقق فيه أحد الشروط الآتية :

١ ـ سعة الاطلاع على علوم اللغة العربية وآدابها ، وشهرة بالبحث والتأليف فيها •

٢ ـ التخصص بعلم أو بفن ، على أن يكون متمكنا من المقارنة بين المصطلحات العلمية أو الفنية الحديثة وبين أمثالها من المصطلحات العربية القديمة •

٣ ـ التخصص والتأليف فى تأريخ العرب أو العراق أو المسلمين وثقافتهم وحضارتهم •

المادة السابعة :

١ ـ يراعى فى انتخاب العضو المساعد :

أ ـ أن يكون عراقيا متمتعا بالحقوق المدنية ولا تقل سنه عن الثلاثين •

ب ـ أن يتحقق فيه أحد الشروط الآتية :

١ ـ التخصص فى علوم اللغة العربية وآدابها والشهرة بالبحث أو التأليف فيها •

٢ ـ التخصص بعلم أو بفن والقدرة على البحث والتأليف فيه •

٣ ـ سعة الاطلاع على لغة من اللغات الاجنبية على أن يكون متمكنا من الترجمة عنها أو اليها •

٢ ـ يراعى في انتخاب العضو الفخرى :

أن يكون متمتعا بالسمعة الحسنة ومعروفا بالميل الى تقديم المساعدات المادية القيمة لتشجيع الآداب والعلوم •

٣ ـ يراعى في العضو المراسل :

تحقق شروط أحكام الفقرة (ب) من المادة السادسة •

المادة الثامنة :

أ ـ يختار وزير المعارف أربعة أعضاء عاملين ممن تحققت فيهم شروط العضوية المذكورة في المادة السادسة على أن يمثل كل منهم علما من العلوم الآتية :

١ ـ اللغة العربية وآدابها •

٢ ـ تأريخ العرب أو العراق أو المسلمين •

٣ ـ العلوم الحديثة •

ب ـ ينتخب هؤلاء الأعضاء ثلاثة آخرين ، ثم ينتخب الأعضاء السبعة ثلاثة آخرين مراعين تنوع الاختصاص ، وبذلك يتألف المجمع •

وللمجمع أن ينتخب العدد الباقي بحسب الحاجة •

وينهي ذلك الى وزير المعارف لاستصدار الارادة الملكية ، وتراعى هذه القاعدة في كل انتخاب جديد • وعضوية المجمع دائمية • وعند استقالة العضو أو وفاته ، يراعى في انتخاب العضو الجديد ما ورد في هذا النظام •

المادة التاسعة ـ يجتمع الأعضاء العاملون فينتخبون منهم بالاقتراع السرى والأكثرية المطلقة رئيسا ونائبين للرئيس ، ومنهم يتألف ديوان الرئاسة •

المادة العاشرة ـ يتجدد انتخاب الديوان في الأسبوع الأول من تشرين الأول من كل سنة ، ويجوز اعادة انتخاب الأعضاء السابقين •

المادة الحادية عشرة ـ ينتخب الأعضاء العاملون والمساعدون والأعضاء الفخريون والمراسلون بالاقتراع السرى والأكثرية المطلقة بناء على ترشيح من عضوين من الأعضاء العاملين •

المادة الثانية عشرة ـ يؤلف المجمع لجانا كلما دعت الحاجة الى اعداد المباحث والدراسات أو القيام بالأعمال المتعلقة بأغراضه ، وترفع هذه اللجان تقاريرها الى المجمع •

المادة الثالثة عشرة ـ يعقد المجمع في كل شهر جلستين على الأقل بدعوة من الرئيس ، أو نائبه عند غيابه ، للنظر في شؤون المجمع •

المادة الرابعة عشرة ــ يعد العضو العامل مستقيلا اذا تخلف عن حضور ست جلسات متواليات بدون عذر شرعي •

المادة الخامسة عشرة ــ للمجمع عطلة صيفية تبتدىء من أول تموز وتنتهي بآخر أيلول •

المادة السادسة عشرة ــ رئيس المجمع رئيس دائرة ، وله حق تعيين الموظفين والمستخدمين حسب الملاك الذي يقره المجمع وفق القوانين المرعية ، وأن يأمر بالصرف وبشراء كل ما يخص أعمال المجمع الداخلية ، وله أن يأمر باقتناء الكتب التي تحتاج اليها خزانة المجمع •

المادة السابعة عشرة ــ نائب الرئيس ينوب عن الرئيس عند غيابه أو معذرته •

المادة الثامنة عشرة ــ يعين المجمع سكرتيرا يرشحه من الأعضاء أو غيرهم ، ويقترن ذلك بارادة ملكية •

المادة التاسعة عشرة ــ سكرتير المجمع هو المسؤول عن تبليغ دعوات الاجتماع الى أعضاء المجمع وحفظ سجل لمحاضر جلسات المجمع وقراراته ويقوم بجميع مراسلاته •

المادة العشرون ــ للمجمع أن يقدر المكافآت والجوائز للفائزين في المباريات ، وللناشرين والمترجمين والمؤلفين ، وللعضو الذي يعهد اليه انجاز عمل من الأعمال•

المادة الحادية والعشرون ــ للمجمع أن يهدي الى أعضائه والمؤسسات العلمية والهيئات الخيرية وأمهات الصحف والمجلات ما يصدره من المطبوعات الى عشرة بالمئة •

المادة الثانية والعشرون ــ للمجمع ميزانية يعدها ديوان الرئاسة ، وبعد اقرار المجمع لها تقدم الى وزير المعارف لادخالها في ميزانية وزارة المعارف •

المادة الثالثة والعشرون ــ يقبل المجمع التبرعات على اختلاف أنواعها من أموال منقولة وغير منقولة •

المادة الرابعة والعشرون ــ يتقاضى الرئيس مخصصات شهرية مقطوعة يعينها مجلس الوزراء على أن تراعى في ذلك أحكام قوانين الخدمة المدنية فيما اذا كان الرئيس موظفا•

المادة الخامسة والعشرون ــ يتقاضى العضو العامل مخصصات شهرية مقطوعة يعينها مجلس الوزراء على أن تراعى في ذلك أحكام قوانين الخدمة المدنية اذا كان العضو موظفا •

المادة السادسة والعشرون ــ يحصل النصاب بحضور أكثر من النصف من الأعضاء

وتتخذ المقررات بأكثرية الحاضرين ، وترسل نسخة من المقررات الى وزير المعارف الاطلاع .

المادة السابعة والعشرون ـ يلغى بهذا نظام لجنة الترجمة والتأليف والنشر رقم (٢٤) لسنة ١٩٤٥ .

المادة الثامنة والعشرون ـ ينفذ هذا النظام من تأريخ نشره في الجريدة الرسمية .

المادة التاسعة والعشرون ـ على وزير المعارف تنفيذ هذا النظام .

كتب ببغداد في اليوم الثاني عشر من شهر المحرم سنة ١٣٦٧ واليوم السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ .

عبدالاله

صالح جبر
رئيس الوزراء
ووكيل وزيري الداخلية والخارجية

يوسف غنيمة وزير المالية	توفيق وهبي وزير المعارف	
عبدالاله حافظ وزير التموين	ضياء جعفر وزير المواصلات والاشغال	جمال بابان وزير العدلية
شاكر الوادي وزير الدفاع	توفيق النائب وزير الاقتصاد	جميل عبدالوهاب وزير الشؤون الاجتماعية

(نشر في الوقائع العراقية عدد ٢٥٦٠ في ١١-١٢-١٩٤٧)

رقم (٤٠) لسنة ١٩٤٩

نظام تعديل نظام المجمع العلمي العراقي

رقم ٦٢ لسنة ١٩٤٧

بعد الاطلاع على الفقرة السادسة من المادة الأولى من « قانون المعارف العامة » ذي الرقم ٥٧ لسنة ١٩٤٠ ، وبناء على ما عرضه وزير المعارف ، ووافق عليه مجلس الوزراء ، أمرنا بوضع النظام الآتي :

المادة الأولى ــ تحذف كلمة « مساعدون » الواردة في الفقرة (ب) من المادة الخامسة، ويستعاض عنها بكلمة « مؤازرون » .

المادة الثانية ــ ١ ــ تحذف كلمة « المساعد » الواردة في الفقرة (١) من المادة السابعة، ويستعاض عنها بكلمة « المؤازر » .

٢ ــ تحذف الفقرة (٢) من المادة السابعة ، ويستعاض عنها بما يأتي :

٢ ــ « يراعى في انتخاب العضو الفخري أن يكون متمتعا بالسمعة الحسنة ، ومعروفا بالميل الى تقديم المساعدات القيمة لتشجيع الآداب والعلوم » .

المادة الثالثة ــ تلغى المادة التاسعة ، ويستعاض عنها بما يأتي :

« يجتمع الأعضاء العاملون فينتخبون منهم بالاقتراع السري والأكثرية المطلقة للحاضرين رئيساً ونائبين للرئيس ، ومنهم يتألف « ديوان الرئاسة » » .

المادة الرابعة ــ تلغى المادة الحادية عشرة ، ويستعاض عنها بما يأتي :

ينتخب الأعضاء العاملون والمؤازرون والأعضاء الفخريون والمراسلون بالاقتراع السري والأكثرية المطلقة للحاضرين ، بناء على ترشيح من عضوين من الأعضاء العاملين.

المادة الخامسة ــ تلغى المادة الرابعة عشرة ، ويستعاض عنها بما يأتي :

يعد العضو العامل مستقيلا اذا تخلف عن حضور ست جلسات ــ متواليات أو غير متواليات ــ في السنة الواحدة من دون عذر شرعي يقدره المجمع .

المادة السادسة ـ تلغى المادة الرابعة والعشرون ، ويستعاض عنها بما يأتي :

يتقاضى الرئيس والأعضاء العاملون مخصصات شهرية يقدرها وزير المعارف بموافقة وزير المالية ، على أن تراعى في ذلك أحكام قانون الخدمة المدنية اذا كان بينهم موظفون.

المادة السابعة ـ تلغى المادة الخامسة والعشرون .

المادة الثامنة ـ تلغى المادة السادسة والعشرون ، ويستعاض عنها بما يأتي :

يحصل النصاب بحضور أكثر من النصف من الأعضاء العاملين ، وتتخذ القرارات بأكثرية الحاضرين . أما الاجتماع الذي يعقد بموجب المادة التاسعة من هذا النظام ، فيجب ألا يقل عدد الحاضرين فيه عن ثلثي عدد الأعضاء العاملين ، ويرسل بنسخة من المقررات الى وزير المعارف للاطلاع .

المادة التاسعة ـ ينفذ هذا النظام من تأريخ نشره في الجريدة الرسمية .

المادة العاشرة ـ على وزير المعارف تنفيذ هذا النظام .

كتب ببغداد في اليوم الثامن والعشرين من شهر شعبان سنة ١٣٦٨ واليوم الخامس والعشرين من شهر حزيران سنة ٩٤٩ .

عبدالاله

جلال بابان وزير المواصلات والاشغال	عمر نظمي نائب رئيس الوزراء	نوري السعيد رئيس الوزراء
فاضل الجمالي وزير الخارجية	نجيب الراوي وزير المعارف	محمد حسن كبة وزير العدلية
بهاء الدين نوري وزير الشؤون الاجتماعية	توفيق النائب وزير الداخلية ووكيل وزير الاقتصاد	شاكر الوادي وزير الدفاع
		خليل اسماعيل وزير المالية

REGULATIONS

of the

Iraq Academy

No. 62, for the Year 1947.

• Pursuant to paragraph 6 of article 1 of the Public Education Law No. 57, for the year 1940, and as submitted by the Minister of Education and approved by the Council of Ministers, we hereby order the promulgation of the following Regulations: —

Article 1.

An Iraq Academy shall be established, attached to the Minister of Education, with a juristic personality and financial independence within the limits of the budget.

Article 2.

The functions of the Academy shall be: —

(a) To maintain the purity of the Arabic Language and attempt to make it adequate to meet the demands of the arts and sciences, and of the affairs of modern life.

(b) To undertake research and writing in the fields of Arabic Literature, the History of the Arabs, the history of the peoples of Iraq, their languages, sciences, and civilization.

(c) To study the part played by the peoples of Islam in the propagation of Arabic Culture.

(d) To maintain in safe-keeping rare Arabic manuscripts and documents, and revive them by publishing them according to the latest scientific methods.

(e) To undertake research in the modern arts and sciences, encourage original writing and translation in these fields, and promote the spirit of scientific inquiry in the country.

Article 3.

The Academy shall pursue its aims by the following means: —

(a) Offering financial aid to research workers, authors, and translators in amounts decided upon by the Academy

(b) Holding competitions in scientific, literary, and social subjects and granting monetary prizes to winners.

(c) Establishing contact with universities, and scientific, linguistic and cultural academies.

(d) Setting up a printing-press.

(e) Publishing a periodical.

(f) Establishing a library.

Article 4.

The Academy may, with the approval of the Council of Ministers, hold ceremonies and scientific and literary conferences, as defined by these Regulations. In the pursuit of its aims the Academy may, with the approval of the Council of Ministers, delegate some of its members to represent it at learned conferences.

Article 5.

Members of the Academy shall be of four kinds: —

(a) Active members whose number shall not exceed fifteen.

(b) Associate members.

(c) Honorary members, of Iraqi or other nationality.

(d) Corresponding members, of Iraqi or other nationality

Article 6.

In electing an active member the following shall be observed: —

(a) That he be of Iraqi nationality, enjoying his civil rights, and of not less than thirty-five years of age.

(b) That he meet one of the following conditions: —

(1) A wide knowledge of the Arabic Language and Literature, and reputation for research work and authorship therein.

(2) Specialization in a field of art or science, and ability to compare modern scientific or technical terminology with similar old Arabic terminology.

(3) Specialization and authorship in the History of the Arabs, the History of Iraq, or the History of the peoples of Islam, their culture and civilization.

Article 7

(1) In electing an associate member the following shall be observed:

(a) That he be of Iraqi nationality, enjoying his civil rights, and of not less than thirty years of age.

(b) That he meet one of the following conditions:—

(*i*) Specialization in the Arabic Language and Literature, and a reputation for research work and authorship therein.

(*ii*) Specialization in a field of art or science and ability for research work and authorship.

(*iii*) Wide knowledge of one foreign language and ability to translate from it into Arabic and *vice versa*.

(2) In electing an honorary member, the following shall be observed:

That he be of good repute, and well-known for his readiness to offer valuable material aid in the encouragement of literature and science.

(3) In electing a corresponding member the following shall be observed:

That he fulfill the conditions prescribed in the provisions of paragraph (b) of Article 6.

Article 8.

(a) The Minster of Education shall choose four active members from among those who fulfill the conditions for membership stated in Article 6, provided that each shall represent one of the following branches of learning:—

(1) The Arabic Language and literature.

(2) The history of the Arabs, the history of Iraq, or the history of the peoples of Islam.

(3) The modern sciences

(b) These members shall elect three other members. Similarly the seven members shall elect three others, taking into account the variety of specialisation. With this the Academy shall be deemed to have been constituted.

The Academy shall elect the remaining members as necessity arises.

Results of the elections shall be submitted to the Minister of Education so that he may take steps for the issuing of a *Royal Iradah*. This rule shall be observed at each new election. Membership of the Academy shall be permanent. If a member resign or die, the election of a new member shall be conducted as prescribed in these Regulations.

Article 9.

Active members shall meet to elect by secret ballot and a simple majority, a President and two Vice-presidents, who constitute the President's Office

Article 10.

The election of the members of the President's Office shall be renewed annually in the first week of October. Former members may be re-elected.

Article 11.

Active, associate, honorary and corresponding members shall be elected by secret ballot and a simple majority after nomination by two active members.

Article 12.

The Academy shall when necessary form committees to plan its researches and studies, or to undertake the activities related to its functions. These committees shall submit their reports to the Academy.

Article 13.

The Academy shall, upon the invitation of the President, or in his absence, of a Vice-president, hold at least two meetings a month in order to conduct its own business.

Article 14.

An active member shall be deemed to have resigned if he absent himself from six consecutive meetings without an acceptable reason.

Article 15.

The Academy shall have a summer recess beginning with the first day of June and ending with the last day of September.

Article 16.

The President of the Academy is a head of department who shall have the power to appoint officials and employees according to the cadre approved by the Academy in conformity with the Laws in force; he shall have power to order payment, and to make all purchases necessary for the internal activities of the Academy; and he shall have power to order the purchase of books required for the library of the Academy.

Article 17

The Vice-president shall act for the President when the latter absents or excuses himself.

Article 18.

The Academy shall appoint a Secretary nominated from among its members or from outside its membership. The appointment shall be subject to a *Royal Iradah*.

Article 19.

The Secretary of the Academy shall be responsible for issuing announcements of the meetings to the members of the Academy, for keeping the minutes of the Academy's meetings and decisions, and for carrying on all its correspondence.

Article 20.

The Academy may assess the rewards and prizes to be given to winners in competitions, to publishers, translators and authors, and to any member to whom it entrusts the performance of some work.

Article 21.

The Academy may give free of charge up to ten per cent of its publications to its members, scientific institutions, welfare societies, and leading newspapers and periodicals.

Article 22.

The Academy shall have a budget which after being prepared by

the President's Office and approved by the Academy, shall be submitted to the Minister of Education for inclusion in the budget of the Ministry of Education.

Article 23.

The Academy may receive donations of various kinds of movable or immovable property

Article 24.

The President shall receive a fixed monthly allowance decided upon by the Council of Ministers, provided that, should the President be a Government Official, the provisions of the Civil Service Law be observed.

Article 25.

An active member shall receive a fixed monthly allowance decided upon by the Council of Ministers, provided that, should the member be a Government Official, the provisions of the Civil Service Law be observed.

Article 26.

A quorum shall be attained by the presence of more than half of the members, and decisions shall be taken by a majority vote of the members present. A copy of the decisions shall be sent to the Minister of Education for information.

Article 27.

Regulations No. 24, for the year 1945, of the Committee on Publication, Translation, and Authorship are hereby repealed.

Article 28.

These Regulations shall come into force from the date of their publication in the Official Gazette.

Article 29.

The Minister of Education is charged with the execution of these Regulations.

Made at Baghdad, this 12th day of Muharram, 1367, and the 26th day of November, 1947

ABDUL ILAH.

Salih Jabr
Prime Minister and Ag.
Minister of Interior
& Foreign Affairs.

Yusuf Ghanima
Minister of Finance.

Abdul Ilah Hafidh.
Minister of Supply.

Jamal Baban.
Minister of Justice.

Shakir Al Wadi.
Minister of Defence.

Tawfiq Wahbi.
Minister of Education.

Jamil Abdul Wahab
M. of Social Affairs.

Dhia' Ja'far
M. of Coms. & Works.

Tawfiq Al Na'ib.
Minister of Economics.

GOVERNMENT OF IRAQ

Ministry of Education

Amendment No. 40, for the year 1949
of the Regulations of
The Iraq Academy,
No. 62, for the year 1947.

Pursuant to Paragraph 6 of Article 1 of the Public Education Law No. 57, for the year 1940, and as submitted by the Minister of Education and approved by the Council of Ministers, we hereby order the Promulgation of the following Regulations: —

Article 1.

The word مساعدون (for "Associate") mentioned in Paragraph B of Article 5 shall be omitted & replaced by the word مؤازرون

Article 2.

(1) The word المساعد (for "Associate") mentioned in Par. (1) of Article 7 shall be omitted & replaced by the word المؤازر

(2) Par. (2) of Article 7 shall be omitted and replaced by the following:

"(2) In electing an honorary member, the following shall be observed:

That he be of good repute and well-known for his readiness to offer valuable aid in the encouragement of arts and sciences."

Article 3.

Article 11 shall be cancelled and replaced by the following:

"Active members shall meet to elect, by secret ballot and a simple majority of the members present, a President and two Vice-Presidents, who shall constitute the President's office.

Article 4

Article 9 shall be cancelled and replaced by the following:

"Active, associate, honorary and corresponding members shall be elected by secret ballot and a simple majority of those present, after nomination by two active members."

Article 5.

Article 14 shall be cancelled and replaced by the following:

"An active member shall be deemed to have resigned if he absent himself from six meetings, consecutive or otherwise, in one year, without a reason considered acceptable by the Academy."

Article 6.

Article 24 shall be cancelled and replaced by the following:

"The President and the active members shall each receive a fixed monthly allowance, decided upon by the Minister of Education in agreement with the Minister of Finance, provided that, should there be among them Government officials, the provisions of the Civil Service Law be observed."

Article 7.

Article 25 shall be cancelled.

Article 8.

Article 26 shall be cancelled and replaced by the following:

"A quorum shall be attained by the presence of more than half of the members, and decisions shall be taken by a majority vote of the members present. As for the meeting held according to the provisions of Article 9 of these Regulations, the meeting shall be held only if the number of members present is not less than two-thirds of the total number of active members. A copy of the decisions shall be sent to the Minister of Education for information.

Article 9.

These Regulations shall come into force as from the date of their publication in the Official Gazette.

Article 10.

The Minister of Education is charged with the execution of these Regulations.

Made at Baghdad, this 28th day of Sha'ban, 1368, and the 25th day of June, 1949.

ABDUL ILAH

Nuri al-Said
Prime Minister

Muhammad Hassan Kubbah
Minister of Justice

Shakir al-Wadi
Minister of Defence

Khalil Ismail
Minister of Finance

Omar Nazmi
Deputy Prime Minister

Najib al-Rawi
Minister of Education

Tawfiq al-Na'ib
Minister of Interior & Acting Minister of Economics

Jalal Baban
Minister of Communications & works

Fadhil al-Jamali
Minister of Foreign Affairs

Baha Uddin Nuri
Minister of Social Welfare

مجلس «المجمع العلمي العراقي» الأول

لمّا نشر هذا النظام في « الوقائع العراقية » ج ٢٥٦٠ الصادر في ١١/١٢/٤٧ ، شرعت وزارة المعارف في تنفيذ أحكام المادة الثامنة منه ، فاختار وزير المعارف أربعة أعضاء عاملين وفق الفقرة (أ) من المادة المذكورة ، وهم الأساتذة : السيد محمد رضا الشبيبي ، والدكتور محمد فاضل الجمالي ، والدكتور هاشم الوتري ، والدكتور متى عقراوي .

واجتمع هؤلاء لتنفيذ الفقرة (ب) من المادة المذكورة من نظام المجمع ، فانتخبوا الأساتذة السيد توفيق وهبي وزير المعارف ، والسيد محمد بهجة الأثري ، والدكتور جواد علي ، أعضاء عاملين .

ثم انتخب هؤلاء الأعضاء السبعة ثلاثة آخرين ، وهم الأساتذة : السيد نصرة الفارسي ، والسيد منير القاضي ، والدكتور شريف عسيران .

وبذلك تألف المجمع ، وصدرت الارادة الملكية بالموافقة على هذا الانتخاب في اليوم الثاني والعشرين من صفر سنة ١٣٦٧ هـ الموافق لليوم الرابع من كانون الثاني سنة ١٩٤٨ م .

ديوان الرئاسة

وقد عقد المجمع جلسته الأولى يوم الاثنين ١٢/١/٤٧ لتنفيذ المادة التاسعة من نظامه فانتخب السيد محمد رضا الشبيبي للرئاسة ، والسيد توفيق وهبي لنيابة الرئاسة الأولى ، والدكتور هاشم الوتري لنيابة الرئاسة الثانية[1].

(١) أنظر باب الأنباء والآراء من المجلة .

أعضاء المجمع العلمي العراقي

لسنة ١٩٤٩ ــ ١٩٥٠

الأعضاء العاملون

الأستاذ منير القاضي	(الرئيس)	بغداد
الدكتور شريف عسيران	(نائب الرئيس الأول)	»
الأستاذ محمد بهجة الأثرى	(نائب الرئيس الثاني)	»
الدكتور جواد علي	(السكرتير)	»
الدكتور ناجي الأصيل		»
الدكتور هاشم الوترى		»
الأستاذ محيي الدين يوسف		»
الأستاذ شيت نعمان		»
الدكتور أحمد نسيم سوسه		»
الدكتور مصطفى جواد		»

الأعضاء المراسلون

الدكتور داوود الجلبي	الموصل
الخوري سليمان الصائغ	»
الشيخ محمد السماوي	النجف
الأستاذ محمد كرد علي	دمشق
» فارس الخوري	»
» عبدالقادر المغربي	»
» خليل مردم بك	»

الدكتور قسطنطين زريق	بيروت
أحمد لطفي السيد باشا	القاهرة
الدكتور طه حسين بك	»
الدكتور أحمد أمين بك	»
الأستاذ عباس محمود العقاد	»
الدكتور منصور فهمي باشا	»
الدكتور علي مصطفى مشرفه باشا	»
الدكتور عبدالوهاب عزام بك	»
الأستاذ أحمد العوامري بك	»
» محمد الخضر حسين	»
» ساطع الحصري بك	»
» حسين حسني عبدالوهاب باشا	تونس
» ظفر الله خان	كراچي
» مكرمين خليل	الأستانة
» علي أصغر حكمة	طهران
» مولانا أبو الكلام آزاد	دهلي
» جب	لندن
» كيوم	»
» ماسنيون	باريس
» وليم مارسيه	»

الأعضاء الفخريون

الدكتور محمد فاضل الجمالي	بغداد
الدكتور متى عقراوي	»

اسلوب القرآن الكريم ومفردات ألفاظه (*)

- ١ -

القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن عزيز حكيم ، نزل بلسان عربي مبين ، هدى للناس . نعم ، انه يهدي الناس الى طريقين : طريق الدين المستقيم ، وهو الغرض الأول من نزوله . وطريق الأدب العالي الرفيع ، والبيان الجلي القويم ، وهو الغرض الثاني من نعمة حصوله . وهو بطريقه الأول أنشأ ديناً حكيماً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، اقتلع جذور الشرك من الشرق الأدنى والشرق الأوسط وطرف من الشرق الأقصى ، ولوح بنوره في الأقطار الأخرى ، فلم يقو ذلك الشرك المزمن الذي كلكل على الشرق بجرانه على مصاولة دين التوحيد الصحيح القوي الأساس . العزيز الحجة الواضح المحجة ، فاستبدلت الأمم التوحيد بالشرك ، والأخوة بالبغضاء ، والتناصر بالتناحر ، والتآزر بالشقاق ، والمجتمع الصالح بالمجتمع الفاسد . وأبدع علوما صقلت العقول ، وأيقظتها من سبات عميق طويل ، وكشف عن النفوس الأغطية الكثيفة حتى أصبحت حديدة الأبصار ، لامعة البصائر ، فعرفت ذواتها ، وعلمت أنها أفضل المخلوقات ، وأنها سواء فيما بينها ، فتحررت من عبادة الأحجار والحيوانات والأشخاص ، وأخذت تبحث في سموها ، والطهارة من أدرانها ، والتحلل من أوزارها ؟ والعقول اذا انتبهت فلا حد لمدى سيرها ، ولا نهاية لعمقها وغورها . وأحدث نظام المساواة بين الناس ، وقرر احترام الانسانية وحقوق البشر ، ووضع لهم دستورا صالحاً في معاملاتهم فيما بينهم . فالمظلوم منصور ، والظالم مقهور ، والله الحاكم العادل.

هذا مجمل مما أدى اليه طريقه الأول ، ولسنا في مجال تفصيله ، أو الاستزادة من اجمال سائر نواحيه ، فلذلك مقال آخر . وانما نبحث هنا أسلوب القرآن ومفردات ألفاظه : مما يدخل في عموم الطريق الثاني .

الطريق الثاني : الأدب العالي الرفيع ، وقد هدى الى ذلك بأسلوبه ، ومفردات ألفاظه . وانا لباحثون هذين بما استطعنا من ايجاز .

(*) محاضرة للأستاذ السيد منير القاضي ألقاها في دار المجمع العلمي العراقي

اسلوب القرآن الكريم

ينقسم كلام العرب الى منظوم ومنثور . فالمنظوم ما طبع على أوزان خاصة معدودة ، وصب فى قوالب معينة ؛ ولا يتجاوز المعروف من تلك الأوزان ستة عشر وزناً تسمى بحور الشعر ، والأولى أن تسمى بحور النظم . ولا تتعدى تلك القوالب أعداداً محسوبة لكل وزن من أولئك الأوزان . والمنثور ما لم يقيد بوزن ، أو يقصر على قالب ، أو يوسم بطابع . فقد يأتى مسجعاً مقفى يحاكى سجع الحمام المغنى أو الباكى ، وقد يرد مرسلا كالسلسبيل العذب المطرد فى مجاريه النضرة ، المنساب الى النفوس سائغا فراتا ، وقد يجىء مزيجا من النوعين ، يقف تارة مفرداً أو باكياً بلا تعمل أو تكلف ، ويجرى أخرى صافياً مطلقا كالزلال العذب ، أو النسيم الطلق ، وهكذا يتلون ويتقلب فيروى النفوس الظمأى ريا ، وينعش الأرواح انعاشا . وان كنت فى شك من ذلك ، فارجع بصرك الى منثور الجاحظ وأبى حيّان التوحيدى من المتقدمين ، ومنثور المنفلوطى والرافعى وطه حسين من المتأخرين ، تجد الدليل واضحاً ، والحجة قائمة .

والقرآن الكريم منثور له طابعه ، وله أسلوبه ، وله طريقته . لم يعهد للعرب قبله أن جرت فى نثرها مجراه ، أو سلكت أسلوبا يشاكه أسلوبه ، أو يشابه سبيله ، أو يشاكل طريقته . وان كنت فى ريب من ذلك ، فاستعرض منظوم الجاهلية ومنثورها ، واتل ما حفظ من مقالات بلغائها وحكمائها وكهانها وحنفائها ونساكها ، يأتك اليقين راسخا ، وتسطع لك البينة واضحة .

انه منثور عنوانه (الآيات البينات والذكر الحكيم) ، واسمه القرآن الكريم ، لا هو بالنثر الفنى ، لأن الفن الأدبى وقواعد اللسان العربى انما حدثت بعده ، واستمدت من ثروته الأدبية ، واصطلح عليها بعد دهر من نزوله . ولا هو بالنثر الدارج بين أمة عصره ، للاختلاف الواسع بينهما ، من حيث مفرداته ، وتراكيبه وصياغته ، وبحثه ، ومناظرته ، واحتجاجه ، ووضوحه ، وجزالته ، وفصاحته ، وبلاغته ، وبراعته ، وسمو مراميه ، وحسن قصصه ، وقوة مداخله ، وسهولة مخارجه ، وشريف مواضيعه ، وبليغ حكمه ، وعدالة أحكامه ، وصرامة وعظه ، ولطافة ارشاده ، ومقارعته الحجة بالحجة ، والدليل بالدليل ، الى أن يفحم الخصم ، فيرتد بصره وهو حسير ، وتقف بصيرته كليلة خائرة ، فيرفع راية التسليم ، ومن حيث اعماله الأذهان ، وكشفه السجف عن النفوس ، وهتكه الحجب عن الأنظار ، واطلاق العقول من أسرها . (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليذكر أولو الالباب) .

وأسلوب القرآن الكريم تختلف طرقه باختلاف الموضوعات التي يطرقها والمرامي التي يستهدفها . فهنالك أسلوب واحد ، وهنالك طرق مختلفة الاتجاه متحدة الأسلوب.

أما أسلوبه الواحد فهو الركون الى الوضوح في أداء المراد بألفاظ هي الدرر المنتقاة من بحر اللغة ، المختارة من بين أترابها من لسان العربية المبين ، الواقعة في محلها وقوع المقل في محاجرها ، فلا يسد غيرها مسدها ، ولا يغني عنها غيرها . ونظم هو السهل يعجز البليغ عن محاكاته وان تخيل قدرته على ذلك ، لما يراه من يسر المادة التي جاء بها ، وظهور المعاني التي يحملها ، ولألفة نسج التراكيب العربية التي ينسج على منوالها . يرى ذلك سهلا عليه ، ولكنه اذا أعمل ذهنه ، وسدد سهمه ، وأرهف قلمه ليأتي بمثله ، تراجع القهقرى مقرا بالعجز ، معترفا بالتقصير . (لو شئنا لقلنا مثل هذا) ، ولكنهم لم يقولوا مثل هذا ، اذ لم يستطيعوا ذلك . فلو استطاعوا ، لقالوا ، الزاماً لخصمهم الذي تحداهم (قل فأتوا بسورة من مثله) ، وافحاما لمناظرهم الذي سفه أحلامهم ، وقوض خيامهم ، وهد بنيانهم ، وأمعن في تدميرهم وابطال طارفهم وتليدهم . لو كانوا يستطيعون ، لفعلوا ، فكانوا هم الفائزين (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا).

ولا يقتصر أسلوب القرآن الكريم على الوضوح ، والبلاغة ، والبراعة ، وحسن البيان ، وحسن الابتداء ، وحسن الانتهاء ، وتناسب الآيات وانسجامها في كل سورة حسناً لا يجارى وتناسباً لا يبارى ، ووضع الألفاظ في مواضعها ، وايقاع التراكيب في مواقعها ، واطلاق النظم منسجماً مترابطاً سهلا ، تشتف الأذهان معانيه كما تشتف الأرض المحلة الغيث الممرع . بل هناك سر آخر - هو سر اعجازه - وهو شهادة الأذواق السليمة على سمو نظمه بحيث تنقطع دونه معارج البلاغة ، وتنحط عن بيانه شموس البراعة .

والأذواق السليمة هي فيصل التفرقة في الأدب بين الغث والسمين ، والبدين والهزيل ، والقوي والضعيف ، والرخيص والثمين . ان الأذواق السليمة لتستبشر عند تذوقها جلال اعجازه وفخامة ابداعه ، وتستحلي رقة بيانه ودقة معانيه وقوة أدائه ، وتقول : هل من مزيد ؟ مهما زودتها من آياته ، وأتحفتها من سوره وبيانه . فاستشهد ذوقك ، وهو خير الشاهدين . وان كان المرء مريض الذوق فلينزهه في حدائق البلغاء ، وليداوه بهضم ثمارها حتى يعود سليما ، ثم ليستشهده على ما أقول فسيجده من أصدق الشاهدين وأحكم الحاكمين .

وأما طرائقه فقدد ؟ وكلها في حدود البيان على خط واحد ، وفي فلك البلاغة على دائرة واحدة ، هي أوسع الدوائر وأسماها . فله في المناظرة طريقة ، وفي المحاورة طريقة ، وفي القصص طريقة ، وفي تقرير الأحكام طريقة ، وفي التاريخ طريقة ، وفي الوعظ طريقة . وهكذا في كل موضوع من موضوعاته . وأنا أورد ما كشفت لي تلاوته آناء الليل وأطراف النهار من بعض تلك الطرائق ، وما تحقق لي من تلك الحقائق .

طريقته في المناظرة :

له فيها طريقتان :

١ ـ الاستدلال العقلي الصرف ، أي الرجوع الى مجرد العقل ، ونصبه حكماً بعبارات تصب المعاني في قلب السامع الراغب في الحقائق صب الحياة في الأجسام القابلة لها ، على وجه لا يدع فراغاً لتسرب الشك الى صحة الدعوى وثبوتها ، وهنا السر في البراعة ودقة الأسلوب .

٢ ـ الاستدلال بالوقائع العامة المألوفة لكل أحد ، المعروفة عند جميع الناس ، والرجوع اليها حكماً بانضمام العقل اليها .

وها أنا ذا أستظهر لك فصولا من هذا الباب ، موجزا في الشرح على قدر الامكان .

أ ـ (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) :

وشرح ذلك : أنكم ، أيها المخاطبون ، تعترفون وتعتقدون أن آدم خلق ابتداعاً من غير أب وأم . فاذا كانت عقولكم تصدق ذلك وتحكم به ، فمن باب أولى أن تحكم بجواز ايجاد عيسى عليه السلام من أم بلا أب . فالعقل الصرف هو الحكم في المسألة .

ب ـ (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ، وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب) :

وشرح ذلك : أن الاصنام التي تعبدونها لا تستطيع أن تخلق الذباب الذي هو من أضعف الحشرات ، بل ان هذه الحشرات الضعيفة ـ أي الذباب ـ اذا سلبت هذه الأصنام ما ضمخت به من مواد الطيب ونحوه ، فانها لعاجزة عن استنقاذه منها والذب عنه . والعقل السليم يستهين بمن كان بهذه المكانة من الضعف والهوان ، ويسمه بميسم الذل والحطة ، ولا يستسيغ أن يحسب له حساباً ، لا أن يتخذه معبودا . فالعقل الصرف هو الحكم في المسألة .

ج ـ (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، قال : من يحيي العظام وهي رميم ؟)

وشرح ذلك : أنكم ، أيها المنكرون للبعث ، قد استبعدتم البعث ، واستعصى عليكم أن تجوزوا قدرة أحد على صب الحياة في العظم الرميم ، فسألتم سؤال انكار : من يحيي

العظام وهى رميم ؟ ولم تنتبهوا الى أنفسكم ، ونسيتم خلقكم وايجادكم من مواد كانت ميتة ثم سرت فيها الحياة فنمت حتى كنتم بشرا سويا • ـ يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ـ وصارت تلك المواد الميتة فى أصلها تعقل وتجادل وتناظر وتخاصم • فمن قدر على هذا ـ وهو أمر واقع مسلّم به ـ كيف لا يقدر على رد الحياة الى العظام الرميمة التى كانت متقمصة بها ، وذلك بطريقة هو يعلمها لم تألفوها • فالعقل اذا قارن بين النشأتين ، ووازن بين الحياتين ، لا يجد فرقا بينهما فى باب الامكان • فما الانكار الا غفلة عن حقيقة واقعة ، هى نظير ما استبعدتموه ، ومثيل ما أنكرتموه • فالعقل السليم وحده ، قاطع بامكان البعث ، وجواز حصوله • وانكار الممكن الجائز خروج على حكم العقل وخرق لنظراته الصائبة •

د ـ (وقالوا انما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون اليه أعجمى ، وهذا لسان عربى مبين) :

وشرح ذلك : أنهم افتروا فرية عظيمة واضحة البطلان ، لأن مجرد الرجوع الى حكم العقل المحايد ، وعرض هذه الفرية على انصافه ، يجعل المرء يجزم ببطلانها ، ويحكم أنها صادرة من أفواه كاذبة ، وألسنة متطرفة متعصبة ، تلوك الباطل ، وترمى الكلام على عواهنه جزافاً ، اضلالا للناس ، وحطاً من مقام خصمها ؟ فان خصوم الرسول الأعظم لما عجزوا عن مناظرة القرآن الكريم وما حواه من علم وبلاغة وأدب ـ مع أن الذى جاء به رجل أمى ـ وألقوا سلاح بلاغتهم أمام قوة تحديه اياهم ، انصرفوا الى طريق الدجل ـ وما أضيقه ! ـ وتمسكوا بالأراجيف والبهتان ـ وما أضعفها مستندا ! ـ فقالوا : « انما يعلمه بشر » يريدون شخصاً معينا عجميا كان يسكن مكة • فجاء الدليل على اقتلاع هذه الفرية ، وهدم هذا المستند باستنطاق العقل وتحكيمه • فاذا عرضت القرآن بمزاياه وخصائصه على العقل ، مقررا أنه من صنع رجل عجمى بجنسه أعجمى بلغته ، يلقيه على رجل عربى عريق فى العروبة ، ناشىء فى أحضانها ، معروف بالأمانة والصدق ، لاستبعد العقل ذلك كل الاستبعاد ، ونطق قائلا : (لسان الذى يلحدون اليه أعجمى ، وهذا لسان عربى مبين) فالرجوع الى حكم العقل السليم الصرف ، هو الدليل فى المقام •

هذه فصول موجزة من النوع الأول من طريقى الاستدلال ، لها نظائر وأمثال كثيرة تظهر للتالى المتدبر ، يستلهم شرحها من وحى الهداية واليقين •

واما الطريق الثانى :

فما أكثر ما ورد عليه ! لأنه أظهر بياناً ، وأشد وضوحاً ، وأسد تقريرا ، يستوى

فى ادراكه العالم والجاهل ، والنبيه والخامل ، والغبى والذكى ، والكبير والصغير . لأنه مبنى على الحس والمشاهدة ، وقائم على أمور لا سبيل الى انكارها ، ولا طريق الى الصدود عنها والصدوف عن شهادتها والجدل والمكابرة فيها .

والقرآن الكريم فى طريقته هذه ، يستعرض أولا تلك الأمور الملموسة أو المشاهدة ، فينبه العقل الى التفكير فيها، ويحركه الى بحثها والحكم فيها ، ثم يعقبها بالدعوى المطلوبة صراحة أو ضمناً .

وأكثر ما جاء من هذا النوع جاء فى معرض اثبات وجود الصانع وانتظار وقوع اليوم الآخر ونهاية العالم الموجود . واليكم أمثلة من ذلك :

أنكر الملحدون وجود صانع لهذا العالم العجيب الصنعة ، المحكم النظام احكاماً قوياً بديعاً ، لا يترك مجالا للشك فى وجود مبدع له حكيم عظيم قوى عزيز ، لمن لفت نظره الى ما يشاهده فيه من ترتيب عجيب ، ودقة وانسجام ، وانتقل بعد ذلك الى حكم العقل مجرداً من حجب التعصب والتطرف التى تعمى الأبصار ، وتعمه بها البصائر ، فتصدى القرآن لاثبات ما أنكره أولئك الملحدون بالدليل المحس المنظور ، فقال :

أ ــ (ان الله فالق الحب والنوى ، يخرج الحىّ من الميت ومخرج الميت من الحىّ ، ذلكم الله فانى تؤفكون . فالق الاصباح ، وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا ، ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصّلنا الآيات لقوم يعلمون . وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع . قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون . وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء ، فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب ، والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ، ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون)

ب ــ (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون . ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، ان فى ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ، ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون . وله من فى

السماوات والأرض ، كل له قانتون) .

ج ـ (ألم نجعل الآرض مهادا ، والجبال أوتادا ، وخلقناكم أزواجاً ، وجعلنا نومكم سباتاً ، وجعلنا الليل لباساً ، وجعلنا النهار معاشاً ، وبنينا فوقكم سبعا شدادا ، وجعلنا سراجاً وهاجاً ، وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً ، لنخرج به حبّاً ونباتاً وجنـات ألفافا . ان يوم الفصل كان ميقاتا) .

فهذه الفصول الحكيمة الثمينة ، الناطقة بالحقائق والوقائع المحسة ـ وأمثالها كثير فى القرآن العظيم ـ جاءت فى مقام الاستدلال على وجود صانع للكون ، قدير على كل شيء ، لا يستعصى عليه أمر ، ولا يقف دون ارادته محال ـ وان لم تتعلق ارادته بالمحال ـ. والخوض فى شرح ما تضمنته هذه الا يات الكريمة من علوم ومعارف عالية غالية ، ليس موضعه هذا المقال ، وأكتفى بتوجيه المطالع الكريم الى الامعان بالتفكير فى مواضيعها ، ومعانيها ، وصرف نور العقل الخالص من شوائب التطرف الى استجلاء ما فيها من الحقائق ، وتفهم ما جمعته من الوثائق ، والتبصر فى النظام الدقيق السليم الذى أشارت اليه ، ثم الرجوع الى أصل الدعوى المراد اثباتها ، وهى وجود الصانع ، ثم اعطاء الحكم فى الموضوع .

ومما جاء فى هذا الباب فى مقام ثبوت الصانع ، وامكان البعث واحياء الموتى ، قوله تعالى : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا للذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون ، فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون . ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت . ان الذى أحياها لمحيي الموتى ، انه على كل شيء قدير .)

طريقته في التاريخ :

لم ينزل القرآن الكريم ليملى على الناس حوادث الماضين وسير الغابرين ، أو يسرد وقائعهم السياسية وأساليبهم الاجتماعية ، أو يمحص الحقائق من الشوائب فيما اقترفوه ، أو يشبع رغبات محبى الاطلاع على مجهول مضى ، أو يستنتج النتائج السياسية والاجتماعية لتكون قدوة فى مستقبل آت . كل ذلك ليس من غرضه عند تطرقه الى التاريخ ، وعرضه وقائع الأمم البائدة والباقية ، وقصه أحسن القصص ، وحكايته سلوك أمة أو سيرة شخص ؛ لأنه لم ينزل مدرساً للتاريخ أو مسجلا للحوادث ، كما أنه لم ينزل معلما للفلك والجغرافية عند بحثه مسائل فلكية أو جغرافية ، ولا أستاذا للكيمياء والفيزياء عند ذكره لمحات من حقائقهما وجملا من أمثلتهما . ليس شيء من ذلك مما قصد بتنزيله ، أو كان

محط النظر فى وحيه وتأويله . وقد أخطأ كل الخطأ من نصب نفسه للنزول بالقرآن الى عدّه كتاباً يجمع خليطا من مسائل العلوم ، أو كناشة سجلت قضايا من الفلسفة والطبيعة والتاريخ ، معتقدا أنه يرفع بعمله هذا شأن القرآن ـ وهو الرفيع بنفسه ، أو أنه يدلل بذلك على اعجاز القرآن ، وهو المعجز بذاته . فليس فى عمله مدحة للقرآن ، أو رفعة من شأنه ، فان كتب الفلسفة كثيرة جمعت ضروب الفلسفة ومختلف طرقها ومذاهبها ، وكتب العلوم لا تكاد تحصر عدا ، وعت أدق مسائل العلوم النظرية والعملية . فأى فضل للقرآن أن يحشر فى عدادها ، ويحسب فى زمرها ؟ أليس فى ذلك حط للقرآن العظيم عن فضله ، ونزول به عن علو مقامه ؟

ان القرآن يهدف فى تقريره أولا وبالذات الى :

اثبات وجود صانع للعالم عظيم قدير .

والى وحدانية هذا الصانع العظيم القدير ، الذى يجب حمده وشكره وعبادته وحده، هدما للشرك الذى سود وجه الأرض ، وخرج بالناس مخارج تاهوا بها فى مجـاهل الضلال ، ودلفوا بها الى موارد الهلاك .

والى اثبات اليوم الآخر ثم البعث ونشأة عالم جديد لا يشبه هذا العالم .

فهذه الأغراض الثلاثة ، هى التى يرمى اليها أولا وبالذات ، بشتى طرق البلاغة ، ومختلف أساليب التعبير (كذلك نصرف الآيات لقوم يعقلون) . وما الأمور الأخرى التى حملها القرآن الكريم من مسائل النبوة والكتاب وغيرهما الا آتية بعد تلك الأمور الثلاثة ؛ لأنها لا تخلو من كونها اما وسائل لهؤلاء الأمور ، واماّ توابع تعقبها بعد ثبوتها وتحققها . فالقرآن الكريم لا يتدخل فى أمر التاريخ وسائر العلوم ، ولا يأخذ من مسائلها وقضاياها الا قدر ما يخدم اثبات تلك الحقائق الثلاث ، أو يوحى فى النفوس عبرة وموعظة ترد العقول الجامحة الى صوابها ، لتتدبر الحقائق والدلائل القائمة ، وتتنكب طـريق المكابرة والجدل ، فتصل الى الصواب (قرآن أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليذكر أولو الألباب) .

فالقرآن الكريم اختط له طريقة خاصة فى التاريخ ، طريقة تفى بالغرض الذى يرمى اليه من دخوله ساحة التاريخ ؛ لذلك تجافى طريقة المؤرخين ، من اهتمـامهم بتحديد الأزمنة والأمكنة ، وجهدهم فى ضبط الأسماء والكنى والألقاب وتسلسل الحوادث وسردها بالتفصيل . فاقتصر منه على ما يصيب غرضه ، فلم يذكر من الوقائع الا ما هو معروف مسلّم به ، ولم يذكر من الأسماء الا من عنى بتأريخهم بالقدر الذى يؤدى الى

الغرض ، ممن لتعيين أسمائهم دخل جوهرى فى الموضوع كأسماء الأنبياء عليهم السلام، فلم يذكر أسماء الفراعنة وسائر الملوك الذين وقعت الحوادث التى سرد طرفاً منها فى عهودهم ، ولا الأزمان ونحوها من الأمور التى يعنى بها المؤرخ ، لخروج ذلك عن دائرة ما يرمى اليه فى ايراده القضايا التاريخية ، فانه لا يهدف فى ذلك الا الى العظة والاعتبار ، فيورد ما يؤدى اليها بايجاز لا يزيد على المراد . وربما كرر ذكر الواقعة الواحدة فى مواضع مختلفة بأساليب وتعابير متنوعة ، لما لتلك الواقعة من صلة بالموضوع من حيث العظة والاعتبار ، كقصة موسى عليه السلام ؛ فان لتكرارها فى المواضع التى وردت فيها ، وبيان نتائجها ، أثراً بليغاً فى تقرير الموضوع الذى عقبه ، والتفكير فيه ، خصوصا فى زمن نزوله ، ذلك الزمن الذى بلغ فيه طغيان الملوك واستئثارهم بمقدرات شعوبهم واستهانتهم بالأمم الخاضعة لحكمهم حدا تجاوز فى فظاعته حدود الظلم والجور .

طريقته فى المحاورة :

المحاورة فن من فنون الأدب ، وهى غير المناظرة . فالمناظرة أن ينصب طرفان نفسيهما للاستدلال على اثبات أمر تخاصما فيه نفياً وايجاباً ، يعدّ كل منهما نفسه نظيرا لخصمه فى المنزلة والمقام فى الموضوع الذى يبحثانه ، للوصول الى الصواب ؛ لذلك لا تجرى المناظرة بين تلميذ وأستاذه ، ولا بين مجتهد ومقلده ، ولا بين الشارع والمقتدى، بل يجرى بينهما الاستفهام والمراجعة .

أما المحاورة ، فهى المراجعة فى الكلام بين طرفين ، لبث شكوى ، أو غرام ، أو تفصيل أمر ، أو تهدئة خاطر ، أو نحو ذلك من الأغراض التى تقتضيها الحال والمقام ، مشتقة ــ على ما أعتقد ــ من حار يحور بمعنى رجع يرجع ، على حد (يحور رمادا بعد اذ هو ساطع) . فقوله تعالى فى سورة البقرة : (اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت ، قال : أنا أحيى وأميت . قال ابراهيم : فان الله يأتى بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب ... الخ) مناظرة . وقوله فى سورة الكهف : (فقال لصاحبه وهو يحاوره : أنا اكثر منه مالا وأعز نفرا ، الى قوله : وأحيط بثمره) محاورة .

وطريقة القرآن الكريم فى المحاورة أن يوردها بغاية الايجاز ، بأوضح بيان وأسهل تعبير ، فى مقام الوعظ والارشاد . ومن ذلك قوله تعالى فى سورة يوسف : (وتولى عنهم ، وقال : يا أسفا على يوسف ، وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم . قالوا : تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين . قال : انما أشكو بثى وحزنى الى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون) . وأكثر ما يورد القرآن المحاورة تمهيداً لأمر

غريب سيقع ، وحادث عجيب سيحصل ؛ ليكون حصوله أبلغ فى الاعتبار بعد التنبيه اليه، وأوغل فى الوعظ بعد الاشارة الى وقوعه . ومن ذلك ما جرى منها بين الرسل والمرسلين اليهم ، كمحاورة نوح عليه السلام مع قومه ، ومحاورة هود عليه السلام مع شعبه ، ومحاورة لوط عليه السلام مع قبيلته ، ونحو ذلك من المحاورات بين سائر الرسل وأقوامهم .

طريقته فى القصة :

القصة حكاية واقعة ، لغرابتها أو خطرها ، أو لدلالتها على ما انطوى عليه مجتمع : من أدب ، أو رقة ، أو عدل ، أو ظلم ، أو ذوق سليم ، أو فوضى ، أو خشونة فى الطبع ، أو تعسف ، أو سكوت على ظلم ، أو نحو ذلك من المعانى التى لا تحصى ، بأسلوب يجذب النفس للتطلع الى الاحاطة بأطرافها ، والتعمق فى مغزاها ونتائجها ، ويصور الحادثة تصويرا كأنك تشاهدها عن كثب ، فتأتى مثلا رائعا .

وأدب القصة معروف فى الأدب العربى ، قبل الاسلام ، وبعده . وقد تطرق القرآن الكريم اليه فى مواضع عدة (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك) للغاية التى يتوخاها فى ايرادها ، من الارشاد والوعظ ، والانذار ، والتحذير . دعماً للحجج التى أقامها فى اثبات مقاصده ، وتعليماً للسلوك الحسن الذى يجدر بالأمم والأفراد أن تسير عليه ، وتنبيهاً للغافلين من رقدتهم التى حجبتهم عن تبين حالتهم التى هم فيها ، وهم عنها غافلون .

وطريقة القرآن فى القصة أن يتبسط فى سردها بعض التبسط ؛ لأن مقام القصة وطبيعتها ، وتيسير استنتاج النتائج المهمة منها ، تقتضى التبسط فى ايرادها ، بل قد تقتضى الاطناب فيه . ولا يلوى فى أسلوبه هذا الى ذكر ما لم يكن من عناصر الحادث الذى يقصه ، كما يفعله أدباء القصة تخيلا بغية سدل ثوب ضاف على قصصهم ، واخراجها مخرج روايات تمثيلية ، لأن فى ذلك نوعاً من الكذب ، والقرآن يمقت الكذب ويحرمه مهما كان سبيله ، ويلعن الكاذبين .

وقد ضرب القرآن الكريم المثل الأعلى بأسلوبه فى أدب القصة . فهو مع تحاشيه التخيل والكذب فى صياغتها ، قد طبعها بطابع أخاذ بمجامع القلوب ، ينبه المشاعر والحواس الى استماعها بتلهف ، لما يتخللها من مفاجآت طريفة فى مضامينها ، وحلول لتعقدات فى مبانيها ، مضافاً الى ما يسمه هذا الطابع من المعانى الرفيعة ، وما ينطوى عليه من الحقائق والحكم السامية . وأبرز مثال لذلك قصة يوسف ، عليه السلام ، فقد جاءت مثلا معجزا

في أدب القصة ، بوضوح تعابيرها ، وانسجام فصولها ، وبراعة سبكها ، وبلاغة جملها ، وفصاحة ألفاظها ، وسهولة فهمها ، وتقلب النفس عند قراءتها من تأمل ، الى وجوم ، الى حزن ، الى يأس ، الى أمل ، الى رجاء ، الى فرح وسرور . ثم أخذها بزمام العقل الى استجلاء غرائز الانسان المتناقضة : من حب ، وبغض ، وحسد ، وحقد ، ومكر ، وشهوة ، وغرام ، وخيانة ، وكذب ، وبهتان ، وظلم ، وغضب ، وجور في الحكم ؛ واتباع للهوى ، وصبر ، وجلد ، واستقامة ، وصلابة في الرأي ، وصدق في القول ، واعتداد بالنفس . هذا مع ما فيها من العبر ، وما تشير اليه من حالة المجتمع العربي في ذلك العصر وقضائه وادارته ، وغير ذلك من الأمور التي يطول شرحها ، وليس هنا محل بحثها وبسطها .

طريقته في تقرير الأحكام

آيات الأحكام في القرآن الكريم على نوعين : نوع ورد نصاً لتقرير أحكام معينة ، ونوع ورد نصاً لأمر آخر ، ولكنه يدل على تقرير حكم من طريق الظاهر أو الاشارة . فالأول مثل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) . والثاني مثل قوله تعالى : (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) فان الآية وردت نصاً في وجوب نفقة الزوجة على الزوج ، ولكنها قررت حكما آخر يفهم من ظاهر عبارة (وعلى المولود له) ، وهو اعتبار النسب من جانب الأب لا من جانب الأم . وكذلك قوله تعالى : (ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار) فان الآية وردت اخبارا عن مصير المنافقين، ولكنها قررت حكما يفهم من ظاهرها ، وهو أن النفاق حرام واثم عظيم .

وطريقة القرآن الكريم في تقرير الأحكام أنه لا يجمعها كمواد قانونية ، أو ككتاب فقه يجمع أحكاماً تعد عدا وتسرد سردا ، بل يأتي بها متفرقة يتبينها تالي كتاب الله بين فصوله المتنوعة في مناسبات الكلام والبحث ، وبين مواطن الوعظ والارشاد . وهذه الطريقة أدعى لتلقي الاحكام باطمئنان النفوس ، وأرسخ في تفهم المقصود ، وأخف في تحمل التكاليف وأوفق لخطة التشريع ، بخلاف ما اذا جاءت كمواد قانونية مجموعة في مجلة ، أو ككتاب فقه يحفظ بين دفتيه ألوف المسائل بشروطها وأوصافها .

ثم انه يقرر أحكامه بوجهين :

الأول بطريق الفتوى جواباً عن سؤال ، مثل قوله تعالى : (يسئلونك عن الأهلة .

قل : هي مواقيت للناس والحج) و (يسئلونك عن الخمر والميسر ، قل : فيهما اثم كبير) ، (ويسئلونك : ماذا ينفقون ؟ قل العفو) . (ويسئلونك عن اليتامى ، قل : اصلاح لهم خير) . (ويسئلونك عن المحيض ، قل : هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) (يستفتونك فى النساء ، قل : الله يفتيكم فيهن .. الآية) . (يستفتونك ، قل : الله يفتيكم فى الكلالة : ان امرؤ هلك ليس له ولد ... الآية).

وفى هذه الطريقة تعليم للناس أن يسألوا أهل العلم والاختصاص عما يجهلون من أمور دنياهم وأخراهم ، وأن يأخذوا بما يرشدونهم اليه ، فضلا عما فيها من حسن تقرير للمسألة والحكم .

الثانى بطريق الانشاء ، وهو الغالب فيه ؛ لأن الناس لا يسألون عن كل ما يرغب المشرع فى تشريعه للمصلحة التى يراها . وهذه هى طريقة المشرعين المعتادة . مثل قوله تعالى : كتب عليكم الصيام . كتب عليكم القصاص فى القتلى . حرمت عليكم امهاتكم. لا يحب الله الجهر بالسوء من القول . ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من اتقى . أقيموا الصلوة وآتوا الزكوة .

ومن طريقته الحسنى فى هذا الباب ، أنه لا يقر الا الأحكام الاساسية التى يراها جوهرية فى التشريع ، والتى يرى ضرورة دوامها فى المجتمع الانسانى طول الدهر ، ويترك تقرير التفاصيل والاحكام الاخرى الى الرسول المبلغ ، شأن الدستور والقوانين والانظمة فى العصر الحاضر ـ وللقرآن المثل الاعلى ـ . ثم يفوض التفسير والاستنتاج الى الراسخين فى العلم .

والولوج فى هذا الباب ثم الخروج منه يقتضى بحثا طويلا ليس محله هذا البحث الوجيز . وأدع الاستزادة من بحث اسلوب القرآن وطرائقه فى مواضيعه الاخرى الى جهد الراغب فى البحث ، مكتفيا فى هذه الكلمة بما نبهت اليه .

- ٢ -

مفردات القرآن الكريم

اختار القرآن الكريم فى جمله الألفاظ العربية الفصيحة ، اللذيذة فى السمع ، الخفيفة على اللسان ، جامعة لشروط الفصاحة فى خلوها من التنافر والغرابة والتعقيد ، منتقاة من لآلىء بحر اللغة العربية ، منتظمة فى سلك الكلام البليغ المعجز ، لم تشبها شائبة ، ولم تصمها وصمة . قد خوطب بها عرب من سائر الناس في ميزان البلاغة وتفهم

الكلام العربى ، ففهموا معانيها ، وعملوا بمقتضاها . وخاطبهم بها عربى أرسل لتبليغهم أحكام الله تعالى ، فى أوامره ونواهيه ومواعظه ، وفى أمثاله وحكمه وقصصه ، وفى دلائله التى أقامها على وجوده ووحدانيته ، وحججه التى أفحم بها الملحدين ، وبراهينه التى أعزبها المؤمنين . ففهم الناس كل ذلك بوضوح ، فا منوا بما جاء به رسوله ، وصدقوه .

وبعد هذا ، أليس من الغريب أن يذهب بعض المشايخ الى وجود ألفاظ غريبة فى القرآن ، فيضعوا فيها كتبا قيمة يفسرون معانيها ، ازالة لغرابتها على زعمهـم ، وبيـانا لغموضها على رأيهم ؟! . من ذلك « مفردات الراغب » التى قال فيها : « فالمتشابه من جهة اللفظ يرجع الىالالفاظ المفردة اما من جهة الغرابة نحو : الأب ، ويزفون » ، و « غريب القرآن » لأبى بكر السجستانى الذى قال فى أوله : « هذا تفسير غريب القرآن ، ألف على حروف المعجم ليقرب تناوله ويسهل حفظه » .

ونحا نحوهما كثير ممن لهم قدم راسخة فى العلم والأدب قبلهما وبعدهما ، كابن دريد وابى عبيدة وابن الأنبارى والسيوطى وغيرهم .

وما أدرى كيف فات هؤلاء الأئمة أن الغرابة تمحو الفصاحة ، والفصاحة ركن من اركان البلاغة ، فاذا سقطت من الكلام ، سقطت بلاغته ، وأصبح سوقيـا عاميـاً . والقرآن كلام الله المعجز ، والاعجاز أعلى درجة فى سلم البلاغة ؟ وما أدرى ، كيف جاز لهؤلاء الأحفياء فى الأدب العربى أن يطلقوا اسم الغريب على طائفة كبيرة من ألفاظ القرآن الكريم نظموها معاجم تسهيلا لانقاذها من وصمة الغرابة ، وهى الدرارى المتألقة فى سماء الاعجاز ، والدرر المنظومة فى سلك البيان ؟ وكيف يعقل أن يخاطب الرسول قومه بغريب الألفاظ ، وهو فى مقام التبليغ والتبيين ؟ (بلغ ما انزل اليك من ربك . وما أرسلنا من قبلك من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) . على أننا اذا استعرضنا ألفاظ القرآن التى وصموها بوصمة الغرابة ، وحشروها فى ساحة الغموض ، نجدها أوضح من فلق الصبح ، وأقرب تناولا فى أداء معانيها من أكثر الالفاظ التى عدوها قريبة لا غريبة ، وأليفة غير نافرة ، يفهم سامعها المراد منها بلا حاجة الى مراجعة المعاجم ، أو بمراجعة سهلة توصل الى كشف المعنى بلا تنقير مضن فى المعاجم ، ولا تفتيش طويل . وها أناذا أورد طرفاً من ذلك شاهدا على ما أقول :

آيات . أسلمت لرب العالمين . أسباب . افرغ علينا صبرا . الأكمه . من أنصارى الى الله . الأرحام . أنباء . آلاء الله . أدلى دلوه . أصنام . أصفاد . الأحزاب . اجتثت . اجتبنى . أترفوا . اهدنا . استوقد . اهبطوا منها . اصطفى . الحافاً . بارئكم .

بديع • بث فيها • بازغاً • بوار • بارزة • بهيج • تسفكون • تشابهت • قلوبهم • ترتابوا • ترهقهم • تسرحون • تبذير • ثواب • الثرى • ثاقب • ثعبان • جهرة • جن عليه الليل • جاسوا • زينة • سم الخياط • شرعة ومنهاجا • عفريت • عجاف • نكال • نبأ • نكثوا • نقموا • يوعون •

فهذه الالفاظ الممتازة ونحوها ، الجارية على اللسان بسهولة ، المفهومة المعانى بلا كد أو تعب ، قد عدّوها من غريب القرآن ، وهى من قريب القرآن لا من غريبه ، ومن اليفه لا من نافره وبعيده • فهل فى هذه الألفاظ الغرّ شيء من ملامح الغرابة؟ وهل يتوقف فهم معانيها لأوساط الناس على مراجعة المعاجم المبسوطة والبحث عنها فى كتب اللغة المطوّلة ؟ كلا • فاذا لم يكن شيء من ذلك ، فلا غربة فيها ؟ لأن ميزان الغرابة ومقياسها فى الألفاظ ، وهو ما سألنا عنه لا غير • واذا أرادوا بالغريب معنى أوسع من هذا المقياس ، فهو خروج عن حدود الغرابة التى أقرها الأدباء ، ونطقت به كتب علم البلاغة اجماعا • فان أرادوا بالغريب ما خفى معناه على سائر الناس ، أصبح معظم كلام البلغاء غريباً ، وأصبح أكثر القرآن الكريم وسائر الكتب المنزلة وكلام أهل الحكمة من الناس غريبا • وهذا بعيد عن الصواب كل البعد ، ولا قائل به • فالمقياس فى حدود غرابة الفاظ ، هو فهم أوساط الناس ، وهم الذين لم يرقوا أعلى درجات البلاغة ، ولم ينحطو الى أسفلها ، بل وقفوا وسط الدرجات • ومن الغريب أيضاً استدلال من ذهب الى وجود الغريب فى القرآن الكريم بما روى عن بعض الصحابة ، رضوان الله عليهم ، من توقفهم فى تفسير معانى بعض الالفاظ كلفظة (اب) فى قوله تعالى (وفاكهة وابا) ولفظ (يزفون) فى قوله تعالى (فأقبلوا اليه يزفون) • أقول : من الغريب الاستدلال بذلك على وجود الغريب فى القرآن ، لأن الروايات فى ذلك لم تتوافر فيها شروط الروايات الصحيحة ، فهى اما مكذوبة ، واما ضعيفة ؟ ولأن خفاء معنى اللفظ على فرد ، لا يستلزم خفاءه على غيره من أوساط الناس ، بلهعلماءهم ، بدليلأنمن رووا عنهالتوقف فى تفسير ما سئل عنه ، قد أحالهم على غيره من أضرابه ، ففسرها لهم •

ولا يقال : ان المتشابه فى القرآن كأوائل السور والآيات المتشابهة الأخرى غريبة لخفاء معانيها ؟ لأنا نقول : لا غرابة فيها ؟ فانّ ألفاظها مفهومة المعانى ، واضحة الدلالة عليها ، فان (كهيعص)مثلاتدلعلىالحروفالمسماةبكاف ، وهاء ، وياء ، وعين ، وصاد ، دلالة ظاهرة ، فهى معانيها المفهومة لكل قارىء • وان كلمة (يد) مثلا فى قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) دالة على ما وضعت له بوضوح ، مفهومة المعنى بلا حاجة الى مراجعة

المعاجم ، وانما التشابه والخفاء جاء من جهة أخرى ، هى : ما المقصود من افتتاح بعض السور بأسماء حروف الهجاء ؟ وكيف صح نسبة (يد) الدالة على العضو المعروف فى الجسد الى الله تعالى ؟ فليس فى الدلالة غرابة ولا خفاء ، وانما الخفاء فى وجه الاستعمال، وهذا بحث آخر لا علاقة له بموضوع الغرابة .

وبعد فألفاظ القرآن الكريم ، أفصح ما نطق به العرب من الالفاظ ، وما عده بعضهم غريبا هو أعرق نسباً الى الفصيح من الكلمات التى يحشرها البلغاء فيما يكتبون ، وانما جاءت شبهة الغرابة فيها من هجر استعمال الكتاب اياها ، وهم مخطئون فى ذلك خطأ شنيعا . فألفاظ القرآن الكريم منتقاة من جواهر الفصيح من الألفاظ العربية ، تحلى الكلام حلية بهية ، وتكسبه فخامة وروعة ، سواء فى ذلك النظم والنثر على الاطلاق ، فى مقام المحاجة أو الخطابة ، أو فى أى مقام آخر مما يجرى فيه القلم واللسان .

فالواجب على كتّاب العصر الاستمداد من فيضها الدافق ، والاتصال بها فيما يكتبون اتصالا وثيقا ، والتباعد عن استعمال الكلمات الركيكة السوقية المبتذلة . والطريق الموصل الى ذلك هو حفظ القرآن الكريم كله أو معظمه .

ومن خصائص القرآن الكريم فى مفرداته ، استعماله الحقائق من المفردات ، فهو لا يركن الى الألفاظ المجازية الا قليلا أو نادرا ، فى مواضع لا مناص من استعمالها فيها نظرا لفن الأدب ومورد الكلام ؛ لأن الحقائق أوفى بأداء المراد تاماً ، لا زائدا ولا ناقصاً ، وهو طريق واضح سليم تنكب عنه كثير من البلغاء والكتاب ، فأكثروا من المجازات ، وبالغوا فى استعمال الاستعارات من مصرحة ومكنية ، ظانين أن فى ذلك رفعة لكلامهم ، وعلواً لخطابهم ، وفخامة لما ينشئون . كما أن القرآن لا يركن فى تراكيبه وجمله الى المجاز العقلى ، ولا الى الكناية ، الا قليلا عند مقتضى الحال ؛ لأن الكلام الحقيقى كفيل بايفاء المراد على حقيقته وقالبه ووضعه . وهذه المزية فى الحقيقة لا تتوافر فى المجازات العقلية والكنايات . ولكن كثيرا من الكتاب السالفين والمعاصرين ، لم ينحوا هذا المنحى تمشياً مع القول المأثور : المجاز أبلغ من الحقيقة ، والاستعارة أبلغ من التصريح . وهو قول لا نسلم به ؛ اذ لا يكون الثوب المعار أكثر ملاءمة من الثوب المقطوع على الجسم ، ولا الشىء الصريح أقل دلالة على مادته من الخليط . وان الوصول الى المراد من طريق الخيال ــ وهو طريق الاستعارة ــ خروج عن ايفاء المراد على ما هو عليه ؛ لأن الخيال يصور الشىء على غير ما هو عليه ، فلا يؤدى المراد صحيحاً كاملا ، فالكاتب جدير بأن لا يسلك هذا الطريق الا اذا سدت عليه الطرق غيره . واما اللذةالتى قد يشعر بها الذهن

من التخيل ، فهى كالسراب لا يفتأ يذهب زائلا ، فلم يغن عن ظمأ ، ولم يخلف وردا ؛ لذلك نجد النفوس الفقيهة للأدب ، المتذوقة لثماره تنشرح للكلام الجارى على حقيقته ، وتستسيغ سماعه مهما طال فى حدود الموضوع ، ولكنها تنقبض من الكلام الجارى مع الخيال بعد السير معه الى أمد ؛ اذ أن الخيال يبعدها عن المراد رويدا رويدا ، فتنتبه الى أنها تاهت فى طريقها ، وأنها تستمع لغير ما بدأت بسماعه ، فتضيق به ذرعا . ولا يرد هذا العيب على التشبيه ، وهو حقيقة ؛ لأن التشبيه لا يجيء اقتضابا ، وانما يرد بعد معرفة حقيقة المراد . فبعد أن تحكى الحقيقة أو تعرف بوجه آخر ، يأتى التشبيه لزيادة الايضاح ، فالنفس مطمئنة به ؛ لأنه لم ينحرف بالمراد عن الحقيقة ، بل لم يزل جاريا معها مضيفا صراحة الى صراحتها ، فتألفه النفس راضية مرضية .

وبعد ، فالقرآن الكريم مثل أعلى فى أسلوبه ، وفى نظمه وتركيبه ، وفى مفرداته وجمله ، وعذوبة معانيه ، فهو التحفة الخالدة فى معرض البلاغة والمنوال الذى يجب أن ينسج عليه .

منير القاضى

اقدم مخطوط وصل الينا عن بلاد العرب

موضوع هذا البحث وصف كتاب نادر نحسب أنه من أقدم ما وصل الينا فى موضوعه ، وهو التعريف بجزيرة العرب : قبائلها ، ومنازلها ، ومناهلها ، وما يتصل بذلك من شعر وأخبار ، لمؤلفه النحوى الأديب « أبى على الحسن بن عبدالله المعروف بلغدة » من أعلام منتصف القرن الثالث وأوائل الرابع للهجرة ، فى النحو واللغة والشعر والأدب .

وجدت نسخة من هذا الكتاب فى خزانة الكتب الملحقة بمديرية الآثار القديمة فى العراق ، بخط متأخر ، فنقلت عنها قبل ثلاث سنين نسخة ضمت الى القسم الخاص بالمخطوطات من خزانة « المجمع العلمى العراقى » ببغداد

ولا يخفى أن الكتب المؤلفة فىالبلدانصنفان: صنف عنى فيه بذكر الحواضر والمدن المعمورة ، وهو ما يسمى علم (تقويم البلدان او تخطيط البلدان) ، وللعلماء الاسلاميين فيه كتب غير قليلة حذوا فيها حذو الحكماء الأولين . ومن هذا القبيل ما كتبه « ابن خرداذبه » و « الجيهانى » و « ابن الفقيه » و « البلخى » و « الأصطخرى » و « ابن حوقل » و « البشارى » ، فى كتبهم المشهورة التى تعرف بكتب المسالك والممالك ، أو كتب البلدان ، وآخرها « معجم البلدان » لياقوت ، وهو أنفس الكتب العربية فى هذا الموضوع وأجمعها وأغزرها مادة . وقد نشرت مجموعة منهذه الكتب فى (ليدن) أطلق عليها اسم « المكتبة الجغرافية » .

هذا هو الصنف الأول من كتب البلدان ، ولدينا صنف آخر موضوعه وصف البوادى العربية خاصة بما اشتملت عليه من سهول وجبال ومفاوز ومياه أواجن ، كما وردت فى أخبار العرب وأشعارهم . وأكثر من عالج هذا الموضوع ، أو قصر بحثه على ذكر الديار العربية والمنازل البدوية ، هم طبقة أهل الأدب وأئمة اللغة ، وفى مقدمتهم

« الأصمعى » فى كتابه الذى سماه « جزيرة العرب » ، وجاء بعده « السكونى » ، ثم « الهمدانى » فى كتابه « صفة جزيرة العرب » و « أبو الاشعث الكندى » فى كتابه « جبال تهامة » ، و « العمرانىّ » فى كتاب له اسمه « جزيرة العرب » و « الغندجانى » فى كتاب له هو « مياه العرب » و « وأبو زياد الكلابى » و « ابن ابى حفصة » فى كتاب له دعاه « مناهل العرب » و « ابن الكلبى » فى كتابه المسمى « اشتقاق البلدان » و « الزمخشرى » فى كتابه المسمى « كتاب الجبال والأمكنة والمياه » و « البكرى » فى كتاب « معجم ما استعجم » .

ولا بدّ لنا من القول بأن أكثر الأصول القديمة التى جرّدت للتعريف ببلاد العرب خاصة قد ضاعت ، فليس بين أيدينا منها الا النزر اليسير ، والا التقف المنقولة عنها فى تضاعيف « معجم البلدان » أو « معجم ما استعجم » أو كتاب « المياه والامكنة والجبال » للزمخشرىّ .

وتدلّنا مقدمة (ياقوت) فى معجمه أنه قد ظفر ببعض هذه الأصول ، ومن الكتب التى ظفر بها « كتاب جزيرة العرب » للأصمعى ، وهو يعد الا ن من الكتب المفقودة ، و « كتاب بلاد العرب » للهمدانى وكتاب « الزمخشرى » وذيله لتلميذه « العمرانى » . أما كتاب « معجم ما استعجم للبكرى » ، فلم يظفر به ياقوت ، وهو كتاب معروف نشرت منه أجزاء فى السنين الأخيرة .

وبناء على هذا يكون كتاب « لغدة » عن جزيرة العرب أقدم ما وصل الينا من الأصول أو النصوص التى يعول عليها فى وصف البلاد المذكورة نقلا عن أبنائها من الأعراب فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع للهجرة .

ومن الغريب أننا لم نجد لهذا الكتاب ــ أى كتاب « لغدة » ــ اشارة ما فى مقدمة « معجم البلدان » ، ولا فى مطاوى المعجم المذكور ، ولم نجد له ذكرا فى ثبت مؤلفات « لغدة » الملحقة بترجمته فى مكانها من « ارشاد الأريب » أو « معجم الأدباء » لياقوت نفسه ، كما لم نجد ذكرا للكتاب فى غير « معجم الأدباء » من الكتب التى عنى مؤلفوها بترجمة « لغدة » الأديب . ومن هؤلاء « ابن النديم » فى « الفهرست » ، و « حمزة الاصفهانى » فى كتابه عن أصفهان ، و « السيوطى » فى « البغية » ، و « الفيروز آبادى » فى « البلغة » ، و « الزبيدى » فى « تاج العروس » .

وقد جرت عادة « ياقوت الحموى » فى كتابه « معجم البلدان » أن يضيف الى الكتاب كتباً أو فصولا من كتب من غير أن ينسب القول الى قائله ، وهذا كما ترون

لا يتفق مع شروط الأمانة فى النقل عند العلماء . والأمر أخفى من أن يظهر فى «معجم البلدان» الا بعد المقابلة والمقارنة بينما ورد فيه من النصوص ، وبين النصوص التى اشتملت عليها الاصول القديمة . وقد سمى لنا « ياقوت » فى مقدمة معجمه بعض ما خذه عن جزيرة العرب ، ولكنه لم يسم فيها الكتاب المسمى « مشارق الأنوار » من تأليف « القاضى عياض » ، مع أنه سطا عليه ، وأكثر النقل عنه دون أن يشير الى ذلك الا مرة واحدة أو مرتين .

ولى على ذلك أدلة قاطعة تضمنها مقال خاص لابد من نشره فى المستقبل ان شاء الله .

على أننا نجد بعد المقارنة والتحقيق مشابهة ظاهرة بين نصوص كتاب « لغدة » هذا ، ونصوص أخرى نقلت عن كتب « الأصمعى » وطبقته من الأدباء فى بعض كتب البلدان والكتب المؤلفة فى جزيرة العرب ، ومردّ ذلك الى أن المصادر التى اعتمد عليها المؤلفون القدماء كانت مصادر واحدة على الأكثر .

مؤلف الكتاب

هو أبو على الحسن بن عبدالله المعروف بـ (لغدة) ترجم له ابن النديم ، وحمزة الأصفهانى ، وياقوت ، والسيوطى ، والفيروزابادى ، والزبيدى ، مجمعين على امامته بفنون الادب ، وتبحره فى النحو واللغة ، وعدوا له مؤلفات غير قليلة وان كانت موجزة خفيفة الحجم على الأكثر ، وأغلبها فى النحو واللغة والشعر .

كان لغدة من أقران « أبى حنيفة الدينورى » فى مشيخته ودرسه ، وبينهما مناظرات ، وقد حفظ فى صغره كتب أئمة اللغة والأدب « كالأصمعى » و « أبى زيد » و « أبى عبيدة » ، ثم تتبع ما فيها فامتحن بها الأعراب الوافدين على أصفهان ، وكانوا يفدون على « محمد بن يحيى بن أبان » فيضربون خيامهم بفناء داره ، حيث يقصدهم « أبو على » كل يوم ملقياً عليهم مسائل فى اللغة ، وقد ألف من أجوبتهم كتاباً سماه « النوادر » ، وهو كتاب كبير .

ويدعى « السيوطى » فى « البغية » ، كما يدعى سواه من المؤرخين أن « لغدة » زار « مصر » ، وأخذ عن علمائها واشتهر فيها . وليس ذلك ببعيد ، ففى كتابه هذا عن جزيرة العرب ما يدل على ذلك . وعلى كلّ فانه من العلماء الذين تغربوا عن أوطانهم طلباً للعلم ، فقد زار العراق وغيرها ، وكان همّه أينما حل الأخذ عن أعراب البلاد . ويبدو لنا من تصفح ترجمته فى « الفهرست » أنه اتصل بالخلفاء فى العراق ، ونال

الحظوة عندهم • وهو الى ذلك شاعر مجيد ، له شعر سائر ، وهو القائل :

خير اخوانك المشـارك فى الضرّ وابن الشريك فى الضرّ اينـا
الذى ان شهـدت سـرك فى القو ل ، وان غبت كان أذنا وعينـا

ومن تصفح « كتاب جزيرة العرب » يتضح لنا ما يؤيد أقوال المؤرخين أنّ « لغدة » الأديب كان معنياً بالأخذ عن فصحاء الأعراب ، استزادة فى الضبط والاتقان • وقد استطعنا أن نعد عشرين بليغا من بلغاء الأعراب الذين لقيهم فى حواضر الاسلام ، أو لقى من لقيهم ، فأكثر من الأخذ عنهم فى كتابة هذا • ولأكثر هؤلاء الأعراب ذكر فى كتب الأدب ، ومن ذلك كتب « الجاحظ » و « ابن النديم » ، وارشاد الأريب لياقوت •

ويروى « لغدة » ، بالاضافة الى ذلك ، عن طبقة قديمة من الأدباء والمؤرخين ، مثل « الأصمعى » « وأبى عبدالله الواقدى » ، ويروى عن فقيه آخر يدعوه « أبا جعفر » • والأعلام فى الكتاب بحاجة الى وضوح ، فهو يقول مثلا « أبو جعفر » مكتفياً بهذه الكنية • وقد ظهر لنا بعد تأمل كثير أنه يقصد « الطبرى » المؤرخ المشهور •

هذا وفى مقدمة من روى عنهم من ثقات الأعراب « الفزارى » و « أبو الورد العقيلى » و « زياد بن عبدالله العامرى » ، وهو ــ أعنى العامرى ــ أشهر هؤلاء الأعراب النجديين ، وأوسعهم علما بشؤون بلاده ، وخصوصا القسم الشرقى المتاخم للعراق ، اعتبر ذلك بقوله فى وادى الرمة « الرمة : واد بين أبانـان ، يستقبـل المطلـع ويجىء مـن المغرب ، وهو أكبر واد نعلمه بنجد » • فهذا الأعرابى اذا أراد أن يصف بلاده أرسل كلامه ارسال القضايا المسلمة ، لا يجاريه أحد فى وصف نجد خاصة بقسميها الشمالى والجنوبىاو الأعلىوالأسفل• وصف مراعىهذه البلاد واعداد مياهها وانجادهاوأغوارها ومن فيها من القبائل والبطون ، وأسواقها وقراها ومزارعها ، الى غير ذلك • وقد أبدع العامرى فى وصف « حجر اليمامة » وضواحيها ، وأشار الى عظمتها ، وأن منبرها أحد المنابر الأولية ، وأنها منزلالسلطان والجماعة ، وجلّ أهلها بنو عبيد • وكل ما فى الكتاب من فصول ممتعة فى وصف اليمامة وأحوالها من طبيعية واقتصادية وعمرانية ، فهو للعامرى المذكور ، واليمامة كما لا يخفى اسم يطلق على الديار النجدية فى كتب الشعر والأدب والبلدان القديمة • وفى وسعنا ان نقول والحالة هذه ان الكتاب فى جملته نقل عن العامرى ، فهو يعول عليه أكثر من بقية الأعراب ، ويعتمد على أقواله سلباً وايجاباً • فاذا أراد « لغدة » غمز رواية ، أو تضعيف قول فى كتابه ، قال : « لم يعرفه

العامري » • واذا أراد عكس هذا ، قال : « قاله العامري » ، الى غير ذلك ، فكأن كلام « العامري » كلام أبدي بدوي وأفصح عربي ، وتعد أقواله في أحوال بلاده حجة قاطعة •

مميزات الكتاب

يمتاز « لغدة » في طريقته وأسلوبه بمميزات ، منها تعويله على المشاهدة والعيان ، لا على مجرد الرواية أو النقل عن الكتب فقط فطريقته في كتابه هذا تختلف عن طريقة غيره من المصنفين في موضوعه • ومن ذلك أن القبيلة عنده هي الاساس في البحث ، يذكر القبيلة أولا ثم يشرع في ذكر ما يضاف اليها من منازل ومناهل وغير ذلك • وهو يعقد لكلّ قبيلة فصلا يذكر فيه ديارها ومياهها ، فاذا انتهى من البحث في قبيلة مثلا ، قال : « فهذه مياه غنيّ » ، ثم انتقل الى مياه قبائل أخرى من الضباب وجعفر ومياه أبي بكر ، ثم يأتي الى مياه جعدة وهزان ونمير وقشير وباهلة ، ومياه التيم وربيعة وما تملكه هذه القبائل من أرض أو واد ، ويعنى ، مضافاً الى هذا ، بتعيين الحدود على وجه مفصل كلّ التفصيل • ولا نعرف كتابا آخر في جزيرة العرب سلك مؤلفه فيه هذا المسلك الطريف ، فتسمية القبائل على اختلاف فروعها وأفخاذها وذكر ما لها من أثماد ومنازل وغير ذلك ، يدل على خبرة لا مزيد عليها • ومن ذلك نعلم أن أسماء القرى والأودية المعروفة الآن بنجد ، هي أسماؤها القديمة • ويكاد يكون الكتاب في جملته خاصاً بتقويم البلاد المعروفة قديماً باليمامة وحديثاً بالديار النجدية •

درج أكثر المؤلفين في المسالك والممالك على وصف المناهل والمنازل الواقعة على قارعة الطريق ، طريق الحاج من العراق الى الحجاز ، وبالعكس • وليس في وسع هذه الطبقة من المؤلفين في المسالك والممالك أن ينتقلوا يمنة ويسرة وشرقاً وغرباً ، فهذا شأن من بذل جهده في البحث والاستقصاء العلمي ، وكانت الرحلة شغله الشاغل • فهل كان المؤلف يصف جزيرة العرب وصف مشاهد ؟ وهل رحل الى تلك البلاد ، أو أكثر من الاقامة بين قبائلها ، يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم ؟ أم اعتمد فقط على الثقات من الأعراب المنتسبين الى قبائلهم ، فروى أقوالهم ، وجمع كتابه من سماعاته عنهم ، كما فعل مع صاحبه « العامريّ » ؟ لا يخلو الأمر من غموض ، وليس في الكتاب نص قاطع على هذا أو ذاك ، الا أننا نستنتج استنتاجا من بعض نصوص هذا الكتاب أن المؤلف عاش في جزيرة العرب ، ورحل اليها ،اذ نجده يقول في بعض كلامه على ديار « بني بكر » ما هذا نصه : « والحاجبة ، ماء لربيعة بن قرط ، عليها نخل ، وليس على شيء مما سمينا نخل غيرها وغير الحرولة ، فان عليها نخلا محدثا ، فهذا وصف لا يخلو من

دقة ، وهو يشبه وصف مشاهد لهذه الأمكنة . ومثل ذلك قوله : « ولهم ــ يعنى بنى جشم ــ فوق ذلك عدامة ، وهى أبعد ماء نعلمه بنجد قعرا . » ومن ذلك أيضا قوله : « ومن الجبال الشموسان ، وفيها يقول الشاعر :

متى أنج من شعب الشموسين لم أعد اليه ولو منيتنى الأمانيا
فلست أرى شمساً اذا هي أقبلت ولا قمراً حتى يتم ثمانيا

وصدق ، لا يرى ــ أى القمر ــ الا بعد ثمان ليال . » فهذا التعقيب يدل على أن المعقب شاهد الجبلين المذكورين .

لغة الكتاب

لغة الكتاب في الذروة من الفصاحة والبلاغة ، وتمتاز بخلوها من الحشو والفضول وبعدها عن التكلف والتعقيد . فهى لغة الطبقة الأولى من أئمة الأدب « كالأصمعى » و « أبى زيد » و « ابن الأعرابى » . والنصوص فيه مروية عن أبناء البادية وفصحاء أعرابها ، فهو من أنفس كتب الأدب من حيث رواية الشعر البليغ وشرح ما فيه من الغريب .

مقاصد المؤلف

١ ــ وصف اليمامة : للمؤلف على ما يظهر عناية خاصة بوصف الديار النجدية ، أو بلاد اليمامة ، لم يسبقه اليها أحد فيما نعلم . ومن أجمل ما فى هذا الكتاب وصف المراحل والمنازل بين حجر اليمامة ، أى بين نجد والأقطار المجاورة لها . ولعل منشأ هذه العناية لوصف الديار النجدية أن كثيرا ممن أخذ عنهم ، أو روى من أقوالهم ، انما كانوا من أعراب نجد العارفين بدخائلها ، الواقفين على مختلف شؤونها فى ذلك الزمان .

٢ ــ وصف الحجاز : وقد عنى مصنف الكتاب بوصف المدينة ، وكثير من أوديتها وجبالها ومياهها وحرارها وآطامها والأقاليم المجاورة لها ، كما وصف بعض البلاد الحجازية الواقعة شمال المدينة من وادى القرى الى منازل ثمود وديار قضاعة . ومجمل القول ، كانت للمؤلف عناية بوصف الحجاز ، ولكن دون عنايته بوصف الديار النجدية.

٣ ــ معادن جزيرة العرب : يعنى المؤلف كثيرا بذكر الثروة المعدنية المطمورة فى باطن الجزيرة العربية ، نجدية كانت أو حجازية ، ويشير الى ما فيها من ركاز وأفلاذ، وقد وصف معادن عدة من ذهب وفضة ونحاس وغير ذلك .

وعنايته بوصف هذه المعادن تفوق عناية من وصفها من البلدانيين « كالهمدانى » فى كتابه « صفة جزيرة العرب » ، وتفوق عناية « ياقوت الحموى » بوصف هذه المعادن فى كتابيه « معجم البلدان » و « المشترك » .

المؤلف الأديب

يعنى المؤلف ــ كما مر ــ بما قيل من الشعر فى المنازل والمناهل ــ وما أكثر ما قيل من الشعر فى هذا الباب ! ــ عناية أديب محقق . يعمد أولا الى شرح ما فى الشعر من الغريب ، ثم يذهب اذا اقتضى الأمر الى التنقيب عن حقيقة المنزل أو الدار أو المنهل الذى عناه الشاعر فى شعره ، فيخرج من ذلك برأى قاطع فى الموضوع ، مما يدل على معرفة بالغة بالأدب واللغة والشعر ، فضلا عن البلدان . خذ مثلا على ذلك قوله : « قتونا : جبل فى بلاد غطفان ، والذى عنى « كثير » ليس به ، ولكنه فى طريق اليمن لمن خرج من مكة». ولا يخلو الكتاب من كلمات بليغة للأعراب ، مثل قول صاحبه « العامرى » : « مررت بغنمى مرة فانفجت نعامة عن ثمانى بيضات » . هذا مضافاً الى فوائد أخرى قد نخرج باستقصائها عن القصد ، وبهذا القدر نكتفى من تعريف هذا السفر النفيس ، والتحفة الثمينة . والله ولىّ التوفيق .

محمد رضا الشبيبى

القصد والاستطراد في أصول معنى بغداد

المدخل

قرأت في مجلة سومر (المجلد الرابع ، الجزء الاول ، كانون الثاني ١٩٤٨) مقالا للبحاثة الأستاذ يعقوب سركيس ، عنوانه « البصرة ، هل أصل الكلمة ارمي ؟ » ، وقد انتهى المقال بهذه الحاشية :

« لمعالي الأستاذ يوسف غنيمة رأي أبداه بتحفظ في معنى كلمة « بغداد » وهو أنها «بگدادا» ومفادها : مدينة أو دار أو بيت الغنم والضأن (راجع لغةالعرب٤-١٩٢٦/٢٧، ٨٠) » .

فراجعت المجلد الرابع للغة العرب وطالعت فيه رأي صاحب المعالي الأستاذ غنيمة ذلك ، وهذا نصه :

« ولي رأي خاص في معنى اسم « بغداد » ولقد عنَّ لي في تضاعيف بحثي منذ زمن ، ولم أنشره حتى اليوم ، فأذكره بكل تحفظ وتوق . الذي عندي ان اسم « بغداد » ارمي مبني ومعنى وهو مؤلف من كلمتين من « ب » المقتضبة من كلمة « بيت » عندهم ، وكثيرا ما تقع في أوائل أسماء المدن مثل « بعقوبا وباقوفا وبطنايا وباعشيقا وباعذرا وباجرمي وغيرها » . واللفظة الثانية « گدادا » بمعنى غنم أو ضأن (راجع ص ٩١ من معجم دليل الراغبين في لغة الارامين العمود الثاني الكلمة الثانية المعنى الثاني) فيكون مفاد « بگدادا » مدينة أو دار أو بيت الغنم والضأن في أول الأمر . ومن المشهور أن الارميين كانوا فلاحين في هذه الديار يربون المواشي . وبقوا كذلك قروناً عديدة بعد استيلاء العرب المسلمين على العراق . واني أفضل هذا الرأي على التأويل الفارسي ولا سيما قد ورد اسم بغداد في الآثار القديمة البابلية قبل احتلال الفرس لهذه الربوع .

فأرجو أن تبدوا رأيكم في هذا التأويل لأنه اذا وافق العلماء عليه يكون أول من قال به عراقي بغدادي » .

أ . ردنا على الأستاذ غنيمة

ان اسم « بغداد » ليس بأرمي ، فمن الثابت في التاريخ أن الآرميين لم تطأ أقدامهم أرض العراق قبل القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، على حين وجدت آثار مرقومة تبرهن أنه كان على عهد الملك حمورابي (القرن ١٨ ق٠ م٠) مدينة في مملكته مسماة باسم « بَگْدادُ » ؟ ثم ان حجرا من حجارة الحدود يعود تاريخه الى عهد الملك الكشي « نازي ـ مارُتاش » ، قد كتبت فيه كلمة « بَگْداد » ، وكان حكمه في النصف الآخير من القرن الرابع عشر (ق٠ م٠) ، وهذا يؤيد ما قدمنا ذكره من أنّ اسم « بغداد » ليس بأرمي الأصل ٠

وان فرضنا ، فرضاً محالا ، أن الارميين كانوا في العراق على عهد الملك حمورابي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، وأنهم سموا موضعاً جغرافياً بلغتهم الارمية ، فانه لا يسع المرء أن يتصور أن كلمة « بيت » كانت قد اختصرت فأصبحت « ب » ٠ ومعنى ذلك أن كلمة « بيت گداد » صارت « بگداد » في تلك العصور ، فان اختصارا كهذا يتطلب عدة قرون حتى يبلغ تمامه ٠

ونضيف الى ذلك أن هذا الاسم « بغداد » منذ عرف في التاريخ حتى اليوم قد حافظ على شكله ، مع طول تلك الأزمنة السحيقة في القدم ، كما سنستعرض المراجع التي ذكر فيها على حسب أزمانها ٠

ويحسن بنا هنا أن نقول اننا لم نجد في الكتابات الآشورية ـ حتى التي يعود تأريخها الى أواخر عصرهم ـ كلمة « بيت » في اسمائهم الجغرافية متحولة الى « ب » ٠ ولذلك لا نرى من الصواب اتخاذ اختصار الاسماء المألوف في الأزمنة المتأخرة مقياساً لكلمة تعود الى الالف الثاني قبل الميلاد ٠

ب ٠ ردنا على الأستاذ الكرملي

وللأستاذ الأب أنستاس الكرملي صاحب مجلة لغة العرب تعليق في ذيل مقال الأستاذ غنيمة[1] ، أيّد به قوله بدليلين نذكرهما ونردهما عليه ؟ فالأول قوله :

« وقبل كل شيء على المحقق أن يقصى عنه قول من يذهب الى أن الكلمة فارسية الأصل ، اذ كيف تكون كذلك والفرس لم يدخلوا العراق الا في عهد كورش (في

(١) راجع أيضا تاكيده لهذا الترجيح في مجلة لغة العرب « م ٦ ص ٧٤٨ »

المئة الرابعة قبل الميلاد) وبغداد معروفة بهذا الاسم قبل الفرس بمئات السنين ».

فأقول لنقض دليله الاول هذا ، ان الأستاذ الكرملي لو فكر ملياً كما فكرنا وفتش عن الحقائق كما فتشنا ، ودقق النظر في رأى الأستاذ غنيمة كما فعلنا ، لوصل الى النتيجة التي توصلنا اليها حتماً ؟ وحينئذ لا يجد لنفسه سبيلا غير أن يعد كلمة « بغداد » بعيدة كل البعد عن أن تكون ارمية الأصل . وبهذه المناسبة أود أن اذكر أن دخول « كورش » في بابل كان في سنة ٥٣٨ (ق. م.) ، ولم يكن في القرن الرابع قبل الميلاد كما ذكر الأستاذ .

والدليل الثاني للكرملي هو قوله :

« لا جرم أن البلاد السامية السكان لا تسمى الا باسم سامي أي اسم من الآشورية أو البابلية أو الارمية أو العربية ، والحال اننا نعلم أن الارميين — وهم من أصل سامي كالعرب — قديمو الوجود في ديار العراق . فاذا كان الأمر على هذا الوجه فلابد من أن تكوناللفظة ارمية الوضع. ولهذا نخير رأيصديقنا البحاثة يوسف غنيمة علىرأيسواه».

وأنا لا أريد اطالة القول في نقض هذا الدليل ، فان نظرة عجلى الى الأسماء الجغرافية في العراق توضح لنا تهافته وتكفي في نقضه .

على انني لا أرى بدا من ان آتي ببضعة أمثلة في هذا الباب ، واني منتخب أمثلتي من اسماء أماكن جغرافية قريبة من مدينة « بعقوبا » أو على بعد يسير منها ، واسم «بعقوبا» — كما يرى الأستاذ غنيمة — ارمي الأصل ، وفي ذلك دلالة على أن منطقة بعقوبا ارمية ؟ وها هي ذي الأسماء التي اخترتها :

١ — خرنابات ، معناه (عمارة المجد ، أو العمارة المجيدة) ، (الملحق — ١)
٢ — بهرز ، معناه (السعيد اليوم ، أي السعيد) ، (الملحق — ٢)
٣ — خريسان ، معناه (الشرق) ، (الملحق — ٣)
٤ — مهروت ، معناه (النهر الكبير) ، (الملحق — ٤)
٥ — زرباطية ، معناه (عمارة آذربات) ، (الملحق — ٥)
٦ — بلدروز ، معناه (نهر الخنزير ، أو النهر الخنزير)، (الملحق — ٦)

ج . القوم الذين كان اسم بغداد بلغتهم

وبعد أن تأكد لنا أن كلمة « بگداد » ليست بارمية الاصل ، نرجع الى أقوال مؤرخي العرب وجغرافييهم واللغويين القدماء منهم لكي نواصل البحث عن

أصل الاسم • فقد ذكر هؤلاء أن كلمة « بغداد » فارسية الاصل ، فوجدناهم مصيبين في ذلك لأنّه وان لم يكن الفرس في العراق في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد ، فقد سكن الكشيون العراق في تلك العصور ، وهم شعب كانت لغة الطبقة الحاكمة منهم من فصيلة اللغات التي تنتسب اليها اللغة الفارسية ، وهي فصيلة اللغات «الهندية ـ الاوربية» . « فأسماء عدد من آلهتهم الرئيسة آرية ، وكذلك أسماء كثير من ملوكهم الذين حكموا ٥٧٦ سنة وهي المدة التي استمر فيها سلطان سلالتهم [١] » من عام ١٧٤٩ الى ١١٧٣ قبل الميلاد[٢] » .

ونضيف الى ما سبق ما قاله مشاهير المؤرخين الأوربيين فيهم :

« قد اعترف منذ زمن باحتمال أنهم ـ أي الكشيين ـ من العنصر الآري • ومن الممكن أن نعدهم ببعض التأكيد ممن تجمعهم صلة القرابة بالحكام المتأخرين من « الميتانيين » الذين سيطروا على الأقوام غير الآرية ، سكان « سوبرتو » ، في شماليّ العراق • وكان الكشيون في بلاد بابل ـ كما كان الميتانيون ـ هم الطبقة الحاكمة أي الطبقة الارستقراطية الا أنهم ، وذلك مما لا شك فيه ، أتوا معهم بطبقة من العامة ، ولم يصحب سيطرتهم تبدل ولا تغيير في لغة البلاد ولا في العنصر الساكن فيه[٣] » .

« وأولئك الكشيّون ، الذين كان موطنهم في جبال زاگروس شماليّ عيلام ـ ذلك الموطن الذي عرفه اليونان في الأزمنة السلوقية بـ « كِشّيوي » ـ أتوا الى بلاد بابل عمالا أول مرة ، وبعد أن استقروا فيها أصبحوا تابعين للانظمة العامة التي كان أهل البلاد الاصليون يعاملون بها ، فكانوا جنّدوا مدّة معينة في الجيش أو مسخرين في فرق العمال • وهكذا تدربوا على الثقافة العسكريّة ولولا ذلك لم ينالوها • ويبدو أنهم انتهزوا الفرصة في الاضطراب الحاصل بسبب النكبة الحثية ، فنصبوا أنفسهم حكاما في بابل كما فعل المماليك في القرن الثامن عشر للميلاد حين انتهزوا الفرص في بغداد عند موت أحمد باشا فجأة[٤] » .

---

(١) تراجع ترجمة كتاب المسيو ويل الى الانكليزية Phonicia ، ص ٨٥

(٢) لقد طرأ تعديل على تعيين زمن الملك حمورابي فمن المحتمل أن يشمل ذلك التعديل الزمن الذي دام فيه حكم الكشيين وكذلك زمن بداية حكمهم •

(٣) يراجع كتاب كينج Ahistory of Babylon ، ص ٢١٤

(٤) يراجع كتاب سدني سميث *Early History of Assyria* ، ص ١٥٣ ـ ٤

اشتقاق كلمة بغداد ومعناها

لقد جاء في تقرير عن حملة الملك سرجون سنة « ٧١٤ » (ق٠ م٠) ذكر اسماء اشخاص واماكن ايرانية ، منها « بيت بَكَّي » ٠ وهي مدينة ميدية ٠ وهو الاسم الذى قال فيه المستر كمرون : « من المحتمل أنه قد ترجم الى اللغة السامية فأصبح « بيت إلى » أي « بيت الا له » (اسم منطقة ميدية) ، ومما يحتوى عليه كلمة « بَكَّ » ، التى كانت من الكلمات الايرانية المعروفة منذ الازمنة الكشية » (١) ٠

ويقصد المؤرخ بعبارته ، القسم الاول من كلمة « بگداد » الكشية التي مر ذكرها ، وهو كلمة « بگ » ، وفي ذلك فائدة كبيرة توصلنا الى صحة ما ذهب اليه كتاب العرب القدماء من ان اسم « بغداد » كلمة مركبة من « بغ » التي هي « بگ » المقدم ذكرها ومن « داد » ٠

وبعد أن ظهر لنا أن كلمة « بغداد » ايرانية الأصل ، وأنها مركبة من الكلمتين « بغ » و « داد » ، بقي علينا أن نبحث عن أصل تينك الكلمتين وعن معانيهما لكي نستطيع أن نقف على حقيقة معنى « بغداد » ٠

١ — أصل كلمة « بغ »

ان « بغ » جاءت من الكلمة الهندية الايرانية « بَهَكَ » ، التي يرجع تاريخها الى الالف الثالث قبل الميلاد ، فانها كانت شائعة بين الاقوام الهندية ـ الايرانية في العصر الذي كانوا يسكنون فيه معاً في موطنهم الثاني ، وذلك بعد أن تركوا وطن الهنود ـ الاوربيين المظنون ، وقبل أن يفترقوا فيحلّوا في الهند وايران ٠

وهذه الكلمة :

في الفيدا (٢) بَهَكَ

---

(١) يراجع كتاب كمرون *History of Early Iran* الصفحة ١٥٣ ـ ٤ ٠

(٢) الفيداآت أربعة كتب هندية مقدسة لا تزال أحكامها مرعية وأولها كتاب « ريك فيدا » ، وتعرف لغته اليوم باللغة الفيدية ٠

وفى كتابات الملوك الاخمينيين (١) "بگ"

ا وفى الأفيستا(٢) "بغ"

وهى على اختلاف اشكالها بمعنى (اله) .

ولفظها عند السلافيين ، وهم أوربيون ، «بوگو» (الواو الاولى مجهولة) بمعنى (اله) أيضا . وقد أصبحت عند جميع السلافيين الحاليين وهم مسيحيون « بوغ » (بالواو المجهولة) بمعنى (الله) .

وليس من الخطأ أن نقول ان هذه الكلمة الهندية ـ الاوربية ، كانت موجودة فى لغة الهنود ـ الاوربيين ، وهم فى موطنهم الاصلى .

ويرى المسيو مييه (٣) أنه لا يوجد دليل مقنع على أن الكلمة السلافية القديمة « بوگو » التى مفادها (اله) ، كانت مستعارة دخيلة .

ويعتقد المستر جونسن انها كانت قديما كلمة هندية ـ اوربية هى « بهگو » (بالواو المجهولة) بمعنى (اله) ، وهى فى الفارسية القديمة « بگ » ، وفى الأفيستية اليسنية « بغ » ، (وفى الفارسية الوسطى « بغ » ، وفى مخطوطات ترفان : بگيستوم) ، وفى السنسكريتية « بهگ » ، وفى السلافية « بوگو » (قايس ذلك بـ « زيوس بغيوس » الفريجية) (٤) .

ومعنى كلمة « بغ » (مقسم الخيرات ، الرزاق ، السيد ، السلطان ، المحسن) (٥) .

وتوجد كلمة أفيستية هي « هُو ـ بغ » . تفيد معنى (المتمتع بالنصيب الحسن ، والمنعم به) (٦) .

---

(١) وتسمى لغة هذه الكتابات بـ « الفارسية القديمة » .

(٢) وهو الكتاب الايرانى المقدس القديم ، ولغته المسماة الآن بالافيستية قريبة جدا من اللغتين الفارسية القديمة والفيدية .

(٣) يراجع كتاب مييه *Les Dialectes Indo-Européens* طبعة باريس عام ١٩٢٢ ، ص ١٢٧

(٤) يراجع كتاب جونسن

Historical Grammar of Ancient Persian Language

طبعة نيويورك عام ١٩١٧ ، ص ٤٧

(٥) يراجع De Harlez, *Manuel de Langue de l' Avesta*

طبعة باريس عام ١٨٨٢ ، ص ٣٨٧ .

(٦) يراجع J. Duchesne-Guillemin, Les Composés de l' Avesta

طبعة باريس عام ١٩٣٦ ، المادة ٢٢٨ ، ص ١٨٩ .

ويعد المسيو مييه حادثة نفسيّة لغوية عجيبة أن يكون لكل من الكلمة الهندية ـ الايرانية «بَهَــگَ» وللكلمة السلافية « بوگو » معنيان هما (حصة أو ثروة ، واله).

أ . « بگ » الايرانية فى التاريخ

أرى من المفيد أن أعرض التطورات التى حدثت فى استعمال كلمة « بگ » الايرانية فى التاريخ مبتدئا بالقرن الثامن عشر قبل الميلاد وهو الزمن الذى كان فيه الكشيّون فى العراق ، ومنتهيا بيومنا هذا ، أى فى مدة تناهز ٣٧٠٠ سنة ، لنرى كيف سقطت من أوج عظمتها وهى اسم للالهة الازلية ، وأصبح يلقب بها بشر فان كائنة ما كانت مرتبته ، أعنى من الأكابر والأصاغر .

أولا ـ فى أقدم الأزمنة .

وأقدم اسم معروف دخلت فى تركيبه كلمة « بگ » هو بغداد[1].

فقد ورد ذكر لاسم مدينة باسم بغداد من زمن الملك حمورابى[2] وذلك فى وثيقة قانونية وجدت فى « سِپّار » المعروفة خرائبها بأبى حبة»[3] .

وقد ذكر اسم موضع « بيلازى » على شاطىء « نهر الملك » فى اقليم « بغدادى » فى حجر من حجارة الحدود من زمن الملك الكشىّ « نازى ـ مارُ تاش » (١٣٤١ـ١٣١٦)

وورد فى حجر حدود آخر يعرف باسم « ميشو » (بالواو المجهولة) اقتناه طبيب

---

(١) أود أن أذكر هنا أن السيد طه باقر قد بحث لى عن مظان اسم بغداد فى المراجع المسمارية القديمة وعن قراءة ذلك الاسم وكتب الى بما يأتى : « كتب أول مقطع من اسم المدينة ، أى (بغ ، بك) بعلامة مسمارية قيمتها الصوتية المألوفة (خو) ، ولذلك قرأ بعض الباحثين اسم المدينة بصيغة « خودادو » . ولكن مع وجود هذا الاحتمال فان اعتبارات أخرى تشير الى أن القراءة الصحيحة ينبغى أن تكون « بغ ، بك » وليس «خو». فمن هذه الاعتبارات لا يوجد فى العلامات المسمارية علامة خاصة لأداء المقطع « بغ ، بك » بل انه يعبر عنه بنفس العلامة التى تقرأ كذلك « خو » . والى هذا فان الصيغة « بغدادو، بغداتو » اسم مألوف فى الكتابات المسمارية أطلق على اسماء مواضع واسماء اشخاص ».

ويفهم من كلمة السيد طه باقر أن القراءة المعول عليهـا الآن هى « بغــدادو » لا « خودادو » .

(٢) ان ورود اسم بغداد فى وثيقة من زمن حمورابى لا يعنى أن هذا الاسم غير ايرانى المنشأ فان الكشيين كانوا قد قدموا العـراق واستخدمـوا فيه فلاحين وعمـالا وجنودا قبل سيطرتهم على هذه البلاد .

(٣) يراجع Schorr, *Altbabylonische Rechtsurkunden*، العدد ١٩٧، السطر ١

أوربى فى ١٧٨٠ ، وقد وجد قرب ايوان كسرى ، ويرجع تاريخه الى القرن الثانى عشر (ق٠ م٠) ، اسم أرض واقعة قرب مدينة « بغداد » [١].

وجاء فى حجر حدود يرجع تاريخه الى زمن الملك الكشى « مردوخ أپلا إدن الثانى» ١٢٠٨-١١٩٥ (ق٠ م٠) ذكرنهر اسمه « أرارا » فيأرض بغداد[٢] وذكر أيضا اسم موضع يدعى« شُبَتْ - شَرِّي» فى اقليم « بغداد »[٣].

وورد فى أخبار حروب الملك الا شورى « أدد ـ نرارى الثانى » ٩١١ - ٨٩١ (ق ٠ م) أنه حارب الملك البابلى « نَبُشُمْ - أُكِنْ» وكانت « بغدادو » من جملة المواضع التى نهبها[٤].

ويبدو من الاشارات السابقة الذكر أن « بغدادو » كانت مدينة مهمة أو مركزا اداريا مهما ، الا أنها لم تبق على تلك الحال ، فقد بدأت تفقد من أهميتها منذ زمن الملك الا شورى « ادد ـ نرارى الثانى »٠ وعدّد « تگلات ـ پليزر » ٧٤٥ - ٧٢٧ (ق ٠ م٠) القبائلالارمية التى قهرها فىعام ٧٢٨ (ق٠م٠) فذكر بينها قبيلة منسوبة الىموقعجغرافى يدعى « بغدادى »[٥].

وذكرت «بغداد» فى ثبت باسم مواضع وجد فى نينوى ، ويرقى تاريخه الى القرن السابع[٦] (ق٠ م٠)

وذكر الملك الآشورى سرجون الثانى زعيما منّيا اسمه « بَگْدَتّ » قبض عليه فسلخ جلده فى ٧١٦ ق٠ م[٧].

وقد دخلت كلمة « بگ » فى تركيب أسماء أعلام ايرانية مثل: « بيت بَگَيَ »[٨] اسم لمدينة استولى عليها سرجون عام (٧١٤ ق٠ م٠) ، وذكرها فى حملته على المدن الواقعة فى شمال غربى ايران ٠

---

(١) يراجع رولنسن *Cuneiform Inscriptions* ، المجلد الأول ، اللوح ٧٠ ٠

(٢) يراجع Delegation en Perse، الجزء الثالث ، الصفحة ، ٣٢ - ٣٩ ٠

(٣) المرجع ذاته ، الصفحة ٢٨ و ٣٠

(٤) يراجع Keilschriftlubbothk ، الجزء الاول الصفحة ٢٠٠ ٠

(٥) يراجع كتاب رست Du Keilschrift Texte Tiglatte Pilesser. ، الجزء الثالث ، الصفحة ٥٤ ٠

(٦) يراجع رولنسن *Cuneiform Inscriptions* الجزء الأول ، الصفحة ٧٠

(٧) يراجع لكنبل *Ancient Records* ، الجزء الثانى ، العددان ١٠ و٥٦ ٠

(٨) المرجع السابق ، الجزء الثانى ، العددان ٥٧ و ١٢٥ ٠

وكذلك « بَگْ بَرْتُ » آلهة لمدينة « مساسير » ذكرت بين الأسلاب التى آلت الى الملك سرجون[١] .

وورد فى أخبار الحملة الثامنة للملك سرجون (٧١٤ ق. م.)اسم زعيم يدعى« بَگْ بَرَرْنَ » كان بين الزعماء الذين وقعوا فى قبضة العاهل الاشورى[٢] .

ثانيا ـ الدور الاخمينى .

نرى فى الكتابات المنقوشة فى الحجر العائدة الى الملوك الاخمينيين (٥٥٠ ـ ٣٣٠ ق. م.) الكلمة « بَگَ » مستعملة بمعنى (الآلهة) ومحافظة على مجدها التقليدى ، فلم يتطاول بعد عليها الملوك الايرانيون ليشاركوا الآلهة فى استعمالها لقباً لأنفسهم . فانَّ الملوك الاخمينيين لم يطلقوا تلك اللفظة على انفسهم اى انهم لم يدعوا أنهم منحدرون فى نسبهم من الآلهة كما فعل الفرثيون والساسانيون من بعدهم ، الا أننا نرى هذه الكلمة قد استعملت حينذاك فى تركيب الاسماء على عادة الايرانيين القدماء ، كما تقدم ذكره . فنجد فى الكتابات الاخمينية اسم شخص« بَگَ ـ بُخْشَ » ، واسم شخص آخر « بَگَا بِگْنَ » ، واسم شهر « باگَ يادِيشْ » ، وهو الشهر الاول لسنتهم التى كانت تبدأ باعتدال الخريف . وقد يكون معناه (عبادة الآلهة) . واظن ان الكلمة « پاييز » المستعملة الآن فى الفارسية والكردية بمعنى (الخريف) ذات صلة بـ « باگ يادش » (يراجع الملحق ـ ٧) .

ونجد أيضا بين تلك الاسماء المركبة اسم« بَگَدَتْ » نفسه ، فقد ورد فى الكتابات الارمية على ورق البردى المكشوف عنه بالقرب من أسوان فى مصر اسم شخص يدعى « بَگَدَتْبِنْ نَبُكُدُرِّ » ؟ ويحتمل انه كان بابليا فى الجيش الفارسى المقيم فى مصر فى عام ٤٧١ (ق. م.) ، على عهد الملك الاخمينىّ احشويرش الاول[٣] .

ثالثا ـ الدور الفرثى .

وكانت كلمة « بگ » فى الدور الفرثى وهو الدور المعروف بالارشكى (« اشكانيان » الفردوسى) (٢٥٦ ق.م. ـ ٢٢٦ ب.م.) تفيد أيضا معنى (الآلهة).

---

(١) المرجع السابق ، الجزء الثانى ، الاعداد ٥٩ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٢١٣.

(٢) المرجع السابق ، الجزء الثانى ، العدد ١٤٧ .

(٣) يراجع A Cowley, *Aramaic Payyri of the Fifth Century* طبعة اكسفورد عام ١٩٢٣ ، ص ١٢

فقد ادعى جماعة من الملوك الفرثيين أنهم من سلالة الآلهة أى أبناء « بگ » . ولا ندرى أجميع أولئك الملوك ادّعوا تلك الدعوى أم جماعة منهم فقط . وتدل الكتابات الاغريقية المنقوشة على نقود أولئك الملوك على أنهم كانوا كذلك ، اذ وردت العبارة « ثئو پاتورُس» لقبا لهم ، ومعناها (الذى أبوه اله) (يراجع الملحق ـ ٨) .

وكان للملك أردوان الثانى أخ اسمه « بَگْ ـ أسا »[1] ومعناه (شبيه الا لهة)، ويقابله فى الاغريقية « ايسو ـ ثئوس » .

اما العبارة الاغريقية « ثئو پاتورُس » المكتوبة على نقود جماعة من الملوك الفرثيين، ومعناها (الذى أبوه اله) ، فهى مركبة من كلمتين ، ان ترجمناها الى اللهجة الايرانية الفرثية حصلنا على الاسم المركب المزجى « بغْ پُورْ » . ويتضح من هذا أن اولئك الملوك الفرثيين كانوا يلقبون بـ« بَغْپُور» (بَغْ پُهْرْ) . الا أنهم ـ ويا للاسف ـ لم يتركوا أية كتابة كانت بلغتهم ، كما فعل الملوك الاخمينيون . وكل ما خلفوه من كتابات لا يزيد على ما ورد فى اللغة الاغريقية فى مسكوكاتهم وأوسمتهم ، ولا على ما جاء فى الفهلوية من أواخر عصرهم .

هذا ما نعرفه عنهم الآن ، وقد يعثر فى المستقبل على شىء من آثارهم يتضمن كتابة بلغتهم الايرانية الارشكية .

ويلوح لى أن فكرة الانتساب الى الآلهة قد تكون انتقلت من مصر الى ايران ، نقلها الاسكندر العظيم الذى اقتدى بالفراعنة فى ذلك عند فتحه لمصر ، اذ ادعى أنه ابن الا له « زوس ـ آمون » . ولعلّ الملوك الفرثيين الذين حكموا ايران بعد الاسكندر وكذلك جماعة من الملوك الفارسيين المعروفين بـ« فَرَ تَرَكَ »[2] الذين كانوا خاضعين لهم ، قد ادعوا ما ادعاه الاسكندر تقليدا له ، مع أنّ الملوك الاخمينيّين ، الذين حكموا قبل الاسكندر وكانوا أعظم سطوة من الفرثيين وأوسع ملكاً منهم ، لم تخطر ببالهم تلك الدعوى .

ومن نقود الملوك الـ« فَرَ تَرَكَ » التى ضربت فى ولاية «فارس ـ ستان» أى بلاد فارس الواقعة شرقى الساحل الشمالى الشرقى لخليج فارس ، مجموعة من المسكوكات يعود زمنها الى نحو ٢٠٠ ق٠ م٠ ، نقش فيها بالحروف الفهلوية اسم أمير فارسى هو« بَگَدَتْ »،

---

(١) يراجع N. C. Debevoise, *A Political History of Parthia*، ص٤٠

(٢) ومعنى فرترك Frataraka (الرئيس ، الامير) ويقابلها فى الانكليزية كلمة برنس prince

نقشت فيها كذلك صورته ، ومع اسمه هذه العبارة الارمية : « زِرى أَلَهيا » ومعناها (الذى من الا لهة) ، او (الذى من أصل الهى)[١].

وتذكر تواريخ العرب والفرس لقبا لأباطرة الصين هو « فغفور » أو « بغپور ». ورد هذا اللقب بشكل « بغپور » الذى هو شبيه باللهجة الارشكية والايرانية الغربية ، وذلك فى « الرسائل الصغدية القديمة » التى يعود زمنها الى (٣١٢ – ٣١٣ ب. م.) ، كما بيّن زمنها المستر هننك W. B. Henning[٢]

والشكل « بغ – پور » مخفف من « بَغَ پُشْرَ » على حسب تلك اللهجات ، ومعناه « ابن اله » . ويقول مؤلف « برهان قاطع » فى « فغفور » : « انها اسم للملك كان فى طاعته الملوك الحاكمون فى البلاد الواسعة الواقعة بين الحلة والصين ، وقد دام حكمه (٦٢) سنة ، وهو من السلالة الارشكية » . وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه من انه من الممكن ان تكون فئة من الملوك الأرشكيين – ان لم يكونوا جميعهم – قد لقبوا بـ « بغپور » « ابن اله ».

وجاء فى « برهان قاطع » أيضا شكل آخر لكلمــة « فغفــور » وهو فخفــور » التى نعتقد أن كلمة « فخار » قد اشتقت منها ، كما أننا نرى ان كلمة «فرفوري» العامية ويقصد بها الخزف الصينى ما هى الا تحريف « فغفورى » .

رابعا – الدور الساسانى .

أما الساسانيون (٢٢٦ – ٦٥٢ ب. م.) فقد شاركوا الآلهة فى اسم الاله الأعظم « هرمزد » ونعتوا أنفسهم بـ « بگ » أى اله ، وادّعوا أنهم منحدرون من « يزدان » أى الآلهة الزردشتية ؛ ونضرب مثلا لذلك ما جاء فى كتابة لأُردشير الاول (٢٢٦ – ٢٤١ م.) فى الرقم المعروفة « بنقش رستم »[٣].

« هذه صورة عابد مزد ، الا له أرتخشتر ملك ملوك ايران ، سليل يزدان ابن الا له پاپك شاه »[٤].

---

(١) يراجع George Francis Hill, Catalogue of Greek Coins of Arabia, Mesopotamia, Persia المقدمة ، ص ١٦٤ واللوح ٢٨ .

(٢) يراجع Bullitin of the Schools of Oriental and African Studies المجلد الثانى عشر ، الجزءان الثالث والرابع ، ص ٦٠١ وما يليها .

(٣) يقع « نقش رستم » فى شمال شيراز على أربعين ميلا منها .

(٤) أصل كلمة الاله « بك » فى الرقيم . ويلاحظ هنا ان هذا اللقب اذا وصف =

« صورة لـ (أهرمزد الا له)[١] » .

ومثال آخر ينعت الملك شاپور الثانى نفسه فى كتاب له بعث به الى الانبـراطـور بالصفات الفخمة الآتية :

« ملك الملوك ، رفيق الكواكب ، أخو الشمس والقمر » .

ويمجّد العاهل كسرى[٢] « خسرو » الاول نفسه بأنه :

« الهخيّر ، واهب السلام للمملكة ، المحترم، خسرو ، ملك الملوك المحظوظ ،التقى، المحسن ، الذى منحته الا لهة سعادة وافرة وسلطة واسعة ، عظيم العظماء ، المتصوّر بصورة الآلهة » .

« رجل خالد بين الآلهة ، واله جليل بين البشر ، ذو صيت رفيع ، وهو الذى ينهض مع الشمس ويعطى الليل عينيه »[٣] .

وفى الجزازات المانوية المكتوبة باللهجة الارشكانية المنور عليهـا بين مجموعـة المخطوطات الدينية ، التى وجدت فى العقد الاول من هذا القرن فى « تورفان » الواقعة فى تركستان الصينية ، تلك الجزازات التى يرجع زمنها الى القرن الثامن للميلاد ، توجد الاشكال الآتية لكلمة « بگ » على تحريف فيها[٤]:

أو هرمزد بگ (بالواو المجهولة) (أو هرمزد الاله)

يشوع بيگ (بالواو المجهولة بعد الشين والياء المجهولة بعد الباء) (عيسى الاله)

= به الاله « أهرمزد » فانه يلي الاسم ، واذا وصف به الملك فانه يسبق الاسم ، وفى هذا الاصطلاح اشارة لطيفة الى مـا يجـرى الآن فى اللغـة الفـارسية من استعمـال لقب « ميرزا » ، فان تقديمه على الاسم مشعر بضآلته ولا يعدو أن يكون معناه (الكاتب) ولكن تاخيره عن الاسم يشعر بجلالته وكون المنعوت به من أولاد الملوك أى « أمير زاده » .

(١) ذكرت هذه الكتابات فى كتاب بيكلى Paikuli للعلامة الآثارى هير تسفيلد ، ص ٨٤ . وبهذه المناسبة نود ان نذكر ان بيكلى فى ناحية قره داغ فى لواء السليمانية . وفى بيكلى عمارة عليها رقم من آثار الملك نرسى من الملوك الساسانيين ويسميها الاكراد « بتخانه » أى (بيت الصنم) .

(٢) ان خسرو الاول هو المعروف عند العرب بكسرى أنو شروان . « انو شروان » وهو « نوشيروان » فى الفارسية الجديدة ، أصله من « أنوش ـ رفان Anausha-ravan » فى الفارسية الوسطى ومعناه (ذو روح لا تموت) .

(٣) يراجع Arthur Christensen, *L'Iran sous Les Sassanides* الطبعة الثانية ، ص ٢٦٠ .

(٤) يراجع A. V. Williams Johnson, *Researches in Manichaeism*

نيروگَمْندبَىْ (الياء والواو الأوليان مجهولتان) (الاله القادر)

بى زَرْفان[١] (بالياء المجهولة) (الاله الزمان)

ميثى – بَغى[٢] (الياء الثانية والثالثة مجهولتان) (الاله الشمس ، الاله مِثْرَ)

ويذكر هرتسفيلد أن « بگ » قد تحرّفت الى « با » أيضا ، مثل ما حذف فى الكلمة المركبة « باقَرْكْ » الواردة فى كتابات "پيْكُلى[٣] .

وورد فى كتابات "پيْكُلى ذكر أمير لبلاد « زُورَدْچِن » اسمه « بگدات » وذلك فى أو اخر القرن الثالث الميلادى . ويقول هرتسفليد فى ذلك الاسم ان معناه «عطيّة اله» ، وان فى اسم مدينة « بغداد » استعمالا لتلك الكلمة كاسم مكان عوضا عن اسم انسان[٤] .

ويقول أيضا انه يقابل ذلك الاسم بالفهلوية اسم « باتِ » أمير بلاد «زُورَدَتْشان» ما دامت زوردتشان تسمية فهلوية لـ «زُورَدْچان» الفارسية[٥] .

ويظهر من كلام هرتسفيلد أن « باتى » قد تكون مخففة من كلمة « بگدات » . ونحن فى هذه المناسبة نذكر أن ابن علاء الدين كيقباد الثانى السلطان السلجوقى الذى كان حكمه من ٦٩٧ الى ٧٠٠ هـ كان اسمه « صارو – باتى » أى (باتى الأصفر) .

وقد جاء فى كتاب « شاهنامه » أن الملك أردشير بن بابك احتفل بتتويجه (٢٢٦م) فى بغداد ؛ فان صح هذا فقد كان لبغداد شأن عظيم فى أواخر زمن الفرثيين .

وعثرنا على خبر أسقف من الأساقفة الذين خرجوا على الجاثليق « داد يشوع » (٤٢٠ – ٤٥٦) فيما بين سنة (٤٢٠) وسنة (٤٢٤) اسمه « يزيد بو يزيد » ، وقد جاء فى ذلك الخبر أن هذا الأسقف كان من مدينة « در بغداد » . ومع أننا لم نصادف اسم « بغداد » مصحوبا بكلمة « در » بصورة هذا المركب المزجىّ ، نرى أن التفسير الوحيد الذى يمكننا أن نذكره فى شأنه هو أن كلمة « در » كان يسمى

---

(١) ويقول كريستنسن ان « بى » (بالياء المجهولة) = « بك » الفارسية . وذلك فى كلامه على كلمة « بى دوخت » (بالياء والواو المجهولتين) ومعناها (بنت الاله) L'Iran sous les Sassanides الطبعة الثانية ، ص ١٥٧

(٢) المرجع السابق ص ١٨٦ .

(٣) يراجع كتاب *Paikuli* لهرتسفيلد ، ص ١٥٣ .

(٤) يراجع المصدر السابق فى الصفحة نفسها .

(٥) يراجع المصدر السابق ص ١٥١ .

بها البلاط الملكى ، فلهذا جاز أن يؤدى مركب « در بغداد » معنى (بغداد البلاط) ، وبذلك نستدل على أنه كان فى بغداد قصر ملكى أضيف الى بغداد فقيل « در بغداد » كما تقدم .

خامسا ــ الدور الاسلامى .

كان من الطبيعى أن يختفى بعد الفتح الاسلامى فى ايران المسلمة ، اللقب « بگ » لأنه كان لقبا الهيّا للملوك الساسانيين ولقب الآلهة فى الدين المانوىّ . ولا يرى الآن « بگ » فى المعجمات الفارسية الجديدة بمعنى (الاله) . الا أنه ذكر فيها « فَغ » أو « فُغ » و « بَغ » بمعنى (صنم) (راجع الملحق ــ ١١ ، ١٢ ، ١٣) . وقد كان بعض البحاثين المسلمين القدماء على علم من المعنى الأصلى لذلك اللقب ، اذ قال الخوارزمى (الصفحة ١١٦) : « ولذا يسمون الملك (بغ) وهكذا الامام والسيد » . وقال أيضا « فان (بغ) عند الفرس هو الاله والسيّد والملك[1] » .

وقد أدخل الأتراك هذا اللقب ثانية فى ايران بمعنى (الأمير) لا بمعنى (الاله) . ونعتقد أن الاتراك الذين كانوا وثنيين وانتشرت بينهم الزردشتية وكذلك المانوية والنسطورية[2] والبوذية ، كما يفهم من الوثائق التى وجدت فى تركستان الصينية ، كانوا قد اقتبسوا هذا اللقب من الايرانيّين ولقبوا به ملوكهم .

---

(١) يراجع *Paikuli* ص ١٣٦ .

(٢) لا يزال الاتراك يستعملون « جلب » ، أو « جالاب » (بالجيم والباء الفارسية) ومعناها عندهم (الله) ، وهى محرفة عن كلمة « صليب » . ثم اتخذوا من تلك الكلمة اللقب « جلبى » بمعنى (المثقف ، السيد ، المؤدب ، المهذب ، الرشيق) فانتشر عنهم فى بلدان الشرق الاوسط .

ويذكر العلامة بلوشه Blochet فى كتابه :
Christianisme et Mazdeisme chez les Turks Orientaux
ص ١٦ ، كلمتين أخريين احداهما « اركن ergen » ومعناها (رجل عزب) وقد اخذها الاتراك عن كلمة « أركغون erkeghon » التى تعنى (كاهنا مسيحيا) . والكلمة الاخرى هى « أوغر oghur » التى تعنى (اليمن) واصلها الكلمة اللاتينية « أوكر ougur » . وقد نقلها النساطرة المبشرون الى تركستان قبل ظهور السلاجقة .

أ • استعمال كلمة « بگ » عند الأتراك ومشتقاتها •

بایان .

نحن لا نعلم بالتحقيق متى اتخذ الاتراك كلمة « بگ » لقبا لملوكهم وأمرائهم ، وقد كان عندهم ألقاب ملكية مثل « خاقان » و « خان » وغيرهما (راجع الملحق ـ ١٤) ، مما يطول تعداده • الا أن ما لا شك فيه هو أن لقب « بگ » كان معروفا عند الاتراك فى امبراطوريتهم الواسعة الممتدة من الصين الى البحر الاسود منذ القرن السادس للميلاد فى أقل تقدير ؟ وكان ملك « الآوار » ، وهم أقوام من الترك ، الذين نزحوا الى ضفاف الدانوب ، يدعى باسم « بايان خان » فى أواسط القرن السادس للميلاد • ونرى فى كلمة « بايان » اللقب « بگ » ؟ والكاسعة من « الألف والنون » التى أضيفت الى « باى » هى أداة الجمع الفارسية ، استعملت هنا للتعظيم ، كما هو مألوف فى الايرانية ، على ما نراها فى « هرمزان » ، « مهران » وغيرهما من الاعلام وهما فى الاصل اسمان علمان « هرمز » و « مهر » أضيف اليهما « ان » اداة الجمع للتعظيم •

ويقابل « بايان » باللغة التركية الغربية « بگلر » أو « بگ حضرتلرى » •

باينجور .

ويذكر ابن البلخى[١] فى كتابه ، ملكا اسمه « خرماز بن ارسلان بن باينجور فى سلسلة الملوك الساسانيين (راجع الملحق ـ ١٥) ، وهو على ما ذهب اليه المؤلف كسرى الخامس والعشرون ، ويظهر لنا أن حكمه يقع فى ٦٢٩/٧ من التاريخ • وانى أرى أن اسم « باينجور » العائد الى القرن السادس الميلادى يجوز أن يكون الأتراك استعملوه قبل ذلك ، وهو اسم مركب من الكلمتين « بايان » و « جور » • وبايان كما ذكرنا جمع لكلمة « باى » المتحولة من « باگ » و « بگ » ، و « جور » ومعناها (مثيل ،نوع)[٢] فيكون معنى « باينجور » (مثيل الآلهة) •

ويظهر أن الأتراك لم يقتصروا على استعمال « جور » مع البگ وحدها ، وانما

---

(١) يراجع « فارسنامه » لابن البلخى ص ٢٤

(٢) وأظن أن« جور » ايرانية ويقابلها فى التركية « كوره » (بالكاف الفارسية)• وفى لغة جغاتاى للشيخ سليمان أفندى البخارى : جوره = (رفيق ، زميل ، زوج)• وفى « برهان قاطع » : جوره = يطلق على شيئين متماثلين ومتساويين فى اللون والوزن والمقدار •

استعملوها مع غيرها فمن ذلك « ماهجور » وهو اسم من أسماء رجال القرن الثانى الهجرى ، وكان ببلخ ومعناه (مثيل القمر) ، ومنه « سيمجور الدواتى » وقد كان فى عهد السامانيين ببخارى ومعنى « سيمجور » (مثيل الفضّة).

بايانچور ـ خاقان .

ونذكر أيضا ملكا تركيا آخر اسمه « بايان ـ چور » وهو مركب من « بايان » و « چور » وقد ذكر العلامة مينورسكى من حال هذا الملك ما يأتى :

« استطاع الأويغوريّون أن يبسطوا سلطتهم على شؤون سلالة « تانگ » فاستولوا على بلاد « اورخون » فى عام ٧٤٤ م ، وقد قام بايانچور ـ خاقان فى سنة ٧٥٧م بأعظم خدمة للانبراطور فى مناهدة الثائر « أن ـ لو ـ شان »[١].

بگچور .

استعمل الأتراك الاسم المركب المزجى « بايانچور » المذكور فى شكل « بگچور » ومعناه « مثيل البگ » وكان بگچور زعيما تركيا مسلما حكم فى حلب عام ٩٧٠/٣٦٠ .

وان هذا النوع من الأسماء المركبة كـ « بايان جور » و « بگچور » كان شائعا عند الأتراك ، وهذه الأسماء كانوا قد اقتبسوها ـ على الظاهر ـ من الفرثيين ؛ وذكرنا آنفا أنه كان للملك أردوان الثانى (١٢٥ ق٠ م٠) أخ اسمه « بگ أسا » والكلمة « أسا » أو « آسا » لها معنى (جور) ، فـ « بايانچور » و « بگچـور » = « بايـان آسـا » و « بگ آسا » ومعناهما (مثيل البگ) (مثيل الآلهة).

وفى جدول أسماء القبايل الغزية المثبت فى « ديوان لغات الترك » (١٠٧٣/٤٦٦) أربعة أسماء فيها كلمة « بگ » وهى « بيات ، بگ ـ تلى ، بگدز ، باينِدر » ، ويذكر هذه الأسماء أيضا مؤلف « تورك شجره سى »[٢] بين أحفاد « أو غزخان » الأسطورى .

(١) يراجع V Minorosky "Tamim Ibn Bahr's Journey" Bulletin of The School of Oriental and African Studies المجلد الثانى عشر ، الجزء الثانى ، ص ٢٩٩ .

(٢) يراجع « تورك شجره‌سى » (ص ٣١) لمؤلفه فى اللغة الجغتائية أبى الغازى بهادر خان عام ١٦٦٣/١٠٧٤ . وقد ترجمه الدكتور رضا نور فى عام ١٩١٧ الى اللغة التركية الغربية .

بيات .

يفسر كتاب « ترك شجرهسى » كلمة « بيات » ويكتبها بصورة « بايات » بمعنى (صاحب الدولة) . وأنا أقول انها جمع « بى » أو « بَى ْ » ؟ يؤيد ذلك الكاشغرى فى مكان آخر من كتابه بقوله فى كلمة « بيات » :

« بيات = اسم الله تعالى ، بلغة أرغو » .

فيظهر أن « بيات » جمع « بَى ْ » وشكل آخر لـ « بايان » التى هى جمع « باى » .
و « بيات » جمع تعظيم لـ « بَى ْ » كان الترك يستعملونه لذى الجلال ، كما يستعمل الايرانيون الا ن جمع تعظيم لكلمة « يزد » وهو « يزدان » اسم الله تعالى .

ونحن لا نعلم فى أية لهجة من اللهجات التركية كانت « ـ ت » اداة الجمع ، الا اننا وجدنا فى « ترك لغتى » لحسين كاظم قدرى ما يأتى : « (ت) التى تدل على الجمع فى اللغة المغولية تأتى فى نهاية الكلمة[1] » ونضيف الى ذلك أنه ورد فى « ديوان لغة الترك » للكاشغرى جمع « تكين » فى التركية بشكل « تكيت » .

بك تلى .

ويفسر كتاب ترك شجرهسى هذه الكلمة كاتبا لها بصورة « بگ ديلى » بمعنى (جليل الكلام) . وأنا أقول ان « بگ تلى » معناها « فرع البگ » .

بُكدُز .

ويفسر الكتاب المذكور كلمة « بگدز » ويكتبها فى شكل « بگدوز » بمعنى (الخادم) وأنا أقول ان « بَگْدوز » معناها « كفء البگ » .

بايُندُر .

يفسر كتاب « ترك شجرة سى » كلمة « بايندر » بـ (المنعم) ويكتبها فى شكل « بايَنْدَرْ » . وأنا أقول ان تلفظ الكلمة الصحيح هو « باياندور » وأصلها « بايان ـ تور » .

(١) يراجع كتاب « ترك لغتى » لحسين كاظم قدرى ، طبعة استنبول ، ج : ١ ، ص ٢٦ من المقدمة .

فان كلمة « بايان » جمع تعظيمى لكلمة « بگ » كما ذكرنا ، فأما كلمة « دور » فانها متطورة كلمة « تُورَ » التى أخذها الأتراك من العبرانية «تُورَ »[١]، واستعملوها بشكل «تُورَ» أو « تورا » بمعنى (القانون ، النظام ، العادة ، الرسم ، الحصن ، ونظام الحصن) كما استعملوها لقبا للملك والأمير والوزير ، ولربَّ البيت أيضا . وكان الأتراك الى بداية القرن العشرين يستعملون «تُورَ » لقباً لأولاد أمير بخارى[٢]، فعلى هذا يكون « بايان ـ تور > بايندُر = التور البگ = الملك البگ أو الأمير البگ أو الوزير البگ . (راجع الملحق ـ ١٦) . واللقب « نظام » الذى استعمل فى العصر الاسلامى فى ايران وهندستان للأمراء والوزراء كلقب « نظام الملك » و « نظام حيدر آباد » ما هو الا ترجمة لقب « تور » التركى ، فلو كانت « حيدر أباد » فى تركستان يسمّى أميرها « تور حيدرأباد » عوضا عن « نظام حيدرأباد » . وكلمة « تور » دخلت فى « اللغة الهندستانية » أى « الأردو » لقبا للرجل النبيل والوزير[٣].

وتسمية الأمير أو الوزير بـ « تور » (النظام) كانت تدل على سلطته غير المحدودة ، واستبداده فى أحكامه وأعماله . وهو الذى كان يمثل النظام بل كان النظام نفسه ، وكان كل حكم يصدر منه يعدّ نظاماً وقانوناً تجب طاعته واتباعه . وهكذا كان « تور » لقباً لرئيس ادارة مطلقة ؟ وحتى الدور العثمانى كان يمنح فيه الوزير أو الأمير المخوّل صلاحية مطلقة ، لقب « الدستور المكرم ، نظام العالم » فذلك الأمير كان هو الدستور وهو النظام .

بهادُر .

يقول أحمد وفيق باشا فى « لهجة عثمانى » ١٣٠٦/١٨٨٨ ان التلفظ الصحيح لـ «بَهادرْ» هو «بَخادُورْ» وقد حولت الى شكل « باطور » ومعناها (بطل ، شجاع).

ويقول شمس‌الدين سامى‌فى « قاموس‌تركى » ١٣١٧/١٨٩٩ان« بهادر » فارسية الأصل تستعمل فى التركية فى شكل « بخادور » و « باتور » ومعناها (بطل ، شجاع).

وأقول ان « بهادر » مخففة من الكلمة المركبة «بغا ـ تور»(راجع الملحق‐١٧) وهذا شكل أقدم من « بايان ـ تور » المار ذكرها ، وكان‌معناها أيضا (التور البگ) .

(١) و « تور » كلمة عبرانية معناها (قانون ونظام والتوراة)

(٢) يراجع Gabriel Bonvalot, *Through the Heart of Asia* (1889) المجلد الاول ، ص ٢٠٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ .

(٣) يراجع J. Shakespear, Dictionary Hindustani and English 1834

أمّا « بهادور » التى تلفظ الا ن فى الفارسية والتركية الغربية « بهادر » . وكانت قديما تلفظ « باطور » أو « باتور » ، فان معناها (البطل) ، وترى هذه الكلمة فى لهجة « چوواش » [1] التركية فى شكل « پاتير » ولها المعنى عينه .

أما أن كلمة « بغاتور » (بهادر) أصبحت مع الزمن عند الأتراك تستعمل صفة معناها (البطل ، الشجاع) ؟ فهو أمر مألوف ، فقد ذكر أبو الغازى بهادور خان فى كتابه « تورك شجره‌سى » أن كلمة « ايدى قوت » كانت لقبا ملكيا فى الأزمنة القديمة جدا ثم أصبحت صفة معناها (البطل) عند الأوزبك [2] . أما المعنى الأصلى لكلمة «ايدى قوت» فأظنه (رب السعادة ، وحاميها).

بَكْتُرْ :

فى « ديوان لغة الترك » كلمة « بكْتُر » مع تعريفها الآتى :

« من أسماء الرجال وأصله « بك ــ تر » ومعناه (اثبت مكانك جلدا).

وأنا أعتقد أن « بكتر » هذه هى « بگ ــ تور » ومعناها (التور البگ ،) (النظام البگ) ، وتركيبها مماثل لتركيب « بغ ــ تور » المذكور آنفا . (راجع الملحق ــ ١٧).

ومن المناسب هنا أن أبيّن رأيى فى كلمة وردت فى رسالة ابن فضلان الذى أرسله الخليفة المقتدر بالله العباسى سنة ٩٢١/٣٠٩ الى ملك الصقالبة ؛ والكلمة هى «بَلْطوار» التى جاءت فى اسم « ألمَش بن شلكى بَلْطوار » ابى ملك بلغار [3] . وقد حاول جماعة من المستشرقين الوصول الى التلفظ الحقيقى لهذه الكلمة ومعرفة أصلها [4] ، ولم يزالوا يحاولون ذلك [5] . ولقد جاء الاسم فى الكتب القديمة فى أشكال مختلفة : بطلطو ، بطلطون ، بلطوار . وانى أظن أن أقرب هذه الأشكال الى الشكل الحقيقى هو « بلطوار » كما ورد فى معجم البلدان لياقوت . وأصل « بلطوار » يجب أن يكون « بكطور » . ولعل النسّاخ صحّفوا هذا الاسم الى الصور الأخرى . و « بكطور »

---

(١) يراجع « تورك لغتى » لحسين كاظم قدرى .
(٢) يراجع « تورك شجره‌سى » ص ٤٤ .
(٣) معجم البلدان لياقوت « بلغار »
(٤) دائرة المعارف الاسلامية « بلغار »
(٥) يراجع *Sharaf al-Zaman Tahir Marwazi*, Commentary by V. Minorsky, 1942,

هو اللقب « بگ ـ تور » نفسه ، وقد ذكرناه آنفا نقلا من « ديوان لغات الترك » ، وهو شكل آخر لـ « بغ ـ تور » ومعناه التور ـ البگ ، النظام ـ البگ .

واللقب « بگتور » = « بغ ـ تور » هذا كان معروفاً فى أواسـط أوربة فى القرن السادس عشر للميلاد ، وكانت أسرة هنغارية تعـرف بـ « باتـورى » Bathory ، حكمت بولونية فى القرن السادس عشر . ومن الثابت أنّ هذا الاسم « باتورى » محرّف من « بگتور » = « بغ ـ تور » الذى حرفه الأتراك الى « باتـور » فلهـذا يجب أن تصحح كلمة « بلطوار » ، اسم أبى ملك بلغار سنة ٩٢١/٣٠٩ بـ « بگطور » .

أما الاسم « المس » ، فانه قد يكون من تصحيف النساخ لكلمة « البش » التى هى « ايل ـ باش » ومعناها (رئيس العشيرة) أو (رئيس المملكة) . وعرف بهذا الاسم بعد ذلك الزمن امرأة تركية حكمت بلاد فارس من عام ٦٦٢ الى عام ٦٨٢ هـ ، بعد وفاة سلجوقشاه الاتابكى . وهى آخر من حكم من تلك السلالة . ومازالت تلك الكلمة باقية فى التركية الغربية الى اليوم بشكل « ألّباشى » ولكن بمعنى (رئيس الجماعة) او (رئيس العصبة) .

وللأتراك فى التأريخ أعلام أخرى مركبة مع كلمة « أل = أيل » فمنها ما هو بياء الاضافة ، ومنها ما هو بغيرها ، مثل :

أل أرسلان (أيل أرسلان)
أل خان (أيلخان)
أل قتلغ (أيلقتلغ)
أل بگى (أيلبگى)

تورخان

وعلى ذكرنا كلمة « تور » أرى أنّ أصل الكلمة الشائعة بشكل « تَرْخان » يجب أن يكون « تورخان » ومعناه (الامير الخان) ، ويقول الكاشغرى فى ترخان : « اسم جاهلى ، معناه الأمير بلغة ارغو » وفيه تأكيد لما ذكرنا (راجع الملحق ـ ١٧) .

بوگوريس ، بغراد

عرف أحد ملوك البلغار باسم « بوگوريس » وكانت وفاته سنة ٨٩٦ م ، وانى

أرى أن « بوگ » التى فى أول اسمه تعنى (الا له) • وكان ملك البلغار الأخير الذى به انتهت الملكية فىبلغارية وتوفى فىالحرب العالمية الأخيرة يسمى «بوريس» ، وهذا الاسم صورة مخففة من « بوگوريس » • وكذلك القول فى « بغدان » احدى المقاطعات الرومانية التى استوطنتها قبيلة اسمها « قره بُغدان » باسم زعيمها ، هربت أمام تيمورلنك مع أكثر سكان دشت قيچاق بعد معركة سمرقند العظيمة (١٢٩٠/٧٩٣) ، وانتشروا فى شمال البحر الأسود وأطراف الدانوب ، وهناك توطنوا وتنصروا • وفىتسمية المقاطعة الرومانية باسم «بُغدان < بغداد» تكرار لما جرى فى عهد الكاشيين أى تسمية مقاطعة باسم شخص يقال له « بغداد » •

باگ •

وكان يقال للملك الأتراك الخزر « باگ » كما ذكر أحمد بن فضلان فى رسالته الى الخليفة المقتدر العباسى عمّا شاهده فى بلادهم ، ويقول الكاشغرى فى باگ أى الأمير : ان زوج المرأة فى بيته يشبه بالأمير ويسمّى « باگ » •

ب ــ عودة اللقب « بَگْ » الى ايران وتسربه منها فى الغرب •

أمّا فى ايران فأول ذكر للقب « بگ » فى الدور الاسلامى نجده فى الاسمين : «طُغْرُلْ بگ» وقد توّج عام ١٠٣٦/٤٢٩ وتوفى سنة ١٠٦٣/٤٥٥ ، وفى «چغْرى بگ» وهما ابنا ميكائيل بن سلجوق • الا ان ملوك السلجوقيين الذين جاؤوا بعدهما تركوا هذا اللقب ؟ ويظهر أنهم استحبوا لقب « السلطان » الذى سبقهم اليه يمين الدولة محمود بن سبكتكين وقلدوه فى التلقب به ؟ ثم أصبحوا بعد ذلك يلقبون بـ « شاه » و « پادشاه » و « شاهنشاه » ، وهذا ما نراه فى الدول السلجوقية الثلاث الايرانيّة والكرمانية والروميـــة •

ان الدولة السلجوقية الرومية كانت فى آسية الصغرى وانقرضت سنة ١٢٩٩/٦٩٩ • وكان مؤسسو الدولة العثمانية التى خلفت تلك الدولة يلقبون أيضا بـ « بگ » ، منهم « أرطغرل بگ » وكانت وفاته سنة ١٢٨١/٦٨٠ • وأخوه « دندار بگ » ، وابنه « عثمان بگ » الذى نسبت الدولة العثمانية اليه وتوفى عام ١٣٢٦/٧٢٦ • وكانوا يلقبون أمراءهم أيضا باللقب نفسه مثل « آق تيمور بگ » و « ميخال بگ » ، غير أن من تبوّؤوا العرش منهم بعد انتهاء الحكم السلجوقي كانوا يلقبون بـ « السلطان ، پادشاه ،

خاقان ، خنكار (خداوندگار) » . ثم استعمل العثمانيون لقب « بگ » طوال حكمهم في آسية وأوربة وافريقية ، لتلقيب الأعيان من أصحاب المناصب والمراتب والشرف ، وهم:

١ ـ الأمير ، الأمير المتوج مثل : سيسام بگی ، بلغارستان بگی ، قره داغ بگی ، تونس بابی .

٢ ـ صاحب منصب رفيع مثل : سنجاق بگی ، أنادولي بگی .

٣ ـ رئيس عشيرة كبيرة .

٤ ـ قائم المقام ومير الالای في الجيش والدرك مثل : قائم مقام بگ ، مير ألاى بگ ، آلاى بگی .

٥ ـ أفراد جماعة من البيوتات القديمة وأولاد الأعيان .

وكانت كلمة « بای » تستعمل عند الأتراك منذ القديم أيضا بمعنى الغنى والعظيم والأمير ، ومنها اشتقوا مصدر « بيوملك » . يقول الكاشغرى : « يقال : أربيودى ، أي غني الرجل وغيره » .

وكانت الأموال والأمتعة الأميرية عند العثمانيين تعرف بـ « بگلك » . وفي اللغة التركية كلمة «بوغ» ومعناها (الرئيس) مثل « باش بوغ » أي الزعيم ، ورئيس الجيش .

وكلمة « بوغ » هذه مستعارة من اللغات السلافية ، أي الصقلية ، وقد تولدت من كلمة « بوغو » التي معناها الآن لدى السلافيين « الله » .

وكان السلافيون قد نحتوا في القديم من « بوغو » كلمة « بويار » التي تعني (النبيل ، العين ، الزعيم) .

وتستعمل اليوم في مقاطعة كركوك كلمة « بوغ » بمعنى (الكبير ، والزعيم ، ذى الشأن) .

وقد ألغي في تركية الحديثة ، شكل « بگ » للكلمة المذكورة ، واعتيض عنه بكلمة « بای » بمعنى (السيد) ، وبـ « بايان » (السيّدة) ، وهما يستعملان لقبين للخاصة والعـامـة .

أما البلاد العربية التي انفصلت من الدولة العثمانية ، فانها لا تزال تستعمل لقب « بگ » الى يومنا هذا ، كما أنّ لقب أمير تونس لم يزل معروفا بـ « بای » وهـو خاص بالامارة .

٢ • أصل كلمة « داد »

انّ أصل الكلمة « داد » من المصدر « دا » • وهذا المصدر معروف في فصيلة اللغات الهندية ـ الأوربية ، وسنكتفي بذكر ما قاله فيه المستر ويليمس جاكسن في كتابه الموسوم بـ « قراءة الأفيستا » ، قال :

« المصدر الأصليّ في الأفيستا هو « دا »(دَثّ) ومعناه (الاعطاء ، الوضع ، الخلق ، الصنع) ؛ وفي السنسكريتية « دا » ، « دها » ؛ وفي الفارسية القديمة « دا » ؛ وفي الفهلوية « دادن » ؛ وفي الفارسية الحديثة « دادن » ، انتهى •

وقد صيغ من هذا المصدر اسم مفعول في الأشكال الآتية :

في الأفيستية « داتَ » وفي الفهلوية والفارسية الحديثة « داد » أو « دات » ، وفي الاغريقية « ثيتوس » (بالواو المجهولة) ، وفي الارمنية « دت » ومعناه (شيء مؤسس ، قانون ، مخلوق ، مصنوع) • وبين الاسماء اسم مفعول في شكل آخر هو « دايتي » معناه (المنحة ، العطية ، الخليقة) •

وصيغة اسم المفعول « دات » دخلت في اللغات الايرانية في تركيب كثير من الأسماء ، ونذكر منها ما يأتي :

في الأفيستية : « بغو ـ داتَ » (بالواو المجهولة) = صنع الآلهة ، مخلوقها •

« أهُورَ ـ داتَ » = مخلوق الآلهة الاهورات •

« دَئيڤو ـ داتَ » (بالياء والواو المجهولتين) = مخلوق الديوات •

وفي الفهلوية : « مِهرْداتْ » اسم علم للأشخاص ، مخفف من « مِثْرو ـ داتَ » (بالواو المجهولة) ومعناه مخلوق أو عطية « مِهر » أي « مِثْرَ » ، (اله الشمس) ، ويقابله في الايرانية الحديثة « مهرداد » .

« خوت ـ داد » صفة تعني (مخلوقا أو متكونا بذاته ، أو أبديا) ، وفي الأفيستية « هوَ ـ دات » وفي الايرانية الحديثة أصبحت هذه الكلمة « خداى » ومعناها (الله) •

« أوهرْمَزْدْ ـ دات » ومعناه (مخلوق الاله هرمزد) •

وفي الايرانية الحديثة « خداداد » ومعناه (مخلوق الله أو عطاء الله) •

« شيدا ـ دات » ومعناه مخلوق الشيطان ؛ وفي الأفستية « دَئيڤو ـ داتَ » (بالياء والواو المجهولتين) بالمعنى نفسه •

الخاتمة

وأخيرا نذكر معنى « بغداد » ، فان الأدلة والبراهين التي تبسطنا في ذكرها في هذا المقال تثبت أن «بغداد» كلمة ايرانية وأن معناها (عطية الاله) . وقد استعملها الكشيون اول مرة في بلاد بابل في مستهل الألف الثاني قبل الميلاد . والكشيون كما يعرف عنهم كانت الطبقة الارستقراطية منهم تتكلم لغة آرية ، وكانت اسماء جماعة من ملوكهم وآلهتهم آرية صرفة . وقد وردت « بغداد » في الكتابات المسمارية اسما لموقع جغرافي في الأزمنة التي تلت دور الكشيين أيضا . وكان آخر ذكر لها واردا في كتابة من نهاية الدور الآشوري في حدود القرن السابع قبل الميلاد .

وجاءت كلمة « بغداد » في الأفيستا بمعنى (مخلوق الآلهة) . واستعملت اسماً علماً لأشخاص كانوا في الأزمنة الفارسية منذ العصر الاخميني حتى الدور الساساني في ايران وغيرها من الأقطار .

ورأيناها أيضا مستعملة عند الأتراك بشكل « بغدان » ، وربما استعملت بصورة « باتي » اسماً لشخص أو لقبيلة في القرن الرابع عشر للميلاد .

وأنا لا أدعي بأنني أول من ارتأى هذا الرأي في أصل « بغداد » ومعناها ، فقد سبقني الى معرفة ذلك جماعة من المستشرقين ؛ وذكر احدهم في دائرة المعارف الاسلامية تحت مادة « بغداد » أن « اسم بغداد هو ايراني بلا شك فيه ومعناه (عطية الله) » .

وأذهب الى أبعد من ذلك فأقول ان من المؤرخين المسلمين القدماء والجغرافيين من كانوا قد فسروا اسم « بغداد » تفسيرا قريبا من الحقيقة ، فقد ذكروا أن بغداد معناها (عطية الصنم) او (عطية الشيطان) او (عطية الملك) . (يراجع الملحق ـ ١٨) .

ويبدو أن الالتباس الذي أصابهم كان سببه نسيان معنى « بغداد » في الأزمنة التي سبقت أولئك الكتاب الاوائل ، ولأنهم قصروا فهمهم لكلمة « بغ » الفارسية على « صنم » ، فترجموا كلمة بغداد بـ (عطية الصنم) ؛ ويحتمل أنهم قصدوا بالصنم (آلهة الفرس)، فلما فسروا « بغداد » بـ (عطية الصنم) أرادوا أن يقولوا (عطية آلهة الفرس) .

ولم تكن صيغة اسم بغداد (عطية الاله) واستعمالها علماً من الامور غير المألوفة

الفارسية الوسطى « ڤَنَهْ » ومعناها (طيب ، جيد ، خير) . وأمّا « روز » فمعناها (نهار ، يوم) . وهى تستعمل صفة بمعنى (سعيد ، ذى أيام سعيدة) ، وكثيرا ما تكون اسماً علماً على الأشخاص . فلذلك تكون قرية « بهرز » دعيت باسم الرجل الذى أسسها أو كان مالكا لها .

وقد علم فى التاريخ أن شحنة بغداد بين عام ٥٠٢ هـ وعام ٥٤٠ هـ كان اسمه مجاهد الدين « بهروز » وكان صاحب املاك وتكريت من ضمن اقطاعه[١].

الملحق ـ ٣

خريسان

« خريسان » (بالياء المجهولة) ، اسم نهر يتفرع من الضفة اليسرى لنهر ديالى ، ويخترق مدينة بعقوبا . وكلمة « خريسان » محرفة من كلمة « خراسان » ومعناها (الشرق) . فنهر خريسن يكون (النهر الشرقى) . واذ كان خراسان اسما لمقاطعة بعقوبا ، لكونها واقعة على طريق خراسان ، سمى النهر الذى يخترقها باسمها ، وهذا اقرب الى الحقيقة من حيث التسمية .

الملحق ـ ٤

مهروت

« مهروت » اسم نهر يتفرع من الضفة اليسرى لنهر ديالى فى شمال نهر « خريسان » ويجرى موازيا له ويخترق مركز ناحية كنعان (قلعة مهروت) .

أظن هذه الكلمة فارسية مركبة من « مه » و « روت » . أمّا كلمة « مه » فأصلها فى الأڤيستية « مَسْ » أو « مَزْ » (وفى الفارسية القديمة « مَثْ ») . وفى الفهلوية « مَسْ » ، وفى الفارسية الحديثة « مَهْ » وفى الكردية « مَزْ » (كما فى كلمة « مَزِنْ ») ومعناها على اختلاف اشكالها (كبير) . وأما كلمة « روت » فهى فى الفارسية القديمة « رَوْتَ » وفى الفهلوية « روت » (بالواو المجهولة) ، وفى الفارسية الحديثة « رود » أو « روذ » ، وفى الكردية « رُو » و « رو » (بالواو المجهولة) ، ومعناها (نهر) . فيكون معنى « مهروت » (النهر الكبير) .

---

(١) الكامل لابن الاثير والمنتظم لابن الجوزى .

الملحق – ٥

زرباطية

« زرباطية » قرية على حوالى ٧٥ كيلومترا من كوت الامارة فى الشمال الشرقى، وهى على حوالى ١٠ كيلومترات من شمال شرقى بدرة .

وأرى انها منسوبة الى شخص اسمه « زرباط » كما نسبت « الاسكندرية » الى « اسكندر » (الكسندر) . ولكن التلفظ « زرباط » ليس بالأصلى ، ولعله كان بصورة « آذربات » . وهذا الاسم يشبه اسم الشخص الذى سميت باسمه كورة آذربايجان التى كان اسمها فى الاصل :

« آترپاتَكان > آذرباذَگان > آذرباذَگان > آذربايجان . » ومعناها « بلاد آذربات » .

ونذكر فيما يأتى ما قاله « سترابو » فى أصل تلك التسمية ، قال : « والكورة الأخرى هى « بلاد ميديا الاذربايجانية » ، وعرفت بهذا الاسم نسبة الى أمير اسمه « آتروپات » كان قد حمى بلاده من نفوذ الاغريق . ولما نصّب ملكاً وطّد استقلال بلاده . وما زال حفدته يحكمون فى تلك البلاد الى يومنا هذا »[1].

انا وان كنا لا نعرف ذاتية « آذربات » « آزربات » الرجل الذى سميت باسمه قرية « زرباطية » ، لعالمون أن هذا الاسم كان مألوفا حتى فى العهود الساسانية ؟ فقد كان احد الأنبياء الزردشتيين يعرف باسم « آذرپاد مراسپندان » ، ظهر فى زمن الملك شابور الثانى (ومدة حكمه من ٣١٠ ب.م الى ٣٧٩ ب.م) ، واشتهر عند الفرس بالمعجزات ، وله رسالة فى « النصائح » . وكان اسم حفيد ذلك النبى « اذرپاد زردشت » .

الملحق – ٦

بلدروز

وهى اليوم بليدة على نهر يسمى بـ « روز » يتفرع من الجانب الأيسر لنهر ديالى فى شمال جدول « مهروت » . وهذا اسم جغرافى آخر بلغة غير سامية . والطريف فى الأمر ان الاب أنستانس الكرملى اعترف فى لغة العرب بأنه اسم فارسى الأصل ، وقد صدر منه هذا القول قبل أربع عشرة سنة ، من تعليقه كلمته على رأى الاستاذ غنيمة فى ...

(١) يراجع The Geography of Strabo الكتاب الحادي عشر ، الفصل الثالث عشر .

أصل اسم « بغداد » ، فقد قال :

« فان بلدروز قديمة العهد ولعلها ترتقى الى ما وراء عهد ملوك بنى ساسان ، اذ قد ورد ذكرها منذ أول عهد فتوح العرب لهذه الديار ، واسمها الحقيقى هو « براز الروز » أو « ابراز الروز » (بسكون الباء فى الحرفين)[1] .

واستخرج الكرملى فى مقاله هذا غير متردد ، معنى « براز الروز » ، فقال :

« ومعنى براز الروز بالفارسية (ضياء النهار او بهاء النهار) لحسن موقع المكان لا لأنه بلد الرز كما يتوهم العوام » .

فنقول : ان الكرملى لم يكن مصيباً فى تفسيره هذا ، وانى أرى أن اسمْ « براز الروز » الذى ذكره مؤرخو العرب القدماء وتطوّر اليوم الى « بلدروز » يجب أن يبحث عن أصل اشتقاقه كما يأتى :

ان استعمال أداة التعريف « أل » الداخلة على الكلمة الفارسية « روز » هنا ، كان بدعة ابتدعها كتاب العرب مثل « مرو الروز » و « مرو الشاهجان » . فالاسم المركب يجب أن يكون بصورة « براز روز » . وكلمة « براز » واردة فى الافيستية فى شكل « وَرازَ » ومعناها (خنزير فحل) ، ثم أصبحت فى الفارسية الوسطى « وَرازْ » ، وفي الفارسية الجديدة « وَرازْ » « گُرازْ » ، « بَرازْ » ، وفي الكردية « بَرازْ » بالمعنى نفسه ؛ وعلى ذلك يكون أصل كلمة « بَراز روز » « وَراز روز » ومعناها (النهر الخنزير) . وليس من المستغرب أن يوصف النهر بـ « الخنزير الفحل » فان اسم هذا الحيوان كان فى العهود الساسانية لقبا عظيما يدل على القوة والسلطان حتى لقد لقب به ناس عظماء من الساسانيين ، لأنه كان من الألقاب الرفيعة فى تلك الدولة أيضا ، كما كان الاسد فى العصور الاسلامية ؛ فقد قالوا « أسد الدولة » فى ألقابهم . ومن الذين لقبوا بلقب الخنزير الفحل فريق من المرازبة والأمراء مثل « هرمزد ــ وراز » و « وراز بيروز » (بالواو المجهولة) و « شاهپور وراز » وكان أمير « نسا » يلقب بـ « وراز » وأمير هراة بـ « ورازان » وأمير غرجستان بـ « وراز بَنْدَغْ »[2] . واللقب الأخير معناه (عبدالخنزير) .

---

(١) راجع مقال بلدروز او براز الروز فى التاريخ ، لغة العرب ج ١ ص ٣٧ نيسان ١٩١٢ .

(٢) يراجع كريستنسن فى كتابه L'Iran sous hes Saassamides الطبعة الثانية ، ص ٤١٠ ، ٥٠١ .

ويقول هرتسفيلد ، ان من ألقاب الشرف فى العهود الساسانية « اهورمزد وراز » أو « هرمزد وراز » ومعناه (خنزير هرمزد) . وهو لقب عسكرى لرئيس الحرس ويلى رتبته رتبة رؤساء بيوتات الاقطاع .

وكذلك « وراز نرسه » و « وراز پيروز » (بالواو المجهولة) و « وراز شاهپور » و « وراز تيرداث » فجميعها من ألقاب الشرف . وقد كان الخنزير رمز « فَسَرتْرَغْنَ » الذى تحرّف فى الفهلوية الى « فَـرْهرانْ » وفى الايرانية الحديثة الى « بَهْرامْ »[1].

ونضيف الى ذلك أن الخنزير الفحل الجبار هو أحد الوجوه العشرة التى يظهر فيها « فرَتْرَغْنَ » وأن « فرَتْرَغْنَ » هو اله يضمن النصر والظفر على حسب العقيدة المزدسنية ؛ ولذا كان الخنزير الفحل لقبا عسكريا مألوفا كما أسلفنا . وقد تحرّف « فرَتْرَغْنَ » فى الايرانية الحديثة الى « بَهْرام » وأصبح يطلق على الكوكب السيار « المريخ » الذى يقابل « مارس » اله الحرب لدى الاغريق .

وفى ما وراء النهر لا يزال نهر يسمى « وراز روز »[2].

وقد عثرنا فى « فارسنامه » ابن البلخى على نهر يسمى « نهر براز » وجاء فى وصفه انه يسقى مدينة « فيروز آباد » بفارس ، ونواحيها . فاذا ترجمنا كلمة « نهر » بالفارسية وهى « روز < روذ » ووضعناها فى مكانها من تركيب الاسم على حسب قواعد الفارسية الوسطى كان لنا هذا الاسم « براز روز » . وفى هذا تأييد وتوكيد لما ذهبنا اليه . ومما يدل على صحته أن هذا النهر فى فارس هو باسم والد وزير الملك بهرام الخامس ، الذى شيد قرية علمية دعيت باسم « بَراز - چون »[3] ومعناها (مثل براز) .

الملحق - ٧

پاييز

اظن ان الكلمة « پاييز » المستعملة الآن فى الكردية بمعنى (الخريف) مخففة من كلمة افستية « باگ يَزْ » (عبادة الآلهة) ، التى تقابل الكلمة الفارسية القديمة « باگ - يد » ، فان الفعل « يد » الذى معناه (العبادة) بالفارسية القديمة يقابله « يز »

---

(١) يراجع كتاب Paikuli ص ١٣٠

(٢) ترجمة « برهان قاطع » لعاصم افندى .

(٣) يراجع كتاب *Archaeological History of Iran* لهرتسفيلد ، ص ٩١-٩٢

فى الافيستية التىتحدر من لهجتها اللغة الكردية ، وهى لهجة شمالية غربية .

ومما يؤكد المعنى الذى ذهبنا اليه ان رأس السنة وبداية فصل الخريف كانا يقعان فى شهر « باگ يز » ذلك الشهر الذى كانت تقام فيه الاحتفالات الدينية والطقوس الدينية ــ السحرية التقليدية ، وأظنها لاستمطار الأمطار الغزيرة للموسم المقبل .

الملحق ــ ٨

الكتابات الواردة بالاغريقية فى نقود الملوك الفرثيين الذين ادعوا أنهم أبناء الآلهة

ندرج فيما يأتى ترجمة تلك الكتابات بحسب تسلسلها الزمنى[١] :

١ ــ اردوان الاول نحو ٢١١ ــ ١٩١ ق٠م ٠ :

« الملك العظيم ، ارشك المحسن الذى الاله ابوه » .

٢ ــ فرهاد الثانى ١٣٨/٣٧ ــ ١٢٨ ق٠م ٠ :

« الملك العظيم ارشك ، المحسن الذى الاله أبوه ، الظافر » .

٣ ــ اردوان الثانى ١٢٨ ــ ١٢٤ ق٠م٠ :

« الملك العظيم ارشك ، المحسن ، الذى أبوه اله » .

٤ ــ سندروك ٧٧ ــ ٦٩ ق٠م ٠ :

« الملك العظيم ارشك المحسن ، الذى أبوه اله » .

٥ ــ فرهاد الثالث ٦٩ ــ ٥٧ ق٠م ٠ :

« ملك الملوك أرشك ، العادل الظاهر الذى أبوه اله » .

٦ ــ ملك مجهول ؟

« ملك الملوك ، الذى أبوه اله » .

---

(١) يراجع كتاب نقود الملوك الفرثيين فى :
Warwick-Worth, *Catalogue of Greek Coins, in The British Museum*

٧ ـ موسه[١] :

« الملكة موسه الآلهة السماوية » .

الملحق ـ ٩

الأصل في اسم « بيستون »

« بيستون » اسم جبل واقع في شرقي مدينة كرمانشاه على نحو ثلاثين كيلومترا منها ، على يسار الطريق المؤدي الى همذان . وفي هذا الجبل كتابات ومنحوتات أقدمها وهو أكثرها عددا ، يعود الى الملك الأخمني دارا الأول الكبير (٥٢١ ـ ٤٨٦ ق.م.) ؛ وبينها منحوتة واحدة للملك الفرثي مهرداد الثاني الكبير (١٢٣ ـ ٨٧ ق.م.) ، ومنحوتات أخرى لـ « كوتارزس » (گودرز الثاني) ٣٨ ـ ٥١ ق.م.

و « بيستون » شكل متطور لكلمة مركبة هي « بغو ـ ستانَ » (بالواو المجهولة) . ومعناها (محل الآلهة) ، كما يظهر من أقدم اسم معروف لهذا الجبل ، يرجع زمنه الى أواخر القرن الأول قبل الميلاد . فقد ورد بشكل « تو باغيستانون ئوروس » كما سجله المؤرخان الأغريقيان « ديئودوروس الصقلي[٢] » و « ايزيدوروس خركس »[٣]

وفي دائرة المعارف الأسلامية معلومات تاريخية عن مراحل تطور هذا الاسم للبروفسور هرتسفليد ؛ الا ان لي آراء خاصة في ذلك ، فلذلك بحثت عن منشئه وتطوره الى اشكال مختلفة وعن سبب تسمية ذلك الجبل بـ « محل الآلهة » وعن زمن تلك التسمية .

---

(١) كانت « موسه » جارية رومانية أهداها القيصر أغسطوس الى الملك فرهاد الرابع ، وقد صادفت هوى في نفسه ، فهام بها وضرب صورتها على نقوده . الا أنها كادت له وتوسلت بأبرع الحيل لأخذ العرش لابنها ، فاقنعت زوجها بأرسال أبنائه الأربعة الى رومة وبنصب ابنها وليا للعهد ؛ ثم صنعت لزوجها السم فقضت عليه به . وتزوجها بعد ذلك ابنها فرهاد الخامس (٢ ق. م. ـ ٤ ب. م.)الا أنها لم تهنأ طويلا فقد قضي عليها وعلى ابنها .

ولا بأس بأن نذكر أن زواج الابن بامه أو بأخته كان أمرا مباحا في الديانة المزدسنية.

(٢) يراجع : The Historical Library of Diodorus the Sicilian, لناقله الى الانكليزية المستر G. Booth طبعة لندن ، عام ١٧٠٠ ، في الصفحتين ١٦٠ ، ٥٦٩ .

(٣) يراجع : Isidore of Charax, Parthian Stations, لناقله الى الانكليزية Walfred H. Schoff طبعة فيلادلفيا ، عام ١٩١٤ في الصفحتين ٧ ، ٢٨ .

ان الاسم «بيستون» مركب من كلمتين هما «بَغ» و «ستان» . ولقد بحثنا عن «بغ» بحثاً وافياً، وبقي علينا أن نبحث عن «ستان» .

ان «ستان» مشتق من مصدر هندي ـ أوربي هو «ستها»[١] ونراه في السنسكريتية بشكل «ستها» وفي الأفيستية «ستا» ، وفي الفارسية القديمة «ستا»[٢] ، وفي الوسطى «استاتن» وفي الفارسية الحديثة «استادن» وفي الكردية «استان» و «وستان» ، وفي الاغريقية «استامي»[٣]. ويفيد الوقوف، المكوث[٤] مع اختلاف اشكاله .

ونجد «ستان»[٥] في الفارسية بمعنى (محل) ، ونراها في الافيستا داخلة في تركيب الأسماء الآتية[٦].

أسپو ـ ستان	بالواو المجهولة	(اسطبل الخيل)
أشترو ـ ستان	بالواو المجهولة	(معطن الجمال)
گئو ـ ستان	بالواو المجهولة	(حظيرة البقر)

وفشا استعمال كلمة «ستان» في الايرانية الوسطى والفارسية الحديثة في تركيب الأسماء ، فمثال ما في الايرانية الوسطى :

سگستان	سجستان ، سيستان ، أي موطن «السكا» .
اير پتستان (بالياء المجهولة)	محل يعلم فيه الـ «هربد» وهو كاهن ، والمعنى اللفظي «هربد» (رئيس الموقد) .

(١) يراجع :
E. L. Johnson, Historical Grammar of the Ancient Persians Language, طبع في عام ١٩١٧ ، الصفحة ٦٣ .

(٢) المصدر السابق ، ٤٨

(٣) المصدر السابق ، ٤٨

(٤) والكلمة عينها في الالمانية Stehen وفي الانكليزية to stand

(٥) يراجع : H. C. Tolman, Ancient Persian Lexicon, طبع في عام ١٩٠٨ ، الصفحة ٤٦ في الفهرست .

(٦) يراجع : J. Duchesna Guillemin, Les Composés de l' Avesta, الصفحة ١٣٧ .

دبيرستان	مدرسة ، أو مكان الـ « دبير » وهو الكاتب .
نيرَنْگِستان	مجمع الشعائر ، وهو اسم كتاب ديني للزردشتيين .
داتِستان	مجمع العدالة ، قانون ، وهو اسم كتاب ديني للزردشتيين .

وفي الفارسية الحديثة :

كوهستان	البلاد الجبلية
شهرستان	البلد
تابستان	الصيف
دبستان	مدرسة (من كلمة « ادب » العربية)
داستان	قصة ، خطة ، حيلة .

وعندي أن « داستان » محرفة من« داتستان » الايرانية الوسطىالمذكورة أعلاه .

وبالنظر الى المعلومات المتقدمة يمكننا الآن أن نثبت الشكل الأفيستي للكلمة المركبة « بيستون » ، وينبغي في ذلك الشكل ـ على ما نعتقد ـ أن يكون « بغو ـ ستان » (بالواو المجهولة) ، لا « بغ ـ ستان » وذلك بالقياس الى الكلمات المركبة الثلاث التي سبق أن ذكرناها .

والجبل « بيستون » واقع في الجزء الشمالي الغربيّ من ايران حيث تعود اللهجة القديمة الى القسم الأفيستي ، لا الى القسم الفارسي القديم . الا أنه بالنظر الى تطور اللغة يحتمل أن كانت ، الواو المجهولة « O » قد سقطت في القرن الذي دعي به الجبل بذلك الاسم ، وحل محلها « الفتح » على حرف « غ » فلفظت « بغستان » ، وقد لفظها الفرس « بگستان » . ويحتمل ان كان قوم منهم يلفظون الـ « غ » والـ « گ » مكسورين بعد أن حذفت الواو المجهولة ، فقالوا « بغستان » و « بگستان » . ولعلها كانت تلفظ في الدور الساساني في اللهجات المختلفة بالصور الآتية :

بَگِستان	بَغِستان	باغِستان
بوستان (بالواو المجهولة)	بَهِستان	بايِستان
بَيِستان		باستان
بيستان (بالياء المجهولة)		

ونظن أن هذه الألفاظ ظهرت منها الكلمات الآتية ذوات المعانى المعينة :

بيستون (اسم الجبل)

بوستان (البستان)

باستان (الادوار الايرانية قبل الاسلام)

بيستان (بالياء المجهولة) (مزرعة البطيخ « مبطخة » ومزرعة القثاء « مقثأة » ، فى اللغة الكردية) .

واسم « بيستون » ـ الشكل الآخير الذى نعرف به الجبل ـ هو تطور تم فى القرون الاسلامية الأولى ، وأطلقته احدى اللهجات على ذلك الجبل الأملس الذى يشبه جدارا قائماً . ومن الغريب ان الاسم بهذا الشكل أى « بى ـ ستون » اصبح فى الفارسية الاسلامية صفة مركبة معناها (بغير عماد) ، وهو الأمر الذى سبب نسيان المعنى الأصلى نسيانا تاما . فتأمل كيف تلاعب الشاعر بهذه اللفظة ، اذ قال :

يكى خيمه زد برسر بيستون ،

شده بيستون سنگ زير ستون .

ومعناه :

ضربَ خيمة على قمة بيستون ،

فأصبح بيستون (وهو الجبل اللاعمادى) صخرة تحت العماد (لتلك الخيمة). فما أعظم تلك الخيمة وما أغربها !

وأظن أن ذلك الجبل لم يكن اسمه « بغو ـ ستان » (محل الالهة) قبل أن ينقش الملك دارا الأول كتاباته فيه وينحت صوره عليه . وارى ان الاسم « بغستان < بغوستان » كان يطلق فى بادىء الأمر على كتابات دارا ومنحوتاته لا على الجبل نفسه . اذ ان تلك المنحوتات والكتابات هى الـ « بغوستان » (مجمع الآلهة) بعينه .

ولم يستعمل الايرانيون فى الفهلوية والفارسية الحديثة الكلمات المركبة التى دخل فى تركيبها لفظ « ستان » بمعنى مواضع الأشياء وأمكنة الأشخاص حسب ، بل استعملوه أيضا فى معان مجازية أخرى ، كما ذكرنا فى أمثلتنا السابقة ، فمنها ما هو بمعنى « كتاب » ؛ مثل ، « نيرنگستان » و « داتستان » ، وهما اسمان لكتابين يحتويان على

المراسيم الدينية والشرائع الزردشتية ، مع أن معناهما اللفظى (المكان الذى تجرى فيه الشعائر الدينية ، أى المحفل والمشعر)، و (المكان الذى يمارس فيه القضاء ، أى المحكمة).

وبالقياس الى تينكم الكلمتين يمكن أن يكون معنى « بغوستان » التى معناها اللفظى (محل الآلهة) (كتاب يقص أخبار الآلهة) ، ونجد فى كتابات دارا ما يسوّغ هذه التسمية .

ان كتابات دارا الأول فى « بيستون » لهى أكبر كتابة معروفة تركها الملوك الآخمينيون ، فهى وحدها تحتوى على عشرة أضعاف كلمات الكتابات الاخمينية الأخرى. وهذا السجل هو أول كتاب دون فيه تاريخ الفرس . وهو التاريخ الوحيد عند الآخمينيين . ولم يترك الفرثيون أى سجل كان ؛ فأما الساسانيون فقد تركوا أثرا ضئيلا من الكتابة يضاهى ذلكم السجل .

فالكتابات فى « بيستون » تذكر نسب الأسرة المالكة وتسرد الأحداث الواقعة فى زمان دارا وتحكى أخباره . وهى تاريخ الانبراطورية الفارسية الذى كتبه دارا الكبير ، وذكر فيه أفراد أسرته وأصلها وقوميتها ، وتحدث عن استرداد الفرس للحكم من « گَئومات » المجوس وعن اعادة تأسيس المعابد التى كان قد خربها « گومات » وعن الانتصارات الباهرة الأخرى التى أحرزها الملك العظيم . ويوصى دارا فى كتاباته ويؤكد فى الوصية ، الأجيال اللاحقة بنشر محتوياتها على الملأ ، ويحثهم أن يكونوا أخلاء « أورمزد » ؛ فان ذلك يكثر نسلهم ويطيل أعمارهم . ثم ينذرهم بأنهم ان أخفوا ما فى ذلك السجل ولم يعلنوه بين الناس ، يضربهم « أورمزد » بالعقم ، فينمحى نسلهم .

وفى هذه الكتابة يدعو دارا مستدامة الى « أورمزد » ويبشّر بأنه هو أكبر الآلهة الذى خلق الارض والسماء والبشر ؛ ويحث على الامتناع عن الكذب وعلى معاقبة الكذابين .

وكتابات دارا فى « بيستون » كما أشرنا اليها آنفا سجل دون فيه استرداد الحكم من الماديين وتأسيس الانبراطورية الفارسية وتوطيد دعائمها بفضل الاله « أورمزد » اكبر الآلهة وبمساعدةالآلهةالأخرى الـ « بگ » ات المعروفةعندهم . ولاغرابةفىأن كان الفرس يعدون تلك الكتابات سفرا مقدساً لما فيه من توصيات دارا ودعوته الى دين

« مزدسنى » وتعاليمه . فالدعاوة الى قدسية تلك الكتابات ما هى الا شىء طبيعى وضرورى لضمان بقائها بين الناس والمحافظة عليها بغية تحقيق الحكم الأخمنى الفارسى فى البقاء أبد الآباد .

وكل ما يمكن أن يقال فى الدور الذى سميت تلك الكتابات بـ « محل الآلهة » لا يتجاوز الحدس والتخمين . الا اننى أرى أن تلك التسمية نحتت فى الدور الفرثى فى الزمن الذى أصبحت فيه قراءة الكتابات المسمارية منسية نسياناً تاماً . فكانوا حينذاك ينظرون الى تلك الكتابات التى كانت تقدّس تقديسا تقليديا ، كأنها أخبار خاصة بالآلهة ، وكتابات آلهية . فقبيل العصر الميلادى سموها بـ « بغستان » (محل الآلهة ، أو الكتابات الآلهية) .

اما الملوك الساسانيون الذى ادعوا بأن كلا منهم « بگ » أى (اله) ، فلعلهم كانوا يظنون أن « بغستان » كانت تحوى أخبار اجدادهم الأسطوريين ، اذ كانوا يعدون أنفسهم من ابناء الطبقة الثانية فى تاريخ ايران الأسطورى ، من سلالة « كيانيان » .

الملحق — ١٠

اشتقاق كلمة « باستان » ومعناها

باستان من الكلمات الايرانية المنسيّة أصولها فهى مجهول معناها (الأوّل) . وكل ما يقوله « فرهنك شاهنامه »[١]، وهو معجم حديث ، فى « باستان » هو ما يأتى:

« باستان ، جاء فى المعجمات بمعنى عتيق ، قديم » .

ويقول فيها « برهان قاطع » :

« باستان معناها قديم ، ومعناها باللغة الدريّة[٢] التاريخ الذى يضبط السنين والشهور السالفة والاحوال الماضية . وباستانامه هو من تواريخ الفرس ».

ان العامل الرئيس فى بقاء كلمة « باستان » هو كتاب شاهنامه للفردوسى ، فانه يذكر فى مناسبات عدة كلمة « باستان » ، قال فى مقاله فى جمع الشاهنامه :

(١) دوكتور رضا زاده شفيق ، طهران ١٣٢٠ الشمسية .

(٢) أي لغة البلاط .

يكى نامه بود از گه باستان ،
فراوان بدو اندرون داستان .
معناه (كان كتاب من زمن الباستان ، فيه كثير من القصص)

ويقول فى موضع آخر :

« پژوهنده‌ٔ نامه‌ٔ باستان	كه از پهلوانان زند داستان
چنين گفت كايين تخت وكلاه	گيومرت آورد او بودشاه » .

معناه (المتحرى لكتاب باستان الذى يحكى قصص عظماء الأبطال ، قال : ان اول من صار ملكا وأوجد مراسيم العرش والتاج هو گيومرت) .

ولو أن فى الامكان ترجمة « باستان » فى هذين المثلين بنحو :
« كان كتاب من زمن قديم » ،
« المتحرى للكتاب القديم »

لاتضح المعنى كل الوضوح ، الا أنه لا يمكن ان نعد « باستان » نعتاً كما هو الحال فى النعت « قديم » ؛ لأن صفة « قديم » يمكن أن ينعت بها كل شىء قديم ، ولكن لا يمكن نعت شىء قديم بـ « باستان » ؛ فمثلا لا يمكن أن يقال لكيخسرو الأسطورى : ان « كيخسرو باستان أست » بمعنى (كيخسرو قديم) لأن « باستان » ليست فى الحقيقة صفة وانما هى اسم ؛ فيمكن ان يقال « كيخسرو باستانى أست » مع اضافة ياء النسبة الى « باستان » ، بمعنى « كيخسرو باستانى » ، أى (كيخسرو الذى هو من عهد يسمّى بباستان) .

والحقيقة أن « باستان » اسم للأدوار التاريخية الايرانية ، أدوار الاساطير أو البطولة ، منذ الخليقة الى فتح الاسلام لايران ، ذلكم الفتح الذى قضى على ملوكها وأبطالها وأزال ممارستها لبطولتها الاسطورية . ولم يسبق أن استعمل « باستان » فى مدلول آخر غير الأدوار التاريخية الايرانية قبل الاسلام ، ولا سبق ان سمى شخص أو شىء يعود الى الدور الاسلامى بـ « باستان » وان كان قدمه يعود الى الف وثلاثمائة سنة قبل اليوم .

وبعد أن وجدنا ان كلمة « باستان » يجب أن تكون اسما لتاريخ ايران قبل الاسلام ،

نبحث عن اشتقاقها ، ان « باستان » كلمة مركبة من « با » و « ستان » ولن أكون مخطئا اذا اعتقدت انها منحوتة من « بغ ـ ستان » وهو الاسم الذى اطلق على كتابات « دارا » التاريخية المنقوشة على جبل « بيستون » ، و « باستان » و « بيستون » تلفظان مختلفان لـ « بغ ـ ستان » التى معناها ـ كما ذكرنا ـ (قصص الآلهة ، الاساطير ، قصص الملوك ، قصص الأبطال) .

الملحق ـ ١١

فُغستان

جاء فى معجم « برهان قاطع » أن : « معناها (بلاد الأصنام) ويراد بها « بيت الأصنام » ، وتطلق أيضا على حرم الملوك كناية عن كونها محلا للجوارى والغلمان الحسان ، ومن ثم أطلقت على زوجات الملوك » .

الملحق ـ ١٢

فُغَنشور

ورد فى « برهان قاطع » فيما يختص بهذه الكلمة أنّها : « اسم بلد فى اقليم الصين اشتهر أهله بالجمال والصباحة ، وفيه كل نحاتى الأصنام وجميع ما كان من الأصنام فى تلك البلاد . وقد وردت هذه الكلمة بشكل ثان ، بفتح الفاء » .

وهذه الكلمة عندى ذات شكل ايرانى متأخر ، وأصلها « بغان شهر » الذى يفيد معنى (مدينة الآلهة أو الأصنام) .

الملحق ـ ١٣

بَغشور

ويذكر ياقوت الحموى أن « بغشور » « بليدة بين هراة ومرو الروذ » . وهى على التركيب الذى ذكرناه فى كلامنا على « فغنشور » وفى المعنى نفسه ، وجاء فى « برهان قاطع » ان « بغشور قرية بين سرخس وهراة » .

الملحق ـ ١٤

خاتون ، قادين ، قارى

ان قبيلة طنغوز وضعوا فى عام ٥٢٠ م اللقب « خاقان ـ تون » وهو مؤنث « خاقان » بمعنى (الملكة) وذلك لامرأة ساحرة عرفت كيف تغرى ملك اولئك البرابرة حتى تزوجها (١).

وبالاستناد الى هذه المعلومات يمكننا الوصول الى معرفة اشتقاق كلمة « خاتون » المستعملة منذ الزمن القديم بمعنى (السيّدة) ، وكذلك الكلمتان « قادين » و « قارى » المستعملتان اليوم فى اللغة التركية بمعنى (امرأة) :

خاقان ـ تون > قان ـ تون > قادون > خاتون = (سيدة)
قادون > قادين = (امرأة ، سيدة)
قادين > قادى > قارى = (امرأة)

الملحق ـ ١٥

كسرى خُرماز بن أرسلان بن بانجور

ولا أقف عند تحقيقى « باينجور » ، لأنّ اسم كسرى«خرماز» واسم أبيه «أرسلان» واسم جده « باينجور » استوقفتنى لما فيها من الغرابة من حيث انّها أسماء تركية تسمّى بها ملك ساسانى ؟ وذلك يحملنى على الامعان فى التحقيق . فالاسماء الثلاثة تركية لا شك فيها ، واسم الجد « باينجور » تركى الوضع ، واسم الاب « ارسلان » صريح فى تركيته لا يحتاج الى بيان ؟ أما اسم « كسرى خرماز » فلم أجده الا فى « فارسنامه » ابن البلخى فانه ذكره مرتين ، يقول فى (ص ٢٤) :

« كسرى خرماز بن أرسلان هو الملك الخامس والعشرون ومدة ملكه سنة وخمسة أشهر ، وخرماز هذا قد كان من سلالة ملكية من غير هذا البطن الذى ذكرناه ، ونسبه قد وجد على هذا النحو :

---

(١) يراجع بلوشه فى كتابه :
Christianisme et Mazdeisme chez les Turks Orientaux

خرماز بن ارسلان بن باينجور بن مازيد ٠٠٠٠٠ الخ »

ويذكر ابن البلخى من هذا البطن أسماء خمسة عشر ملكاً ، الثانى والثالث منهم أسماؤهما تركية ، والاثنا عشر الا خرون أسماؤهم ايرانية ٠

وفى الموضع الثانى ورد الاسم فى كتاب ابن البلخى (ص ١٠٩) بصورة « كسرى خرهان بن ارسلان » ٠ والمحققان للكتاب يعتقدان ان التلفظ الاصلى للاسم هو «خرهان» لا « خرماز »[١].

وأنا أعتقد أن « خرماز » هو الاسم الصحيح[٢]، وهو اسم تركى لأن إسم والد كسرى « خرماز » تركى وهو « ارسلان » ولأن اسم والد « ارسلان » تركى أيضا وهو « باينجور » ٠

كما قدمنا ان اسم « خُرماز » تركى ولأثبات ذلك نقول ان هذا الاسم ليس الا شكلا محـرفا من « خُرْمَزْتَ » الذى هو تلفظ تركى لاسم «هُرمَزد» (أهورمزد) الاله الاعظم الايرانى ٠ وقد ورد اسم «خرمزت» مقابلا لـ « هرمزد » الايرانىفىالوثائق المانوية باللغة التركية التى وجدت فى تورفان ؛ يقول المستر جاكسن :

« ان معرفة هوية «أُرمزد » او « خُرمزت » فى الادعية الاعترافية المانوية التركية بتوحيدها مع آدم الاول ، كانت قد ابتكرها « لكوك »[٣].

وقد قلت آنفا : انى لم أجد اسم « كسرى خرماز بن ارسلان» الا فى «فارسنامه» والى هذا القول ذهب المستشرقان لسترنج ونيكولسن ٠ ولكنى وجدت فى كتاب تاريخ باللغة التركية مطبوع موسوم بـ « مرآة كائنات » ذكر ملك ساسانى يسمى «كسرى ابن أرسلان » مثبت بعد « شهريار » أو شهرى زاد » ، وقد أشار مؤلفه الى انه نقل ذلك من كتاب « نظام التواريخ » ٠

أما « شهريار » المذكور فقد أجمعت كتب التواريخ انه جاء بعد « اردشير بن

---

(١) كتاب فارسنامه لابن البلخى ، وقد طبعه المستشرقان G. Le Strange و R. A. Nicholson الصفحة xxxi

(٢) خرهان وفرهان هما جمعا كلمتى « خره وفره » وهاتـان ما هما الا تلفظـان مختلفان لكلمة « خره » التى أصلها « هورنه » ومعناها (مجد) ، وخرهان وفرهان هما جمعان تعظيميان كان يسمى بهما الملك « شهر براز » ٠

(٣) يراجع A. V. Williams Jackson, Researches in Manichaeism ص ٩٣ ٠

شيرويه » في أسماء الملوك ، فلذلك يجب أن يكون « شهر براز » وهو « فرهان » (خــّرهان) ؛ وهذا هو الذى ذكر فى الشاهنامه باسم « فراين گراز » مصحفاً من « فرهان » و « براز » • و « شهربراز » كان لقباً لمرتبته ومعناه (خنزير المُلْك ، خنزير المملكة) •

ولا شك في ان « كسرى بن ارسلان » المذكور فى « مرآة كائنات » هو « كسرى خرماز بن ارسلان » المذكور فى « فارسنامه » بالنظر الى ترتيبه بين الملوك الساسانيين ، وبالنظر الى اسم ابيه •

وبناء على ما قدمنا من تحقيق لـ « خرماز بن ارسلان بن باينجور » يمكننا أن نتصور أن فى دور الهرج والمرج الايرانى (٦٢٩ ـ ٦٣٢ م) ، وهو من أواخر العصور الساسانية ، استطاع قائد أو وال تركى الاصل كان فى خدمة ملك الملوك فى منطقة ما فى ايران واسمه « خرمازد » أو « خرماز » أن يعلن ملكيته على ايران ، فدام حكمه مدة قصيرة • ولما كان « خرماز » تلفظاً تركياً لـ « هرمز » ولم يذكر ابن البلخى ، بين الملوك الساسانيين الذين حكموا مددا قصيرة فى دور الهرج والمرج ، اسم الملك « هرمز الخامس » ، كان من المحتمل ان « هرمز الخامس » هذا هو « خرماز » ؟ والتواريخ التى ذكرت اسم « هرمز الخامس » قليلة حديثة ، ولم تذكر نسبه ولا اسم والده •

فأما نسبة « خرماز بن أرسلان بن باينجور » الملكية الايرانية التى تتصل بـ « بهمن »[١] فقد تكون مختلقة كما هى العادة فى الشرق من القديم حتى اليوم عند الذين يخترعون لأنفسهم نسباً يصلونه بالملوك أو العظماء القدماء ، وذلك عندما تعلو مراتبهم وتصعد بهم أنسابهم •

والذى يؤيد ذلك الافتراض هو أن الهرج والمرج بلغا من الاستفحال والفظاعة ـ على ما ذكره ليون كائتانو ـ غاية ما يتصوّره العقل بحيث تمكن جماعة ممن لا يرجعون الى نسب ولا الى حسب أن يكونوا أكاسرة فى ايران[٢]• ويزيد كريستنسن على ذلك أن منهم من جعلوا انفسهم اكاسرة فى صقع من اصقاع ايران لا فى المدائن[٣]•

---

(١) فارسنامه ، ص ٢٥ •

(٢) « اسلام تاريخى » ترجمة حسين جاهد يالجين ، ج : ١ مادة ١٢٩ •

(٣) *Iran Sous Les Sassanides* ، ص ٢٩٩

ولكي يطلع القارىء على اضطراب المؤرخين قديما وحديثا فى أسماء الملوك الذين حكموا فى دور الهرج والمرج وتسلسلهم وعددهم ، ثبتنا فى الجدول اسماء الملوك من شيرويه الى نهاية الدور الساسانى بحسب ما وردت فى المراجع المختلفة التى استطعنا أن نقف عليها .

الملحق – ١٦

طُغرا

وبمناسبة ذكرى كلمة « تورا » فى أثناء بحثى عن كلمة « بايندر » أودّ ان أذكر نتيجة تحقيقي لأصل « طغرا » ومعناها لاتصالها بكلمة « تورا » اتصالا يستحق العناية والبيان ؟ يقول مؤلف « لهجة عثمانى » :

« طغرا = فى التركية توغرا وتورغا ، طوغرول . وقد عــرّبت الى « طغرا » . وفى الفارسية جعلت « طوغرى وطغرى » = باز مبسوط الجناحين . وهو نوع جارح من أنواع البزاة الكبيرة ، اتخذ شعارا خاقانيا ، وان علامة خاقان الغز تقليد كتابى له . »

ويقول شمس الدين سامى :

« طغرا = أصلها بالتركية طوغرول ، تدل على باز مبسوط الجناحين ، كانت الطغرا فى القديم صورة هذا الطير ، فأخذت الطغــرا بهــذا الاســم ودخلت العربيــة والفارسية » .

كذا قال العالمان التركيان ، ولكننا لم نجد مرجعاً قديما مذكورا فيه أن الباز كان شعارا خاقانيا عاما أو شعار خاقان الغــزّ . ولم يذكر محمود الكاشغرى ولا غيره من القدماء شيئا من هذا ، ولم نجد أيضا سرجعاً قديما يقفنا على أن « الطغرا » كانت صورة طائر من الطير ، ولم نرفى نماذج الطغرا المنشورة فى دائرة المعارف الاسلامية ما يشبه الباز المبسوط الجناحين ولا غيره من ذوات الجناح . واذا راجعنا « ديوان لغات الترك » نجد هذين التعريفين للطغرا :

١ – تُغْراغْ = طابع الملك وتوقيعه . بالغزية ولا تعرفه الترك .

٢ – تُغْراغْ = كل فرس يعطى الملك جنده يوم الركوب أو الحرب ، ثم يسترد منه يوم الاقامة .

ولم يذكر الكاشغرى أن الباز كان شعارا أو علامة لخاقان الغز ، مع أنه ذكــر

علامات القبائل الغزية قبيلة فقبيلة ، وأولها قبيلة « قنق » التي كان منها « الخاقان » ؛ فهل يظن أنه كان يجهل ذلك ؟

نحن لا نرى وجهاً لذلك الظن أبدا .

والآن نسأل الذى نسب « الطغرا » الى الطير « طغرل » فنقول له : ان كان طابع الملك « تغراغ » قد أخذ اسمه من الطائر « طغرل » للمشابهة بينهما ، فهل كانت الخيل التي يعطيها الملك جنده يوم الركوب أو الحرب تشبه الطير المذكور ؟ الجواب نفى مؤكد .

فلا شك اذن فى أن تفسير العالمين الحديثين لا يستند الى شىء من الحقيقة . وعلينا الآن أن نبحث عن سبب تسمية طابع الملك وخيله المعارة باسم واحد هو « تغراغ » ؛ وخير دليل لنا فى بحثنا هذا هو المعنى الثانى لـ « تغراغ » الذى جاء فى « ديوان لغات الترك » .

يجب علينا أن نعلم فى بادىء الأمر أن الغين فى آخر « تُغْراغْ » ما هى الا غين النسبة فـ «تُغْراغْ» تساوى شيئا منسوبا الى « تُغْرا » ، وبالنسبة الى الخيل يعنى (العائدة الى تُغْرا) . ولما كانت الخيل «تُغْراغْ» عائدة الى الملك ، وجب أن يكون «تُغْرا» هو الملك نفسه . وكلمة «تُغْراغْ» يقابلها « بگلك » أى (أميرى) عند العثمانيين ، وهم كانوا يسمّون بها كل متاع يعود الى الدولة . و « بگلك » أى « أميرى » عند العثمانيين ما هو الا ترجمة « تُغْراغْ » . فلا شك حينئذ فى أن « تُغْرا » كان معناه (الملك » ، الأمير ، البگ) . وبعد أن توصلنا الى هذا لا نجد صعوبة فى أن نرى أن كلمة «تُغْرا» تلفظ آخر لكلمة « تورا » = (الامير ، النظام) . فاما أبدال الغين من الواو المضمومة فى « تورا » فانه من خصائص احدى اللهجات التركية التى استعملت «تُغْراغْ» بمعنى طابع الملك والامتعة والاموال الاميرية أول مرة ، ثم انتشر استعمالها وفشا بين الشعوب التركية بذينكم المعنيين ، وهذا هو السبب فى جهل محمود الكاشغرى لمعناها الأصلى .

ومن السهل علينا أيضا ان نعرف الآن لماذا سمى طابع الملك بـ «تُغْراغْ > طُغْرا» . ان طابع الملك كان يوضع فى صدر القوانين والأنظمة والفرامين لاشعار الناس بأن تلك القوانين والنظم والفرامين ملكيّة .

ويظهر أن طابع الملك في البداية لم يكن يسمّى «تُغْراغْ»، ولكن القوانين والنظم والفرامين المضاة بامضاء الملك كانت تسمى «تُغْراغْ» (الملكى، الأميرى، النظامى)، الا انه بعد ان نسى معنى «تُغْراغْ» الاصلى، اتخذ اسما للطابع الملكى. استعمل السلجوقيون، وهم من الغزّ كلمة «طُغرا» فى الشرق الأوسط، قبل العثمانيين واستمرّ العثمانيون خلفاء السلجوقيين على استدامة استعمالها الى آخر عهدهم.

وقد عرفت الطغرا على عهد السلجوقيين بأنها الطـرّة التى تكتب فى أعلى الكتب السلطانية بالقلم الغليظ فوق البسملة، ومضمونها نعوت السلطان أو الملك الذى صدر الكتاب عنه، واليها نسب الشاعر الكبير مؤيد الدين الطغرائى، وذكروا أنهـا لفظة أعجمية[1].

ونعود الى تفسير علماء الأتراك كلمة «طُغرا» ونسبتهم لها الى الطير «طُغرل»، فنقول ان الذى حملهم على ذلك الاشتقاق المتكلف هو اضمحلال المعنى القديم لهذا الاسم واستبهامه عليهم؛ فلما رغبوا فى أن لا يفوتهم قول فى اشتقاقه لاذوا بكلمة قريبة الشبه من «طغرا»، وهى اسم الطائر «طغرل»، ولكنهم سكتوا عن «اللام» التى فى آخره، وتركوه طائرا بلا ذنب.

وأرى من الطريف أن أنهى هذا البحث بنقل الخرافة التى كان يعتقد بها بعض المؤرخين العثمانيين عن أصل الطغرا ودلالة كل جزء من أجزائها، كما يرويها أحمد راسم بك فى كتابه «عثمانلى تاريخى»[2]، قال:

«ان المعاهدة التى عقدت مع جمهورية «راغوزه» كانت قد كتبت بصورة «فـرمان»، والسفراء الذين حضروا عقد المعاهدة طلبوا أن تكون معلمة بعلامة من السلطان نفسه، فغمس (السلطان مراد)[3] كفة فى الحبر وطبعها فى أعلى الفرمان. ولذلك قيل: ان الطغرا الاولى عند العثمانيين كان أصلها طبعة هذه الكف السلطانية.

ويذكر المؤرخون أن الثلاثة الخطوط العموديـة فى وسـط الطغرا هى ثلاث

(١) يراجع ابن خلكان فى وفيات الاعيان، «ترجمة الطغرائى».

(٢) أحمد راسم، «عثمانلى تاريخى» ج ١، الطبعة الثانية، استانبول ١٣٣٠ هـ.

(٣) السلطان مراد خداوندكار؛ عقدت معاهدة تجـارية مع جمهـورية راغوزه (٧٦٦/١٣٦٣).

الاصابع الوسط لكف السلطان ، وأن الخطين الممتدين من الجهة اليمنى للطغرا هما الابهام ، وأن الخطوط المنحنية في اليسار ، أو امتداد الميم في جملة « المظفر دائما » التي في الطغرا يقال انها الخنصر[١] . ولكن يظن أن الطغرا كانت مستعملة قبل العثمانيين ، بل قبل الاسلام بزمن طويل ، وقد روى أنها ضرب من الشعار .

وفي الطغرا يكتب اسم السلطان ، واسم أبيه ، وجملة « المظفر دائما » ، وكلمة « الغازي » . فان لم يكن السلطان غازيا ، نقشوا في موضعها زهرة . وحدث أنهم كتبوا في هذا الموضع اسما من الاسماء كما في طغرا (السلطان محمد الخامس) . .

الملحق - ١٧

قنطور ومقطور

ان عدة من مؤلفي التواريخ العثمانية القديمة يرجعون أصل الملوك العثمانيين الى « بني قطورا » الذين هم ، على زعمهم ، قد هاجروا في زمن « اسماعيل بن ابراهيم » الى خراسان ؛ وقد رووا حديثاً خاصاً بـ « بني قطورا » ينبيء بدوام حكم الملوك العثمانيين الى أبد الدهر .

ونسبت فئة أخرى من المؤرخين القدماء أصل أولئك الملوك الى « عيص بن اسحاق ابن ابراهيم » الذي رحل ، على زعمهم ، الى بلاد ما وراء النهر . وقالوا : « ان الجد الأعلى لسلاطين الدنيا هو « اسحاق بن ابراهيم » ، لأنه ولد له توأمان ، هما « عيص » و « يعقوب » . فتقدم « عيص » في الولادة ، لأنه كان حريصاً على الدنيا ، فأصبح جدا للملوك الدنيويين ؛ فأما « يعقوب » الذي سمي بهذا الاسم لتأخره في الولادة ، فلم يكن حريصاً على مجيئه الى الدنيا مثل اخيه ، فأصبح جدا للانبياء ، الملوك الروحانيين ؛ حتى ان جدود ملوك آل عثمان ايضا يتصلون بـ « عيص » ابتداء من « سليمان شاه » الى المرتبة الاثنين والاربعين »[٢] .

الا أن من هؤلاء المؤرخين من اعترض على ذينك الزعمين وقالوا « عيص بن اسحاق » نزح الى « بلاد كنعان » وهنالك عاش وولد ، وان اتصالهم بـ « اسماعيل بن

---

(١) يظهر أنها كانت الكف اليسرى .

(٢) مرىء التواريخ ، ص ٣٧٢ .

ابراهيم » أقرب الى الحقيقة .

ومع هذا يبدو أنه كان منذ القدم اسمان شائعان بين الأتراك وهما « قنطورا » و « مقطور » ، اذ جاء ذكرهما فى « كتاب البلدان » لابن الفقيه نقلا عن الرحالة تميم بن بحر المقطوعى ١٥٦/٨٢١[1] فقد جاء ما نصه : « لم يتزوج ابراهيم عليه السلام على سارة حتى ماتت فتزوج امرأة من العرب العاربة يقال لها « قنطورا بنت مقطور » وخرجوا سائرين حتى نزلوا موضع خراسان فتناسلوا هناك وقهروا بذلك الاسم (؟) جميع من ناوأهم ، فاتصل خبرهم بالخزر ، وهم من ولد يافث بن نوح ، فصاروا اليهم وحالفوهم وتزوجوا اليهم وأقام بعضهم عندهم فانصرف الباقون الى بلدهم[2] » .

على أننا لا نرى فى تلك المزاعم شيئا من الصواب ، لأن هذين الاسمين الواردين على بعض الروايات فى الحديث وفى الأخبار انما هما فى الحقيقة اسمان أحدهما وهو « قنطور » تلفظ لـ « خان ـ تور » الذى هو شكل معكوس لـ « تورخان » ، ومعناه (الخان النظام) أو (النظام الخان) . وقلب الخاء الى قاف أمر مألوف كما هو واضح فى تطور « خان ـ تون » الى « خاتون » ثم الى « قادين » .

ويظهر ان تميم بن بحر أو غيره قد سمع بـ « خان ـ تورا > قان تورا » بين الاسماء التركية ، وكان يعلم انه كان فى التوراة لابراهيم زوجة اسمها كتوره (قطورا) فربط هذا الاسم بذلك بعد أن حرف « قطورا » الى « قنطورا » توكيدا لمقصده . ومما يؤيد ظننا هذا أن الكاشغرى ١٠٧٣/٤٦٦ ، وهو المعروف بأنساب الأتراك ، لم يذكر « بنى قنطورا » أو « قطورا » بل قال : « ان الترك فى الاصل عشرون قبيلة يعتزون كلهم الى ترك بن يافث بن نوح النبى صلوات الله عليه ، وهم بمنزلة اولاد الروم بن عيصو ابن اسحق بن ابراهيم » . كما أن المؤرخ احمد مدحت افندى فى كتابه « تاريخ مفصل » (طبع استنبول فى بداية القرن الحالى) يقول استنادا الى المؤرخ « نشرى » ، انه لا يمكن أن يكون الأتراك من ذرية ابراهيم لأنهم غير ساميين ، وهم من بنى يافث بن نوح . ويستشهد أيضا بقول المؤرخ عالى چلبى وكتاب صحائف الاخبار وكتب اخرى . وأنا أضيف الى ما سبق أن رجع نسب الاتراك الى يافث بن نوح ما هو الا أمر قد تطلبته

---

(١) يراجع مقال منورسكى المعنون :
"Tamim ibn Bahr's journey to the Uyghurs"
Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol XII Part 2.
فى الصفحة ٣٠٣ حيث ثبت تاريخ رحلة تميم بن بحر المقطوعى .

(٢) يراجع المصدر السابق ص ٢٨٢ .

ايضا العادة القديمة المتحكمة .

والاسم الا خر وهو « مقطور » انما هو تصحيف اسم « بكتور » الذى ذكرناه وهو مساو لـ « بغ ـ تور » (بهادور) ومعناه (النظام البگ) ، وفى الآخير أصبح بمعنى (البطل) . وقد جاء فى شاهنامة الفردوسى اسم بطل تركى بصورة « مقاتوره » وقد قتله « بهرام چوبين » . وهذا « مقاتوره » هو « مقطور < بغ ـ تور » نفسه فى الاسماء التركية .

الملحق ـ ١٨

ما قاله الكتاب المسلمون القدماء فى اشتقاق اسم بغداد

لقد اختلف الكتاب العرب القدماء وكذلك الايرانيون فى أصل اسم بغداد وذهبوا فى تفسير تلك الكلمة مذاهب شتى ، ونستخلص للقارىء أهم التفاسير الواردة لذلك الاسم :

١ ـ انما سميت بغداد بلغة الفرس ، لأنه أهدى لكسرى خصى من المشرق فأقطعه بغداد ، وكان لهم صنم يعبدونه بالمشرق يقال له « البغ » فقال « بغ داد » يقول « أعطانى الصنم »[١]

٢ ـ « بغ » بالفارسية « صنم » ، و « داد » عطيته[٢].

٣ ـ « بغ » شيطان ، و « داد » عطيته[٣].

٤ ـ انه « عطية الصنم ، وربما قيل عطية الملك »[٤].

٥ ـ ان بغداد كانت قبل دولة بنى العباس سوقا يقصدها تجار اهل الصين بتجاراتهم فيربحون الربح الواسع ، وكان اسم ملك الصين « بغ » فكانوا اذا انصرفوا الى بلادهم قالوا « بغ داد » أى « ان هذا الربح الذى ربحناه من عطية الملك»[٥].

٦ ـ « بغ » اسم صنم لبعض الفرس يعبده ، و « داد » رجل[٦].

٧ ـ وبعض الأعاجم يزعم : ان تفسيره بالعربية « بستان رجل » ، فبغ « بستان » و « داد » رجل[٧].

٨ ـ سأل المنصور رجلا من الأولين هناك : « ما اسمك ؟ فقال : اسمى داذ »

(١) يراجع تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ١ ، ص ٥٨ طبعة مصر ١٩٣١ .
(٢) المرجع السابق ج١ ، ص ٥٩ .
(٣) المرجع السابق ج ١ ، ص ٥٩
(٤) المرجع السابق ج ١ ، ص ٥٩
(٥) معجم البلدان لياقوت الحموى مادة « بغداد »
(٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج١ ، ص ٦٠
(٧) المرجع السابق ج١ ، ص ٦٠

فقال له : وما يقال لهذا الموضع ؟ فقال : هذا باغ لى[١]. فقال : سموه « باغ لداذ » أى بستان لداذ فسميت بغداد .

٩ ـ بغداد اسم فارسى معرب عن باغ داذويه ؛ لأن بعض رقعة مدينة المنصور كان باغاً لرجل من الفرس اسمه داذويه[٢].

١٠ ـ وبعضها أثر مدينة دارسة كان بعض ملوك الفرس اختطّها فاعتلّ، فقالوا : ما الذى يأمر الملك أن تسمى به هذه المدينة ؟ فقال : هليدوه ورّوز[٣] أى خلوها بسلام، فحكى ذلك للمنصور ؟ فقال : سميتها مدينة السلام .

١١ ـ بغداد كلمة مركبة من « باغ » و « داد » ، فـ « باغ » (حديقة) و « داد » (العدل) ويكون تفسير بغداد (حديقة العدل) واصل التسمية انه كان فى عصر انو شروان فى أرض المدينة المذكورة حديقة غناء اعتاد أنو شروان ان يزورها مرة فى الاسبوع ، يقوم فيها بنشر العدل بين الناس فسميت المدينة التى شيدت على أرض تلك الحديقة « باغ ـ داد » ثم رققت تلك التسمية بمرور الزمن فأصبحت « بغداد »[٤].

١٢ ـ قال الجرجانى : « باغ بالفارسية هو البستان الكثير الشجر ، وداذ معطى ، فمعنى بغداد معطى البساتين .

توفيق وهبي

---

(١) المرجع السابق ج١ ، ص ٦٢

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموى مادة بغداد .

(٣) ان الكلمتين « هليدوه ورّوز » يبدو أن نساخ معجم البلدان القدماء حرفوهما عن اصلهما الفارسى ، وشكلهما الصحيح « هليدش بدرود » .

(٤) أخذنا هذا من ترجمة المعجم الفارسى « برهان قاطع » الى اللغة التركية للسيد أحمد عاصم أفندى العينتابى ج١ ، ص ٢٨٧ ـ ٨٨ طبع بمطبعة عامرة فى استنبول فى ١٩ رجب ١٢٨٧ . :

« بغداد الخط الثانى من الخطوط الموجودة فى « جام جمشيد » . وعدد تلك الخطوط سبعة وهى بالتسلسل ١ ـ جوربفتح الجيم وسكون الواو والراء ، (الخط الذى على أضبار الكأس) ، ٢ ـ بغداد ، ٣ ـ خط للبصرة ، ٤ ـ الخط الازرق ، أو الاسود ، او الاخضر أو الليل ، ٥ ـ خط اشك (الدمع) او خط الخطر ، ٦ ـ خط كاسه كر (الكواز) ، ٧ ـ خط فروردين الشمس فى برج الحمل » .

ويبدو ان « جام جمشيد » أى « كأس جمشيد » كـ « جام جهان نما » كان من قبيل تلفزيون الاساطير ، كانوا بالنظر اليه يرون حوادث العالم التى يرغبون فى استقصائها مهما بعدت . ونذكر فى هذا الصدد البيت الآتى لحافظ الشيرازى :

« آيينهٔ سكندر جام جمست ، بنكر ، تابرتو عرضه دارد أحوال ملك دارا » .
وترجمته : أن مرآة الاسكندر هى كأس جمشيد ، فانظر لكى تعرض عليك أحوال ملك دارا »

مدرسة القياس فى اللغة

من طبيعة الأشياء أن يكون فى كل جماعة للبحث ساروا شأوا ما من الرقى ، طائفة من المحافظين وطائفة من الأحرار .

فالمحافظون بطبيعتهم ميالون الى السير على القديم من غير تفكير فى تغييره ولا الخروج عنه ، ويدعوهم الى ذلك : اما خمودهم الذهنى وفقدان النشاط العقلى الذى يبعث على التفكير ويدعو الى التغيير ، واما حب السلامة وعدم تنغيص الحياة بما يستوجبه التجديد من الاضطراب والتعرض للنقد ، واما منفعتهم الشخصية من النظام القديم على وجه ما ، واما اخلاصهم للقديم واجلالهم له لما أسبغ عليه من تقديس .

والأحرار ميالون الى التجديد ، يدعوهم الى ذلك نشاط ذهنهم وما يرونه فى القديم من عيوب تدعوهم الى نقدها وتغييرها ، ولهم من الشجاعة والغيرة ما يحملهم على مقاومة القديم والدعوة الى الجديد .

هذا هو الشأن دائما فى تأريخ الحياة الانسانية . وقد كان هذا عند العرب ، كما كان عند غيرهم . فالدعوة الى الاسلام نفسه دعوة الى التجديد ، وكان فى الصحابة أنفسهم محافظون وأحرار ، قد يمثلهم جميعاً « عمر بن الخطاب » وابنه « عبدالله » .

وجد هؤلاء الأحرار والمحافظون فى الفقه ، فكان أهل الحديث الذين يقفون عند جمعه واستنباط الأحكام منه ، وأهل الرأى أى أهل القياس ، وهم الذين يقيسون ما لم يرد فيه نص على ما ورد فيه نص ، وهذا هو الشأن فى كل جماعة يشتغلون بعلم من العلوم : منهم من يقف على ما قرره العلماء ، ومنهم من يبتكر ويستنبط ويبين خطأ من قبله ويصححه .

وكذلك هو شأن اللغة ، حتى بين الأدباء : فمن الشعراء والأدباء من كان يلتزم ما ورد فى اللغة ولا يخرج عنه بحال من الأحوال ، ومنهم من كان يجيز لنفسه أن يجدد فيحكى عن « العجاج » وابنه « رؤبة » أنهما كانا يصوغان ألفاظا لم يسبقا اليها . ويروى عن « بشّار » أنه كان يقيس ما لم يرد على ما ورد ، فرأى العرب تصوغ (فعلى)

من الفعل للدلالة على السرعة ، فقالوا جمزى لسرعة السير ، فقاس عليها وقال :

والا ن أقصر عن « سميـة » باطلى وأشار بالوجلى على مشيـر

وقـال :

على الغزلى منى السلام ، فربما لهوت بها فى ظل مخضلة زهر

وعاب عليه المحافظون ذلك ، فقالوا : لم يسمع من العرب وجلى ولا غزلى .

وأنشد الخليل رجل : « ترافع العزّ بنا فارفنععا . » قال الخليل : فقلت : هذا لا يكون . فقال : كيف جاز « للعجاج » أن يقول : « تقاعس العز بنا فاقعنسسا » ؟

على كل حال ، بدأ العلماء يجمعون اللغة بألفاظها وأساليبها من أفواه العربْ ، وقد بذلوا فى ذلك جهدا مشكورا ، وتحملوا من العذاب ما لا يستطيعه الا أولو العزم ، وفضلوا أن يأخذوا عن العرب العرباء الـذين لم تفسدهـم الحضـارة ولا الاختلاط بالأعاجم ، وكان أصح من تؤخذ عنهم اللغة عندهم « قيس » و « تميم » و « أسد » ، ثم « هذيل » وبعض « كنانة » وبعض « الطائيين » ، ولم يأخذوا عن غيرهم من سائر قبائلهم ، كما لم يأخذوا عن حضرى ، ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم .

ولكن يؤخذ عليهم أنهم ساروا فى الجمع حيثما اتفق فلم يفردوا كل قبيلة بما أخذ عنها . ولو فعلوا ذلك ، لأفادونا فائدة كبيرة . ورأيى أن كثيرا من الاضطراب فى اللغة كالذى نراه فى أوزان جموع التكسير المختلفة ، وجمع الكلمة على أشكال عدة مثل جموع ناقة وعبد ، سببه اختلاف لغات القبائل ، وأن كل لغة كان لها موازينهـا القياسية المطردة غالبا ، وكذلك اختلاف أوزان الأفعال الثلاثية : كثير منها كان سببه هذا ، وكذلك تعدد المصادر للفعل الواحد ، ففعل لقى مثلا له أكثر من عشرة مصادر ، وما أظن أن قوماً عقلاء يجعلون للغتهم مصادر أكثر من عشرة لكلمة واحدة . وهذا ما جعل اللغة العربية تنوء بالمترادفات ، فلو أن جامعى اللغة جمعوها على نمط منظـم ، لأفردوا كل لغة بمجموعة ، وكان هذا يفيدنا كثيرا فى تنظيم لغتنا وحذف ما يحذف واثبات ما يثبت .

ويؤخذ عليهم أيضا أنهم لم يفرقوا فى جمعهم بين اختلاف الكلمات الواحدة من حيث مادتها ، والكلمات المختلفة بحسب اللهجات . فقد تكون الكلمة واحدة فى الأصل، ولكن اختلفت لهجات القبائل فى وضع حرف مكان حرف ، أو تقديم حرف وتأخيره ، مثل أن تقول قبيلة : نكف عن الشىء ، وقبيلة كنف . ومثل عاث يعيث ، وعثا يعثو ،

والشيء الشائع والشيء الشاعي ، وبضا بالمكان وباض أي أقام . ومثل كدر وكدل وكدن ، الى كثير من أمثال ذلك . والمعجمات مملوءة منها وبتعدادها ، مع أن الواضح فيها أن أصل المادة شيء واحد ، واختلفت فيها اللهجات . فلما جاء أصحاب المعجمات ، جمعوا هذا كيفما اتفق أيضاً . وكان الواجب أن يكون بعد هذا الجمع الترتيب والتبويب والغربلة والدراسة كما هو الشأن في كل علم تجمع مادته الخاصة حيثما اتفق ، ثم تبحث وترتب بحسب ما يدل عليه العلم . فمثلا ، جمع المشتغلون بالحيوان أصناف حيوانات البحر ، وسموها سمكاً ، اعتمادا على سكنى الماء وتماثل الصورة ، وجعلوا صنفاً يسمى الوهيل من السمك لهذه الشواهد الظاهرية . فلما عني علماء الحيوان بالبحث ، وجدوه من ذوات الثدي ، فألحقوه بالخيل والبقر ، وأخرجوه من دائرة الأسماك .

وعد الأقدمون الأجرام السماوية من ذوات النفوس لما شاهدوا في حياتهم الأرضية من أن المتحرك من غير محرك محسوس لا يكون الا ذا نفس وارادة ، فجعلوا للنجوم نفوساً وارادات ، وعدّوها أرقى من الانسان ؛ لأنها في السماء ، وهم في الأرض. فلما كشف عن قانون الجذب ، وتقدم العلم ، تبين أنها ليست بذات أنفس وارادات ، وانما هي مادة جامدة كالأرض . والأمثلة كثيرة .

وقد قصر أصحاب المعجمات في بحثهم المستقصى على النمط العلمي .

وكان هذا الجمع هو المادة « الخام » أعنى المادة الساذجة للغويين والنحويين . فأما النحويون والصرفيون ، فقد برعوا في القياس الى أقصى حد ، فكل علمهم قياس – نظروا الى الأعم الأغلب ، فجعلوه قاعدة ، وجعلوا ما جاء على خلافها شاذا لا يصح الاتيان بمثله . فالعرب لم تلتزم مثلا نصب اسم ان ، ولا رفع خبرها ، ولا عطف المرفوع على المرفوع والمنصوب على المنصوب ، وهكذا . بل ورد في القرآن رفع اسم ان في قوله تعالى : « انّ هذان لساحران » . وجاء فيه : « والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة . » وقوله « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى . » فقعّدوا قواعدهم على الكثير الغالب . وكذلك الصرفيون في قواعد الاعلال والابدال ، واشتقاق صيغ اسم الفاعل والمفعول ، والزمان والمكان ... الخ ... فضبطوا بذلك اللغة في اختصاصهم ، وكل هذا عن طريق القياس .

أما اللغويون ، فسادت عليهم المحافظة ، وقلت فيهم الحرية . وليس الاختلاف في أن اللغة توقيفية أو غير توقيفية الا مظهرا من مظاهر المحافظة والحرية . فمن قال انها توقيفية ، أو بعبارة أخرى من وضع الله ، أسبغ عليها حلة من التقديس ، والتزمها من

غير تصرف فيها . ومن قال : انها غير توقيفية ، أو بعبارة أخرى من وضع البشر ، كان أكثر حرية فى التصرف فيها .

على كل حال نرى كثيرا من اللغويين وقفوا عند ما ورد ، وكانوا محافظين ، ومن هؤلاء جامعو اللغة « كالأصمعى » و « ابن الأعرابى » و « أبى زيد » ، فلم يكونوا يستبيحون لأنفسهم أن يقولوا كلمة ، أو يشتقوا اشتقاقا الا عن سماع ، ومن هؤلاء أيضا أصحاب المعجمات « كالجوهرى » و « ابن منظور » و « الفيروز ابادى » ، فلم يقيسوا على ما رووا ، وان اختلف بعضهم عن بعض ففى زيادة الكمية المروية أو نقصها ، وكثرة الاستشهاد وقلته ، وذكر أسماء البلاد والأعلام أو تركه ، ونحو ذلك . .

وبجانب ذلك قلة من القياسيين ، أو بعبارة أخرى مدرسة القياس ، وربما كان من أعلام هذه المدرسة « أبو على الفارسى » وتلميذه « ابن جنى » .

فأما « أبو على الفارسى » ، ففارسى الأب عربى الأم ، مات ببغداد سنة ٣٧٧ فى أيام الطائع لله ، عن نيف وتسعين سنة . طوف كثيرا فى بلاد الشام ، وأقام بحلب مدة ، وخدم « سيف الدولة ابن حمدان » ، ثم رجع الى بغداد ، وخدم عضد الدولة ، وبقى بها الى أن مات . وقد كان معاصرا « لأبى سعيد السيرافى » ، وكان « أبو سعيد » هذا أكثر من « الفارسى » رواية ، وكان « الفارسى » أكثر منه قياساً ، حتى لقد قال أبو على الفارسى : « لأن أخطىء فى خمسين مسألة مما بابه الرواية ، أحب الى من أن أخطىء فى مسألة واحدة قياسية » ، وقد قال فيه بعض تلاميذه : « أحسب أن « أبا على » قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا » . وما العلل الا مقدمة القياس .

وكان يقول : « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . فاذا عربت لفظة أعجمية ، أجريت عليها أحكام الاعراب ، وعددتها من كلام العرب ، وأجيز الاشتقاق منها ، كما عرب العرب لفظة الدرهم واشتقوا منه درهمت الخبازى ، أى صارت كالدراهم ، وقالوا : رجل مدرهم ، أى كثرت دراهمه » .

وكان يقول : « لو شاء شاعر أو ساجع أو متسع أن يبنى بالحاق لام الكلمة اسماً وفعلا وصفة ، لجاز له ، ولكان ذلك من كلام العرب . وذلك نحو قولك : خرجج أكرم من دخلل ، وضربب زيد عمرا ، ومررت برجل ضربب وكرمم ، ونحو ذلك . فقال له تلميذه « ابن جنى » : « أفترتجل اللغة ارتجالا ؟ » قال : « ليس بارتجال ، لكنه مقيس على كلامهم ، فهو اذن من كلامهم » . ثم قال : « ألا ترى أنك تقول : طاب الخشكنان ؟ فتجعله من كلام العرب ، وان لم تكن العرب تكلمت به هكذا » . قال : « فرفعك اياه

كرفعها ما صار لذلك محمولا على كلامها ، ومنسوبا الى لغتها » .

وكان جريئاً الى حد لم نصل اليه الى اليوم ، فكان من رأيه أن الألف اللينة فى الكلمة الثلاثية تكتب ألفا مطلقا سواء أكان أصلها واوا أم كان ياء ، وقد علل ذلك بحمل الخط على اللفظ .

وأما « ابن جنى » ، فهو من أب رومى ، وكان من أمهر العلماء فى التصريف . مات فى سنة ٣٩٢ فى خلافة القادر . اجتمع هو و « المتنبى » فى بلاط « سيف الدولة» . وكان « المتنبى » يقول فيه : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس » . وكتابه «الخصائص» نحا فيه منحى جديدا طريفاً يدل على تذوقه للغة ، وتعمقه فى فهم أسرارها ومحاولة فلسفتها . وقد صحب « أبا على الفارسى » أستاذه أربعين سنة ، واستوعب علمه ، وزاده تفصيلا وتعليلا واستدلالا . وقد رأى الفقهاء وضعوا للفقه أصولا ، والمتكلمين وضعوا للعقائد أصولا ، فأراد أن يضع للغة والنحو كذلك أصولا ، فكان بذلك واضع علم جديد يقول فيه : « انه من أشرف ما صنف فيه من علم العرب ، وأذهبه فى طريق القياس والنظر ، وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الاتقان والصنعة » . ووصف ما كان يعانى فى ذلك الباب من انعام النظر وطول التفكير ومقابلة الأشباه بالأشباه وموازنة النظائر بالنظائر ، فكان له من ذلك كله كشف كثير من حقائق اللغة ، وسر الوضع ، ورسم مناهج القياس .

وكان له فضل كبير فى ما سمى (بالاشتقاق الكبير) ، وهو الذى سماه بهذا الاسم . وقد تنبه اليه أستاذه « أبو على الفارسى » . قال « ابن جنى » : « ان «أبا على» ــ رحمه الله ــ كان يستعين به ويخلد اليه ، لكنه مع ذلك لم يسمه ، وانما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح اليه » . فجاء « ابن جنى » فوسعه ونماه وسماه ، وسمى الاشتقاق المعروف فى أيدى الناس (بالاشتقاق الصغير) كأن نشتق من كتب : يكتب واكتب وكاتب ومكتوب ومكتب وكتاب ... الخ ... أما الاشتقاق الكبير ، فيعنون به حصر أصول الكلمة وتقليبها على وجوهها المختلفة ، وأن تستخرج منها التباديل والتوافيق وتقرن بينها ، كأن تأخذ كلمة كلم وتحولها الى : ك م ل ، م ك ل ، م ل ك ، ل ك م ، ل م ك، وتنعم النظر فيها لتنظر : هل تدل هذه الحروف ، اذا جمعت كلها على نحو ما ، على شىء واحد يتنوع بتنوع تركيبها ؟ فتستخرج مثلا أن هذه الحروف الثلاثة اذا اجتمعت دلت على القوة ، وتستخرج معنى القوة من كل ما دلت عليه فى أشكالها المختلفة . وهذا باب عظيم من أبواب أصول اللغة فاق فيه « ابن جنى » .

ومما يؤسف عليه أن مدرسة القياس هذه لم تستمر على سيرها حتى تؤتي ثمارها فان النكبة التي أصيب بها المعتزلة نكبة أصيب بها العلم العربى كله . فقد كانت الحرب بين المعتزلة والمحدثين حرباً أيضا بين منهجين للعلم : منهج تحكيم العقل مع المحافظة على أصل الدين ـ وهو الذى دعا اليه المعتزلة ـ وهو منهج البحث والتجربة والاستدلال العقلي والشك والقياس وما الى ذلك ، كما يظهر فى منهج « النظام » و « الجاحظ » وأشباههما . ومنهج الذين يقتصرون على الرواية والجمع والجرح والتعديل وما الى ذلك، وهو منهج المحدثين . فلما نصر « المتوكل » المحدثين ، ونكل بالمعتزلة ، شاعت طريقة المحدثين المؤسسة على الرواية ، وضعفت طريقة المعتزلة المؤسسة على العقل والقياس ، وأثر ذلك فى وقوف جميع العلوم ومنها اللغة !

وقد كان للمعتزلة أثر كبير فى القياس اللغوى ، يظهر فى قولهم بأن اللغة اصطلاحية من وضع البشر ، لا توقيفية ، كما يظهر فى تحرر « الجاحظ » وأمثاله من المعتزلة فى تشقيقهم الكلام واستعمالهم للمولد من الألفاظ والأعجمى فيها ، وكما يظهر أيضا فى أن زعيمى مدرسة القياس وهما « أبو على الفارسى » و « ابن جنى » كانا من المعتزلة ، وكما يظهر فى البحوث اللغوية الطريفة التى حققها « الزمخشرى » فى كتبه وتفريقه بين دلالة الألفاظ عن طريق الحقيقة ، ودلالتها عن طريق المجاز ، وهو معتزلى أيضا ـ فلما ذهبت دولتهم ، غلبت دولة المحافظين فى اللغة ، كما هو الشأن فى كل علم . فان قلت : ان العلم العربى وقف عند نكبة المعتزلة أو بعدهم بقليل ـ لأن أثرهم لم يمح مرة واحدة ، بل ظل قرناً أو أكثر يعمل بحكم دفعتهم القوية ـ وان العلم أصبح فى الأعم الأغلب جمعا ورواية ، وتأليفا لمفترق ، وتفريقا لمجتمع من غير نظر عقلى قوى ولا ابتكار ، لم تكن بعيدا عن الصواب .

ونحن اذا أيدنا القول بالقياس فى اللغة ، ودعونا اليه ، فما الذى نريده ؟ وما الذى نستفيد منه فى مثل موقفنا ؟

يمكننا أن نستفيد من القول بالقياس فى اللغة فوائد كثيرة ، من أهمها فى نظرنا :

(١) أننا نجد كتب اللغة كثيرا ما تذكر المصادر ولا تذكر أفعالها ، أو العكس ، أى يذكر الفعل ولا يذكر مصدره ، أو يذكر الفعل ولا يذكر من أى باب هو ، فالقول بالقياس يمكننا من تكميل هذا النقص بحمل المجهول على المعلوم . فمتى رأيناهم يكثرون من المصادر على وزن خاص اذا كان فعله على وزن خاص فى الأعم الأغلب ، أمكننا أن نقيس ما لم يذكروا على ما ذكروا ، وأن نعده من كلام العرب ، وهكذا . وهذا الباب يكمل نقصاً كبيرا فى المعجمات .

(٢) أننا اذا وجدناهم يشتقون وزناً خاصاً ، ويستعملونه للدلالة على شيء خاص ، أمكننا أن نقيس عليه ما لم يذكروا . فاذا وجدناهم مثلا يصوغون (فعّالا) للدلالة على محترف الحرفة أو المهنة ، كنجّار وحدّاد وقفال ، أمكننا أن نقيس عليه من أسماء أصحاب المهن والحرف ما لم يذكروه .

(٣) الاعتراف بالدخيل ، وعدّه عربياً ، وادخاله في معجماتنا ما دام يجري على الصيغ العربية ، ويسير على نمط العرب في وضعهم أو اشتقاقهم ، مثل كلمة (الوزائع) ، وقد استعملها « ابن خلدون » بمعنى الضرائب التي يوزعها الحاكم على الرعية ، ومثل : (تندّر) اذا جاء بالنادرة ، و (تنادر به وعليه) اذا جعله موضع نادرته ، وقد استعملها صاحب الأغاني ، ومثل (المقيدة) وهي الدفتر الذي يكتب فيه الرجل ما يمر به تذكرة لنفسه ، ومثل (تفرج) بمعنى اطلع على الشيء ليتسلى به ، ومثل مئات الكلمات التي استعملت في العصور المختلفة للدلالة على معان جديدة من مثل ما أثبته « دوزى » في معجمه . فما بالنا لا نثبته في معجماتنا قياسا على ما فعل العرب ؟

(٤) أننا نجد العرب أحياناً يلحظون في الشيء معنى من المعاني ، فيسمونه باسم مشتق من الكلمة التي تدل عليه . فقد سموا القارورة قارورة ؛ لأنهم لحظوا أن الشيء يقر فيها ، وسموا الدار دارا ؛ لأنها يكثر فيها الدوران . فلماذا لا نستعمل هذا الباب فيما يشبهه من كثير من ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية الكثيرة التي نقف لديها حائرين ؟ ولم لا نشتق من الكلمات العربية كلمات تدل عليها ملاحظين ما نلمحه من معنى فيها ؟

(٥) وهناك باب أخطر من ذلك وأجرأ ، وهو أن نتفهم في عمق وأناة كيف وضع العرب لغتهم ؟ فنرى مثلا أن العرب كان لها ذوق مرهف في وضع الكلمات استنادا الى محاكاة الأصوات تارة بتقليد الأصوات ، كما سموا صوت الماء خريرا ، وصوت الحجر صكا ، وصوت الريح هبوبا ، والضفدع نقيقا ، واللبن درا ، والمريض أنيناً الخ ... محاكاة للأصوات التي يسمعونها ، أو يتخيلونها من صوت هذه الأشياء . ثم صاغوا من هذه الأسماء أفعالا ، ثم توسعوا في الاشتقاق منها للدلالة على ما يشبهها وما يقرب منها . فاللغة عند حدوثها الأول كانت أصواتا يحدثها المتكلم حاكياً للأصوات المسموعة ، ثم صارت تلك الأصوات المحكية علامة لما لا يسمع بالأذن ، بل يبصر بالعين ، أو يلمس باليد ، أو يشم بالأنف ، أو يعقل بالعقل ، شأنها في ذلك شأن الخط ، كان عند حدوثه تصويرا للمجسمات ، فالباء للبيت ، والعين للعين ، ثم صارت علامة للأصوات المسموعة. ولكن يكون صوت الحاكي ، في العادة ، أقصر من المحكي ، فيكتفي في الحكاية بالرمز

فأما فى النحت والتصوير ، فتكون الحكاية كاملة .

والأمر فى دلالة الكلمات على الأصوات أدق مما يتصور ، وكثيرا ما تعتمد الكلمة فى حكاية الصوت على حرف يدل عليه وتكمل بقية الحروف لخدمته . فحرف السين أساسى فى كلمة التنفس والحس واللمس ؛ لأنه يتخيل فى مدلولها صوت السين عند الاحتكاك ، وحرف الراء هو الأساسى فى البحر والنشر والنجر والنحر والبذر والفر؛ لأنه يتخيل فى هذه الأشياء كلها صوت الراء ، وحرف النون هو الأساسى فى الطن والرن والغن ، وحرف القاف فى الدق والشق والطرق ، وهكذا .

وعند تحرى هذا الباب نراهم يحاكون أولا صوت المسموع بالأذن ، ثم ينقلونه الى المبصر بالعين ، ثم ينقلونه الى المحسوس بباقى الحواس الخارجية ، ثم الى المعقول بالعقل . فان نظرنا مثلا الى كلمة حس ، وتتبعناها ، وجدنا أن المصدر الأصلى لحس كان صوتا سينيا تخيلوا أنه يسمع عند الحس ، أى عند المس باليد ، ثم انتقلوا من الاحساس باليد الى الاحساس بغيرها ، فسموا كل ما يشعر به محسوسا ، وسموا الآلات التى يحس بها حواس ، ثم أطلقوها على العلم الحادث من الحواس وعلى اليقين الحاصل من العلم بها ، واشتقوا أحسّ بالشىء اذا أدركه بحاسته ، ونقلوه الى أحسست بالشىء أى أيقنت به ، فان تتبعت المادة وجدتها كلها من هذا القبيل متدرجة على نحو طريف. ثم نوعوا هذا الصوت السينى فجعلوه مرة حساً ، ومرة لمسا ، ومرة مساً ... ولو تقصينا هذا الباب على هذا النمط ، لأفادنا فائدة كبيرة ، ولدلنا على أن مصادر اللغة التى تحاكى الأصوات فى منبعها الأول كانت مصادر محصورة تعد بالعشرات . فان توسعنا قليلا ، قلنا بالمئات ، ثم تضخمت هذه المصادر بالاشتقاق الصغير والاشتقاق الكبير على مدى الأزمان ، وعلى حسب ما يجد من المعانى وما يقرب من المصادر الأصلية ، وهو باب يفيدنا عندما يفسر أصحاب المعجمات أو المفسرون للقرآن والحديث والنصوص الأدبية اللفظ بتفسيرات مختلفة ، فنستطيع به أن نرجح قولا على قول ، ورأيا على رأى، كما نستفيد منه الاستكشاف عن طائفة من الأغلاط التى وردت فى كتب اللغة ، ومنشؤها خطأ فى النقل ، أو تصحيف فى الكتابة ، أو نقل عن ألثغ ، أو نحو ذلك . وهذا باب عظيم ، يحتاج الكلام فيه الى أكثر من محاضرة . واذا كان «ابن جنى» قد سمى ما كشف عنه « الاشتقاق الكبير » فانه يصح أن نسمى هذا الضرب الاشتقاق الأكبر .

وتارة كانوا يلحظون ما بين الحرف والمعنى من مناسبة ، فيلحظون فى الحاء اذا أتت فى آخر الكلمة دلالة على الاتساع والانتشار ، مثل : ساح وباح وصاح وشرخ ومرح.

والكلمة المبدوءة بالشين على التشتت والتفرق ، مثل : شتت وشطر وشعث وشع الخ ٠٠٠ والكلمات المبدوءة بالغين على الغموض ، مثل : غمض وغابت الشمس وغبش الليل وغار الماء وغطى الشيء الخ ٠٠٠ وقد فطن جماعة من كبار اللغويين الى هذا الأمر ، ونبهوا عليه كما فعل « الزمخشري » كثيرا في تفسيره ٠

وهذا الأمر وان لم يصرح العرب به ، فقد كان مركوزا في طبيعتهم ، مندسا في أذواقهم ، يعتمدون عليه في وضع الكلمات والاشتقاق منها ٠ فمن بلغ من قوة الحس مبلغهم ومن قوة الملاحظة قوتهم ، كان له بمقتضى القياس مثل مالهم ٠

ولكن من الذي يجوز له هذا ؟ اننا اذا قلنا بجوازه لكل فرد ، كان الأمر فوضى ، وتعرضت اللغة للاضطراب ، ولكنا نقول كما قال الفقهاء ، ونحذو حذوهم ، ففي عصورهم الزاهية كان الاجتهاد ، وكان البحث في المجتهد والقول في شروطه ، وحصروا قياس الأحكام وتقويم العدالة وصحة الحكم في يد المجتهدين ، وشرطوا للمجتهد شروطا تتلخص في أن يكون محيطا بمدارك الشرع ، متمكناً من وسائل النظر فيها والاستنباط منها وعلى الجملة يكون زيادة على مواهبه الذهنية مثقفا ثقافة شرعية وما يلزمها من ثقافة لغوية ونحوية الخ ٠٠٠ وعلى هذا القياس يجب أن نقول في المجتهد اللغوي ٠ فلابد أن يكون مثقفاً ثقافة لغوية وأدبية واسعة ، متمكنا من النحو والصرف ؟ لأنهما وسائل من وسائل اتقان اللغة ٠ وفوق ذلك أن يكون له ذوق قد أرهف بكثرة القراءة اللغوية والأدبية ، ومعرفة بسر الوضع على النحو الذي أبنّا ، حتى يستطيع أن يدرك بحسه الذي كونته الثقافة وعلمه العميق الجيد من الرديء ، وما يصح وما لا يصح ، ونحوذلك ٠ كما يستطيع بهذه المؤهلات كلها أن يتخير اللفظ المناسب للمعنى المناسب اما بوضع جديد ، واما باشتقاق من لفظ قديم ، فاذا بلغ هذا المبلغ كان له الاجتهاد اللغوي كما كان لنظيره الاجتهاد الفقهي ٠

وكما أن للهيئات القضائية مركزا مهما يستند اليه فيما يصدر عنه من أحكام ، ويستأنس بما وصل اليه في القضايا المعروضة من اجتهاد ، فكذلك يجب أن يكون الشأن في اللغة — في الاجتهاد وشروط المجتهد والجمعيات اللغوية التي تتمثل في المجامع وأشباهها ٠ لا يمكن أن تحيا أمة حياة صحيحة الا بالاجتهاد — الاجتهاد في التشريع والاجتهاد في كل علم من العلوم والاجتهاد في اللغة — ودعامة الاجتهاد التي يرتكز عليها هو القياس ، والله الموفق ٠

(القاهرة) أحمد أمين

رسائل فى الموسيقى

(١)

من الرسائل المخطوطة التى تمكن « المجمع العلمى العراقى » من الظفر بصورة فوتغرافية لها رسالة النغم ليحيى بن على بن يحيى المنجم المعروف بالنديم المتوفى سنة ٣٠٠ للهجرة ، وهى ضمن مجموعة رسائل موسيقية كتبت وجمعت لأحد أمراء الهند وهو شاه قباد بن عبدالجليل الحارثىالبدخشى المعروف بديانت خان المتوفى سنة ١٠٨٣ للهجرة. وقد نسخت بين سنتى ١٠٧٣ – ١٠٧٥ للهجرة (١٦٦٢ – ١٦٦٤ م) بمدينة « شاهجهان آباد » « دلهى » . وهذه المجموعة هى الآن فى المتحف البريطانى برقم (٨٢٣ موسيقى) (Music 823)، فى ملحق فهارس المخطوطات العربيـة فى المتحف البريطـانى ، تنظيم « شارلس ريو » "Charles Rieu" [١] وترتيبه وشرحه .

وتحتوى هذه المجموعة الموسيقية على الرسائل الآتية :

١ – رسالة فارسية فى آراء الفقهاء والمتصوفة فى سماع الموسيقى . لمحمد بن جلال رضوى ، عملها سنة ١٠٢٨ للهجرة .

٢ – رسالة فارسية فى جواز « السماع » لعبد الجليل بن عبدالرحمن مقدمة لنوآب مسيح الزمان .

٣ – رسالة فى (١٥) فصلا ، اسمها « الأدوار فى الموسيقى » لم يذكر عليها اسم مؤلفها . وقد دعيت فى الفهارس الأخرى « بكتـاب الأدوار » . ودعـاهـا بروكلمن "Brockelmann" بـ « كتاب الأدوار والايقاع »[٢].

---

(١) Supplement to the catalogue of the Arabic manuscripts in the British museum by Charles Rieu. London 1849. p 558.

(٢) Brockelmann Suppl, Bd, 1. p 907. Arabic Catalogue. p, 746 b,

رسالة الأدوار . كشف الظنون ٣ – ٣٦٣ .

وهي لصفي الدين أبي المفاخر عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الأرموي البغدادي المتوفى سنة ٦٩٣ للهجرة . كان خازن كتب أمير المؤمنين المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس ، وكاتبا في « ديوان الانشاء » في وزارة شمس الدين محمد بن محمد الجويني وزير « هولاكو » ومربيا لأبناء هذا الوزير . وصفي الدين الأرموي عالم من علماء الموسيقى ، وله مؤلفات أخرى في الموسيقى ، منها : «الرسالة الشرفية في النسب التأليفية» أو كتاب الموسيقى ، وقد وضعها « لشرف الدين هارون » ابن الوزير شمس الدين الجويني المذكور ، وكتاب «في علوم العروض والقوافي والبديع » و « كتاب الكافي من الشافي » . ومن هذه المؤلفات نسخ في مختلف خزائن الكتب ، ذكر أسماءها « بروكلمن » في كتابه « تاريخ الآداب العربية »[١] . وبحث عنها عدد من المستشرقين المعنيين بتاريخ الموسيقى عند العرب ، مثل « فارمر »[٢] ، « والبارون دير لنكر » الذي نشر ترجمة طائفة من الكتب الموسيقية العربية ، منها « الرسالة الشرفية » و « كتاب الأدوار »[٣] ، و « كارادي فو » "Carra de Vaux"[٤] .

٤ ـ رسالة اسمها « شرح الأدوار » وهي في شرح الرسالة المتقدم ذكرها ، لم يذكر فيها اسم مؤلفها .

٥ ـ رسالة في شرح كتاب الأدوار كتب عليها « شرح مولانا مباركشاه برأدوار » وهي مقدمة لجلال الدين أبي الفوارس شاه شجاع الذي حكم من سنة ٧٦٠ الى سنة ٧٨٦ للهجرة .

٦ ـ رسالة في شرح « رسالة الأدوار » لفخر الملة والدين الخجندي محمد بن محمد أبي نصر الخجندي ، وهو صاحب مؤلفات في الطب والموسيقى ، كتبت سنة ١٠٧٥ للهجرة . اظن انها « رسالة في نسبة التأليف » وتوجد منها نسخة في خزانة كتب

---

(١) Brockelmann. Suppl. Bd, 1. p, 906. حبيب السير ٣ ـ ١٦ .

(٢) الرسالة الشرفية ، فينا ، رقم ١٥١٥ . Bodleian. Catalogue. 601.
Kiesewetter. Die musik der Araber, p. IX. Paris. Catalogue. no. 2479.
Vienna Catalogue. No. 1516.
H. G. Farmer, The arabic musical manuscripts in the Bodleian Library, JRAS. 1925. 639/54. A History of Arabian music to the XIIIth Century, London. 1929.

(٣) Baron Rodolphe D'Erlanger. La musique Arabe. Tome Troisieme. Safiyu-D-Din Al-urmawi, Paris 1938.

Carra de vaux. in Journal Asiatique. 1891. II. pp, 279-355.

رامبور ١ ـ ٤١٤ .

٧ ـ رسالة فارسية فى الموسيقى اسمها « موسيقى حكمت علائى » ، وقد كتب عليها فى موضع آخر « موسيقى كتاب دانش نامه ئى علائى » . وهى جزء من كتاب ناقص للحكيم ابن سينا أتمه بعده تلميذه أبو عبيد الجوزجانى[١] .

٨ ـ رسالة يعقوب بن اسحاق الكندى فى خبر تأليف الألحان[٢] (رسالة فى خبر تأليف الألحان) ويظن (ريو) أنها رسالة الكندى التى سماها ابن النديم « رسالة فى خبر صناعة التأليف » . وأظن أنها الرسالة التى طبعت فى مدينة (لايبزك) بألمانية عام ١٩٣١ ، وطبعها وشرحها « لخمن » "Lachmann" و « محمود الحفنى » بعنوان « رسالة فى خبر تأليف الألحان » ، وقد ذكرها « بروكلمن » فى ملحقه ١/٣٧٤[٣] .

٩ ـ مؤلف فى الموسيقى لم يذكر اسمه ولا اسم مؤلفه ، قدم الى السلطان محمود ابن مراد العثمانى (٨٤٧ ـ ٨٤٩) هـ ، وقد ضمن اقتباسات من كتب قديمة مثل كتاب الشفاء لابن سينا ، والأدوار ، والشرفية للأرموى ، وكتاب «مقاصد الألحان» للخواجه عبد القادر بن غيبى الحافظ المراغى[٤] .

١٠ ـ كتاب الكافى فى الموسيقى ، وهو لأبى منصور الحسين بن محمد بن عمر ابن زيلة المتوفى سنة ٤٤٠ للهجرة . ويتألف من فصول ثلاثة : النغم ، والايقاع ، وتأليف اللحون[٥] . وهو شارح « رسالة حى بن يقظان » ، وله مختصر لكتاب الشفاء وتعاليق عن شيخه ابن سينا (ابن أبى أصيبعة ج ٢ ص ١٩) . ومنه نسخة فى خزانة رامبور

---

(١) « دانش نامه ئى علائى » ، « حكمتى علائى » .
Brockelmann. Suppl. Bd, 1. S, 821. Leiden 1780. 1. Br. Mus.
Brockelmann, Suppl. Bd, 1. p, 374. Casiri, vol, 1. p. 358.

(٢) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ١ ـ ٢١٠ . الفهرست ص ٣٥٩ .
Bodl. 1. 980. Ind. off. 1079. Teh. 2. 123. Asaf. 1. 334
ومواضع أخرى ذكر أسماءها بروكلمن . ترجمته فى تاريخ الحكماء للبيهقى « ص ١٠٠ » وترجمة الجوزجانى فى « نزهة الارواح ، وروضة الأفراح » لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزورى الذى يحققه الآن الأستاذ محمد بهجة الأثرى نائب رئيس المجمع العلمى العراقى الثانى ويتولى المجمع نشره قريبا .

(٣) Br. Mus. Suppl. 823. VIII. R. Lachmann. and mahmud al-Hifni. Leipzig. 1931.

(٤) كشف الظنون ج٢ ص ١٩٠٣ (طبعة استانبول) .

(٥) Zeitschrift für die kunde des morgenlandes vol. V. S. 149

بالهنـد[١] .

١١ ـ رسالة يحيى بن على بن يحيى المنجم ، وهى الرسالة التى نصفها ، وهى تكملة لرسالة وضعها المؤلف قبل هذا فى « المغنى وما يجب أن يكون عليه » . فأما هذه الرسالة فتبحث عن « أمر النغم ، وعددها ، وما يأتلف منها ويختلف ، ومواقع اصبع اصبع من وتر وتر ، وموضع كل نغمة من كل دستان » .

١٢ ـ جزء من « كتاب المدخل فى الموسيقى لأبى نصر الفارابى » ، وقد بحث عنه جماعة من المستشرقين مثل « كوسكارتن » ''Kosegarten''[٢] و « همر » ''Hammer'' وغيرهما .

١٣ ـ رسالة بالفارسية بعنوان « كشف الأوتار » لقاسم بن دوست على البخارى مقدمة الى الانبراطور « جلال الدين أكبر » .

١٤ ـ رسالة بالفارسية اسمها « رسالة كنز التحف درموسيقى » ، لم يذكر فيها اسم مؤلفها ، تتألف من مقدمة وأربع مقالات . وعليها أبيات مقدمة الى السيد غياث الدولة والدين الحسينى ، ويظهر أنها ألفت سنة ٧٤٦ للهجرة .

(٢)

أما (يحيى بن على بن يحيى المنجم المعروف بالنديم) ، فأديب متفنن صاحب مجلس، بارع فى التحديث ، لبق فى الكلام ، متمكن من الغناء والموسيقى وقول الشعر ، أوصله أدبه وفنه الى منادمة «الموفق» ثم أمير المؤمنين « المكتفى » خاصة ، وعلت مرتبته عنده وتقدم على خواصه وجلسائه .

وهو من أسرة كانت لها قدم راسخة فى الأدب والفن ، وينتهى نسبها الى الفرس، وقد ألف فى ذلك أبو الحسن أحمد (وهو ابن يحيى الذى نتحدث عنه) كتاباً فى أخبار أهله ونسبهم الى الفرس[٣] . وكان جدهم الأعلى « ابو منصور » من المجوس ، حافظ على دينه ، واتصل بالخليفة المنصور فجعله منجّماً له . وكان الخليفة من المولعين بعلم النجوم ، فجمع حوله من اشتهر بهذا العلم . وانتقل هذا الأرث الى ابنه (يحيى بن

---

(١) Brockelmann, Suppl, 1. p, 829. وهو من تلامذة الرئيس ابن سينا ، وقد شرح بعض كتب استاذه . كما كانت بينهما مراسلات .
Brockelmann. G.A.L. vol, 1. p, 455. 458.

(٢) Hammer Kiesewetter, musik der Araber, S, 8., 88.
(المدخل فى الموسيقى) عيون الأنباء ٢/١٣٤ فما بعد .

(٣) الوفيات ٢ /٢١١

أبي منصور) ، فاتصل بذى الرياستين الفضل بن سهل ، وأصبح منجماً له يعمل برأيه في احكام النجوم الى ان حلت الكائنة به ، فانتقل الى خدمة الخليفة المأمون فأصبح منجما ونديما ، وهو مع ذلك على عقيدته في المجوسية ، ثم أسلم على يدى المأمون فصار بذلك مولاه ورافقه في حلـّه وترحاله الى أن توفي بحلب في ركاب الخليفة الى طرسوس ، فدفن بها في مقابر قريش (١) .

واتصل ابنه (علي بن يحيى بن أبي منصور) المتوفى سنة ٢٧٥ بالخليفة المتوكل على الله ، فأصبح من خواصه وجلسائه ، ثم بالخلفاء من بعده ، وتقرب لديهم حتى صار يجلس بين يدى أسرتهم ، يفضون اليه بأسرارهم ويأمنونه على أخبارهم ، كما كان صديقاً للفتح بن خاقان ، وقد عمل له خزانة كتب أكثرها حكمة ، واستكتب له شيئاً عظيماً يزيد على ما كان في خزانته أضعافا مضاعفة مما لا تشتمل عليه خزانته . وكان شاعرا راوية للشعر ، أديباً متفنناً بطبعه ، حاذقا في صنعة الغناء خبيرا به . أخذ الغناء عن علم من أعلامه في الدولة العباسية ، هو اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، وجالسه ، وألف كتابا في أخباره ، كما ألف في الشعراء كتابا دعاه كتاب الشعراء القدماء والاسلاميين (٢) . ولم يفته فن الطبخ ، وهو فن من الفنون يحتاج الى ذوق ومزاج ، فألف فيه كتابا .

ترك علي بن يحيى أبناء ورثوا من أبيهم التابلية الفنية والمذاهب الاجتماعية ، فاشتهروا بالشعر والأدب والموسيقى ، وباللباقة في الظهور في المجالس والاندية والمجتمعات ، ولذلك حافظوا على صلاتهم القوية بالبلاط وبالخلفاء والوزراء ، وكان منهم أبو عبدالله هارون (٢٥١ - ٢٨٨ هـ) صاحب (كتاب البارع في أخبار الشعراء المولدين) جمع فيه مئة وواحدا وستين شاعرا ، افتتحه بذكر بشار بن برد وختمه بمحمد بن عبدالملك بن صالح . وقد قال في مقدمته : « اني لما عملت كتابي في أخبار شعراء المولدين ذكرت ما اخترته من أشعارهم وتحريت في ذلك الاختيار أقصى ما بلغته معرفتي وانتهى اليه علمي والعلماء يقولون : « دلّ على عاقل اختياره » ، وقالوا : « اختيار الرجل من وفور عقله » وقال بعضهم : « شعر الرجل قطعة من كلامه ، وظنه قطعة من عقله واختياره

---

(١) الوفيات ٢٥٧/٢ . الفهرست لابن النديم ص ٢٠٥ ، والأغاني ٧ - ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٢١ ، ٢١٥ .

(٢) الوفيات ١ - ٤٤٩ « كتاب الشعراء القدماء والاسلامية » روى فيه عن محمد ابن سلام ومحمد بن عمر الجرجاني « الفهرست ص ٢٠٥ » .

قطعة من علمه » [١] . وذكر أن هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبل هذا في هذا الفن ، وأنه كان مطولا فحذف منه أشياء ، واقتصر على هذا القدر . وقد مدحه ابن خلكان فقال : « وبالجملة فانه من الكتب النفيسة فانه يغني عن دواوين الجماعة الذين ذكرهم ، فانه اختصر أشعارهم ، وأثبت منها زبدتها ، وترك زبدها ، وهذا الكتاب هو الذي ذكرته في ترجمة العماد الكاتب الاصبهاني ، وقلت : « ان كتاب الخريدة وكتاب الخطيري والباخرزي والثعالبي فروع عليه وهو الأصل الذي نسجوا على منواله .. » [٢].
وله كتاب آخر هو « كتاب النساء وما جاء فيهن من الخبر ومحاسن ما قيل فيهن من الشعر والكلام الحسن » . وكان له ولد اسمه علي بن هارون ، [٣] أبو الحسن ، كان شاعرا وأديبا ، له مركز عند الوزير أبي محمد المهلبي والصاحب ابن عباد الذي كتب عنه في كتابه المعروف (بالروزنامجه) نقل منه الثعالبي المتوفى سنة (٤٢٩) للهجرة في كتابه « يتيمة الدهر » [٤].

فأما أبو احمد يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور (٢٤١ – ٣٠٠ هـ) فقد كان نديماً للموفق مختصا به ، ثم نادم المكتفي بالله بن المعتضد ، وتقدم على خواصه وجلسائه ، أديبا شاعرا متفننا كما هو شأن أفراد هذه الاسرة . وكان بارعا في الكلام على مذهب المعتزلة ، ألف فيه كتبا كثيرة ، ومحباً للبحث والمناظرة والجدل ، ولذلك كان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين ، وقد أثر ذلك في الخليفة المكتفي فصار يرأس هذا المجلس ويعقد بحضرته [٥] ، ولم يمنعه اشتغاله بالكلام والذب عن مذهب أهل الاعتزال من الاشتغال بالغناء والتأليف فيه . فلقد كان ذلك فيه طبيعة ، على كون المعرفة بالغناء والشعر وآداب المجلس من مستلزمات المنادمة ، فألف في النغم ، وفي النسب النغمية ، والموسيقى والنسب الموسيقية ، وفي الشعر والشعراء ، ومليح الشعر وجيده .

(١) الوفيات ٢ – ٢٥٧ . الفهرست ص ٢٠٦ ، نقل من كتبه ابو الفرج الاصفهاني الأغاني ٤ – ٢٧ ، ٥٢ ، ٦٦ ، ٣ – ٢٠٦ ، ٢١٣ ، ٢١٥ . ارشاد الأريب ٧ – ٢٣٤.

(٢) الوفيات ٢ – ٢٥٧ .

(٣) المرزباني : معجم الشعراء ص ٢٩٦ ، ٤٨٥ ، الفهرست ص ٢٠٦ .

(٤) يتيمة الدهر ٣ – ١٠١ ، ٣٥٨ القاهرة ١٩٣٤ ، الارشاد ٢ – ٣١٩ ، ٣٢٣ الصفدي ٢ – ٣٢ .

(٥) الوفيات ٢ – ٢١١ ، ارشاد الأريب ٧ – ٨٢٧ ، الكامل لابن الاثير ٨ – ٥٧ ، الوافي ٣٦٨ ، مرآة الجنان ١ – ٥٥ المسعودي : المروج ٧ – ٣٠٩ المرزباني : معجم الشعراء ص ٥٠٢ .

وأشهر كتبه التي ذكرها المؤرخون :

١ ـ رسالة في الموسيقى وهي الرسالة التي تتكلم عليها ، ولعلها جزء من « كتاب النغم » الذى أشار اليه أبو الفرج الاصبهانى [١] .والظاهر أنه أخذ هذا العنوان من عنوان كتاب لاسحاق الموصلى أستاذ ابن المنجّم وصديقه [٢] .

٢ ـ رسالة الى قسطا بن لوقا وحنين بن اسحاق .

٣ ـ الباهر فى أخبار الشعراء المولدين .

٤ ـ الباهر فى أخبار شعراء مخضرمى الدولتين . ابتدأ فيه ببشار بن برد ، وانتهى بمروان بن ابى حفصة ولم يتمه واتمه ابنه ابو الحسن أحمد بن يحيى وعزم على أن يضيف الى كتاب ابيه سائر الشعراء المحدثين وقد اعتمد المرزبانى على الكتابين ونقل منهما فى كتابه الموشح[٣] .

٥ ـ كتاب فى اخبار اسحاق بن ابراهيم الموصلى وقد ذكره ابو الفرج الاصبهانى وهو ممن اخذ عن يحيى بن على ونقل منه جملا فى سيرة اسحاق [٤] .

وكان يحيى بن على مرجعا لأهل التاريخ والاخبار ، نقل من كتبه أبو الفرج الاصبهانى أخبار الشعراء والمغنين [٥] ، والمسعودى أخبار الخلفاء الذين نادمهم [٦] ، وكذلك أخذ من كتب ابنه أبى الحسن أحمد بن يحيى بن المنجم ، فقد كان كأبيه فى الشهرة والعلم والتأليف . وقد ذكر له ابن النديم كتبا ، وعده فى جملة أصحاب محمد ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة صاحب التاريخ والتفسير [٧] ، مع أنه كان من أصحاب مذهب الاعتزال .

وكان يحيى بن على بن يحيى من المتقدرين لفن اسحاق بن ابراهيم الموصلى ،

(١) الاغانى ٨ ـ ٣٧٤ « كتاب النغم » « كتاب النغم والايقاع » . الارشاد ٢ـ٢٢٣.

(٢) الفهرست ص ٢٠٦ و Brockelmann. Suppl. Bd, 1. S, 225.

(٣) الاغانى ٥ ـ ٣٧٦

(٤) الاغانى ٦ ـ ١٠٢ ومواضع أخرى

(٥) مروج الذهب ٤ ـ ١٨٤ ، ٢١٠ ، ٢١٣ .

(٦) الفهرست ص ١٤٣ من كتبه : كتاب أخبار أهله ونسبهم فى الفرس . كتاب الاجماع فى الفقه على مذهب الطبرى ، كتاب المدخل الى مذهب الطبرى ونصرة مذهبه . كتاب الأوقات . وقد نسب ياقوت الكتب الأخيرة الثلاثة الى يحيى بن على (ارشاد الأريب ٧ ـ ٢٨٨) .

(٧) الاغانى ٨ ـ ٣٧٤

والمتوددين اليه ؟ وكان يراه في رأس أصحاب الغناء ، لا يتفوّق عليه أحد « كان اسحاق أعلم أهل زمانه بالغناء ، وأنفذهم في جميع فنونه ، وأضربهم بالعود وبأكثر آلات الغناء ، وأجودهم صنعة ، وقد تشبه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه ، وعارض ابن سريج ومعبدا فانتصف منهما ، وكان ابراهيم بن المهدي ينازعه في هذه الصناعة ولم يبلغه فيها ، ولم يكن بعد اسحاق مثله [١] ». وقد دفعه هذا التقدير ، وهو متفنن قدير ، الى التأليف في حياة اسحاق ، فكان كتابه من خيرة الكتب التي ألفت في سيرة ذلك المغني الراوية ، الأديب العالم [٢] .

وكان « كتاب النغم » لاسحاق الموصلي من جملة الموارد ، التي استقى منها يحيى ابن علي في تأليف كتابه الذي سمّاه باسم كتاب الموصلي . وتجد في هذه الرسالة التي بعثها (الأستاذ الأثري) جملا طويلة اقتطفت من ذلك الكتاب ، يظهر منها أنه كان قد اتخذه أساساً لبناء هيكل مؤلفه . وقد أورد أبو الفرج الاصبهاني مقتطفات أخذها من كتاب النغم ليحيى بن علي [٣] تساعد ، ولا شك ، في تحقيق نسبة هذا المؤلف القيم ، وأظن أن هذه الرسالة ، هي فصل من كتاب ألفه يحيى في الموسيقى ، وهو « كتاب النغم » ، وكان مؤلفا من فصول ، كل فصل في فن من فنون الغناء ، فكان الفصل الذي سبق هذه الرسالة في صفة المغني وما يجب أن يكون عليه ، وتناول هذا الفصل النغم العشر [٤] . وهكذا خصص كل فصل بمادة من مواد الغناء .

وقد أنجبت أسرة (المنجم) عددا آخر من الأدباء والشعراء منهم علي بن هارون ابن علي أبو الحسن المتوفى سنة ٣٥٢ هـ [٥] .

وكان راوية للشعر ، شاعرا أديباً ظريفاً متكلماً نادم جماعة من الخلفاء ، وله مع الصاحب بن عبّاد مجالس ، وقد ذكر له ابن النديم أسماء عدد من المؤلفات ، منها : رسالة في الفرق بين ابراهيم بن المهدي واسحاق الموصلي في الغناء ، وكتاب اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به اللقيط ، وهو معارضة لكتاب أبي الفرج الاصفهاني . [٦] الذي سمّاه

---

(١) الأغاني ٥/٣٧٦ ، « وقد نقلت من كتاب يحيى بن علي في سيرة اسحاق بن ابراهيم » .
(٢) راجع ترجمته في كتاب الأغاني حيث يورد أخباره بشيء من التفصيل .
(٣) الأغاني ٨ ــ ٣٧٤ .
(٤) الأغاني ٨ ــ ٣٧٤ .
(٥) الفهرست ص ٢٠٦ .
(٦) الفهرست ص ٢٠٦ .

الفرق والمبار بين الاوغاد والأحرار[١] .

ومنهم أبو عيسى أحمد بن علي بن يحيى، وله من الكتب كتاب تأريخ سنى العالم[٢].

وأبو عبدالله هارون بن علي بن هارون ، وكان شاعرا أديباً عارفاً بالغناء ، وله كتاب مختار في الأغاني[٣] .

وغيرهم ممن لا علاقة لهم مباشرة بموضوعي هذا .

***

وبعد ، فقد رأى المجمع العلمي العراقي ، نشر رسالة يحيى بن علي بن يحيى المنجم في الموسيقى كما سماها « بروكلمن »[٤] ، وهي رسالة على صغرها ، وقصرها ، ذات فائدة بليغة ، فانتدب لها الأستاذ الفاضل السيد محمد بهجة الأثري ، نائب رئيس المجمع العلمي العراقي الثاني ، فحققها ، وعلق عليها ، وعني بتصحيحها فأزال كثيرا من تحريفات الناسخ حتى استطاع أن يحررها ويجعلها قريبة من الأصل ، وبذلك ظفرت المكتبة العربية بتحفة فنية جديدة كانت في زوايا الاهمال .

جواد علي

---

(١) الوفيات ١ ـ ٤٥٠

(٢) الفهرست ص ٢٠٧ ، الارشاد ١ ـ ٢٢٩ ، الارشاد ٢ ـ ٢٧٧

(٣) الفهرست ص ٢٠٧ .

(٤) Brockelmann, Suppl, 1. p, 225.

كتاب النغم

ليحيى بن علي بن يحيى المنجم

منقول عن نسخة مصورة عن النسخة الوحيدة المحفوظة بالمتحف البريطاني

عني بتحقيقه والتعليق عليه

محمد بهجة الأثري

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة يحيى بن علي[1] بن يحيى المنجّم ، مولى أمير المؤمنين المعتضد بالله[2]
في الموسيقى[3]

نقول : قد ذكرنا في كتابنا الذي قبل هذا صفة المغني ، وما يجب أن يكون عليه ؛ ووصفنا ما فيه نهاية من ذلك . ونصف الآن أمر النغم ، وعددها ، وما يأتلف منها[4]

---

(١) أديب شاعر مطبوع ، كثير الافتنان في علوم العرب والعجم . ولد سنة ٢٤١ هـ ، وحدث عن أبيه وعن الزبير بن بكار واسحاق الموصلي وغيرهم ، وروى عنه جماعة منهم أبو بكر الصولي مؤلف (أدب الكتاب) و (الأوراق) . وجالس الموفق والمعتصم وخص به وبالمكتفي من بعده ، وعلت رتبته عند المكتفي . وكان متكلما معتزلي الاعتقاد ، وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بحضرة المكتفي ، وله مع المعتضد وقائع ونوادر . وله كتاب (الباهر في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين) ولم يتممه ، وتممه ولده أحمد ابن يحيى . وكانت وفاته سنة ٣٠٠ هـ

(وترجمته في تاريخ بغداد للحافظ البغدادي ١٤ : ٢٣٠ ووفيات الأعيان ٢ :٢٣٥ و ٢٣٦ ومعجم الأدباء ٢٠ : ٢٨) .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الموفق طلحة بن المتوكل على الله العباسي . كان عضدا لأبيه في حروبه وأعماله ، وولي العهد بعد وفاة أبيه وبعد خلع المفوض بن المعتمد على الله سنة ٢٧٩ هـ ، وبويع له بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه المعتمد لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة ٢٧٩ هـ ، وتوفي لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٩ هـ ، فكانت مدة خلافته تسع سنوات وتسعة أشهر وثلاثة أيام .

(راجع أخباره في تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير والتنبيه والاشراف للمسعودي والنبراس لابن دحية ومحاضرات تاريخ الأمم الاسلامية للخضري) .

(٣) لم يذكر هذه الرسالة مترجموه كابن النديم والخطيب البغدادي وابن خلكان ، وانما ذكرها أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني (٨ : ٢٥ ط الساسي) في بحثه في (الأصوات التي تجمع النغم العشر) عرضا . وسماها (كتاب النغم) .

(٤) في الأصل : « منه » .

ويختلف ، ومواقع إصبعٍ إصبعٍ من وترٍ وترٍ ، وموضع كلّ نغمة من كلّ دستان[1] ؛

(١) الدستان ، ويجمع على دساتين كما في المخصص « ١٣ : ١٢ » ومقدمة ابن خلدون ، وعلى دستانات كما في تاج العروس : لفظ فارسي ، يقابله في العربية «العتب»، وفي الانكليزية Fret ، غير أن العتب لم يستعمله أصحاب الموسيقى ، وانما جاء ذكره في بعض المعجمات والأشعار القديمة . قال ابن سيده في المخصص « ١٣ : ١٢ » : « يقال للتي يسميها الفرس الدساتين ، العتب . قال الأعشى :

وثنى الكف على ذى عتب يصل الصوت بذى زير أبح »

وقد أغفل الدستان مجد الدين الفيروزابادى في القاموس المحيط ، وابن منظور في لسان العرب ، والجواليقي في كتاب المعرب ، والخفاجي في شفاء الغليل ، وانما ورد نعته في القاموس وفي اللسان في مادة « عتب » ، وهو قوله : « والعتب : العيدان المعروضة على وجه العود منها تمد الأوتار الى طرف العود » . وفي التاج « ١ : ٣١٤ » : « وعتب العود : ما عليه أطراف الأوتار من مقدمه . عن ابن الأعرابي ، وأنشد قول الأعشى : وثنى الكف ... » البيت السابق الذى رويناه عن المخصص . ثم قال : « العتب : الدستانات ، قاله أبو سعيد . »

وفي مفاتيح العلوم « ١٣٨ » لمحمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي : « والدساتين : هي الرباطات التي توضع الأصابع عليها ، واحدها دستان . والدستان أيضا : اسم لكل لحن من الألحان المنسوبة الى باربد . » ثم عرض لأسامى دساتين العود فقال : « وأسامى دساتين العود تنسب الى الأصابع التي توضع عليها . فأولها دستان السبابة ويشد عند تسع الوتر وقد يشد فوقه دستان أيضا يسمى الزائد ، ثم يلى دستان السبابة دستان الوسطى وقد يوضع أوضاعا مختلفة فأولها يسمى دستان الوسطى القديمة والثانى يسمى دستان وسطى الفرس والثالث يسمى دستان وسطى زلزل . وزلزل هذا أول من شد هذا الدستان واليه تنسب بركة زلزل . فأما الوسطى القديمة فشد دستانها على قريب من الربع مما بين دستان السبابة ودستان البنصر ، ودستان وسطى الفرس على النصف فيما بينهما على التقريب ، ودستان وسطى زلزل على ثلاثة أرباع ما بينهما الى ما يلى البنصر بالتقريب . وقد يقتصر من دساتين هذه الوسطيات على واحد ، وربما يجمع بين اثنين منها . ثم يلى دستان الوسطى دستان البنصر ويشد على تسع ما بين دستان السبابة وبين المشط . ثم يلى دستان البنصر دستان الخنصر ويشد على ربع الوتر . »

وهذا أوضح كلام وأجمعه في بيان معنى هذه الكلمة ومواضع استعمالها . أما أصحاب المعجمات الحديثة ، فلم يهتدوا الى معناها ، وكل ما ذكروه عنها اما ناقص لا يدل على شيء واما فاسد لا معنى له ، فالمعلم بطرس البستاني في محيط المحيط يقول : « الدستان من اصطلاحات أصحاب الموسيقى جـ دساتين . » والشرتوني في ذيل أقرب الموارد « ص ١٧٠ » يقول : « الدساتين : أوتار العود فيما أظن (الأغاني) ! » والأب لويس معلوف في المنجد « ٢١١ ط ١٠ » يقول مثل قوله ، ولكن على سبيل الجزم لا الظن لأن الظن لا يغني من الحق شيئا !! . وفي معجم دوزى « ١ : ٤٤١ » : « دستان ، t. de Musique, touche, Be, Descr. de L'eg. XIII 252 n.; Voyez ztcher. IV, 248. »

وآخر ما رأيته للمحدثين في هذه الكلمة هو القرار الذى اتخذه مجمع فؤاد الأول للغة العربية في تعريفات مصطلحات الموسيقى ، ونشر في مجلته « ٥ : ١٦٧ » ، وهو قوله : « الدستان : موضع عفق الاصبع على الوتر . » وهو بسبيل من تعريف القدماء

ونبين ما سمـاه (إسحاق بن ابراهيم الموصليّ)[١] « المجرى » في الأصوات التي رسم بعضها بمجرى الوسطى ، وبعضها بمجرى البنصر ؛ واختلاف ما بين أصحاب الغنـاء العربيّ ، مثل (إسحاق) ونظرائه : ممن جمع العلم بالصناعة والعمل ، وبين[٢] أصحاب الموسيقى يزعمون أنها ثماني عشرة ؛ ونقدمه[٣] شرح بما تجتمع الأفـكار[٤] والأفهام .

قال (إسحاق بن إبراهيم) ومن يقول بقوله : إن النغمات عشر ، ليس في العيدان ولا المزامير ولا الحلق[٥] ولا شيء من الآلات أكثر منها . فالنغمة الأولى ، المثنى[٦] مطلقاً ، وهي النغمة التي يبتدئ بها الضارب قدر الطبقة على ما يريد من الشدّة واللين ، ثم يسوي عليها العيدان والمزامير وسائر الآلات ، وتسمى هذه النغمة « العماد » . وإنما سميت « العماد » ؛ لأنها يعتمد عليها في الطبقة والتسوية . والنغمة الثانية ، السبابة على المثنى . والنغمة الثالثة ، الوسطى على المثنى . والنغمة الرابعة ، البنصر على المثنى . والنغمة

---

(١) هو النابغة الظريف نديم الخلفاء ، المحدث الفقيه الكلامي اللغوى الاخبارى الأديب الشاعر المتفنن ، كتب الحديث عن سفيان بن عيينة ومالك بن أنس ، وأخذ الأدب عن الأصمعي وأبى عبيدة ، وبرع فى علم الغناء فغلب عليه ونسب اليه ، وكان الخلفاء يكرمونه ويقربونه ، وكان المأمون يقول : « لولا ما سبق لاسحاق على ألسنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء بحضرتى ، فانه أولى به وأعف وأصدق وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة » ولكنه اشتهر بالغناء ، وغلب على جميع علومه ، مع أنه أصغرها عنده ، ولم يكن له فيه نظير .

كان كثير الكتب حتى قال ثعلب : « رأيت لاسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب ، وكلها سماعه ، وما رأيت اللغة فى منزل أحد قط أكثر منها فى منزل اسحاق ثم منزل ابن الأعرابى » ، وله نظم جيد وديوان شعر .

وكانت ولادته فى سنة ١٥٠ هـ ، ووفاته فى سنة ٢٣٥ هـ .

(وترجمته فى الأغانى ٥ : ٤٩ الى ١٣٤ ــ راجع فهرس الأغانى ، وفى الوفيات ١ : ٦٥ و ٦٦) .

(٢) كذا الأصل ، ولعل لفظ « بين » زائد ، فتكون الجملة : « وأصحاب الموسيقى يزعمون أنها ثمانى عشرة »

(٣) كذا . (٤) فى الأصل : « الأكار » .

(٥) لا يعرف فى أسماء الآلات ما يسمى (الحلق) ، فلعله (العنق) . قال الخوارزمى فى مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) : « العنق : الرباب ، معروف لأهل فارس وخراسان » .

(٦) ضبطه الخوارزمى فى مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) « بفتح الميم وتخفيف النون على تقدير معنى ومغزى » .

الخامسة ، الخنصر على المثنى . فهذه خمس نغم عليها المثنى ، ثم يصير الى الزِّير[١] فيلاقي مطلقه ؛ لأنه مثل نغمة الخنصر على المثنى ، ولا فرق بينهما . ثم النغمة السادسة ، السبابة على الزِّير . والنغمة السابعة ، الوسطى على الزِّير . والنغمة الثامنة ، البنصر على الزِّير . والنغمة التاسعة ، الخنصر على الزِّير . فهذه أربع نغم في الزِّير . وبقيت النغمة[٢] العاشرة ، فكرهوا أن يفردوا لها وتراً ، فيكونوا قد زادوا في العود وتراً خامساً من أجل نغمة واحدة ولا يخرج فيه غيرها ، فطلبوها في أسفل هاتين ، فوجدوها في أسفل دستان الزِّير بالبنصر اذا جعلت السبابة من الزِّير بالبنصر منه ووقعت البنصر من أسفل المقدار مسافة ما بين دستان السبابة ودستان البنصر ، ووجدوها أيضاً تخرج في المثلث[٣] بالبنصر ، فاستغنوا بوجودها في هذين الموضعين عن أن يزيدوا في العود وتراً خامساً .

فهذه عشر نغمات متناسبات لا تشبه نغمةٌ منها نغمةً .

وألين النغم ، مطلق المثنى . وأشدّها وأحدّها النغمة التي تخرج في أسفل دستان الزِّير ، ثم لم يزل يصعد من شدة الى لين الى أن يصير الى نغمة مطلق المثنى . وإنما لم يعتد المثلث والبمّ[٤] بنغمة ؛ لأنهم وجدوا كلّ نغمة فيهما يخرج في المثنى والزِّير ،

(١) الزير : أهمله الجواليقى فى كتابه (المعرب) ، وهو الدقيق من الأوتار ، أو أحدها وأحكمها فتلا ، وزير المزهر مشتق منه ، كما فى (القاموس) و (تاج العروس) . وفى (شفاء الغليل) : « الزير ، اسم وتر ... ذكره الجوهرى ، وهو معرب . قال ابن الرومى :

فيه بم وفيه زير من النغ م وفيه مثالث ومثانى

قال : « وهذه أسماء الأوتار كلها . » وفى مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) : « هو رابع أوتار العود الأربعة » ، قال : « وهو أدقها . »

(٢) فى الأصل : « النغم » .

(٣) ضبطه الخوارزمى فى مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) « بفتح الميم وتخفيف اللام على مثال مطلب » .

(٤) البم : قال الجواليقى فى (المعرب) : « أحد أوتار العود الذى يضرب به . أعجمى معرب . » وزاد الجوهرى أنه « الوتر الغليظ من أوتار المزهر » . وفى شفاء الغليل : « من أوتار العود ، وهو والباج بمعنى (واحد) ، وهو معرب » . وفى مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) : « أوتار العود أربعة : أغلظها البم . والذى يليه المثلث ... والذى يلى المثلث ... المثنى ... والرابع هو الزير ، وهو أدقها . »

وذلك أن مطلق المثلث مثل السبّابة على الزّير ، وسبّابة المثلث مثل البنصر على الزّير ، ووسطى المثلث مثل الخنصر على الزّير ، والبنصر على المثلث مثل النغمة التي في أسفل دستان الزّير ، وخنصر المثلث مثل مطلق المثنى . وكذلك البمّ أيضاً ، مطلقه مثل سبّابة المثنى ، وسبّابته مثل البنصر على المثنى . ووسطاه كمثل الخنصر على المثنى ، وبنصره يبطل لعلةٍ نذكرها في موضع غير هذا ، وخنصره مثل مطلق المثنى . وربما استعمل المغني بنصر [ه][1] على المثلث .

وهذه صورة العود وأوتاره[2] ونغمه كلها ، وقد رسمنا النغم بحروف الجُمَّل[3] ليفهم

(١) هذه الزيادة منا .

(٢) فى الأصل : « وأوتارها » .

(٣) فى القاموس المحيط وشرحه التاج : « والجمل كسكر : حساب الجمل ، وهى الحروف المقطعة على أبى جاد . قال ابن دريد : لا أحسبه عربيا . وقد يخفف ، قاله بعضهم ، قال ابن دريد : ولست منه على ثقة . »

قلت : وقد استعملت هذه الحروف للدلالة على الأعداد ، ويسمى الحساب بها حساب الجمل ، وأكثر ما يستعمل فى الأعمال الفلكية ، ثم فى التواريخ الشعرية ، ولكنه فى الأعمال الفلكية التزم فيه تقديم الأكثر على الأقل ، فيكتب ١٣ هكذا : حـ بقطع طرف الجيم لئلا يشتبه بالحاء ، و١٨ هكذا : ح ، و١٩ هكذا : ىط ، و٥٣ هكذا : نحـ بنقط النون لئلا تلتبس بالياء . وحيث انهم يحتاجون فى الأغلب الى بيان الدرج والدقائق والثوانى ونحو ذلك ، وقد تخلو بعض المراتب من العدد ، اضطروا الى اختراع شكل للصفر ؛ ليضعوه فى المرتبة الخالية ، وقد جعلوا صورته هكذا : "ııı" ، أو هكذا : « ، » .

وقد وقع الاختلاف بين المغاربة والمشارقة فى ترتيب الحروف فى (أبجد) ، فوقع بسبب ذلك الاختلاف فى بعض أعداد الحروف . وقد نشأ من هذا الاختلاف اختلاف آخر ، وهو الترتيب الذى جرى عليه العمل فيما بعد ، وهو الجمع بين الحروف المتشابهة فى الصورة .

والخلاف بين طريقتى المشارقة والمغاربة فى أعداد ستة أحرف ، وهى : السين والصاد المهملتان والشين والضاد والظاء والغين المعجمات . فالسين عند المشارقة بستين، وعند المغاربة بالثلاث مئة التى هى عدد الشين المعجمة عند المشارقة ، وهى عندهم آخر الحروف بالألف الذى هو عدد الغين عند المشارقة ، وهى عند المغاربة بالتسع مئة التى هى عدد الظاء عند المشارقة ، وهى عندهم بالثمان مئة التى هى عدد الضاد عند المشارقة ، وهى عند المغاربة بالتسعين الذى هو عدد الصاد عند المشارقة ، وهى عند المغاربة بستين عدد السين عند المشارقة .

وهاك ترتيب هذه الحروف حين الحساب بالجمل لدى الفريقين :

(ا) ترتيب المشارقة : أ ب ج د هـ و ز ح ط ى ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ .

في الصورة ، فجعلنا النغمة الأولى ا ، والثانية ب ، والثالثة جـ ، ثم هـ ، ثم و ، ثم ز ، ثم ح ، ثم ط ، ثم ى[١]. فان قال قائل : فما الانتساب الى المثلث والبم اذا لم يكن فيها[٢] نغمة إلا في المثنى والزير ؟ والجواب في ذلك أن النغمات التي فيها دل[٣] ذلك في المثنى والزير نحافة وجهارة بقدر فضل[٤] منظر البم والمثلث في غلظها على لينها على منظر المثنى والزير في لطافتها مع شدتها ، ليست لنظائر يحكونها[٥] بمثلها من الأوتار ، ولو حكوها بنظائرها من المثنى والزير أمكنهم ، ولكن حكايتها بالبم والمثلث أبلغ وأتم . وأيضاً إن مما دعاهم الى البم والمثلث الحاجة الى تحسين الضرب وتأليف الأوتار ، ليختلف على الأوزان ، فيسمع مرة النغمة في المثنى والزير بدقة وشدة ، ومرة في البم والمثلث بجهارة ولين ، وإن كانت هذه النغم تلك النغم بأعيانها ؛ لأنها اذا اختلفت في السمع كانت أعجب الى السامع ، وأحسن في مسموعه من أن يتكرر على أذنه شيء واحد بعينه . وفيها أيضاً أن الأوتار اذا كانت أربعة وسبعين بالنظائر من النغم التي في البم والمثلث على نظائرها من النغم التي في المثنى والزير في مداراة الأوتار وتقويمها ، واستغني عن وتر إن انقطع وقت الحاجة بوتر غيره الى أن يعاد . وفيها أيضاً تكثير الطبقات والاتساع فيها ؛ لينتقل المنتقل منها الى أوفقها وأسهلها عليه .

وقال القدماء من أصحاب الموسيقى : النغم ثماني عشرة نغمة ، واحتسبوا بالنغم التي في المثلث والبم ، وجعلوا أولى النغم مطلق البم ، والثانية الوسطى عليه ، واتحدوا على

= (ب) ترتيب المغاربة : أ ب جـ د هـ و ز ح ط ى ك ل م ن س ع ف ض ق ر س ت ث خ ذ ظ غ ش .

أما اختلاف الفريقين فى ترتيب حروف التهجى ، فانه بعيد عن الغرض الذى استدعى هذا التعليق هنا .

(١) كذا ورد ترتيب هذه الحروف فى النسخة المصورة فسقط منها الدال بعد الجيم ، وأثبت فى مكان الزاى ، ولست أشك فى أنه تحريف من الناسخ . وفى الأصل بعد الياء بياض مقداره ٤ × ٤ س تركه الناسخ لرسم العود ، ولم يرسمه .

(٢) فى الأصل : « فيها » .

(٣) كذا .

(٤) فى الأصل « فصل » .

(٥) فى الأصل « يحكوها » .

هذا الترتيب ، وزعموا أن النغم التي في المثلث والبم ليست مثل النغم التي في المثنى والزير وإن كانت يوجد لها موافقة للسمع ، وذلك لأنهم ذكروا أن اتفاقها إنما يقع اذا نقرت معاً واتحدت . فأما اذا نقرت كل واحدة على الانفراد ، فان السامع يقف على أن النغم التي في المثلث والبم غير النغم التي في المثنى والزير اذا كانت أضعافها ، وكانت نغمة الوتر لا تكون[١] مثل نغمة نصفه اذا أفردت من كل واحد من الكل والنصف .

وإنما الاختلاف بين إسحاق ومن قال بقوله وبين أصحاب الموسيقى أن إسحاق جعل النغم تسعاً ، وجعل العاشرة نغمة الضعف ، لأنه يرى أن نغم الاضعاف[٢] أخذه ، وأصحاب الموسيقى عمدوا الى هذه النغم التسع فأضعفوها ، واحتسبوا الكل ضعف نغمة منها أيضاً ، فصارت ثماني عشرة نغمة ، ولها ـ على الصوت منها في القياس ولم يسمعه ـ نغمتان بسطها[٣] اعداد يعرف بالحساب ، ووضع قانون لها لطلبهم فيه كلها على الأزواج والأفراد . وشرح العلة في وضع الدساتين من العود بحيث وضعت منه ، كلام يطول الكتاب باستيفائه .

قال يحيى بن علي بن يحيى المنجم : نرجع الى ما ذكره إسحاق بن إبراهيم الموصلي فيما يسميه « المجرى » ، وما وصف به ائتلاف المعنى واختلافها .

قال إسحاق : إن نغم كل طبقة[٤] يكون مجريين : أحدهما منسوب الى الوسطى ، والآخر الى البنصر ومايلت[٥] الاصبعان تتعاقبان في التناول يدخل واحدة منهما على الأخرى ، ونحن نثبتها فيما بعد .

والنغم المؤتلفة ست نغمات ، والنغم المختلفة أربع نغمات .

فأما الست النغم المؤتلفة ، فهي : المثنى مطلقاً ، والسبابة ، والخنصر ، والبنصر على الزير ، فهذه تأتلف مع المجريين جميعاً ، فانها [اذا][٦] أدخلت هذه النغم الست عليها[٧]

(١) فى الأصل بالياء المثناة .

(٢) بياض فى الأصل مقدار كلمتين . (٣) كذا .

(٤) فى الاصل : « ان نغما كل طبقا » .

(٥) كذا الاصل . وقوله « تتعاقبان » هو فى الاصل « يتعاقبان » .

(٦) الزيادة منا لتستقيم بها العبارة .

(٧) فى الأصل : « عليهما » . والعبارة مع هذا التصحيح لا تزال تشعر بالنقص .

ائتلفت معاً كائتلافهما ، فان أدخلت هذه الست النغم على البنصر ، كان المجرى للبنصر ، ونسب الصوت اليها فقيل فيه مجرى البنصر .

وأما الأربع النغمات المختلفة ، فان اثنتين منها متضادتان[١] لا تأتلفان معاً ولا تجتمعان في صوت ، وهما الوسطى والبنصر على المثنى اللتان ينسب اليهما[٢] المجريان . وأما الاثنتان[٣] الباقيتان من الأربع النغم المختلفة ، فهما الوسطى على الزّير والبنصر على المثلث ، وليس تأتلفان في موضع . فأما الوسطى على الزّير ، فانها تأتلف مع الوسطى على المثنى في مجراها ، إلا في موضع واحد لا يأتلف معها فيه ، وهو منها الى البنصر على الزّير ومن البنصر على الزير اليها . وأما البنصر على المثلث ، فانها تأتلف مع البنصر على المثنى في مجراها ، والموضع الذي تأتلف معها فيه منها الى الوسطى على المثلث ومن الوسطى على المثلث اليها . وكما أن البنصر على المثلث مثل التي تخرج في الزير بالنقر[٤] في أسفل الدساتين ، وأن الوسطى على المثلث مثل الخنصر على الزير ، وكذا[٥] لا تأتلف البنصر على المثلث مع الخنصر على الزير ، ولا على[٦] الخنصر على الزير معها ، ولا تأتلف الخنصر على الزير التي تخرج بالبنصر في أسفل الدساتين ، ولا التي تخرج بالبنصر معها - فجميع الذي يأتلف في غناء العرب من النغمات العشر ويكون فيه الغناء ثماني نغمات ، تبين مذهبهم في ذلك وسد[٧] بعض النغم الى بعض أكثر ما يبنى عليه الصوت منها النغمات الثماني كلها . فعلى هذا يأتلف نغم غناء العرب ، وعليه تجري عامة أصناف الغناء . وقد يمكن أن يلطف الصوت[٨] حتى يكون مؤلفاً من تسع نغمات ، ومن العشر النغمات كلها ، وذلك بمثال بتألف[٩] لطيف وحيلة رفيعة وعلم بوجود التأليف ومصارفه ، وليس بأن

---

(١) في الأصل : « فان اثنين منهما متضادان » .

(٢) في الأصل : « اليها » .

(٣) في الأصل : « الاثنا الباقيان » .

(٤) في الأصل : « والتنقر » .

(٥) في الأصل : « وك » .

(٦) لعل هذا الحرف زائد . (٧) كذا

(٨) في الأصل : « للصوت » .

(٩) كذا ، ولعله « مثل تأليف » .

شيئاً مما ذكر ولأنه لا يأتلف في المواضع التي وصفنا يأتلف[١] ، ولكنه بالخروج من المجرى الى المجرى ، والانتقال اليه ، والدخول فيه من المواضع الممكنة التي يحسن ذلك فيها ، حتى لا ينكره السمع ، ولا يفصل للمجرى الواحد ، فيبنى عليه الصوت ؛ فانه اذا كان كذلك[٢] ، لم يكن ذلك . وليس في العربية هذا التأليف ، وقد يدلّ بعضها على أنه فيها لو تكلفه العالم ، لما هو ممكن موجود ، وذلك لأننا لا نزال[٣] نجد الصوت قدر القوة من المجريين جميعاً من غير أن يبلغوا معه أكثر من ثماني نغمات ، وربما كان دونها ، وذلك من غنائهم قليل . ومن ذلك صوت ابن مِسْجَح[٤] ، ويقال : إنه لابن مُحْرِز[٥] :

(١) كذا .   (٢) في الأصل « كـ » .

(٣) في الأصل « لا يزال » .

(٤) في الأصل : « ابن مسحح » بحاءين ، وهو خطأ . وهو أبو عثمان سعيد بن مسجح ، مولى بني جمح ، وقيل مولى بني نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب . مكي أسود ، مغن متقدم من فحول المغنين وأكابرهم ، وأول من صنع الغناء منهم ، ونقل غناء الفرس الى غناء العرب . ثم رحل الى الشام واخذ ألحان الروم والبربطية والأسطوخوسية ، وانقلب الى فارس فأخذ بها غناء كثيرا ، وتعلم الضرب ، ثم قدم الى الحجاز ، وقد أخذ محاسن تلك النغم ، وألقى منها ما استقبحه من النبرات ، والنغم التي هي موجودة في نغم غناء الفرس والروم خارجة عن غناء العرب ، وغنى على هذا المذهب ، فكان أول من أثبت ذلك ولحنه ، وتبعه الناس بعده .

وكان ابن مسجح في مكة لما حاصرها الأمويون ، وفيها ابن الزبير ، في أواخر القرن الأول للهجرة . (وأخباره في « الأغاني » ٣ : ٨١ الى ٨٥) .

(٥) في الأصل « ابن محرر » ، وهو خطأ . وهو مسلم بن محرز ، وقيل : سلم ، وقيل : عبدالله ، ويكنى أبا الخطاب مولى بني عبدالدار بن قصي ، وكان أبوه من سدنة الكعبة ، أصله من الفرس . وكان ابن محرز يسكن المدينة مرة ومكة مرة ، وتعلم الضرب في المدينة من عزة الميلاء ، وشخص الى فارس فتعلم ألحان الفرس وأخذ غناءهم ، ثم صار الى الشام فتعلم ألحان الروم وأخذ غناءهم ، فأسقط من ذلك ما لا يستحسن من نغم الفريقين ، وأخذ محاسنها فمزج بعضها ببعض وألف منها الأغاني التي صنعها في أشعار العرب ، فأتى بما لم يسمع مثله .

أجمل بعض معاصريه وصفه فقال « كأنه خلق من كل قلب فهو يغني لكل انسان بما يشتهي » . قال أبو الفرج : « وهذه الحكاية بعينها قد حكيت في ابن سريج ، ولا أدري أيهما الحق » . (وأخباره في الأغاني ١ : ١٤٥ الى ١٤٧ الخ) .

يا من لقلب مقصر ترك المنى لفواتها[١]

فان الوسطى والبنصر على المثنى قد تنازعاه ، واشتركتا[٢] فيه ، فافهم هذا واعرفه ؛ فانا لا نقدر من صفة فعل نقول[٣] إلا على نحو ما وصفنا .

وقد تلطف[٤] عبيدالله [بن عبدالله][٥] بن طاهر حتى جمع العشر النغم في صوتين ، فجعل في أحدهما النغمات العشر على التوالي ، وحملها على الصوت الآخر على التقديم والتأخير . فأما الصوت الذي من النغم[٦] على التوالي ، فهو (شعر)[٧] :

توهمت بالخيف رسماً محيلا لعزة تعرف منه الطلولا[٨]

---

(١) قال أبو الفرج فى الأغانى ٨ : ٤٦ : « الشعر لمسافر بن أبى عمرو بن أمية ابن عبدشمس ، والغناء لابن محرز ثانى ثقيل مطلق فى مجرى البنصر عن اسحاق . وهذا الصوت يجمع من النغم ثمانيا ، وكذلك ذكر اسحاق ، ووصف أنه لم يجمع شيء من الغناء قديمه وحديثه الى عصره من النغم ما جمعه هذا الصوت ، ووصف أنه لو تلطف متلطف لأن يجمع النغم العشر فى صوت واحد ، لأمكنه ذلك بعد أن يكون فهما بالصناعة طويل المعاناة لها ، وبعد أن يتعب نفسه فى ذلك حتى يصح له ، فلم يقدر على ذلك سوى عبيدالله بن عبدالله الى وقتنا هذا » . (٢) فى الأصل « تنازعاه واشركتا » .

(٣) الجملة مضطربة ، فلعلها « فانا لا نقدر فى صفة فعل أن نقول » .

(٤) فى الأصل « لطف » .

(٥) الزيادة من الأغانى (٨ : ٤٢ و ٤٦ و ١٩٠) . وهو أبو أحمد عبيدالله بن عبدالله بن طاهر بن الحسين ، قال أبو الفرج : « وله محل من الأدب والتصرف فى فنونه ، ورواية الشعر وقوله ، والعلم باللغة وأيام الناس وعلوم الأوائل من الفلاسفة فى الموسيقى والهندسة ، وغير ذلك مما يجل عن الوصف ، ويكثر ذكره . وله صنعة فى الغناء حسنة متقنة عجيبة تدل على ما ذكرناه هنا من توصله الى ما عجز عنه الأوائل من جمع النغم كلها فى صوت واحد ، تتبعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها » .

قال : « وكان المعتضد بالله رحمة الله عليه ربما كان أراد أن يصنع فى بعض الأشعار غناء ، وبحضرته أكابر المغنين ... فيعدل عنهم اليه ، فيصنع فيها أحسن صنعة ، ويترفع عن اظهار نفسه بذلك ، ويومىء الى أنه من صنعة جاريته (شاجى) ، وكانت احدى المحسنات المبرزات المقدمات ، وذلك بتخريجه وتأديبه ، وكان بها معجبا ولها مقدما » .

قال : « وأشعاره كثيرة جيدة ، كثير النادرة والمختار . وكتابه فى النغم وعلل الأغانى المسمى (كتاب الآداب الرفيعة) كتاب مشهور جليل الفائدة ، دل على فضل مؤلفه » .

(٦) يريد النغم العشر

(٧) الشعر لكثير عزة ، الشاعر الغزل المشهور « ترجمته فى الأغانى ٨ : ٢٥ الى ٤٢ » . والغناء لعبيدالله بن عبدالله بن طاهر ، قال أبو الفرج : « ونسبه الى جاريته ، وكنى عنها فذكر أن الصنعة لبعض من كثرت دربته بالغناء وعظم علمه وأتعب نفسه حتى جمع النغم العشر فى هذا الصوت ، وذكر أن طريقته من الثقيل الأول وأنه ليس يجوز أن ينسبه الى اصبع مفردة ، الى آخر ما قال . « الأغانى ٨ : ٢٤ و٢٥ » .

(٨) فى الأصل « لغيره يعرف منها الطلولا » والتصحيح من الأغانى « ٨ : ٢٤ ط =

تبدّل بالحيّ صوتَ الصدى ونوحَ الحمامة تدعو هَديلا[١]

فانه جعل أوّل نغمة من هذا الصوت مطلق المثنى ، ثم مرّ في النغم على الولاء حتى صار الى النغمة الحادّة التي تخرج في أول دستان الزّير ، وهي العاشرة ، ثم يرجع الى نغمة مطلق المثنى ، وجعلها مقطع الصوت .

وأما الصوت الذي يجمع العشر النغم على التقديم والتأخير ، فهو (شعر) :

فانك إذ أطمعتني منك بالرضى وأيأستني من بعد ذلك بالغضب

كممكنة من ضرعها كفَّ حالبٍ ودافعة من بعد ذاك ما حلب[٢]

فهذا شرح أمر النغم وما يجري عليه . ومن تدبره بفهمٍ وامتحن ما بيّنّا فيه ، وقف من أمر الغناء على ما يكتفي به ويتقدم في أمر المعرفة به أهل عصره ؛ فان أكثرهم ممن يدّعي الحذق بهذه الصناعة ، [و] لو امتحن بهذه المسألة عن بعض ما ذكرنا في هذا الكتاب لقصرت معرفته عنه .

تمت الرسالة يوم پنجشنبه ٢ شهر جمادى[٣] الأولى سنة ١٠٧٣

تمت[٤] مقابلته بالأصل يوم الأربعاء ٢٥ المحرم[٥] سنة ١٠٧٤ في بلدة كشمير

= ساسى » . وقد شرح أبو الفرج هذا البيت والذى يأتى بعده فقال : « الخيف الذى عناه كثير ليس بخيف منى ، بل هو موضع آخر فى بلاد ضمرة . والطلول : جمع طلل ، وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الديار ، ويزعم أهل الجاهلية أن الصدى طائر يخرج من رأس المقتول ، فلا يزال يصيح حتى يدرك بثأره ، قال طرفة :

كريم يروى نفسه فى حياته ستعلم ، ان متنا صدى ، أينا الصدى .

والحمام : القمرى ونحوها من الطير . والهديل : أصواتها . »

(١) الشعر لابن هرمة ، ابراهيم بن على بن سلمة بن هرمة بن هذيل ، من مخضرمى شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، ولد سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور فى سنة أربعين ومئة قصيدته التى يقول فيها :

ان الغوانى قد أعرضن مقلية لما رمى هدف الخمسين ميلادى

ثم عمر بعدها مدة طويلة . (وأخباره فى الأغانى ٤ : ١٠١ الى ١١٣) .

(٢) البيتان فى الأصل :

ذانك طمعتى منك بالرضى واناسين من بعد ذلك بالغضب

كممطيه من طوعها كف حالت ودافعه من بعد ذلك ما حلت

والتصحيح من الأغانى « ٨ : ٤٤ ط ساسى » .

(٣) فى الأصل « جماد » وصوابه التأنيث « جمادى » كما أثبتناه . أما (شهر) فاضافتها هنا ممنوعة .

(٤) فى الأصل « تم » . (٥) فى الأصل « محرم » والصواب تعريفه .

معجزة العلم الكبرى

معجزات العلم كثيرة منها معجزات البخار ، والكهربا (واللاسلكى) والطيران ، واستعمال العقاقير الطبية ، والطاقة الذرية فى الحرب والسلم . وقد اخذت هذه المعجزات الكثيرة تظهر منذ القرن التاسع عشر فتدهش العالمين بما تهيؤه لهم من أسباب الراحة والرفاهة وطول البقاء ، ولكن الانسان حولها الى ادوات فتاكة واستعملها فى افناء جنسه .

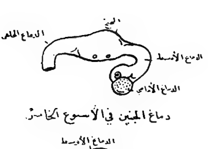
ان اعظم معجزات العلم هو الجرم الصغير الذى انطوى فيه العالم الاكبر ، فوعى الماضى والحاضر وادرك بعض ما فى المستقبل ، واخترق حجب الارض والسماء ، والقفار والبحار ، ولا يزال جادا فى استخراج اسرار الكون ، وهو الذى جعل الانسان يسخر جميع المخلوقات الاخرى لنفسه يسيرها كيف يشاء ، وفيه العقل والرأى والذاكرة والضمير والتصور والشعر والنثر وغير ذلك من المواهب التى انعم بها البارى عز وجل على الجنس البشرى ، وقد اعتصم هذا العضو الصغير فى اعلى مكان من الجسد يشرف من قمة الرأس على الكون وما فيه يصرفه كيف يشاء ، ذلك هو الدماغ الذى جعل الانسان سيد المخلوقات وأرقاهــا .

ويتميز دماغ الانسان عن سائر ادمغة الحيوانات بمخه فقط؛ لأن أجزاء الدماغ الأخرى موجودة فيها بصورة مصغرة . ان هذه الكتلة الصغيرة من النسج العصبية التى لها تركيب خاص هى موضع العجب ، ففيها من الاسرار ما يحير الالباب . كان المخ معروفا منذ عهد جالينوس بأنــه مركز الــذكاء والحس والحركــة والوعى ، ولم يستنــد جالينوس الى التشريح فقط فى اثبات ذلك بل أيد أقواله بالاختبارات العدة التى أجراها على الحيوانات الحية ، وقد أيدت التحريات الحديثة كثيرا مما ذهب اليه هذا العالم الفذ ، واتفقت على ان نصفى كرة المخ وخصوصا لحاء سطحها هما مركز الذكاء والوعى ، ولا تزال قضية وجود وعى اوعامل نفسى فى اجزاء الدماغ الاخرى موضع جدل بين العلماء ، ومما لاشك فيه ان لحاء المخ هو المركز الرئيس للافعال النفسية العظمى ، وقوى الطفل العقلية تتوقف

على نماء هذه القشرة المخية التى تنمي بنمائه ، ومتى شاخ المرء تشيخ معه ، وتضمر وتختل قواه العقلية ، فاذا ازيلت القشرة كلها او اكثرها تتلاشى القوى العقلية كالذكاء والحس والادراك والتفكير والخيال وغيرها من الخصائص العقليـة والنفسية التى يتمتع بهـا الانسان ، والرأى المرجح ان سبب الجنـون والانحرافات العقليـة والنفسية هـو خلل يحصل فى تركيب هذه المادة او اضطراب فى خواصها • ان مادة لحاء المخ هى العضـو الرئيس فى الحياة النفسية ، تفعل فيها المؤثرات المادية الآتية من العالم الخارجى وتحولها هى الى وعى • ان تفسير هـذه الظـواهر من اصعب المواد فى علم منافـع الاعضاء (الفسيولوجية) وعلم النفس، ولا يزال حلها فوق استطاعة العلم، لأن الطرائق العلمية تبحث عن الوجهة المادية منها فقط اى الوجهة الطبيعية (الفيزيكية) والكيميائية ، على حين لا نتوصل الى معرفة كنه الافعال النفسية الا عن طريق الظن، واقول بتعبير اوضح ان فى الدماغ آلة طبيعة كيميائية فيها قابلية تكوين الوعى الذى تعيه ، ويبحث علم الفسيولوجية فى طبيعة هذه الآلة ، وفعل هذا الوعى ليس مادة ولا طاقة ولم يستطع العلم الى الآن الاهتداء الى سره وتعليله تعليلا علميا • يستطيع العلم كلما ارتقى سلّم الحيوانية ان يتتبع تطور هذا العضو الصغير حجما الكبير فعلا من دماغ السمكة الساذج الى الادمغة التى هى اكثر تعقدا حتى يبلغ مرتبة الانسان التى هى اعلى مراتب التطور •

يتألف جهاز الانسان العصبى من المخ ولواحقه وهى المخيخ والبصلة السيسائية (النخاع المستطيل) والنخاع الشوكى والاعصاب الصادرة من الدماغ والاعصاب الواردة اليه، ومن الجهاز العصبى المستقل او العطوف اى الذى يسيطر على العواطف، ولا ندخل فى تفاصيل تشريح الدماغ لأن القصد من هذا المقال تيسير الموضوع وبيان فكرة عامة عن الدماغ ، واذ كان المخ هو المقصود ببحثنا ، وهو جزء الدماغ الذى يميز الانسان عن الحيوان ، كان هو المعنى بلفظـة الـدماغ لا الاجزاء الاخرى التى يشارك فيهـا الحيوان الانســـان •

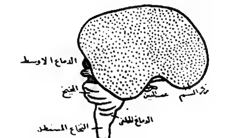
يبلغ طول ادمغة البشر نحوا من ١٦ سم ، ويبلغ متوسط زنتها نحـوا مـن ١٣٦٠ غراما فى الذكور و١٢٥٠ غراما فى الاناث ، وينمى الدماغ نماء مفرطا فى الجنين فيكون فى المولود الجديد اكبر كبرا نسبيا منه فى البالغ ، لأن نسبة وزنه الى وزن الجسم تبلغ ١٣ ٪ فى الجنين و ٢ ٪ فى البالغ ، وهو فى الحيوانات الصغيرة الاجسام اكبر كبرا نسبيا منه فى كبيرته ، فان ادمغة القرود والكلاب اكبر بالنسبة الى اجسامها من ادمغة البشر • ويبلغ الحد الادنى لوزن الدماغ الذى يختص بالذكاء نحوا من ٩٥٠ ـ ١٠٠٠



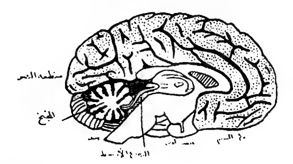
دماغ الجنين في الأسبوع الخامس.



دماغ الجنين في الأسبوع السابع



دماغ الجنين في الأسبوع الثاني عشر



كرة المخ

دماغ الوليد

ينبئ دماغ الجنين عن تطوره. تظهر مقدمة الدماغ في أعلى الصورة جزءاً ضئيلاً من مجموعه فتصبح أكبر جزء منه في أسفل الصورة.



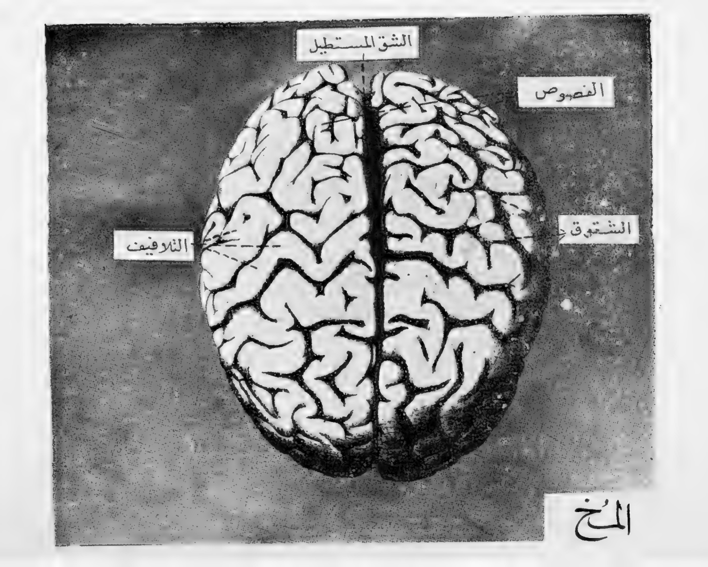
غرام ، فاذا نقص عن هذا الحد لا يعد الانسان صحيح الدماغ ، ومتى تجاوزه يصبح ارتباط الوزن بالدماغ ارتباطا عاما يختلف باختلاف الاناسي ، ويمكننا ان نحكم حكما عاما على حسب استقراء المعنيين بهذا البحث بان متوسط وزن ادمغة النوابغ فوق المتوسط العام ، ولكن وجد وزن جملة منها دون المتوسط ايضا ، فلا يمكننا ان نتخذ الدماغ قاعدة للفواق في المواهب العقلية . وظهر من الارقام القياسية المقدرة لجماعة من عظماء الرجال ان وزن دماغ القاصّ الروسى الشهير ايفان تورجنيف بلغ الرقم القياسى وهو ٢٠١٢ غراما ، ويشك فريق من الثقات في صحة هذا الرقم ، وقد بلغ وزن دماغ العالم الطبيعى كيفيى Cuvier ١٨٣٠ غراما ، ووزن دماغ الفيلسوف الالمانى كانت ١٦٠٠ غرام ، ووزن دماغ الشاعر الايطالى دانتى ١٤٢٠ غراما ، والشاعر الالمانى شلر ١٥٨٠ غراما ، وبيرون ١٨٠٧ غ .

يتركب مخ الانسان من مادتين وهما القشرة الخارجية اى لحاء المخ ويسمى المادة السنجابية ، والمادة البيضاء التى تكون تحت المادة السنجابية ، وتتألف المادة الأولى التى لا يتجاوز ثخنها ٢ ــ ٣ مليمترات من خلايا عصبية هي مركز النشاط العقلى والنفسى ، وتكون ضئيلة الاثر في دماغ الجنين ثم تنمى بسرعة حتى انها تلتف بعضها ببعض لأنها لا تجد سعة كافية في جمجمة الانسان ، وهى تغطى جميع اجزاء المخ حينما تنمى النماء الكامل ، وتتشعب من هذه الخلايا العصبية ألياف تصل بين لحاء المخ وأجزاء الدماغ الاخرى ، وفى المخ ملايين من خطوط الاتصالات التى تصل اجزاء الدماغ بعضها ببعض فيتصل الدماغ عن طريقها بالقلب والرئتين والمعدة والعين والاذن والجلد وغيرها من اعضاء الجسم التى يسيطر عليها وينظمها خير تنظيم ، ومن الممكن تشبيه الدماغ بحكومة فيها دواوين عالية ودواوين دونها ، فالدواوين العالية هى التى تشرف على الدوائر الدنيا وتسيرها وتنظمها ، واللحاء هو الديوان الاعلى الذى يشرف على الدواوين الاخرى كالهضم ودوران الدم والتنفس وسائر وظائف الجسم الاخرى ، وهى الوظائف التى يشارك فيها الانسان الحيوان ، ولكن الرأى والفكر والابتكار والفن وغيرها من الصفات العقلية محصورة في مساحة اللحاء الصغيرة ، وهى لا تميز الانسان عن الحيوان فقط بل تميز بين انسان وآخر ، فهى التى توجد الفرق بين العبقرى والأبله ، وبين القائد والمقود ، والذكى والبليد ، والمفن وغير المفن . واذا كان البحث عن موضوع الانسان مهماً فأهم ناحية فيه تستحق الدرس هذه المساحة الصغيرة منه التى انطوى فيها العالم الاكبر ، فلولاها ما تذوقنا لذة الموسيقى والرسم والشعر وسائر الفنون الرفيعة ولا عرفنا الحزن

والفرح ، ولا تمتعنا بالعقل والفكر والرأى ولا غير ذلك من الميزات التى صيرت الانسان انسانا وميزته عن غيره من المخلوقات • ان لحاء المخ فى انسان لا يشبه لحاء مخ انسان آخر بل يكون خاصا به كوجهه وعينيه واذنيه ، ولكن فى كل انسان تراكيب عامة موجودة فى مخه ، وكل مخ مؤلف من شطرين متساويين يقال لكل منهما نصف كرة المخ ، ويفصل بينهما شق يسمى الشق المستطيل•

ان لحاء المخ متجعد تجعدات تسمى تلافيف المخ ويفصل بين التلافيف شقوق ، ولقسم من التلافيف والشقوق المهمة أسماء خاصة ، وتقسم الشقوق تلافيف الدماغ أقساما تعرف بالفصوص وتسمى باسماء عظام الرأس التى تحتها كالفص الجبهى والجداري والصدغي والقفوي الخ ومن الشقوق المهمة الشق المتوسط الذى ينحدر من جانب الشق المستطيل ويفصل تلفيفين من تلافيف الدماغ مهمين جدا التلفيف الامامي الذى يكون فى مقدمة هذا الشق وفيه منطقة الحركة والتلفيف الخلفى الذى يكون فى الجهة الخلفية منه وفيه منطقة الحس ، ويسمى هذا الشق بشق رولندو نسبة الى المشرح الايطالى الشهير Luigi Rolando الذى كشف عنه فى القرن الثامن عشر وهو موجود فى أدمغة البشر والقرود • ومن الشقوق البارزة ايضا شق سلفيس نسبة الى المشرح الافرنسي الشهير Franciscus de le Boe Sylvius الذى كشف عنه فى القرن السابع عشر ، وهو يبدأ من أسفل ويصعد الى أعلى ويفصل الفص الجبهي عن الفص الصدغى ، وهذان الشقان يكونان حدود الدماغ الطبيعية •

وقد اتجهت انظار الباحثين الاولين نحو هذين الشقين وبذلوا مجهودهم فى تخطيط الدماغ مسترشدين بهما واطلقوا على جزء نصف كرة المخ الذى امامهما « منطقة الحركة » والذى خلفهما « منطقة الحس » وقسموا الدماغ فصوصا بحسب موقعها من عظام الجمجمة كما بينا ، ولم يقصدوا بهذا التقسيم تعيين وظائف خاصة بكل فص ، لأن الرأى الذى كان شائعا فى ذلك الوقت هو أن الدماغ وحدة لا تتجزأ فى قيامه بوظائفه فاذا تلف جزء من اجزائه فالاجزاء الاخرى تقوم مقامه ، وبقيت هذه النظرية منتشرة حتى مطلع القرن التاسع عشر • وفى حدود سنة ١٨٠٥ اخذ الطبيب النمساوي الشهير فرانز كول Franz Joseph Gall • يدرس تلاميذه ان مركز النطق فى الفص الجبهى فوق العينين تقريبا ، وكان قد لاحظ ان جباه جماعة من الخطباء المفوهين تكون بارزة ، واعتقد ان منشأ هذا البروز كبر الفص الجبهي الذى يبرز فى الجبهة ويضغط من داخل فيجعلهما بارزتين ايضا ، وبالرغم من ان غيره اثبت ان كثيرا من الخطباء المعدودين لا



المُخ



الشق المتوسط

الفص الجداري

الفص الجبهي

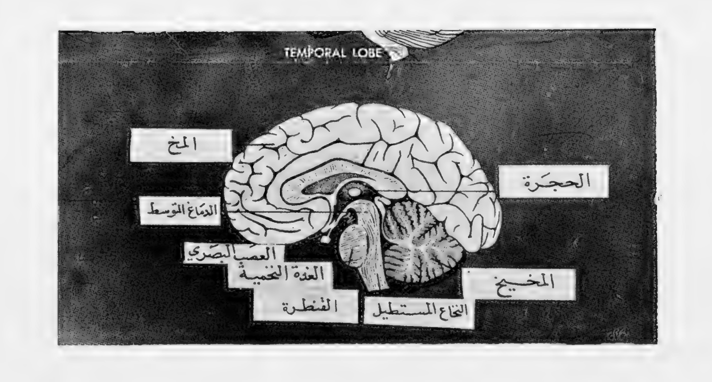
الفص القفوي

شق سلفيس

الفص الصدغي

« جانب من المخ »




TEMPORAL LOBE
المخ
الحجرة
الدماغ المتوسط
العصب البصري
الغدة النخمية
المخيخ
القنطرة
النخاع المستطيل



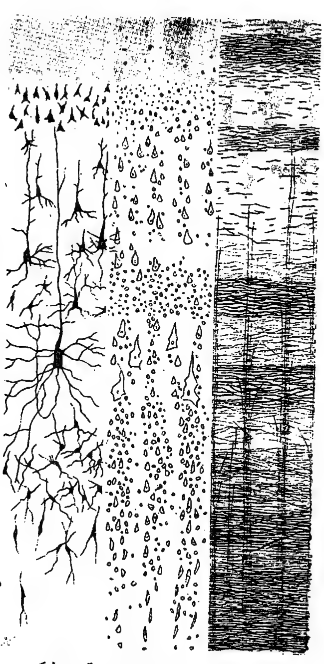
تكون جباههم بارزة انتصرت مدرسته ووجدت انصارا كثيرين ، فاندفع الى تعيين مراكز خاصة في الدماغ وعين مراكز ٢٤ صفة منها : القساوة وحب التملك وحب الطعام والقابلية والرياضة وحسن الايقاع والترتيب حتى انه عين مركزا لحس الوقت ، وقد صرف النظر عن الحواس الحقيقية كالنظر والسمع واللمس وغيرها من الحواس المعروفة ، واهتم بالصفات المعنوية ، وكان هذا المذهب من العوامل المؤثرة في نشوء علم الفراسة الحديث ، وهو تعرّف مواهب الشخص من بروز اجزاء الرأس الذى يشتمل على الدماغ ، وراجت هذه النظرية رواجا عظيما مدة طويلة .

واذ كانت هذه الفكرة منتشرة بين الناس كان البحث عن وظائف الدماغ الحقيقية يسير ببطء ، لأن البنج والتعقيم كانا لا يزالان في عالم الغيب ، فكان فتح الجمجمة يعد حكما بالموت . واخذ الاطباء يستدلون على وظائف الدماغ بالاعراض المرضية التي كانت تبدو على المرضى المصابين في أدمغتهم ، وقد لاحظ الدكتور مارك داكس من باريس ان الرجل اليميني العمل الذى يصاب بالفالج في جانب جسده الايمن يفقد القدرة على النطق ، وكان من المعروف ان الفالج الذى يصيب نصف الجسد الايمن يكون ناشئاً من تلف في ناحية الدماغ اليسرى ، وأن ألياف نصف كرة الدماغ اليمنى متصلة بألياف نصف كرة الدماغ اليسرى ، والعكس على العكس ، فاستنتج من ذلك ان الذين يصابون بالفالج من جانب جسدهم الايمن فيفقدون النطق يكون هذا المركز في الجهة اليسرى من أدمغتهم ؟ لأنها هي التي تكون تالفة في فالج جانب الجسم الأيمن ، وفقدان النطق يدل على أن مركزه في الناحية التالفة من الدماغ ؟ لأن نصف كرة المخ الأيمن يسيطر على جانب الجسم الايسر ، والعكس على العكس ، وقد أخذ البحث عن تعيين مراكز الوظائف الدماغية يتوسع بالتدريج ، وفي سنة ١٨٦١ نشر الطبيب الافرنسي بول بروكا Paul Broca تقريرا عن مفلوجين في الجانب الايمن من جسديهما اصيبا أيضا بفقدان النطق ، ولما شرحت جثتاهما بعد موتهما ، فوجد جزء من الفص الجبهي الأيسر تالفا في كل منهما ، فاستدل بذلك على أن مركز الأوتار الصوتية غير محصور في الفص الجبهي الايسر وتحقق ان مركزه في قاعدة التلفيف الجبهي الثالث ، ولا يزال المركز معروفا باسمه الى اليوم بالرغم من ان غيره عينوا مركز النطق حق التعيين .

وظهر بعد بروكا طبيب انكليزى شهير من رادة الامراض العصبية اسمه هكلن جاكسن Hughlings Jackson فبدأ تعيين مراكز الدماغ بدرس المصابين

بالصرع وغيره من امراض الدماغ ، وتوصل سنة ١٨٦٩ الى آراء هى فذة بالنسبة الى وقته ، لانه لم يعتمد على الدماغ ،اذ لم يكن متقدما فى عهده ، ولا على الاختبارات فى الحيوانات بل اعتمد على ملاحظة المرضى وتشريح الجثث ، فحكم استنادا الى اختباراته بأن مركز الحواس جميعها كالنظر والسمع واللمس وغيرها محصور فى الفصوص التى وراء الشق المتوسط ، وان مركز الحركة انما هو فى الفصوص الامامية منه، وبعد مرور سنة على هذا التصريح الجرى. كان اول من ايده طبيبان المانيان هما هتزك وفرتش اللذان قاما باختبارات فى الكلاب فنبها بالكهربا منطقة الدماغ الجبهية اليمنى من انصاف كرات ادمغتها فتحركت ارجلها اليسرى ولما نبها الجهة اليسوى من الدماغ تحركت ارجلها اليمنى ، ولما نبها المناطق الجبهية فى نصف كرة الدماغ اليسرى ظهرت حركات عضلية فى الجهة اليمنى من اجسام تلك الحيوانات ، ولكن حينما نبها الجزء الخلفى من المخ لم تظهر حركة قط فى العضلات بالرغم من تكرار التنبيه ، فابتهج بذلك جكسن وغيره من المختصين اشد الابتهاج ، وكان هذا الاستكشاف مفتاحا لتعيين مراكز الدماغ .

ولما ظهر ان مركز الحركة فى ناحية المخ الامامية ، وان منطقة الحس فى الناحية الخلفية منه اخذ المتخصصون يسائلون انفسهم هل من فرق فى تركيب النسج فى منطقتى الحس والحركة ؟ ولم يستطيعوا البت فى ذلك الى ان عرفت طرائق صبغ النسج فدرست بالمجهر ، وكان الطبيب الايطالى كميلو كولجى Camillo Golgi والطبيبان الالمانيان نيسل وويكرت Franz Nissl and Karl Weigert قد استنبطوا طرائق خاصة لصبغ نسج الدماغ ، فاتضح من صبغها ان المادة السنجابية (لحاء المخ) مؤلفة من ست طبقات مجهرية وهى : (١) الطبقة السطحية وتعرف ايضا بالجزيئية (٢) الطبقة الحبيبية وهى مركبة من خلايا صغيرة مستديرة (٣) الخلايا الهرمية الصغرى (٤) طبقة الخلايا المرصوصة (٥) الخلايا الهرمية الكبرى وهى اكثر عددا من الخلايا الهرمية الاولى (٦) الطبقة السفلى المؤلفة من خلايا مغزلية اصغر من الهرمية (انظر الرسم) ، وكان ترتيب الطبقات الست انموذجيا ، ولكن حينما شرع المتخصصون يفحصون عن حال نماذج من انحاء المخ المختلفة وجدوا انحرافا عن النموذج ، وكان هذا الفرق بارزا بين المنطقة الحسية والمنطقة الحركية ، وظهر من الفحص المجهرى ان الخلايا الهرمية فى الطبقة الثالثة والخامسة من منطقة الحس صغيرة جدا مع ان المنطقتين الحبيبيتين اكثر ثخنا بخلاياها الكرية ، وظهر بالمقابلة أن مناطق



خلايا نسيج لحاء الدماغ كما تظهر تحت المجهر



المخ ليست مختصة بوظائف خاصة بل تكيف خلايا تلك المناطق بحسب وظائفها ، فالخلايا الحبيبية مختصة بتلقى الحوافز الحسية ، والهرمية بتلقى الحوافز الحركية . فهل نستطيع ان نخطو الى ابعد من ذلك فى معرفة اسرار الدماغ ؟ ومما لا شك فيه ان المعنيين بمعرفتها كانوا يتوقون الى معرفة طبيعة الحوافز العصبية وكيف ينقل بعضهاحس اللمس وبعض حس السمع ، وبعض حس النظر ، والى معرفة الذاكرة والتفكير والتصور وغيرها من المواهب المعنوية والفنية . لا يستطيع احد ان ينكر اننا قطعنا شوطا غير قصير فى هذا الميدان وتوصلنا الى حل ألغاز فى هذا الجرم العظيم ، وكان الدافع الى ذلك الشغف العلمي ومحاولة استئصال الامراض العصبية ، وقد حذا كثيرون حذو بروكا وجكسن فى الكشف عن مجاهل الدماغ وتوصلوا الى نتائج باهرة .

الكهربا : من الطرائق التى اتبعها العلماء سبر الدماغ بالكهربا ، وهو أمر طبيعى ؟ لأن مادة الدماغ السنجابية مولدة للكهربا كما ان الحوافز العصبية الحسية والحركية كهربية الطبيعة ، ومن الممكن تنبيه الدماغ بالحوافز الكهربية التى هى من طبيعته ، وتتمكن أيضاً من الاستكشاف بالكهربية التى يولدها الدماغ حين قيامه بوظائفه وقياسها قياسا متقنا ، فاما أن نعرّض منطقة من مناطق لحاء الدماغ لمجرى كهربي منخفض القوة (فولتج) متناوب الجريان ونرقب التأثيرات التى تظهر ، وهذه الطريقة تتبع فى الاستكشاف عن منطقة الحركة ، واما ان نستقصى الحوافز الحسية الذاهبة من الجسم الى الدماغ ، وفى هذه الحالة لانحتاج الى تسليط مجرى كهربى ؟ لأن الحوافز الحسية أنفسها تولد كهربية ، فما علينا الا ان نصل الدماغ بمقياس كهربى ونرسل حوافز حسية كلمس الجلد او اضاءة ضوء او احداث صوت أو غير ذلك من الحوافز الحسية ، فتتولد كهربية فى مركز ذلك الحس يسجلها المقياس الخاص المتصل بالدماغ ، والكهربية التى تولدها هـذه الحوافز ضئيلة حتى ان العلماء لم يتمكنوا من تحقيقها قبل وجود الانبوب المفرغ الذى يكبر الكهربية المطلقة ملايين مرات ، وتسجل التأثيرات المتولدة فيها بقلم مرتبط بمقياس خاص . ان الامواج التى تتولد ويسجلها المقياس من الطرائق الحديثة للاستكشاف عن نشاط الدماغ وتشخص بها امراض عصبية كالصرع والسرطان ، وللمتخصصين طرائق اخرى للاستكشاف عن كهربية الدماغ وذلك بعكس النبضات الكهربية على آلة خاصة واظهارها على شاشة كما تظهر المناظر السينمية . وهنالك آلة خاصة تسمى مقياس

تموجـات الدماغ الكهربيـة Electroencephalograph تنبىء عن حالة الدماغ فى الاحوال المختلفة وفى الصحة والمرض وتستعمل فى تشخيص قسم من امراض الدماغ كالسرطان والصرع وغيرهما . كان لعلم الجراحة اليد الكبرى فى تعيين مراكز الوظائف لمحاء الدماغ ، فقد ازيلت اجزاء من دماغ الحيوانات ولوحظت عواقب ازالتها ، فوجد المتخصصون انهم لما ازالوا الفص القفوى مثلا أصيب الحيوان بالعمى ، فعرفوا ان هذا الفص هو مركز البصر ، ولما ازيل الفص الصدغى اصيب الحيوان بالصمم فتحقق الجراحيون ان هذا الفص هو مركز السمع ، ولما تقدم علم الجراحة واصبح فتح جمجمة الانسان واجراء العمليات الجراحية عليها ممكنا اخذ الجراحيون والاطباء يستكشفون عن مناطق الدماغ وتوصلوا الى تعيين مراكز كثيرة منها ، ولا يزالون جادين فى ارتياد اجزاء هذا العالم المجهولة.

الاظهار Projection : لا معنى للحوافز الحسية والحركية التى ترد الدماغ وتصدر منه اذا لم تظهرها مراكزه فاذا رأينا كتابا مثلا فالحافز الحسى هنا هو الكتاب الذى تنتقل صورته بواسطة العين وعصب البصر الذى هو فيها الى مركز البصر فى فص الدماغ القفوى ، وليست العين سوى آلة كآلة التصوير تنقل المرئيات الى مركز البصر فى الدماغ بواسطة العصب ولا دخل لها بتفسيرها ، فالمركز هو الذى يفسر ما تراه ويميز بين رؤية الكتاب والحجر والشجرة او غير ذلك ، فاذا كان تالفا فانا لا نستطيع رؤية الاشياء بالرغم من سلامة العين والعصب الذى فيها ، وتفسير المرئيات او اظهارها هو من وظيفة المراكز التى ذكرناها ، ولا فرق فى نقلها سواء اكانت حوافز واردة من العين ام من الاذن ام من اللسان ام من الجلد ، فالمهم أن تصل الى مراكز المخ العليا المنوط بها تفسيرها ، واى حافز عصبى يصل الى مركز السمع فى الدماغ يجعل صاحبه يسمعه سواء أكان صوت انسان ام صوت جرس ام غير ذلك، ولو كان فى الامكان ان يتصل عصب البصر بمركز السمع وعصب السمع بمركز البصر لتمكنا من سماع البرق ورؤية الرعد ، ومن الادلة التى تثبت ان الدماغ قادر على توليد حواسه الخاصة للعوارض التى تحدث للذين يصابون بالصرع ، ما ذكر جماعة منهم انهم كانوا يرون حلقات من نور فى بدء نوبات الصرع ، ويذكر غيرهم انهم كانوا يسمعون اصواتا فى بدء حصولها وقسم كانوا يشمون روائح كريهة او يذوقون اشياء غريبة . ان هذه الحواس الغريبة التى تتولد فجأة فى خلايا الدماغ من اطلاق حوافز كهربية منها ما يتصل بمركز السمع ومنها ما يتصل بمركز البصر ومنها ما يتصل بمركز الشم ومنها ما يتصل بمركز الذوق

فيحس بها الانسان .

ان اجزاء الدماغ المنوط بها نقل الحوافز الحسية والحركية تسمى المناطق المظهرة والمفسّرة Projection Areas .

ان منطقة الحركة هي المنطقة التي كشف عنها الطبيبان الالمانيان فرتز وهتزك بالتنبيه الكهربي منذ ٧٨ سنة ، ومركزها في الفص الجبهي الذي هو امام الشق المتوسط وقد مر وصفه .ان هذه المنطقة هي المنوط بها جميع حركات الجسم ، وحركات الايدي والارجل والاطراف الخ ، ويقابلها في الجهة الخلفية من هذا الشق منطقة الحس الممتدة على منحدره ، وهي المحتلة جانبا من الفص الجداري المجاور لهذه المنطقة ، وفي الفص القفوي من الدماغ رقعة بيضاء تسمى اللحاء المخطط وفيها مركز البصر اي المنطقة التي تظهر المرئيات وتفسرها ، وفي القسم الاعلى خلف الفص الصدغي مركز السمع ، وتسير حوافز الشم من نهايات اعصاب الانف الى بصلة الشم التي هي تحت اللحاء ، ويتشعب منها الى مناطق لا تزال مجهولة وتكون هذه المناطق ضئيلة الاثر في الانسان ، ومنطقتها واسعة وبارزة في الحيوانات كالكلاب ، ولا يعرف الفسيولوجيون الا القليل من حقيقة الشم والذوق ، وقد ظهرت ادلة تدل على انه من الممكن ان تكون حاسة الذوق تحت الفص الجداري .

ان اعضاء الحس ترسل حوافزها العصبية فتنعكس اشباحها في الدماغ ، ومثال ذلك قوقعة الاذن والغشاء الملتف حولها المكون من نسيج عصبي ، فانها تتلقى اهتزازات الصوت وتنقلها الى منطقة السمع في الفص الصدغي فتظهر هناك ان كانت صوت مدفع او لحن موسيقى او هزيم رعد الخ وكذلك جزء العين المختص بالنظر ، فان عدسة العين تركز اشباح المرئيات التي تنتقل الى شبكة العين وتتمثل فيها رقعة صغيرة جدا ، وتظهر هذه الرقعة المجهرية كما هي عليه في مركز البصر الذي يكبرها الوف مرات . من الصعب التكهن بالاشباح التي تولدها حاسة الذوق في الدماغ بسبب غموضها ، ولكن لا غموض في مناطق الحس والحركة ولا مجال للتأويل فيها ؟ لأنها تتلقى الحوافز وتظهرها كما هي عليه ، فشبح الانسان المنعكس على الدماغ يكون بصورة انسان مصغر مجزأ الأوصال ، ولكن مركز النظر يظهره بصورته الكاملة . وهنا يقف العقل عاجزا عن ادراك هذه القوة العجيبة التي تصور الانسان انسانا والحمار حمارا ، لأن ما ينقل اليها انما ينقل اوصالا منفصلة فكيف تظهرها انسانا او حيوانا ، هذه هي المعجزة الكبرى

التى لا تزال تحير ألباب نوابغ العلماء ، وتظهر عظمة الصانع العظيم الذى يعجز عن ادراك صنعه الانسان.

حاول فريق من المختصين بالامراض العصبية سبر وظائف الدماغ الحسية والحركية ونعيين مواقعها ، منهم هودسلي وبدول وشرنتن فى انكلترة وكن وكشن وانسم فى الولايات المتحدة وفورستر فى ألمانية ، وقام بأوسع دراسة فى هذا الموضوع ويلدربنفلد Wilder Penfeld ومشاركوه فى معهد الامراض العصبية فى مونتريال ، وكشف بالكهربا عن لحاء دماغ المرضى الذين اجرى على ادمغتهم عمليات جراحية برضاهم وتوصل بالاختبارات التى اختبرها فى مئات المرضى الى نتائج قليلة ، وقد ظهر من مجموع دراساته ان كمية اللحاء المرتبطة باجزاء الجسم لا تتوقف على حجم العضو المرتبطة هى به بل تتوقف على مدى استعماله ، ولهذا تكون كمية اللحاء المرتبطة بالايدى والاصابع اكثر من الكمية المرتبطة بالارجل والاباهيم ، والمنطقة المرتبطة بالشفاه اوسع من سائر مناطق الحس الاخرى بسبب كثرة استعمال الشفاه فى النطق والاكل وغير ذلك. تتمثل فى الدماغ وظائف أجزاء الجسم كانها منفصل بعضها عن بعض ، فتظهر الاذرع والمفاصل كأنها غير متصل بعضها ببعض ، ويظهر الرأس كأنه منفصل عن الجسد . ان عدم تناسب المناطق فى لحاء الدماغ مع كبر اعضاء الجسم التى يمثلها ومناسبته الحاصلة بكثرة استعمالها يكون اقل بروزا فى الحيوانات كلما نزلنا فى سلّم تطورها، وقد درس فريق من العلماء المختصين بالمباحث الفسيولوجية العصبية فى جامعة هبكنز باميركا المناطق الحسية فى لحاء دماغ الحيوانات بالتتابع، فدرسوا لحاء القرود والكلاب والقطط والخراف والخنازير والارانب والجرذان ، وقال الدكتور ووزلى اننا لم نجد تناسبا بين اجزاء الجسم والاجزاء الممثلة لها فى لحاء الدماغ الا حين وصلنا الى الجرذان. ان انعكاس اشباح المرئيات فى دماغ القرود موحدة اكثر مما هى عليه فى الانسان المصغّر الذى وصفه الدكتور بنفلد، واشباح المرئيات فى لحاء القطط تكون اجمع من غيرها ، وبالرغم من ذلك تظهر الاشباح أوصالا . أما الجرذ فبالرغم من بروز رأسه وشفتيه فانأجزاء دماغه متناسبة مع أجزاء جسده الممثلة فى الدماغ . ان فقدان التناسب بين اجزاء الجسم والمناطق الممثلة لها فى الدماغ يشعر بأن كل جزء من لحاء الدماغ يرسم صورة لحياتنا اليومية ، فيكون كبيرا او صغيرا بالنسبة للعضو الذى يمثله ، فيكون الجزء الاكبر منمنطقة الحس فى الخنزير فى خرطومه ، لأنه أكثر أعضائه استعمالا ، وفى القرد العنكبوتى ذى الذنب الطويل





مصور منطقة الدماغ الحسية والحركية
بحسب المساحة المخصصة للاجزاء من اجزاء الجسم



مصور منطقة الدماغ الحسية والحركية

بحسب المساحات المخصصة لكل جزء من اجزاء الجسم



تكون المنطقة التى تمثل الذنب كبيرة فى لحاء دماغه ، ونجد منطقة الشم فى ادمغة عدة كلاب اكبر المناطق اتساعا ، وتأتى فى المقام الاول من بين المناطق الاخرى . وقد وصف الدكتور ادريان من جامعة كمبردج فى انكلترة الاختبار الآتى الذى اجراه على قنفذ : أمَرّ مجرى هوائيا فى منخرى القنفذ ، ومع أن المختبر لم يشم رائحة فى مجرى الهواء ، ظهر نشاط كهربى فى نحو ثلثى دماغ القنفذ فدل على اتساع حاسة الشم فيه ، ومنذ بضع سنوات كان الدكتور ادريان المذكور يختبر لحاء دماغ قط وكشف فيه عن مركز حسيّ ثان منفصل عن المركز الرئيس المعروف ، ووجد الدكتور صموئيل تالبوت من جامعة هبكنز ان للقطط مركزا ثانيا للسمع غير المركز الاصلى المعروف ، ومن ذلك الزمن اخذ الباحثون يثبتون وجود اكثر من مركز واحد فى كثير من الحيوانات خلا حاستى الذوق والشم ، وقد وجد الدكتور بانفلد من زمن قريب منطقة حسية ثانية فى لحاء ادمغة البشر موقعها فى فص الدماغ الجدارى ولكنها منفصلة عن منطقة الحس المعروفة التى موقعها خلف الشق المتوسط وقد مر ذكرها .

الارتباط Association :

اننا لا نعلم أكان للانسان منطقتا نظر ومنطقتا سمع ام ليس له ذلك ، كما اننا لانعلم أكانت المناطق الجديدة التى كشف عنها تعمل مستقلة عن المناطق الاصلية أم كانت مرتبطة بها ، وقد ظهر من عدة اختبارات فى الكلاب ان منطقة السمع التى كشف عنها اخيرا تتأثر بالاصوات العالية فقط كما انها تعطى صورة للاصوات التى تصل اليها كالمركز الاصلى .

ان حواس السمع واللمس وغيرها من الحواس التى تصل الى المناطق المظهرة هى أنباء مختلفة لا معنى لها ، اذا لم تكن مرتبطة باجزاء اخرى فى لحاء الدماغ . لايجتنب الطفل النار بسبب الالم الذى يصيبه من مسها بل بسبب الالياف الرابطة التى تصل اجزاء المخ بعضها ببعض ، والالياف الرابطة هى التى تعلمه عدم مس النار ، لانها هى التى تجعله يربط الالم بمنظر النار ، والصوت الصراخ بالانذار ، وجر اليد بتجنب الخطر . يحتاج الدماغ الى ذاكرة لربط الحاضر بالماضى وادراكه معنى هذا الارتباط واهميته ، ويتطلب هذا العمل ملايين روابط لربط الحوادث المتعددة التى تحدث للانسان بعضها ببعض كالروابط الحسية والحركية التى تتولد من السمع والبصر كالقراءة والكتابة والنطق والمؤثرات الخارجية المتعددة الانواع ، فيجب ان يعيها الدماغ ويحللها ويفسرها ويقابل بينها وغير ذلك من اعمال الدماغ المعقدة . ان المناطق الرابطة

هى التى تقوم بهذه الوظيفة المتقنة خير قيام ، ومن العبث ان ندعى ان المناطق الرابطة اهم من المناطق المظهرة . فمن دونها ، ان كان ذلك ممكنا ، لا يتلقى لحاء الدماغ معلومات عن العالم الخارجى ولا يستطيع السيطرة على حركات الجسم الارادية ، وبالرغم من ان المناطق المظهرة ضرورية كانت اقل درجات اللحاء نشاطا ، وكلما نزلنا فى درجات السلم الحيوانى نجد المناطق المظهرة اكثر من الرابطة . يقول الدكتور ووزلى انلحاء دماغ الجرذ يكاد يكون كله مؤلفا من مناطق مظهرة ومن الصعب ان ترى مكاناللالياف الرابطة . ان اكثر لحاء دماغ الانسان مخصص بالمناطق الرابطة ، ونضرب المثلالآتى للدلالة على هذه الحقيقة : ان مركز البصر فىالفص القفوىيحيط به منطقة ارتباط تسمى اللحاء الرابط الاضافى ، وبالقرب منه مركز ارتباط آخر ، ومن الممكن أن نجد أليافا ارتباطية تربط المراكز الثلاثة ، فيتضح لنا من هذه الحقائق ان مركز البصر فى فصالمخ القفوى متصل بسطح الدماغ بوساطة المناطق الرابطة التى ذكرناها ، واى شىء يتلف مركز البصر فى لحاء الدماغ يجعل المرء يصاب بالعمى الكامل اى يجعله لا يبصر البتة وهو ما يطلق عليه الفسيولوجيون العمى اللحائى Cortical blindness فاذا كان الاذى محصورا فى منطقة الارتباط الاضافية الاولى فان المصاب يستطيع ان يبصر ولكنه لا يستطيع ان يفسر المرئيات ويسمى هذا النوع العمى العقلىMind blindness وهو ضرب من فقدان الوعى الحسى المسمى Agnosia ومعناه عدم الحس ، فان المصاب به لا يستطيع استعمال حاسة السمع والبصر او الشم او غير ذلك فاذا سمع صوتا لا يميز أصوات حيوان كان أم صوت انسان أم صوت طيارة أم غير ذلك ، ويكون موضع الارتباط فى هذه الحالة فى المركز الثانى ، ولا يجد الدماغ صعوبة فى معرفة الاشياء المرئية ولكنه لا يتذكر صورتها ما لم يرها ، وكانت هذه الظاهرة معروفة منذ زمن حين كان المصاب لا يفقه معنى الكلام المطبوع او المكتوب بالرغم من انه كان يراه ، ويسمى فقدان وظيفة مركز الارتباط الثانوى العمى الكلمىWord blindness المعروف بالعمى الذى يرى فيه المصاب الكلمة ولا يستطيع النطق بها ، واليك حادثةتوضح هذا النوع من العمى : اصيبت ممرضة فى اميركا بالتهاب لحاء النخاع الشوكى فىاثناء انتشار هذا المرض ثم شفيت ونجت من الشلل الذىيصيب فى العادة المصابين بهذا المرض وظهر بعد ثلاثة أسابيعاضطراب فىبصرها فأخذت تسألفجأة : لماذا لبست الممرضاتألبسة سودا (معأن ثيابهن كانت بيضا) ؟ ولما طلب منها أن تقرأ قالت : انها لاتستطيعأن تبصر . ولما كتب لها الحرف O بعلو ١٠ سم قالت انه قريب جدا فعدلت المسافة ، فقالت انه بعيد

جدا ولكنها لم تستطع قراءة الحرف الى ان اخذت تتعقبه بيدها ودل ذلك على انها كانت تراه فاستطاعت بهذه الطريقة قراءته فى الحال على الصواب وجربت فى احرف اخرى فلم تستطع قراءتها الا بعد ان لمستها باصابعها ، فاستطاعت بهذه الطريقة ان تقرأ جملا كاملة ، وكانت لا تستطيع فى ايام معرفة الالوان ، وكانت تعرفها حق المعرفة فى ايام أخرى ، وقد عرضت عليها مفاتيح مربوطة بسلسلة فلم تستطع معرفتها ، ولكن حينما سمعت خشخشتها صرخت قائلة مفاتيح ، وقد وضعت بين يديها ساعة فلم تعرفها ، ولما وضعت على اذنها صرخت قائلة ساعة ، وكانت اذا نظرت برتقالة لا تعرفها الا بشمها رائحتها. كان فقدان الحس فى هذه الحالة من الضرب الاول اى العمى العقلى ، وسببه عيب فى وظيفة منطقة الحس الاضافية فكانت المريضة ترى وتسمع وتشم ولكنها لا تستطيع ربط هذه الحواس بعضها ببعض بسبب عيب فى المناطق الرابطة ، فاذا سمع الانسان صوت جرس فى الحالة التى تكون فيها مناطق الدماغ سليمة يستطيع ان يميزه عن صوت الصافرة أو صوت الباب أو غير ذلك ، لأن صوته مقترن بحاسة النظر وحاسة السمع والذاكرة وغير ذلك ، فلا يستطيع الانسان ان يعرف البرتقالة بمجرد حاسة النظر بل باقترانها بحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة الحجم والشكل الخ فنستنتج مما مر بنا ان لكل حاسة روابط تربطها بعضها ببعض ولا تزال تخطيطات هذه المناطق غير تامة الوضوح.

يؤدى اذى الدماغ فى بعض الحالات الى النسيان اى فقدان الذاكرة Amnesia وخاصة العجز عن تذكر قسم من الكلمات ، وقد ذكر الدكتور نيلسن Nelsen حادثة غريبة من هذا النوع وهى ان رجلا كان ينسى فى وقت معين نصف جسمه الايسر فيغسل الجهة اليمنى من وجهه وذراعه وساقه فقط وينسى اليسرى ، وكان يتهيج حينما كانت امرأته تنبهه الى هذه الظاهرة الغريبة ، فيدرك حالا ان له جانبا آخر ، ولكنه يعود الى حالته الغريبة حين ارتداء ثيابه فيلبسها فى الجانب الايمن من جسده فقط وينسى الايسر الى ان تنبهه زوجته فيتذكر ان له جانبين ، وظلت حالته تزداد سوءا الى ان اجريت له عملية فى دماغه واستؤصل من فصه الجدارى ورم كان قرب منطقة الحس.

ان لمنطقة الحركة فى الفص الجبهى مناطق ارتباط كالحس ايضا ، منها تلفيف بروكا الذى مر ذكره . ان هذه المنطقة المختصة بالنطق السليم موجودة فى الحالة السويّة فى نصف كرة الدماغ اليسرى فى الرجل اليمينى ، وفى نصف كرته اليمنى فى اليسارى وبالقرب من هذه المنطقة قسم من المناطق الحركية المختصة بحركات المهارة كحركات الأيدى

فى الرسم والعزف بالآلات الموسيقية وما اشبه ذلك .

يذكر علم الانسان (انثربولوجية) ان تطور اللغات المعقد والنطق بها مرتبطان ارتباطا وثيقا باستعمال الآلات والمهارة اليدوية ، ويرى جماعة من الباحثين ان اصل اللغات اشارات يدوية. ان منطقة بروكا مرتبطة اشد الارتباط بمناطق رابطة حركية وحسية كمنطقة النظر مثلا (القراءة) ومنطقة السمع (سماع الكلام) فاذا اصيبت المناطق الحركية الرابطة او الالياف التى تربطها بغيرها من المناطق يحدث أمران : العجز عن القيام بحركات ارادية Apraxia والعمى فلا يستطيع المصاب فى الحالة الاولى ان يمسك القلم ولا ان يربط ربطة الرقبة ولا ان يلبس ثيابه ولا ان يفعل غير ذلك من الحركات الارادية ، واذا طلب منه ان يوقع مكتوبا فانه لا يستطيع ان يفعل ذلك بالرغم من انه هو الذى كتبه ، ولا يستطيع المصاب فى الحالة الثانية ان ينطق كما انه لا يستطيع فى الاذى الحسى ان يبصر ولا ان يسمع ولا ان يلمس ، واقول بتعبير آخر ان المصاب بتلف فى المناطق الحركية الرابطة التى هى من الضرب الاول تختل حركاته الارادية واذا كان التلف فى المناطق التى من الحالة الثانية يختل نطقه ، فيدل فقدان النطق فى اغلب الاحيان على اعتلال المراكز العليا ويظهر بمظاهر شتى ، ويكون احيانا شذوذا يسيرا كالحالات الآتية : كان مريض يستطيع قراءة الرقمين ٥ و ٧ منفردين ولكنه لا يستطيع قراءتهما مجتمعين ٥٧ ، ان العجز عن النطق أبدا هو اقصى حالات مظاهر اعتلال النطق، ويستطيع المريض فى بعض الحالات ان يلفظ نعم اولا فقط ، وفى بعض بكلم ليست كلاما ، ومن الممكن ان يستطيع المصاب ترديد كلمة واحدة وهى الكلمة التى لا يريدها ولكنه لا يستطيع ان ينطق بالكلمة التى يريدها ، وكان مصاب آخر يستطيع ان ينشد ابياتا من الشعر ويستشهد بشواهد مشهورى الرجال وينشد اناشيد من دون ان يخل بحرف واحد منها ولكنه يعجز عن استعمال كلماتها فى اثناء الحديث ، فهذه المظاهر ترينا دقة تركيب الدماغ العجيبة.

مناطق الدماغ الصامتة Silent Areas :

ان الفصوص الجبهية هى اكبر فصوص الدماغ ، وبعد ان فرغ المتخصصون بالامراض العصبية من المناطق الحركية الواسعة التى فى مقدمة الشق المتوسط وجدوا مناطق اخرى واسعة لا تزال مجهولة. ان المنطقة الامامية البارزة من الدماغ المتدلية فوق العينين لا تستجيب للحوافز الكهربية ، ولهذا سميت المنطقة الصامتة وكانت معروفة منذ

القديم بأنها مركز الذاكرة والذكاء .

ومنذ ١٠٠ سنة أصيب أحد عمال المقالع فى أمريكا بأذى فى مقدمة دماغه لما كان بفجر البارود فى المقلع لنسف حجارته ، فتطايرت شظايا قضيب حديد كان يستعمله لادخال البارود ، ودخلت احداها فى خده ونفذت الى جمجمته واحدثت جرحا بليغا فى فصى دماغه الجبهيين، فهرع احد العمال الذين كانوا معه فانتزع الشظية من دماغه، وكان شفاؤه من المعجزات وعاد بعد شهر الى عمله ، وبقيت ذاكرته سليمة ومهارته كما كانت قبلا ، ولاحظ كل من كان يشتغل معه تغيرا محسوسا فى سلوكه فصار يتكلم كلاما بذيئا ،ولا يهتم بمصلحة غيره ، ولا يبر بوعوده ، وكان اصحابه يتحملون منه ذلك بسبب الحادث الذى اصابه .

قام العلماء باختبارات عدة فى الفص الجبهى فى الحيوانات ، ومن اشهرها الاختبار التاريخى الذى بدأ به الطبيبان الاميركيان جون فلتن وكارليل جاكسن فى مختبر مدرسة يال الطبية سنة ١٩٣٣ وكانا مهتمين بمعرفة النتائج لازالة الجزء الامامى من فص الدماغ الجبهى ، فاختارا قردين لهذا الاختبار ووضعاهما فى التدريب الشديد من تشرين الاول الى آذار ، ثم اجريا عليهما عملية جراحية فاستأصلا الجزء الامامى من الفص الجبهى من نصف كرة واحدة من دماغ كل منهما فلم تغير هذه العملية سلوكهما تغيرا محسوسا ، وبعد أن برأ الجرح اختبرا القردين اختبار الذكاء فوجدا أن ذكاءهما كما كان قبل اجراء العملية ، وفى حزيران عملا فيهما عملية جراحية ثانية وازالا الباقى من الجزء الامامى من الفص الجبهى ، ثم اختبرا ذكاءهما فى هذه المرة فوجدا تغيرا محسوسا فيه ، اذ وجدا ان شراسة الطبع التى كانت تظهر فيهما حينما يحرمان شيئاً بسبب خطأ ارتكباه ، فى اثناء تدريبهما قد زالت منهما ، فصارا اذا أخطأ احدهما وعوقب لا يثور بل يهز كتفيه ويعمل عملا آخر غير الذى كان يعمله ، وقد تلا فولتن وجاكسن تقريريهما عن هذا الاختبار فى المؤتمر الطبى الذى عقد فى لندن سنة ١٩٣٥ ولما انتهى فولتن من تلاوته سأل الدكتور ايكازمونى Egaz Money المتخصص بالامراض العصبية فى لشبونة لماذا لا تطبق هذه النظرية على الانسان ، فتزال بها حالة التهيج الذى فيه ؟ فأجابه فولتن انه استغرب هذا الاقتراح اقتراح سرعة تطبيق هذه النظرية على الانسان . وبعد سنة فقط أجرى الدكتور مونى مع أحد الجراحيين البرتغاليين ، وهو الدكتور ليما Dr. Lima خمسين عملية فى مصابين بامراض عقلية مختلفة منقطع الأمل من شفائهم ولكن الدكتور ليما لم يستأصل فى عملياته أى جزء كان من اللحاء ، بل

قطع الالياف التي بين مقدمة الفص الجبهي ومركز الحجرة thalamus [1] في ساق الدماغ . ولأنه استأصل الألياف البيض فقط سميت (العملية البيضاء) ، Leucotomy (معنى ليكوس في اليونانية الابيض). وفي السنة التالية لتلك اجرى اول عملية من هذا النوع عدد من الجراحيين في الولايات المتحدة ، وانتشرت في انحاء اميركا الشمالية حتى بلغ عدد الاشخاص الذين عملت لهم نحوا من ٢٠٠ انسان.

ان استئصال هذه الالياف البيض التي تصل الجزء الامامي من الفص الجبهي - المعروف بالدماغ الجديد بساق المخ المعروفة بالدماغ القديم يقطع صلة سيطرة العاطفة التي في ساق المخ عن الجزء الامامي منه ، ولا نعرف طبيعة هذه الصلة بين العاطفة والجزء الامامي من فص الدماغ الجبهي ، ومهما كانت طبيعتها فان قطعها ادى الى شفاء كثير من المصابين بانواع الجنون وجعلهم اسوياء ولم يكتب النجاح لقسم من هذه العمليات ، ويزعم الذين قاموا بها أن نحوا من ٦٠/٠ ممن أجريت فيهم تحسنت أحوالهم بعد العملية ، ويحاول الاطباء تطبيق هذه العملية على الانحرافات الشخصية كالافراط في حب الذات ، وعدم التقيد بالروادع الاخلاقية والطيش ، وفقدان اتزان العاطفة وما اشبه ذلك.

ان الحروب والعوارض هيأت للجراحيين ألوف حوادث ، لاختبار جراحة مقدمة الفص الجبهي لاستئصال الأورام والأمراض الدماغية الأخرى ، وقد مهدت السبيل لاختبار وظائف هذه الناحية من الدماغ .

لقد انطبعت في نفس الدكتور كرت كولد ستين Dr. Kurt Goldstein الحوادث التي شاهدها في مستشفى مونتفيور في نيويورك في المصابين بجروح في ادمغتهم في المعارك الحربية فانه وجد كثيرا من المصابين بجروح في الفص الجبهي يفقدون قوة التخيل ويكونون ضعفاء الآراء ، ولاحظ ان المصابين يكونون اسوياء في الحالات المحسوس بها ، اما اذا تغيرت الحالة وكابدوا مشكلات لا خبرة لهم بها فانهم يقفون عاجزين عن معالجتها ، فهم اسوياء في الامور المحسوس بها وغير اسوياء في الامور المجردة . وقد اهتم كوستار ريلندر Gosta Rylander من ستوكهلم لهذه الظاهرة فدرس ٣٢ اصابة اذى في الجزء الامامي من الفص الجبهي اختبر عددا منهم

---

(١) لفظة يونانية الاصل معناها الحجرة وهي كتلة سنجابية من مادة اللحاء في قاعدة الدماغ ، واقعة في حدود البطين الثالث وتعرف ايضا بحجرة البصر .

بضرب الامثال السائرة لهم وطلب منهم تفسيرها مثل (لا تسلم الجرة كل مرة) ففسرها عدة منهم تفسيرا حرفيا مجردا عن الحكمة التى تشتمل عليها فجاء تفسيرها بغير معنى وكان جوابه احد المختبرين وهو ارقاهم ثقافة ان الجرة لا تنزل الى البئر ، ولما قرىء له المثل (حتى الدجاجة العمياء تجد حبا) قهقه ضاحكا وقال انها لا تستطيع ذلك اذا كانت لا تبصر .

وقد استخلص الدكتور ريلندر نتائج اختباراته الاثنين والثلاثين مريضا فكانت كما يأتى : تأثرت عواطف ٣٠ منهم ، وحدث تغير فى ارادة ٢٢ ونفسياتهم ، وتأثر ذكاء ٢١ منهم (خصوصا المواهب العليا) ، فاستنتج انه بالرغم من انهم يستطيعون ان يحيوا حياة اجتماعية سوية يصيبهم الويل اذا اشتغلوا اشغالا عقلية ذات شأن.

وقد قام بدراسة واسعة لموضوع فقدان الجزء الامامى من الفص الجبهى العالم النفسانى الشهير ووردهلستد Ward Halstead فى كتابه الشهير «الدماغ والذكاء» كان هلستد يدير ادارة مستوصف للبحث عن الامراض العصبية فى جامعة شكاغو ، وفحص عن احوال ٢٣٧ شخصا ، منهم مصابون بأذى فى الدماغ ، وآخرون بأمراض عقلية ، وفحص معهم عن احوال اشخاص اسوياء ليتخذ منهم ضوابط لمباحثه ، وكانت خلاصة النتائج التى توصل اليها فى اثناء الاثنتى عشرة سنة من بحثه هى : (١) ان الذكاء البيولوجى مستقر فى لحاء الدماغ (٢) ان الذكاء ليس متساويا فى انحاء اللحاء (٣) ان الذكاء يبلغ ذروته فى فصوص الدماغ الجبهية ، واستنتج ان هذه الفصوص التى ظلت مدة طويلة معدودة من المناطق الصامتة هى اكثر اجزاء الدماغ انبهاء للذكاء .

وبالرغم من المباحث الواسعة التى قام بها العلماء عن اسرار هذا الجرم الصغير الذى وسع السموات والارض وانطوت فيه معجزات الحياة لا نزال نجهل كثيرا منها ، ولايزال جماعة من الثقات متمسكين بالنظرية القائلة ان الدماغ وحدة لا تتجزأ ، ومن المحقق ان فى فسلجة الدماغ ما يؤيد هذا الرأى ، ومهما قيل فى لحاء الدماغ فانه لا يزال لغزا شديد الابهام ، ولا نعلم أيستطيع هذا الدماغ حل طلاسم نفسه وادراك ما فيه من القوى العظيمة التى هى فوق مقدرة البشر أم يعجز عن ذلك ، ومما لاشك فيه أن الطبيعيات والكيمياء

والرياضيات التى استعان بها المتخصصون على درس الجهاز العصبى ستساعد على المباحث العويصة التى تنتظرنا ، وفوق كل ذى علم عليم .

شريف عسيران

اهم مصادر البحث

1. Scientific American October 1949.
2. Howells Text Book of Physicology Fulton 1948.
3. Gray's anatomy
4. Physiology of the Nervous System Fulton 1948.
5. Handbook of Physiology Mcdowell 1944.

موارد تاريخ الطبري

ان مسألة المصادر فى تدوين التاريخ عند العرب لمّا تحلّ حلا علميا نهائيا ، ولما تدرس دراسة كافية[1] على الرغم من الجهود التى بذلها نفر من المستشرقين مثل وستنفلد ،[2] لتدوين تأريخ « علم التأريخ » عند العرب ، وبين الاتجاهات التى سار عليها المؤرخون ، وتعيين صلات بعضهم ببعض . واذا كان الموضوع واضحاً كما يخيل لمن يريد الكتابة فى تطور علم التاريخ عند العرب من القرن الرابع للهجرة فما بعد فان هــذا الوضوح لا يمكن أن يدرك بالنسبة للقرون الثلاثة الأولى للهجرة ولا سيما للقرن الاول والثانى ، لأننا لا نستطيع حقاً أن نميز بين التاريخ الصِرْف والمواد التى كانت تروى وتقص على أنها مادة صالحة من مواد التاريخ ، وهى فى الواقع شىء من الأساطير الشعبية والقصص المنقول بالتواتر عن العرب فى العهد الجاهلى ، وشىء أخذ من هنا وهناك ومزج مزجا فكان نواة لمادة التاريخ العلمى الذى بدأ يظهر فى القرن الثانى للهجرة .

وليس هذا بدعاً جاءت به العقلية العربية ، لأن ما تحدثنا عنه من ارتباك ومن صعوبة التمييز بين المواد التاريخية الاصلية والمواد شبه التاريخية قد مر على كل الأمم المثقفة التى شعرت بحاجتها الى تدوين سيرها ، فلما شرعت فى التدوين صدمتها هذه العقبة عقبة التمييز بين المادة التى يبنى عليها المؤرخ أحكامه التاريخية والمواد التى ابتدعتها

---

(١) راجع دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربيــة) ص ٤٨٣ ، والنص الانكليزى ٤/٦٧٢ وسارمز الى الترجمة العربية بكلمة «دائرة» .

(٢) Ferdinand Wüstenfeld. Die geschichtschreiber der Araberund ihre Werke in : Abhanhandlungen der Akademie der Wissenschaften Zu göttingen. Bd, 28 und 29. 1881. 1882. كذلك vergleichs — Tabellen der Muhammedanischen und Christlichen Zeitrechnung. Leipzig 1854.

العاطفة واختلقها الخيال واقتضتها الأحوال التى مرت بها تلك الأمة ، أعنى بها هذه الروايات التى تجمعت على مرور السنين وكانت تتكيف كلما تقادم بها العهد من شعر ونثر ، تلك التى كان أساسها الشعر الحماسى لسهولة حفظه ، ثم النثر الذى كان من مستلزمات هذا الشعر لشرحه ولتوضيحه وكان يختلف طولا وقصرا باختلاف عمره ، وحملته هم الرواة الذين كانوا يقصون ذلك على الناس شعرا أو نثرا ، ونسمى هذه المادة القصص والأساطير . وهو مبدأ تاريخ كل أمة . وانه ان لم يفدنا فائدة من الناحية التاريخية فانه يفيدنا فى ناحية دراستنا لعقليات الأمم ونفسياتها ، فهى لذلك مادة مهمة فى علم الموازنات والمقايسات . به بدأ تأريخ اليونان وتأريخ الفرسْ وتأريخ الرومان ، ونجده فى شعر « هوميروس » و « فرجيل » و « الفردوسي » .

ومن هذا القبيل التاريخ المأثور عن عهود ما قبل الاسلام ، ولا سيما التاريخ المنقول بالسماع والرواية لشبه جزيرة العرب فى العهد الجاهلى . ذلك الذى يتألف من قصص وأساطير رواها رجال معدودون يمكن عدّهم ويحتل الشعر فيها مكانة بارزة ، فلا تكاد تخلو قصة منه وان لم تكن هنالك مناسبة قوية ، فهى قد وضعت على طراز روايات الرواة فى أيام العرب يُعْوِزها الابداع وتدقيق التفكير وبعد النظر ، وقد ذهبت بين الناس على أنها تاريخ تلك الحقبة ، وقبلتها الأجيال التالية لجيل رواتها ، وسجلها المؤرخون والكتاب دون اعتراض أحياناً ، وبشيء من الاعتراض فى بعض الأحايين .[1]

واذا كان هذا الحادث مقبولا بالنسبة الى حالة نجد أو الحجاز أو تهامة قبيل الاسلام ، فاننا لم نكن نأمل حدوثه بالنسبة الى أهل اليمن الذين كانت لهم حضارة وثقافة ، وكانوا قد تمتعوا بنعمة الاستقرار والارتباط بالأرض قبل زمن ينيف على (١٥٠٠) سنة قبل المسيح . أولئك الذين دونوا لنا حوادثهم منذ هذا العهد الى ما بعد المسيح بأحرف هجائية كاملة وبمهارة فنية . نعم ، كنا نأمل على العكس قيام أهل اليمن ، بل قيام أهل مكة و « يثرب » ايضا والطائف ، لوجود عدد من الكتاب فى هذه المدن ، بتدوين تأريخ ما قبل الاسلام وتأريخ ظهور الاسلام وانتشاره فى شبه الجزيرة وما عقب ذلك من حوادث وانقلابات سياسية وفكرية واجتماعية وما شاكلها ، فلم يتحقق هذا الأمل يا للاسف ، واذا تأريخ اليمن ضرب من النمط الذى نتحدث عنه ، أكثر مادته التهويل والمبالغات من نثر وشعر مصوغ بلهجة أهل مكة ، زعم الرواة أنهم أخذوه من رواة أقدم عهدا منهم وانهم كانوا فى كل ما يروونه عنهم صادقين مؤتمنين .

(١) دائرة ص ٤٨٤ .

واغرب من ذلك ان حملة لواء الاساطير والقصص رجال من أهل اليمن ، ادعوا العلم والمعرفة والوقوف ليس على تاريخ اليمن وحده ، بل على أخبار الامم السالفة وكتب الله المنزلة واللغات والكتابات القديمة أيضا . ولم يأت هؤلاء بأي دليل كان يؤيد صحة دعواهم ، بل قد برهن ما قالوه على أن هؤلاء كانوا تعوزهم قوة الابداع وفهم الحقائق والنقد السليم وانعام النظر حتى فيما يختص بأمور عصرهم .[١] وان رجلا مثل وهب بن منبه ملأ الكتب بقصص وأساطير منتزعة من الحكايات الاسرائيلية مؤرخة بأساطير عربية في بعض الأحيان كان يعوزه العلم الصحيح بأصل تلك الحكايات على الرغم من تلك الدعاوى الطويلة العريضة التي بثها هو لنفسه أو أبناء ابنته وأسرته والصنعانيون . ثم انه لم يكن على ما يظهر من الروايات المنسوبة اليه يتورع من التلفيق ليثبت أنه كان صاحب علم بأحوال الماضين وبما سيكون ، شأنه في ذلك شأن زميله كعب الأحبار ، أو ابن سلام الذي يليهما بالمنزلة ، أقول ذلك على الرغم من تلك الصورة التي رسمها نفر من المحدثين له وأحيطت بها هالة من التبجيل والاحترام وعلى الرغم من تلك النعوت التي جاء بها عليه نفر من اصحاب كتب الرجال على حين كانوا يبخلون بمنح بعضها اناسا أوثق منهم وأصدق بمراتب ودرجات[٢] .

قد يكون من باب الشطط أن نقول ان الرواة الذين عنوا بجمع تاريخ اليمن مثل عبيد بن شرية أو وهب بن منبه أو الشعبي أو محمد بن كعب القرظي وهشام بن محمد بن السائب الكلبي كانوا يحسنون قراءة الحروف المعينية ، وهي الحروف التي عرفت عند المستشرقين خطأ باسم « الحروف الحميرية » ويطلق عليها العرب اسم « خط المسند »[٣] .

وقد يكون من باب الغلو والمكابرة كذلك أن نقول ان غيرهم كانوا يقرؤون هذا المسند ويفهمونه فهما صحيحا ، ولو كانت هناك أدلة تدل من دون شك على أن أناسا كانوا يعرفون أشكال الحروف ، بل كانوا يعرفون الكتابة ، كالذي جاء في كتاب « جمهرة النسب » المروي عن محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ للهجرة[٤] ، أو في

---

(١) دائرة ص ٤٨٤ .

(٢) « عنده من علم أهل الكتاب شيء كثير » . كان يتبجح فيقول : « يقولون عبد الله بن سلام أعلم أهل زمانه ، وكعب أعلم أهل زمانه ، أفرأيت من جمع علمهما يعني نفسه » تذكرة الحفاظ ٩٥/١ .

(٣) Corpus Inscriptionum Semiticarum, Pars IV. Paris, 1889.

(٤) راجع ما كتبته في أمر هذه المخطوطة في موضع آخر من المجلة .

« الفهرست » لابن النديم ، وغير ذلك . ثم انه ليس من المعقول اختفاء هذه الكتابة اختفاء تاماً فى صدر الاسلام بعد أن كان أهل اليمن يدونون أخبارهم بهذه الحروف وباللهجة الحميرية الى زمن ليس ببعيد عن ظهور الاسلام ، ولم يكن تاريخ النص الذى دونه « ابرهة » حاكم اليمن الحبشى بهذه الحروف ذلك الذى يعود عهده الى سنة ٥٤٣ للميلاد ، ولا النص الذى عثر عليه الرحالة « كلاسر » ويعود الى سنة ٥٦٥ للميلاد ببعيد فى الواقع عن الاسلام[١] حتى نقول : ان أهل اليمن كانوا قد تركوا الكتابة بالمسند ، فلما ظهر الاسلام لم يكن عندهم أحد يحسن الكتابة بها والقراءة . كما أنه ليس من المعقول اختفاء اللهجة الحميرية اختفاء تاماً فى هذا الوقت حتى يضطر الرواة الى الاكتفاء بروايات القصص الشعبى والأساطير ، وترك تلك النصوص المدونة التى لا يمكن أن يتطرق الى صحتها شك مع ما بين العدنانيين والقحطانيين من نزاع وخصومة وتنافس ألجأ رواة الطرفين الى اختلاق شعر وقصص لتفضيل شعب على شعب آخر ، لا يعقل اعراض رواة اليمن عن هذه النصوص المدونة لو لم تكن هنالك أسباب لا تدخل فى موضوعنا هذا .

دعا النظام القبلى الذى كان أساس النظام الاجتماعى والسياسى فى شبه جزيرة العرب الى العناية برواية التاريخ القبيلة وتاريخ القبائل التى ترتبط معها بحلف أو نسب ، والعناية بصورة خاصة بحوادث « الأيام » وما ورد فيها من مفاخرة ومدائح ومثالب فى الخصم . وقد كان الشعر هو المادة الأساسية فى رواية الأيام ، تتخلل كل رواية أبيات أو قصائد قد يكون لها مناسبة مع الحادث وربما لا يكون لها مناسبة ، وقد يكون دخوله لأسباب ثانوية كأن يكون شرحاً او تقريرا لفرع من فروع الأصل . وأياً كان الأمر فقد كان وجوده ضرورياً فى عرف رواة « الأيام » وقد يكون وجوده هو السبب فى بقاء الرواية برمتها حتى أنه اذا نسيت الأشعار اندثرت الروايات القديمة باندثارها[٢] . مع أن أشعارا جديدة أو بياتاً ربما يصل علمها الى الرواة وهم لاعلم لهم بها ، وقد تضطرهم الى خلق شرح حادثة لتفسير هذا الشعر وتلك الأبيات ، ووضع قصص وحكايات تذهب

---

(١) E. Glaser, Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft. Berlin, 1897. pp, 390, 401. cf. Corpus Inscriptionum Semiticarum. Pars IV t, i, pp, 15-19.

(٢) دائرة ص ٤٨٤ .

بين الناس كل مذهب وتنتقل بالسماع وتدخل كتب التأريخ . وتلك ميزة تميزت بها كتب التاريخ عند العرب قلما تكون في كتب التأريخ عند الأمم الأخرى .

كان للرواة القدماء ولع خاص بتضمين رواياتهم مادة سمينة من الشعر يمكن ادراك سعته من التاء نظرة خاطفة على كتاب من الكتب القديمة التي ألفت في هذا التأريخ ، مثل كتاب «التيجان في ملوك حمير» رواية أبي محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ للهجرة[١] ، أو كتاب « أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها »[٢] أو كتاب « نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب » لعبد الملك بن قريب الأصمعي[٣] وهو رجل مقتصد بعض الاقتصاد في استعمال الشعر في الرواية بالنسبة لمن تقدمه من الأخباريين والأدباء ، أو كتاب « السيرة النبوية » لابن هشام الذي ترك جانباً كبيرا من الشعر الذي ورد في سيرة ابن اسحاق ، وهي التي بنى عليها ابن هشام سيرته ، ومع هذا بلغ مقدار ما بقي من الشعر في هذه السيرة خمس مادة الكتاب[٤] . حتى الطبري الذي ضمن العهد المدني للرسول « ٣١٤ » بيتا من الشعر[٥] مع أنه كتاب في التأريخ العام .

وبالنظر الى تجدد ظهور العصبيات في العصر الأموي لقي علم الأنساب عناية خاصة أدى الى ازدهاره في القرن الثاني في الأخص ، فقد تمكن المتخصصون به من تدوين محصوله في كتب ومن تنسيق علمهم وتبويبه في فصول وأبواب تحمل طابع

---

(١) طبع بمدينة حيدر آباد دكن بالهند سنة ١٣٤٧ هـ . وفي ذيله «أخبار عبيد » من ص ٣١١ الى ٤٨٩ .

(٢) « كتاب الملوك وأخبار الماضين » وقد حاز شهرة واسعة ، وكان معروفا في ايام المسعودي ، وذكره ابن النديم في الفهرست ص ١٣٢ من الطبعة المصرية ص ٨٩ طبعة "Flügel" Hitti, p, 244.

(٣) مخطوطة في المتحف البريطاني رقمه ٩٠٤ ، ١٢٧٣ وتوجد قطعة منها في مدينة "Gotha" بالمانية . برقم ٣٩ . وفي المجمع العلمي العراقي صورة فوتغرافية لمخطوطة المتحف البريطاني .
Brockelmnann, Suppl. Vol. 1. p, 164.

(٤) Nöldecke — Schwally. Vol, 2. p, 188.
راجع ابن هشام «طبعة وستنفلد» "Wüstenfeld"

(٥) المصدر نفسه .

العلم وعلى رأس هؤلاء النسابة الكوفى محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنة ١٤٦[١] للهجرة الذى اعتمد عليه اكثر من جاء بعده من علماء الانساب بالرواية والنقل من كتبه التى ذهبت بعد ذلك يا أسفاه . وولده هشام بن محمد بن السائب المتوفى سنة ٢٠٤ هـ الذى عنى عناية خاصة بتنظيم بحوث والده وتنسيقها وتوسيع نطاقها واخراجها للناس ،[٢] كما عنى بتنظيم روايات من تقدمه ومن عاصره من العلماء مثل أبى مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الذى تخصص بالأنساب وبالأحداث ولاسيما أحداث العراق والفتوح[٣] . وعوانة بن الحكم الكلبى المتوفى سنة ١٤٧ للهجرة ،[٤] من علماء الكوفة البارزين وهو الذى كان بحكم اتصاله بأقربائه من « كلب » النازلين فى الشام المقربين من الأمويين على علم بأخبار الامويين وصاحب رأى ان لم يكن مع الأمويين فانه لم يكن عليهم فهو من الثقات فى سيرة معاوية وبنى أمية[٥] .

وقد فاق هشام والده فى ميله الى الرجوع الى المصادر الأصلية والأخذ من الوثائق المكتوبة ولا سيما تأريخ الحيرة وأسرتها المالكة وبتأريخ الفرس ، وربما كان يحسن اللغة الفارسية ايضا . فانه أظهر بذلك براعة وقابلية تقدر فى فهم المعنى العلمى لواجب المؤرخ ، وهو وان كان نفسه لم يسلم من المطاعن والتهم التى سلطها عليه أصحاب الحديث خاصة فاتهموه بالتزوير والكذب فى الرواية فان البحوث الحديثة تدل على أن خصومه لم يكونوا على حق بصورة عامة فيما ذهبوا اليه وانه كان موفقا فى تحرياته وانه

---

(١) الفهرست من ص ١٣٦ ـ ١٣٧ ، طبقات ابن سعد ٦/٢٤٩ ، تاريخ بغداد ٤٥/١٤ ، الارشاد ٧/٢٥٠ ، تذكرة الحفاظ ١/٢١٤ . التهذيب ٩/٢٦٦ ،
Brockelmann, Suppl, Vol, 1. p, 211.

(٢)٢٠٦ هـ ابن خلكان وفياة ٢/١٩٥ ، الفهرست ٩٥ ، جرجى زيدان كتاب تاريخ آداب اللغة العربية ٢/١٤٩ .
Brockelmann, G. A. L. Vol, 1. p. 139. Suppl. 1. p. 211. Wüstenfeld, 26. 42. Goldziher. Muh. Stud. Vol. 1. p. 186.

(٣) الفهرست ٩٣ فوات ٢ ـ ١٤٠ ، التهذيب ٤ ـ ٢٩٥ .
Brockelmann, G. A. L. Vol. 1. p, 65. Suppl. Vol, 1. p, 213.

(٤) الفهرست ١٣٤ « وقد روى عن عبد الله بن المعتز عن الحسن بن عليل العنزى عن عوانة بن الحكم انه كان عثمانيا فكان يضع الأخبار لبنى أمية مات سنة ثمان وخمسين ومئة » . لسان الميزان ٤/٣٨٦ .

(٥) له «كتاب سيرة معاوية وبنى أميه» . الفهرست ١٣٤ .
Wellhausen. Das Arabische Reich und sein Sturz. Berlin. 1902. p. VI.

خطا خطوات واسعة نحو التأليف التأريخي القائم على أساس العلم .[١]

وساهم رواة الشعر وعلماء اللغة مساهمة فعلية في تدوين حقل التأريخ ، ولما كان الشعر ديوان العرب ، صاحب الشعر دراسة المناسبات التي قيل من أجلها وايضاح غوامضه والتعرض للايام والرجال وما يستلزم ذلك ، كما صاحب الدراسة اللغوية والبحوث عن الكلمات الغريبة أو الامثال او اللهجات دراسة الأمكنة والقبائل والأيام والرجال وغير ذلك .

فتكونت من هذه الدراسات ثروة تاريخيةعظيمة لا تقدر بثمن افادت المؤرخ فائدة كبيرة حتى كاد يكون من الصعب فصل التأريخ عن الأدب أو التمييز بين رواة الادب ورواة التأريخ ، ورجال مثل أبي عبيدة المتوفى سنة ٢٠٩[٢] او الهيثم بن عدي[٣] المتوفى سنة ٢٠٩ أو محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٠ للهجرة[٤] أو الأصمعي عبدالملك بن قريب المتوفى سنة ٢١٦ هـ[٥] أو السكري ابن سعيد المتوفى سنة ٢٧٥[٦] أو غيرهم ، كانوا يعدون حلقة اتصال بين الأدب والتأريخ ، ولم تفصم عرا هذه الحلقة التي تكونت بين الأدب والتاريخ حتى اليوم فما زال اكثر رجال الادب يكتبون في التاريخ .

وتظافرت مواد أخرى على نماء « التأريخ » وتطوره ، منها علم « التفسير » الذي أوجد أكثر مادة ما قبل الاسلام ، أي «المبتدأ» كما اصطلح القدماء عليه ، وهوالقسم الذي يسبق السيرة وينتهي بابتدائها . وغالبية قصص الرسل والانبياء والشعوب التي جاؤوا بالرسالة اليها ، كتبها المفسرون شرحاً لما جاء في القرآن الكريم وجيزا ، وقد تجمعت المادة

(١) دائرة المعارف الاسلامية ص ٤٨٥ .

(٢) ٢٠٨ – ٢١٣ هـ . Brockelmann. Suppl. 1. p. 162. الارشاد ٧ – ١٦٤ . زيدان : تأريخ آداب اللغة العربية ٢ / ١٠٠ .

(٣) ٢٠٦ – ٢٠٩ هـ الارشاد ٧ – ٢٦٠ . الخطيب تأريخ بغداد ١٤ – ٥٠ ، Brockelmann, G. A. L. 1. p. 140. الصفدي الوافي ١ – ٥١ ، اليافعي مرآة ٢ – ٣٢ . Suppl. 1. p. 213.

(٤) G. A. L. Vol. 1. p. 106. Suppl. 1. p. 165. الفهرست ١٠٦ ، الارشاد ٦ – ٤٧٣ . السيوطي : البغية ٢٩ .

(٥) G. A. L. 1. p. 104 f. Supple. 1. p. 163. زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ٢/١٠١ (٢١٤ هـ)

(٦) ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري . الفهرست ٧٨ . الخطيب ٧ – ٢٩٦ السيوطي : البغية ٢٠٨ . G. A. L. Vol. 1. p. 108. Suppl. 1. p. 168.

الاولى من هذه القصص فى الحجاز ولاسيما المدينة ، ثم أضيف اليها ما حصل عليه المفسرون فى العراق • ولما كانت معارف أهل الكتاب من اليهود والنصارى واسعة فى هذه القصص ظهرت « جماعة من العلماء المتطلعين الى النظر ، الذين أرادوا أن يملأوا هذه الثغرات بما هو موجود عند اليهود والنصارى ، فكملوا من خيالهم ما وجدوه من نقص ، مما هو — فى الغالب — من قبيل القصص المتناقض غير المقبول فى صورته ، ووضعوا ذلك كله تفسيرا للقرآن • »[١] • وقد تناول تلك القصص جماعة من الاتقياء فاتخذوها موضوعا لوعظ العامة وزجرهم ، غير أن عنصر الخيال دخل فيها فتوسعت مادتها وتشعبت فروعها وتناولت ناحية المغازى والحروب والمستقبل والتنبؤات والملاحم وهى القصص التى تدور حول التنبؤات المتعلقة بانقضاء العالم[٢] وقد أثارت هذه المادة شغف العامة فى الاخص فكانوا يذهبون بشوق الى هؤلاء القصاص الذين اتخذوا المساجد والجوامع والشوارع أحيانا موضعا لقصصهم الذى تجاوز فى كثير من الاوقات حدّ المعقول ، فآل الى غضب السلطات على القصّاص ونهى العلماء عنه • حتى لقد روى ان الامام أحمد بن حنبل قال : « ثلاثة أشياء لا أصل لها : التفسير والملاحم والمغازى • »[٣] ومقصد الامام من التفسير ولا شك هو التفسير الذى من هذا القبيل والتفسير بالرأى • وهو تفسير كان لا يرتاح له الصحابة فكانوا يجتنبونه بل ينهون عنه • ولما كان الرسول خاتم الأنبياء والمرسلين كان من الطبيعى لمعرفة تأريخ الرسالة وسيرة الرسول دراسة احوال الرسل والأنبياء الذين جاؤوا من قبله ونوع رسالتهم والأقوام الذين اتبعوا الرسالة أو

---

(١) المذاهب الاسلامية فى تفسير القرآن لاكنتس كولد ترهير "Ignatz Gol lziher" ترجمة على حسن عبد القادر ، الطبعة الاولى القاهرة ، سنة ١٩٤٤ ص ٥٥ — ٥٦ وسأرمز اليه بـ « المذاهب » •

(٢) المذاهب ص٥٥ ، وقد انتشرت كتب الملاحم فى عصور تدهور السياسة العربية والدول العربية فى الاخص ، وقد تعرض لها ابن خلدون فى مقدمته فذكر أن كتبا كثيرة النمت فى حدثان الدول نثرا ونظما ، وللملاحم علاقة شديدة بعلم الجفر • راجع عن الملاحم دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الانكليزية) ٣/ص ١٨٨ — ١٨٩ •
De Sacy. Chrestomathie Arabe. Vol, 2. p, 298-302.

(٣) السيوطى : الاتقان ٢/٢٢٠ ، الطبرى ، التاريخ ٢/٦٠٧ (طبعة اوربا) س٨ •
Goldziher Muhammedanische Studien, Hallc. 1888-1890, Vol, 2. p, 73.
D. H. Müller. Burgen und Schlösser 1, p, 67 75.

رفضوها ، فتوسع مجال التاريخ بذلك وارتبط بالتاريخ العام ، وأصبحت هذه الدراسة مقدمة لدراسة تاريخ الرسول والرسالة أو « السيرة » كما يقال لها عند العلماء ، ويمكن أن يقال عنها انها « بداية » السيرة ، ولذلك قيل لها « المبتدأ » أو « المبدأ »[١] وتبدأ بتاريخ آدم في العادة ، ثم تستمر الى أن تصل الى « السيرة » التي تبتدىء بالنسب أي نسب الرسول . ثم صار العرف أن يلحق بالسيرة قسم آخر يمكن أن يقال له « المغازي » ، وهو القسم الثالث والخاتمة .

لقد دل هذا الربط بين السيرة وتاريخ العالم منذ الخليقة الى المبعث على تطور مهم جدا في الفكرة التأريخية وفي المفهوم التأريخي . دل على شعور المؤرخين بأن التاريخ العربي صفحة من صفحات كثيرة مطوية تكوّن منها التاريخ العالمي ، وأن هذا التاريخ لا يمكن أن يبقى بمعزل عن تأريخ الشعوب الأخرى ، وقد تطورت هذه النظرية في القرن الثالث بظهور المؤلفات الواسعة التي أحسنت فأفاضت في القسم الثالث فذيلته بتأريخ الخلفاء وبتأريخ الشعوب الاسلامية والأمم غير المسلمة مثل الروم ، وان كنا لا نستطيع في الواقع أن نتكلم على تدوين تاريخي منظم متنظم لها ، لأسباب قد تكون مقبولة بالقياس الى عـرف ذلك الوقت وعقليتـه مثل بعد المسـافة والاختلاف في الدين والحروب التي باعدت بين الطرفين .

اننا لا نستطيع في الواقع أن نتكهن باسم أول من اتبع هذا الأسلوب ودونه في كتاب ، فأما محمد بن اسحاق بن يسار المتوفى سنة ١٥١ للهجرة (٧٦٨ م) صاحب السيرة الذي سار في مؤلفه على هذا التقسيم الثلاثي « المبتدأ » و « المبعث » و « المغازي » وعده المستشرق « جب » « Gibb » أبعد أفقا وأوسع نطاقاً من تفكير سابقيه ومعاصريه؛ لأنه نزع فيه لا الى تدوين تأريخ النبي حسب بل الى تأريخ النبوة نفسها أيضا ، وكان في هذا الأسلوب المبتكر يشمل أقساما ثلاثة « المبتدأ » ، وهو تأريخ العصر الجاهلي منذ الخليقة وقد استمد أكثره من وهب بن منبه ومن المصادر العبرية ، ثم « المبعث » وهو تاريخ سيرة النبي حتى السنة الأولى للهجرة ، ثم « المغازي » ، وتناول هذا التأريخ الى وفاة النبي ، فانه لا يمكن أن يكون مبتكر هذا الأسلوب في نظري ؟ لأنه سبق أن

(١) الفت كتب عدة قيل لها «المبدأ» او «المبتدأ» وهي في قصص الانبياء .

استعان بمؤلفات « وهب بن منبه » الذي اتبع هو نفسه هذا الأسلوب الثلاثى وتحدث عن تأريخ الرسل والأنبياء بعد « اياه مقدمة لازمة للسيرة وتسلسلا طبيعياً لرسالة الرسول التى جاءت خاتمة الرسالات .

فمن الكتب التى ألفها وهب بن منبه أو أملاها « كتاب المبتدأ »[١] أو « المبدأ »[٢]، أو « كتاب المبتدأ والسيرة »[٣] أو « مبتدأ الخلق »[٤] . وقد استعان به الثعلبى فى كتابه « قصص الأنبياء » . وهو رواية عبدالمنعم بن ادريس بن سنان ابن ابنة وهب ابن منبه المتوفى سنة (٢٢٨) للهجرة[٥] وكتاب « السير » ثم « المغازى »[٦]. وقد اقتبس الطبرى من « المبتدأ » . [٧] وربما كان اقتباسه عن طريق سيرة ابن اسحاق . أما « المبعث » ، فلم يأخذ منه ابن سحاق ، ولابد أن يكون ذلك لسبب معقول ، هو أنه لم يكن معتمدا عليه فى هذه الناحية او أن العلماء لم يطمئنوا اليه على الرغم من اطمئنانهم اليه فى الجملة ، ولكن ذلك لا يكفى فى الحكم أيضا فلابد من التتبع والاستقصاء ، فلعل هنالك من سبق وهب بن منبه الى هذه الفكرة ، ولعل هذه الأقسام اخذت أسماءها من سيرة ابن اسحاق ، وضعها عبدالمنعم بن ادريس أو غيره ممن سنتحدث عنهم . ثم لابد من البحث عما دوّنه عروة بن الزبير بن العوام المتوفى بين سنة (٩١) وسنه (١٠١) للهجرة[٨] وأبان بن الخليفة عثمان بن عفان المتوفى سنة ١٠٥ للهجرة[٩] وشرحبيل ابن سعد المتوفى سنة ١٢٣ للهجرة .[١٠] وعاصم بن عمر بن قتادة المتوفى بين سنة

---

(١) الفهرست ص ١٣٨ .

(٢) Ency. of Islam, Vol, 4. p, 1084.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ابن قتيبة ، المعارف ص ٤ . وورد « البدء » .

(٥) الفهرست ص ١٣٨.

(٦) Ency. of Islam. Vol, 4. p, 1084.

(٧) المصدر نفسه ص ١٠٨٥ .

(٨) تذكرة الحفاظ ح ١ ص ذكر أنه توفى سنة ٩٤ .

(٩) Ency. of Islam, Vol. 4. p, 441.

(١٠) المصدر نفسه .

١١٩ وسنة ١٢٩[١] ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ للهجرة[٢] وموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ للهجرة[٣] . فقد ألف هؤلاء في السيرة والمغازي كتبا ذهب الزمن بها ولم يبق منها غير الاقتباسات التي وردت في الكتب التي اعتمدت عليها وتتف مخطوطة في الكراريس والأوراق مثل قطعة محفوظة في مكتبة برلين رأى المستشرق « سخاو » «Sachau» أنها جزء من سيرة موسى بن عقبة [٤] . وقيل للذي أخذ يمارس السيرة ويؤلف فيها ويرويها انه من اصحاب المغازي أو انه من أصحاب السير والمغازي أو من أصحاب السير . وذلك لتمييزهم عن غيرهم من النسابين والأخباريين وأصحاب الأحداث . وحملت أكثر كتبهم أسماء تلك المصطلحات الثلاثة فقيل ان له كتاباً في المبتدأ أو في السيرة أو في المغازي .

لقد كان من الأمور الطبيعية نشوء علم السيرة في المدينة ؛ لأنها الموطن الأصلي للدعوة الاسلامية ومنها انتشر الاسلام فاكتسبت السيرة ثوباً مدنياً ، وطبعت بالطابع الذي تميّز به أهل الحجاز ، وهو ميلهم الى الحديث ، فاتخذت شكل الرواية المجردة من النقد ، واستعمال النظر ، غير أن هذا الاحتكار وان دام طوال عهد الخلفاء الراشدين وأيام الأمويين بصورة عامة ، لم يتمكن من المحافظة على مركزه في العهد العباسي ، فتضعضع في أيام الخليفة المنصور بهجرة محمد بن اسحاق أو قبل ذلك بقليل ، وظهر منافسون لعلماء السيرة المدنيين ، ظهروا في بغداد والكوفة والبصرة ، بل في مصر كذلك ، وهم وان كانوا قد تأثروا بسيرة ابن اسحاق المستمدة من روحية أهل المدينة ، فان الأمور سرعان ما تبدلت عندهم وظهرت روح العراق المالة الى النقد والايجاز وتحكيم العقل بجلاء في الروايات المأثورة عن علماء هذه المدن المدونة في كتب التأريخ .

عمل محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عملا عظيماً جدا كان له أثر جليل في

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/١٠٦ .

(٢) Horovitz, The earliest Biographies of the Prophet and their authors, Isl. Culture 1927, 1, 535-59. 1928, II 22-50, 164-82. 415-526.

(٣) Sachau, Des Berliner Fragment des M. b. 'u SBBA و1904, XI.

(٤) Schwally Vol, 2. p. 129.

تطور المغازى والتاريخ فهو أول من قابل بين الأحاديث المختلفة المصادر فوفق فيما بينها وسعى لادماجها فى حديث واحد . وهذا العمل وحده خطوة تقدم جريئة فى العرض التأريخى استخدمه المؤرخون فى غربلة الروايات التاريخية ووضع خلاصتها فى قالب واحد . وان كان هذا العمل قد فتح للعابثين الذين لا يوثق بروايتهم باباً من أبواب العبث[1]. على أن الحوادث قد برهنت فيما بعد على أنه مهما قيل فى هذه الطريقة من نقد ومهما اعترض عليها المعترضون وفى طليعتهم أهل الحديث ، فانها كانت خطوة لابد منها ، اذ ثبت بالتجارب أنه لا يمكن الاستمرار الى الأبد على عرض التاريخ على أسلوب أهل الحديث وتجزئة الحادثة الى أجزاء وأشلاء متنافرة بحيث يكون كل جزء من الرواية فى مكان ، أو بتكديس عدد كبير من النصوص دون ترتيب أو تنظيم أو مناقشة أو ابداء رأى ، وهو ما يتطلبه علم التاريخ من المؤرخ الحصيف . وشهد القرن الثانى للهجرة توسعاً آخر فى البحوث التأريخية بظهور فكرة تدوين تأريخ الخلافة والخلفاء ، بعد أن سبق هذا الفرع ظهور مؤلفات كثيرة فى « الأحداث » هيأت للمؤرخين الذين دونوا تأريخ الخلافة مادة متينة كانت ضرورية لتدوين التأريخ العام ، ووضعت بين أيديهم عددا من الوثائق النادرة التى أخذت من شهود عيان أو من رجال كانوا على اتصال بهم. وعندما اختمرت فكرة التدوين فى رؤوس الأخباريين والمتعقبين للأحداث أخذ جماعة منهم فى تسجيل مشاهداتهم ومسموعاتهم فى صحف وكراريس على مضض ، لما كان يوصم به أمثال هؤلاء من الضعف فى الحافظة والجهل اذ كان من دواعى الفخر عندهم الاعتماد على الحافظة وحدها فى كل وقت ومكان وعدم اللجوء الى المدونات وعدم الاشتغال بالتدوين[2] .

ويكاد العراق يحتل المكانة الأولى بين الأقطار الاسلامية فى تدوين كتب الأحداث وكتب تاريخ الخلافة فى العهد الأموى ، لا ينازعه على ذلك قطر من الأقطار . ويبدو

---

(١) دائرة ص ٤٨٦ .

(٢) كان الشعبى يفتخر بعدم اشتغاله بالتدوين . وهناك أمثلة عدة تدل على نفرة العلماء من التدوين . «قال معمر عن هشام «ابن عروة» : «ان أباه كان حرق كتبا فيها فقه» . ثم قال : «لوددت أنى كنت فديتها بأهلى ومالى». تهذيب التهذيب ١٨٢/٧ - ١٨٣ .

ذلك غريباً ، فهو لم يتمتع بمركز الخلافة الا مدة قصيرة ، ولم ينظر اليه الأمويون بارتياح ، وقد كان خليقاً بأهل العاصمة تدوين هذا التاريخ ؛ لأنهم أقرب الناس من دائرة الحكم وأعرف الناس بأسرار الأمور ، وقد كان على أهل الشام أن يكونوا كأهل المدينة في الأقل أولئك الذين خسروا العاصمة ومع ذلك لم يقطعوا صلتهم بتأريخ الخلافة وظل رواتها على اتصال بالأحداث وان كانوا قد اقتصروا في الغالب على ما له علاقة بالحجاز والحجازيين وبالخلافة من حيث علاقتها بالأقطار التي لها صلة بالحجاز عامة . ولذلك كانت مدارسها التأريخية لا تحفل بأمر الشام الا بقدر ما لهذا الأمر من علاقة بالحجاز ، والرواية المدنية رواية لم تكن حتماً في جانب أهل الشام .

كانت المدينة قلب المجتمع الاسلامي النابض ، والمكان الذي تبنّى الاسلام وحاطه ؛ ولذلك كان لها أهمية خاصة في التأريخ ، وطبعت بحكم هذا المركز بطابع خاص في الحديث والرواية ، وعرفت بالتدقيق والمحافظة ، وظلت محافظة على مركزها هذا الى ما بعد انتقال الحكم الى الشام ، ولم تكن مقر الطبقة الأرستقراطية من قريش حسب ، بل ظلت أيضا المركز الروحي للثقافة الاسلامية الى أن نازعتها على الرئاسة مدينة أخرى هي بغداد ، فأخذت مكانها حتى في رواية السيرة والمغازي التي كانت من خصائص المدينة ، ثم الحديث .

لفت تاريخ الخلفاء أنظار أهل المدينة بصورة مستمرة على الرغم من عدم اتفاقهم مع الحكومة ، كيف وقد كان مستقبل زعمائها مرتبطاً بالسياسة العامة التي كانت توجه الخلافة من الشام ، وقد كانوا كما قلنا أكثر اهتماماً بأمور الشام من كل قطر آخر كالعراق أو خراسان . فلما تحولت الخلافة الى العراق ، توجهت أنظارهم نحو هذا المكان ، وحلت ديار الشام في المنزلة الثانية عند الرواة . ويظهر من المؤلفات التي اعتمدت على رواة المدينة ، أو التي ألفت بتأثير هذه المدرسه ، مثل سيرة ابن اسحاق أو مؤلفات أبي معشر نجيح بن عبدالرحمن صاحب كتاب المغازي المتوفى سنة ١٧٠ للهجرة[١]

---

(١) «أبو معشر له مكان في العلم والتأريخ ، وتاريخه احتج به الأئمة، وضعفوه في الحديث» . تهذيب التهذيب ٤٢٢/١٠ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابي الفلاح عبد الحي بن العماد المتوفى سنة ١٠٨٩ ج ١ ص ٢٧٨ .

والواقدي وغيرهم أن أهل المدينة كانت عندهم مادة غزيرة في تأريخ الخلفاء ، وكانت عندهم وثائق مخطوطة اتخذها هؤلاء وأمثالهم مراجع رجعوا اليها ، وأنهم كانوا قد رتبوا أنباء الخلفاء والولاة وحكام الولايات الكبرى وغزو الروم وغير ذلك على صورة حوليات متقنة الصنع رتبت ترتيباً زمنياً عاماً فعاماً(١) .

اقتصر ما ذكرناه على دوائر معينة وانحصر في الخطوط الأساسية الكبرى . فأما في الصورة الاعتيادية ، فان رغبة علماء أهل المدينة كانت متجهة نحو الموضوعات المجردة ، والأبحاث العامة ، فهي لا تميل الى التفاصيل ، ولا الى الاشتراك الذاتي في الرواية .

كان ، ولا شك ، بين أهل الشام رواة دونوا تأريخ الفتوحات وتأريخ الأمويين في الشام وتأريخ الأحداث التي وقعت بين الأمويين وخصومهم ، وقد تضافرت الدلائل على وجود وثائق في العصر الأموي بدمشق والعراق (٢) . ومن المحتمل أن يكون المصنفون المتأخرون قد اعتمدوا عليها غير أنها فقدت مأسوفا عليها . ولعل للسياسة دخلا في ذلك ونصيباً ، فلم يتسع صدرها ، فأصابها الاهمال . ويمكن العثور على آثارها في مصنفات البلاذري ، وعوانة الكلبي الذي عاش في الكوفة ولكنه كان على اتصال دائم بأهل الشام ، وكثيرا ما ينقل الطبري عنه في الأمور التي تتعلق بأهل الشام ، وكان بها بصيرا ، وطالما وازن الطبري بين رواياته وروايات هشام الكلبي الذي يمثل وجهة نظر أهل العراق . ونجد أثر الروايات الشامية حتى في مؤلفات ابن هشام الكلبي عن طريق عوانة خاصة ، فان له نزعة ظاهرة في تحزبه على عليّ مع أهل الشام(٣) .

والظاهرة البارزة التي نراها على المؤرخين القدماء أن أغلبهم كانوا من أصحاب الحديث ، فكانوا يتبعون في تدوينهم وفي معالجتهم للتاريخ أسلوب المحدثين ، فظلت طريقة « الاسناد » مرعية رعاية تامة الى نهاية القرن الثالث ، وقد جرح جماعة من

---

(١) دائرة ص ٤٨٨ .

(٢) دائرة ص ٤٨٨ .

Grohmann, Algemeine Eeinführung in die arabischen Papyrie. 1924. p, 27.

(٣) دائرة ص ٤٨٩ .

المحدثين قسماً من أصحاب التواريخ مثل ابن اسحاق لأنه تساهل في الأسانيد[١] .

وقد سلك المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ للهجرة « ٨٤٠ » م ، وهو من زعماء رواة البصرة ، طريقاً وسطاً بين أبي مخنف وجماعته من رواة الكوفة ورواة المدينة الذين عرفوا بشدتهم وصلابتهم في الحديث واستمرارهم على الجادة ، فأخذ الروايات العراقية وتناولها بأساليب النقد الذي يتمشى مع مذاهب أهل المدينة ، وغدا بذلك المرجع المهم لمصنفات المؤرخين الذين جاؤوا من بعده[٢] . وكان للمدائني ولع خاص بتأريخ البصرة وخراسان ، ولذلك اعتمد عليه الطبري في كل ما رواه عن هذين المكانين . ويجب أن لا ننسى أنه كان متأثراً بوجهة نظر العباسيين ، وتحت هذا المؤثر كتب في سقوط الدولة الأموية ومجيء الدولة العباسية[٣] . وقد تأثرت البصرة بمذهب المدائني وبمذهب أهل المدينة ، ولوجود علاقات تجارية بينها وبين اليمن تأثرت بآراء الصنعانيين الذين عرفوا برواياتهم الأساطير والاسرائيليات ، وهي على الجملة أخف حدة من الكوفة ، وأقرب من الكوفيين الى مذاهب المحدثين ، وأقل تعصباً على الأمويين .

ان التشابه الذي نجده بين طريقة أهل الحديث وطريقة أهل الأخبار والتأريخ في الرواية ، دفع جماعة من المستشرقين الذين عنوا بكيفية نشوء علم التأريخ عند العرب الى أن يقولوا ان التأريخ وليد علم الحديث ، وجماعة آخرين الى أن يقولوا ان التأريخ وليد علم السيرة والمغازي ، وقد ظهرت كتب السيرة والمغازي بعد كتب الحديث ، وهي باب من أبواب الحديث . ولذلك كان علم التأريخ وليد علم الحديث . وحجتهم في ذلك أن كتب التأريخ انما ظهرت بعد كتب الحديث ، وأن العرب كانوا في حال من البداوة لا تسمح لهم بالانتباه الى تدوين مدوّنات في التاريخ .

وسنرى من خلال دراستنا لمصادر تأريخ الطبري أن هذا الرأي لايستند الى حجة ، وأن تشابه الحديث والتأريخ في طريقة الرواية لا يمكن أن يكون دليلا على تفرع التأريخ من الحديث ، وسنرى أن التأريخ كان قديماً قدم الحديث ، وأن الناس كانوا

---

(١) دائرة ص ٤٩٠ .

(٢) ولهوزن : « الدولة العربية » ، المقدمة . عن المدائني : تاريخ بغداد للخطيب ٥٤/١٢ . ياقوت : الارشاد ٣٠٩/٥ .

(٣) Wellhausen, The Arab Kingdom and its Fall, pp.. VII ff.

يدونون الحوادث ويعنون بتاريخ الماضين ، وأن الخلفاء كانوا يعنون به عنايتهم بالحديث ، وأن كتباً ألفت فى هذا الباب فقدت مأسوفاً عليها كما فقدت أكثر الكتب التى ألفت فى الحديث فى العهد الأموى . وسنرى أيضاً أن الرواية التى جردت العرب من الترجمة والتصنيف والتأليف فى صدر الاسلام وجعلت صدر الدولة العباسية مبدأ العلم والثقافة عند العرب ، رواية أملتها السياسة ، ووضعتها الدعاية ، ولعل هذه الدعاية هى المسؤولة عن ضياع كتب التاريخ التى ألفت قبل ظهور هذه الدولة .

وسنرى أن كتباً ألفت فى الأحداث التى وقعت فى الاسلام ، وكتباً ألفت فى الدولة الأموية والأمويين ، وكتباً ألفت بأمر من الخلفاء الأمويين ، وكتباً ألفت برغبة من عدة من الأسر للاشادة بذكر أسرهم ، جرى كل ذلك كما يجرى عند سائر الناس وعند سائر الأمم ، وأن الذين يحاولون فهم التاريخ العربى على غير هذه الصورة هم على خطأ فيما ذهبوا اليه . فان الانسان انسان ، وتأريخه تأريخ انسان لا أقل من ذلك ولا أكثر .

نبغ فى القرن الثالث للهجرة عدد من المؤرخين حققوا تلك الفكرة التى جاشت فى الرؤوس ، وهى تدوين تأريخ عام للعالم استنادا الى المواد المتقدمة والى مواد أخرى سنتحدث عنها حين ندخل فى صلب الموضوع ، أعنى موضوع موارد تأريخ الطبرى . وظهرت مؤلفات فى التاريخ العام بدأت بالخليقة ، ثم أوجزت فى تأريخ الشعوب الأخرى ولا سيما فى تاريخ الروم والرومان ولكن الدهر أتى على أكثرها ، ولم تكن معلومات المؤرخين فى هذا الباب كافية ، ولم يدل هذا القسم على قابلية حقيقية لفهم التأريخ ، كما أن ما دوّن باعتداده تاريخاً للعالم لم يكن تاريخاً للكون بالمعنى المفهوم من التاريخ ، ثم ان هذا التاريخ لا يكاد يهتم بتأريخ سائر الشعوب ، بل حصر المؤرخون كل انتباههم فى تأريخ الاسلام .(١)

---

(١) دائرة المعارف ٤٩١ . منهؤلاء احمد بن أبى يعقوب بن واضح العباسى المعروف باليعقوبى المتوفى سنة ٢٧٨ للهجرة . طبع تاريخه المستشرق «هوتسما» "Houtsma" بعنوان :

Ibn — Wadhih qui dicitur al-Ja'qubi Historiae, 2 Vols. Leiden 1883.

وطبع فى النجف .

. ـ ومن خيرة المؤلفات التي تمكنت من مجالدة الزمان ، ووفقت بين المواد المستمدة من التفسير والحديث واللغة والأدب والسيرة وتأريخ الأحداث وتواريخ الخلفاء ، فجمعتها في صعيد واحد ، وحفظت لنا نماذج من الكتب التي أتى عليها الدهر ، كتاب « تأريخ الأمم والملوك »[١] أو « تأريخ الرسل والملوك » أو « أخبار الرسل والملوك » للطبري أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة[٢] . وقد عرض المؤلف الروايات التأريخية المختلفة ببراعة عرضاً نزيهاً ، ناسباً كل رواية الى صاحبها ، تاركاً أمر التعليق عليها الى القارىء يحكم لها أو عليها بما يشاء .

وقد اعتمد الطبري في كل فصل من فصول كتابه على مراجع منها شفهية أخذها سماعاً من مشايخه ، ومنها مؤلفات أجيز بروايتها فأخذ منها ، وقد جمع كتابه من مصادر كثيرة فأظهر مقدرة فائقة في الجمع بين المصادر والاطلاع على الكتب التي ألفت قبله ، كما أظهر في كتبه الأخرى مثل تفسيره المسمى « جامع البيان في تفسير القرآن » وهو

---

(١) دائرة ص ٤٩١

Ency. of Is'am. Vol, 4. P. 579 Brockelmann, G. A. L. Vol, 1. P. 142. Suplement, Vol. 1. P. 217. Wensinck, Handworterbuch des Islam. P. 710.

(٢) راجع عن الطبري : ياقوت ، الارشاد ح ص ٤٢٣ فما بعد . السبكي : الطبقات ٢/١٣٥ فما بعد . الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢/٢٥١ فما بعد . الخطيب : تاريخ بغداد ٢/١٦٢ فما بعد . السمعاني : كتاب الانساب ورقة ٣٦٧ a ، ابن خلكان : الوفيات ٢/٥٧٧ .

الفهرست : طبعة "Flügel" ص ٢٣٤ ، ص ٣٢٦ (طبعة المطبعة الرحمانية) .

Goldziher, Die Literarische Tätigkeit des Tabari nach Ibn 'Asakir, W, Z. K. M. IX. 1895. p, 359. ff. Th. Nöldeke, Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden aus der Arab. Chronik des Tabari übersetzt und mit ausführl. Erläutungen und Ergänzungen versehen, Leiden 1879. Brockelmann, Das Verhältnis Von Ibn el-Atris Kamil fit-ta'rih zu Tabaris Ahbar er-Rusul wal muluk, Strassburg 1890, Goldziher, Die Richtungen der Islamischen Koranauslegung, Leiden 1920. pp. 85 F.

كتاب ضخم فى ثلاثين جزءا ،[1] وفى كتابه « كتاب اختلاف الفقهاء »[2] مثل هذه المقدرة التى تدل على تمكنه من العلوم وعلى سعة معارفه ومبلغ صبره على العمل • وقد كانت هذه المزايا من جملة الأسباب التى جعلت العلماء ينظرون الى كتبه نظرة تبجيل وتقدير •

وتفسير الطبرى دائرة معارف غنية تتحدث بعلم الرجل وفضله ، وقد سار فى تأليفه على طريقة التفسير بالعلم[3] ، وبعبارة أخرى بالرجوع الى أقوال الصحابة والتابعين وما صح وروده عنهم ، وهذا فى نظره علامة التفسير الصحيح[4] • فأما التفسير بالرأى فكان يتجنبه وينحى باللائمة على قائله ، لذلك كان تفسيره سلسلة أسانيد وروايات رويت عن العلماء اقتنع بامكان رواياتها فدونها فى تفسيره[5] • وقد كان يبدى رأيه فيها فيعلق عليها بصراحة حتى فى روايات ابن عباس [6]

كان الطبرى يلاحظ المعنى الظاهر للآية فاذا كان واضحاً لا يعدل عنه الى التفسير فاما اذا كان غامضاً بحيث يستدعى ذلك تفسيرا ، رجع الى الروايات القديمة وما ورد عن

---

(١) « جامع البيان فى تأويل القرآن » القاهرة ١٣٢١ هـ (المطبعة الميمنية) • « الميمونية » ١٣٢١ ــ ١٣٣٠ هـ • (المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق.) • واحيانا « جامع البيان فى تفسير القرآن » القاهرة ١٣٣١ هـ •

H. Hausleiter, Register Zum qorankmt. des Tabari. Strassburg 1912.
O. Lotts Tabari's Korankom ZDMG. 35. p, 588-628. (1881).
Nöldecke. Gesch. des qoran. Vol, 2. p, 171.

وقد ترجم الى الفارسية بأمر منصور بن نوح السامانى •

Grundriss der Iran. Philo. Vol, 2. p, 366. Storey, Pers. Liter. 1 ff.

المذاهب الاسلامية فى تفسير القرآن ص ٨٤ فما بعدها •

(٢) Kern in ZDMG. 55 pp, 61, -95. و طبعة "F. Kern" القاهرة ١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ م •

(٣) المذاهب الاسلامية ص ٨٦ • جـ ١/١٣٢ ، (أهل العلم) • (الخلاف بين اهل العلم ومن يفسر القرآن برأيه) • ١٢/١٢٩ ، ١٠٣ •

(٤) المذاهب الاسلامية ص ٨٦ ، جـ ١/٤٣ ، ٩٧ ، ١٢٠ ، جـ ٢/٤٢ •

(٥) Goldziher, Die Richtungen der Islamischen Koranauslegung, ung, Leiden 1920. P. 85—98.

المذاهب الاسلامية ص ٨٦

(٦) المذاهب الاسلامية ص ٨٧ • قال فى مجاهد من الرواة عن ابن عباس : ان رأيه «يخالف اجماع الذين لا يمكن نسبتهم الى الكذب» «وما ذكر هنا عن مجاهد لا معنى له ، وفساد رأيه لا شك فيه» •

السلف فيها[١] . والى اللغة يستعين بها على ايضاح ذلك الغموض . فيورد من شواهد الشعر القديم ومن الامثلة على نحو ما فعل ابن عباس[٢] ، لذلك حوى تفسير الطبرى جملة كبيرة من المسائل اللغوية على اختلاف مذاهب النحويين واللغويين ، وأمثلة مهمة نادرة من أمثلة الخلاف الذى كان بين البصريين والكوفيين[٣] .

لقد حصل التفسير على شهرة واسعة عند العلماء حتى قيل ان أبا حامد الاسفرايني المتوفي سنة ٤٠٦ للهجرة قال : « لو سافر رجل الى أقصى الصين حتى يحصّل تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا »[٤] . وتكاد تكون هذه الشهرة في مرتبة الاجماع أو شبه الاجماع . فالكتاب سمين المادة ، غنى فى المصادر ، حوى معارف كثيرة ، وضمن مراجع لم تتوافر فى كتاب آخر ، ما فى ذلك شك ، الا أن هذا لا يمنعنا أن نقول ان العرض فيه أقوى من الابتكار ، والمادة فيه أغنى من الرأى ، ويعوزه النقد الايجابى وروحية المجتهد الذى ينفذ الى أعماق المسائل[٥] .

وحقق الطبرى فى كتابه « اختلاف الفقهاء »[٦] هذا الرأى أيضا ، اذ أورد فيه أقوال الفقهاء ايرادا يدل على شدة حرصه فى الجمع ، وعلى سعة علمه فى الفقه ، وذلك مما يندر العثور على أمثاله فى الكتب الأخرى ، ولكنه لم يتمسك فيه بطريقة الاسناد ،

(١) المذاهب الاسلامية ص ٨٨ . ج ٥٩/١ ، ١١٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ج ٢٠٩/٢ . ج ٢٥ ص ١٢ سورة الشورى ، الآية ٤٥ .

(٢) المذاهب الاسلامية ص ٩١ . ج ١٢٤/١ ، ياقوت : الارشاد ٤٣٢/٦ .

(٣) المذاهب الاسلامية ص ٩٢ .

(٤) ياقوت : الارشاد ٤٢٤/٦ . لسان الميزان ١٠٢/٥ .

(٥) Ency. of Islam. Vol, 4. p, 578.

(٦) « كتاب اختلاف الفقهاء » القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ = ١٩٠٢ م . طبعة "Kern" نشر المستشرق « يوسف شخت » « كتاب الجهاد وكتاب الجزية وأحكام المحاربين من كتاب اختلاف الفقهاء » أخذه من مخطوطة الاستانة ، سنة ١٩٣٣ بمدينة ليدن بواسطة مكتبة « بريل » .

راجع تعليق المستشرق « كيرن » "Kern" عن كتاب « اختلاف الفقهاء » فى « مجلة الجمعية الشرقية الالمانية » سنة ١٩٠١ ZDMG. 1901. p, 61 ff.

كذلك بحث « يوسف شخت » فى الاكادمية البروسية لسنة ١٩٢٨ .
Abh. Preuss. Akad. 1928 و Phil. — Hist. Klasse. nr. 8. nr. 22.

ولم يتقيد بقواعد الرواية تقيدا تاماً ، فكان يدخل الى القول رأسا بعد ذكر اسم صاحب القول ، كأن يقول « وقال أبو ثور » أو « وقال الأوزاعى » أو « وقال مالك بن أنس » ثم يشير فى نهاية القول الى راويه كأن يقول : « حدثنى بذلك العباس عن أبيه عنه » أو « حدثت بذلك عن معاوية عن أبى اسحاق عنه » أو « حدثنا بذلك الربيع » ولم يتبع هذه الطريقة بالنسبة لاقوال الامام أبى حنيفة وأصحابه[١] . فأما بالنسبة لاقوال « أبى ثور »[٢] فانه لم يتقيد بالاسناد قط[٣] . ويعد هذا العمل عملا جريئا فى نظر المحدثين ، وهو فى حد ذاته تطور كبير ظهر فى هذا القرن . ومن رجاله الذين روى عنهم فى هذا الكتاب يونس بن عبد الاعلى المتوفى سنة ٢٦٤ للهجرة ، وكان فقيهاً على رأس علماء مصر[٤] ومن رواة الامام الشافعى ، تعرف به الطبرى على ما يظهر فى أثناء اقامته بمصر ، وقد اقتصر عليه الطبرى فى رواية أقوال مالك بن أنس ، وهو يرويها بطريقتين : طريق أشهب عن مالك ، وطريق عبدالله بن وهب المتوفى سنة ١٩٧ للهجرة رواية كتب مالك وسننه وموطئه[٥] . وقد أورد فى كتابه قطعاً لم تنشر فى الكتب الأخرى المعروفة من كتب مالك تساعد كثيرا على فهم مذهب الامام ، والظاهر أن الطبرى لم يكن له علم

---

(١) كتاب الجهاد : مقدمة شخت ص XXII ، XVIII
Leiden. 1933. Wensinck, p, 410.

(٢) مقدمة ص XVIII ،

(٣) أبو ثور ابراهيم بن خالد بن اليمان الفقية الكلبى ، أخذ عن الشافعى ، وروى عنه وخالفه ، واحدث له مذهبا اشتقه من مذهب الشافعى ، له مبسوط على ترتيب كتب الشافعى ، تفقه اكثر أهل أذربيجان وأرمينية على مذهبه . توفى سنة ٢٤٠ هـ . له كتب فى الفقه . الفهرست ص ٢٩٧ .

(٤) تذكرة الحفاظ ٢/٨ . روى عن ابن عيينة ، وابن وهب ، الشذرات ٢/١٤٩ ، الوفيات ٢/٥٥٣ .

(٥) الفهرست ص ٢٨١ ، Ency. of Islam, Vol 3. p, 207 ابو محمد عبد الله ابن وهب الفهرى ، مولده سنة ١٢٥ هـ روى عن ابن جريج وتفقه بمالك والليث وله تصانيف كثيرة . الشذرات ١/٣٤٨ .

Wensinck und Kramers, Handwörterbuch des Islam. Leiden 1941. p, 410.

أشهب بن عبد العزيز أبو عمرو العامرى صاحب مالك . توفى فى ثامن عشر شعبان سنة ٢٠٤ هـ . الشذرات ٢/١٢ .

بكتاب « المدونة الكبرى » لسحون المتوفى سنة ٢٤٠ للهجرة[١] ، وهو من الكتب المهمة فى فقه المالكية ، لذلك لم ينقل منه شيئاً[٢] .

واعتمد الطبرى فى رواية فقه الأوزاعى الذى تعرف مذهبه فى اثناء اقامته بمدينة « بيروت » على عالمين هما العباس بن الوليد بن مزيد المتوفى سنة ٢٦٩ هـ . عن الأوزاعى، ثم معاوية عن أبى اسحاق الفزارى[٣] ، ومن معاوية هذا أخذ الطبرى كذلك أقوال سفيان الثورى ، وهى فى جملة أقوال الأوزاعى[٤] . ومن شيخ آخر هو على عن زيد[٥] . وترد أقوالهما فى رواية واحدة فى الغالب ، وقلما يختلفان[٦] .

أما فقه الامام الشافعى ، فقد أخذه عن شيخه الربيع بن سليمان المرادى المتوفى

---

(١) الشذرات ٢/٩٤ .

Ency. of Islam, Vol, 3. p, 207. Wensinck, p, 411.

سحنون عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخى ، ضحى الاسلام ٢/٢١٥ فما بعدها . اليافعى : المرآة ٢/١٥١ .

Brockelmann, Suppl. Vol, 1. p, 299.

(٢) الفقهاء ص XIX

(٣) وقيل سنة ٢٧٠ او ٢٧١ للهجرة . تهذيب التهذيب ٥/١٣٢ . الشذرات ٢/١٦٠ .

الفقهاء ص XIX وما بعدها .

De Goeje. Annales. Introductio. p, LXIX.

أقام أبو جعفر الطبرى ببيروت سبع ليال يبيت فى المسجد الجامع بها حتى ختم القرآن بهذه الرواية تلاوة على العباس بن الوليد .

p, LXXII.

(٤) الفقهاء ص XX وما بعدها . سفيان الثورى : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ابو عبد الله الكوفى المتوفى سنة ١٦١ للهجرة . تهذيب التهذيب ٦/١١٤ ، تذكرة الحفاظ ١/١٩٠ .

وابراهيم بن محمد بن الحارث ابو اسحاق الفزارى الكوفى، مات سنة ١٨٥ او ١٨٦ او ١٨٨ للهجرة . أول من عمل فى الاسلام اصطرلابا وله فيه تصنيف . وهو صاحب كتاب السير ، قال الشافعى لم يصنف أحد فى السير مثله . تهذيب التهذيب ١/١٥٢ ــ ١٥٣ . تذكرة الحفاظ ١/٢٥١ . معاوية بن عمرو بن المهلب الازدى مات سنة ٢١٣ او ٢١٤ للهجرة ، روى كتاب السير لأبى اسحاق الفزارى . تهذيب التهذيب ١٠/٢١٦ .

(٥) الفقهاء ص XXI

(٦) الفقهاء ص XXI

سنة ٢٧٠ للهجرة[١]، وقد نزل عليه الطبرى فى اثناء اقامته بمصر • ولم يرد لكتاب « الأم » المنسوب للامام الشافعى ذكر فى كتاب الطبرى ، وذلك مما يدل على أنه لم يكن يعرف هذا العنوان[٢] • وأما فقه الامام أبى حنيفة وأصحابه : أبى يوسف يعقوب ابن ابراهيم المتوفى سنة ١٨٢ للهجرة ، ومحمد بن الحسن الشيبانى المتوفى سنة ١٨٩ هـ من كبار رجال المذهب ، فقد أخذه فى الأكثر من الحسن بن زياد اللؤلؤى المتوفى سنة ٢٠٤ للهجرة[٣] ، أو من تلامذته ومن أبى سليمان الجوزجانى « الجزجانى »[٤] راوى كتب محمد بن الحسن ، وكثيرا ما يورد الطبرى اقوالهما بالاسناد • •

ان هذا التساهل الملحوظ فى الاسناد فى كتاب « اختلاف الفقهاء » يقابله تشدد ومحافظة عليه فى كتاب « تاريخ الرسل والملوك » وتضح تام فى الرواية على طريقة أهل الحديث ، فتبدأ الحوادث عنده بذكر السند أولا كأن يقول « حدثنى ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنى محمد بن اسحاق عن نافع عن ابن عمر قال •• » ، أو « حدثنا محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم قال حدثنا أيوب بن سويد عن الأوزاعى قال حدثنا اسماعيل ابن عبد الله قال قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد ••• » وهى صيغ متقبولة عند المحدثين ، متصلة السند ، ليس بينها فاصل ولا قطع • سار على ذلك جملة فى الكتاب الا فى مواضع يظهر أنه لم يأخذها عن طريق الرواية ، وانما أخذها

---

(١) الفهرست ص ٢٩٧. Ency. of Islam, Vol, 4. p, 253. الشذرات ١٥٩/٢ ، الوفيات ٢٢٩/١ •

(٢) يظهر ان التسمية جاءت متأخرة • راجع Wensinck. p, 660. طبع فى القاهرة سنة ١٣٢١ ـ ١٣٢٥ هـ •

Brockelmann. Suppl. Vol, 1. p, 304.

(٣) الحسن بن زيادة اللؤلؤى أبو على من اصحاب أبى حنيفة ، ممن أخذ عنه وسمع منه • وكان عالما بمذاهب أبى حنيفة فى الرأى ، له من الكتب كتاب المجرد لأبى حنيفة روايته ، كتاب أدب القاضى ، كتاب الخصال ، كتاب معانى الايمان ، كتاب النفقات ، كتاب الخراج ، كتاب الفرائض ، كتاب الوصايا • الفهرست ص ٢٨٨ • الشذرات ١٢/٢ •

(٤) أخذ عن محمد بن الحسن ، ولا مصنف له ، وانما روى كتب محمد بن الحسن الفهرست ص ٢٩٠ ، عقد الجواهر ١٨٦/٢ توفى بعد سنة ٢٨٠ للهجرة •
الجوزجانى ابو سليمان موسى بن سليمان المتوفى بعد سنة ٢٨٠ للهجرة •
Brockelmann, Suppl, 1. p, 291-292.

من الكتب أو عن طريق الاجازة بالرواية من الكتب ، فذكر عبارات لا تستحب عند المحدثين أهمل فيها اسم المحدث ، مثل قوله « حدثت عن فلان .. انه قال حدثني....»، أو « ذكر عن فلان أنه قال ... » ، استخدم هذه الصيغ في تأريخ الفرس حيث أكثر منها بالنسبة لأقوال هشام بن الكلبي . (١) والظاهر أنه أخذ ذلك من كتب هشام ، والا فانه كان يذكر في المواضع الأخرى أسماء الرواة الذين حدثوه عنه كما سترى فيما بعد.

واستخدم في الأجزاء الاخيرة من كتابه مثل هذه الصيغ : « ذكر لي بعض أصحابي ... » أو « ذكر لي جماعة من أصحابنا ... » ، أو « ذكر من رآه وشاهده ... » أو « حدثني جماعة من أهل .... » ، أو « أخبرني جماعة من أهل الخبرة .... » ، أو « ذكر هذه القصة بعض أصحابنا عمن حدثه أنه حضر .. » ، وهي صيغ تدل ، ولاشك ، على التساهل في السند . ولابد أن يكون له سبب بعد أن نعلم أنه قد استخدم هذه الصيغ في الأقسام الأخيرة من التاريخ . أي في الحوادث التي وقعت قبيل أيامه وفي أيامه . ولعله فعل ذلك ارضاءا لمحدثيه الأحياء ، وخوفاً من غضب من يشملهم الحديث ، لما لهذه الأحاديث من علاقة بالسياسة العامة .

واستعمل أحياناً صيغاً تدل على أنه نقل ما سيقوله من المؤلفات بلا واسطة مثل قوله « قال ابن الكلبي ... » ، أو « قال محمد بن اسحاق ... » ، أو « قال الواقدي ... » ، أو « ذكر ابن الكلبي » ، وأمثال ذلك . وهي صيغ ترد عند مؤلفين آخرين ممن لم يتقيدوا بالسند ، أو لم يكن من عادتهم التمسك بالسند تمسكاً تاماً ، مثل أحمد بن يحيى ابن جابر البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ للهجرة « ٨٩٢ م » في كتابه المهم « أنساب الأشراف » ، (٢) فانه تمسك بالسند في موضع ، وأهمله في موضع آخر ، وهو في الواقع من أوائل من حاول التوفيق بين المواد المستمدة من السيرة والمصادر الأخرى

---

(١) راجع هذا القسم من تاريخ الطبري .

(٢) من كتبه «فتوح البلدان» طبع بعناية «دي غوية» وفي القاهرة ١٣١٨ هـ.
Liber expugnationis Regionum auctore al-Beladsori quem. edidit m. j. de Goeje, Leiden, 1866.
ونشرت أجزاء من كتاب «انساب الاشراف» . نشرتها الجامعة العبرية في القدس بعناية « غوتاين » . ياقوت ، الارشاد ٢/١٢٧ .

محاولة منه لادماجها فى رواية واحدة متماسكة[١] . ولما كانت الرواية هى الطريقة المحببة الى نفس الطبرى فى تأريخه ، والرواية لا تستلزم ذكر أسماء الكتب ، انما يقوم اسم الراوى مقام كتابه ، مع ما فى هذه الطريقة من أخطاء ، وجدنا الطبرى يعرض عن ذكر المراجع الكتابية التى اعتمد عليها ، لم يشذ عن هذه القاعدة الا فى مواضع معدودة كالذى قاله مرة حكاية عن عمر بن شبة البصرى الأخبارى المتوفى سنة ٢٦٢ للهجرة[٢] . وهو صاحب مؤلفات كثيرة فى الأخبار ، منها كتاب الكوفة ، وكتاب مكة . واعتمد على كتبه الطبرى فاقتبس منها فى كتابه « وحدثنى عمر مرة أخرى فى كتابه الذى سماه كتاب أهل البصرة فقال ... »[٣] . غير أن هذه المواضع تعد بالنسبة للنسق الذى سار عليه فى « تأريخ الرسل والملوك » من قبيل الشواذ .

وقد سببت طريقة الطبرى هذه خسارة كبيرة للمراجعين والباحثين ، فالسند على ما فيه من حسنات لا يخلو من سيئات ، فلأكثر المشايخ الذين ذكرهم الطبرى فى أسانيده مؤلفات عديدة ، فمن أى مؤلف من هذه المؤلفات نقل الطبرى قوله ، ثم ان فى اهمال عناوين الكتب خسارة فادحة لنعلم ؟ لأننا قد حرمنا بذلك ثروة قيمة يمكن أن تكون عونـاً لنا فى تحقيق المخطوطات وفى معرفة الثروة العقلية التى خلفتها لنا الثقافة العربية وما نعرفه اليوم من أسماء الكتب لا يعد فى الحقيقة شيئاً بالنسبة الى المفقود .

ولما كان تأريخ صدر الأسلام أكثر حساً من غيره ، وفيه روايات أملتهـا عـاطفة الرواة ، أو السياسة ، أو اختلاف وجهات النظر والفهم ، كان هذا القسم موضع مناقشة وموطن جدل ، فكان على الطبرى ، وهو مؤرخ محايد اتباع طريقة « جمع الأصول » وتكديسها بعضها على بعض وتدوينها على صورة روايات المسؤول عنها رجال السند ، أقول : كان فى رأيى عرض كل رواية عرضاً كاملا من أولها الى آخرها كما أخذها من شيخه ، فاذا انتهت سرد الرواية الثانية على نحو ما أخذها ، ثم يشرع فى سرد

---

(١) دائرة ص ٤٩١ .

(٢) الفهرست ص ١٦٣ وسأتحـدث عنـه بتفصيل فى المكان المناسب له . «وصنف تأريخ البصرة» الوفيات ٤٧٨/١ ، الشذرات ١٤٦/٢ .

(٣) الطبرى ١٦٦/٦ (الطبعة المصرية) . « كتاب البصرة » ، « كتاب الكوفة » «كتاب المدينة» «كتاب مكة» . «كتاب أمراء البصرة» ، له كتب كثيرة . الفهرست ص ١٦٣ .

الرواية الثالثة عن الحادثة نفسها ، وهكذا . وبهذا السرد تتكون لدى القارىء فكرة واضحة عن الأوجه المختلفة التي وردت عن الحادث الواحد فيستطيع أن يوازن بين هذه الآراء ، ويرجّح بعضها على بعض ، ويكوّن نظرة ايجابية خاصة في الموضوع . غير أن الطبري لم يسلك هذا الطريق ، بل كان يروي الحديث ناسباً إياه الى محدثه ، فاذا وصل الى موضوع مختلف فيه قطعه ليذكر مواضع الاختلاف مشيرا الى ذلك بعبارات مثل « واما فلان فقد قال غير هذا القول قال ... » ، أو « وأما فلان فانه قال او فقد قال غير هذا القول قال فيما حدثني فلان .... » ، أو « وأما الكلبي محمد بن السائب فانه فيما حدثني الحارث بن محمد عن محمد بن سعد عن هشام قال أخبرني ابي ... » ، أو « وقال ابن اسحاق فيما حدثنا فلان عن فلان ... » ، ثم يسرد مواطن الاختلاف فاذا انتهى منها عاد الى المتن الى الموضع الذي وقف عليه ، فيمهد الكلام باشارة تدل على استئنافه كأن يقول : « رجع الحديث الى حديث فلان ... » ، وقد تتداخل المتون ويشتبك الحديث ، فيشير حينئذ الى ذلك بقوله : « دخل حديث بعضهم في بعض ». وهذه طريقة تربك القارىء ، فتنسيه الحادث الأصلي ، وتنقل فكره من الأصل الى الفروع . استدرجت الطبري في كثير من المواضع ، فوجهت عنايته الى التفصيل في المسائل الفرعية وبالأشخاص الذين ليس لهم علاقة وثيقة بالرواية ، فغض النظر عما كان يجب أن يتحدث عنه ، ونسي أشياء كان لها علاقة مباشرة بصلب الموضوع . ولكننا يجب أن نعترف من جهة أخرى بحرص الطبري على جمع الأخبار الجديدة وترتيب الروايات ، فانه كان ميالا دائماً الى الاكثار من الأخبار الواردة عن حادث واحد ، يضعها بعضها فوق بعض أو يوحدها بحيث يشمل ذلك كل تلك الروايات الواردة عنه[1].

واذا حدث ورود اختلاف بين وجهات أنظار الرواة ، وسطر تلك الروايات ، عقب عليها أحياناً ببعض الجمل التي تشير الى ذلك ، مثل قوله « قال أبو جعفر : واختلف السلف من أهل العلم في .... » ذكر من قال ذلك ... فقال بعضهم ... وقد وافق قول من قال ... وقال آخرون ... قال أبو جعفر وقد وافق قول من قال ... » وأمثال ذلك ، لكنه قلما كان يبدي آراءه في الحوادث فيناقشها مناقشة عميقة أساسية

(١) الطبري ١/١٥٦٥ (طبعة ليدن) . Schwally. 2. p, 140

بصراحة تامة . وأما ما جاء فى مواضع من أسناد الكتاب مما يشعر أنه نقد لعدة روايات مثل قوله « قال أبو جعفر والصحيح عندنا فى ذلك » ، أو « أنا أشك فى ذلك » ، أو جمل يشعر منها النقد أو الترجيح مثل « وقد زعم بعضهم » أو « قيل » أو « يقول » ؛ فانها ليست نقدا بالمعنى العلمى الحديث مع قلة هذه المواضع بالنسبة للعرض العام الوارد فى الكتاب ، وهذا ما يذكرنا الصراحة التى استعملها الطبرى فى صفحات تفسيره فى نقد الآراء والروايات ، وقلما نجد لها مثيلا فى التأريخ ، على الرغم من الافاضة والاشراق الظاهرين على رواياته ، ولعل لاختلاف طبيعتى الموضوعين دخلا فى هذا التفاوت[١].
ولهذا السبب عدّ المستشرق « شواله ، «Schwally» طريقة الطبرى هذه فى عرض التأريخ على طريقة أهل الحديث طريقة فريدة فى بابها ، الا أنه وجدها من جهة أخرى رجوعاً الى الوراء من الوجهة الفنية ، الا أن مما يعوض من هذا النقص غنى الكتاب بالمراجع والمصادر التى تفيد فى البحث وقلما تتيسر فى كتاب آخر ، وهو مما يرفع من منزلته فى انظار الباحثين ، ونختص بالذكر فصولا مهمة وقطعاً من كتب لم تنشر حتى الآن تساعد الناشرين على التحقيق[٢].

أثبتت التجارب أن الاعتماد على الرواية فى التأريخ أمر لا يليق بالمؤرخ القدير ، ولا سيما فى النسبة لتدوين تاريخ الزمن الذى يعيش فيه المؤرخ ، اذ يجوز أن يكون الراوى ثابتاً صادقاً موثوقاً به الا أنه كان منفعلا متأثرا بعاطفته ، أو أنه يأخذ الأمور دون تحقيق ، أو أن الرجل الذى وثق به الراوى فأخذ حديثه منه كان غير صادق فى قوله ، أو أنه كان متأثرا أو منفعلا من الحادث ، أو أنه لم يفهم الخبر فهماً صحيحاً ، ولذلك كان الصحابة مع فضلهم وعلمهم يختلفون فى خبر واحد لاختلاف مداركهم فى الفهم ، فلابد اذن من الرجوع الى الوثائق الاصلية والى الكتابات الرسمية والأضابير ، واستخدام طرق النقد ، وقد كان عمل ابن الكلبى فى هذه الناحية عملا متميزا جدا بالنسبة الى عمل الطبرى قلما سلكه المؤرخون . فانه كان يذهب بنفسه الى الكنائس والديارات فيسأل عن المدونات . ومن هذه الناحية أيضاً لفت الأنظار ضعف القسم الأخير من كتاب

---

(١) دائرة ص ٤٩٣ .

(٢) Schwally. 2. p, 141.

الطبرى ـ وهو القسم الذى يشمل تاريخ الأيام التى عاش فيها الى أن معالجة التاريخ بالاعتماد على الرواية وحدها لا يكفى ، فلابد من الرجوع الى سجلات قصور الخلفاء ودواوين الأعمال وما دونه رجال السياسة والتدبير[١].

ان كتاب الطبرى ، وان كان قد أنهاه فى بداية القرن الرابع للهجرة يمثل فى الواقع نتاجاً كان خاتمة نتاج القرن الثالث ، القرن المشرق بالنسبة للرواية العربية والأسلوب العربى الصميم فى التأليف ، والحق أن هذا الكتاب وحده كان رمزا لختام عصر من عصور التاريخ ، وبداية تطور فى تأريخ التأريخ .

كان الطبرى محدثاً بدأ حياته العلمية بدراسة الحديث ، فكان حرياً أن يتأثر بطريقة المحدثين فى جمع الرواية التأريخية ونقدها ، وكان يجمع مأثور الروايات ويدونها مع اسنادها الى مصدرها الأصلى ، مثل شيخ يثق به ، أو عدل شارك فى الحادثة أو كان له علم بها ، أو كتاب تدارسه بالسند المتصل قراءة وسماعاً واجازة ، أو من جماعة من أهل البادية ، أو القادمين من الأمصار بعد وثوقه بهم ، فأصبح النقد أى الجرح والتعديل ـ وهو فن بلغ أوج الرقى عند المسلمين ـ ذاتياً منصباً على الرواة ، للراوى الاعتبار والمنزلة عند المؤرخ ، لا ما يقوله من مرويات ، وقد ضمنت هذه الطريقة صحة الأخبار بالنسبة للعصور الاسلامية ، ولكنها عجزت عن ان تضمن ذلك فى أخبار ما قبل الاسلام . وكان هذا القسم فى نظر المؤرخ الحديث أضعف نواحى كتب التأريخ عند العرب[٢] . ومع ذلك كان لطريقة الطبرى هذه فضل عظيم فى المحافظة على النصوص التأريخية وبعض الفصول والنتف المهمة التى أصبحت اليوم فى خبر كان .

لقد كان تأريخ الرسل والملوك عملا رائعاً جدا يشهد لصاحبه بالبراعة الفائقة وسعة العلم ، فلم يعن أحد من المصنفين المتأخرين بجمع وتحقيق جديدين ، ولم يتوافر عندهم ذلك الشغف الذى وجدناه عند الطبرى فى جمع مختلف الروايات ، لقد أخذت طائفة

---

(١) دائرة ص ٤٩٣ . «وقد حدثت عن هشام بن محمد الكلبى انه قال : انى كنت استخرج أخبار العرب وانساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ اعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم وامورهم كلها» . الطبرى ٣٧/٢ .

(٢) تعليق عبد الحميد العبادى على «علم التاريخ» ص ٦٦ ، راجع كذلك كتاب «مصطلح التاريخ» تأليف أسد رستم، الباب السادس العدالة والضبط ص ٨٦ فما بعدها.

منهم ما ورد عن البلاذرى مما لم يرد له ذكر عند الطبرى ، فأضافوه الى ما أخذوه من الطبرى ، غير أنهم كانوا فى أكثر الأحيان يبدأون حيث انتهى الطبرى ، وللطبرى فى كل ذلك فضل عظيم[١].

أما مذهب الطبرى فى التاريخ ووجهة نظره للحوادث ، فيمكن ادراكها من مقدمته لكتابه ، نراه فى هذه المقدمة عالما مولعاً بالحفظ والرواية ، يهتم بالجمع وتركيز الروايات ، دون عناية بالفائدة العملية ، فلذلك تضاءلت وجهات نظره بازاء آراء الرواة ، ولا يتبين رأيه بين معرض الآراء . ورجل مثل الطبرى قطع شوطا كبيرا من حياته فى التنقل فى أهم الاقطار الاسلامية فى الأقطار التى كانت مركز الحياة الثقافية فى الشرق القديم ، وزار المدن التى كانت تجاور آثار أقدم مدن العالم ، وكانت تناديه ليكتب تاريخها كتابة شاهد عيان ، ان هذا الرجل الذى دوّن التأريخ القديم بافاضة لانجدها عند غيره ، لم يكتب عن مشاهداته ، ولم يتحدث عن الخرائب التى مر بها أو التى كان يتحدث عنها الناس ، فلم يصف لنا الحيرة ولا واسطاً فى الأقل ولا مكاناً آخر اسلامياً اوجاهلياً ، ولم يدون شيئاً من تواريخ المدن التى مرّ بها ، على النقيض من المسعودى مثلا الذى سجل فى تضاعيف كتبه ملاحظات وان كانت مبعثرة غير منتظمة ، تدل فى الواقع على حب استطلاع وقابلية لفهم واجب المؤرخ وميل الى النقد الذى هو من أهم مستلزمات التأريخ . وتحدث عن عادات الشعوب التى زارها وعقائدها وأديانها وعاداتها الاجتماعية وغرائب الطبيعة وغير ذلك . كل هذه الأمور لم تلفت نظر الطبرى ، ولم تحرك منه ساكناً .

الطبرى متيم بالروايات يذكرها على علاتها ، وللقارىء أن يستخرج منها ما يشاء وأن يعتقد فيها ما يشاء ، لا يهمه ذلك بقدر ما تهمه الناحية التعليمية من التأريخ . هذه فلسفته ، وهذه وجهة نظره ، تتمثل لك فى قوله : « وليعلم الناظر فى كتابنا هذا أن اعتمادى فى كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أنى راسمه فيه ، انما هو على ما رويت من الأخبار التى انا ذاكرها فيه والآثار التى أنا مسندها الى رواتها فيه دون ما أدرك بحجج العقول و أستنبط بفكر النفوس الا القليل اليسير منه ، اذ كان العلم بما كان من

(١) دائرة ص ٤٩٣ .

أخبار الماضين وما هو كائن من أنباء الحادثين غير واصل الى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم الا باخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس • فما يكن فى كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما ينكره قارئه . أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً فى الصحة ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قبلنا ، وانما أتى من قبل بعض ناقليه الينا • وانا انما أدينا ذلك على نحو ما أدى الينا • »[١] • هذا هو رأى الطبرى فى التأريخ ، ويحسن بهذه المناسبة الموازنة بين هذا الرأى ورأى مؤرخ آخر عاش متأخرا بالنسبة للطبرى ، ولكن ذلك لا يمنع أبدا من الموازنة بين الرجلين ، وهذا المؤرخ « ابن مسكويه » ، وهو ممن نقل من تاريخ الطبرى ، ونال الاجازة بروايته من « ابن كامل » راوى هذا التاريخ •

التأريخ فى نظر ابن مسكويه تجارب مدونة مرت على السلف يحسن بالخلف الاطلاع عليها وقراءتها واتخاذها اماماً يقتدى به عند حدوث الملمات ، « فان أمور الدنيا متشابهة ، وأحوالها متناسبة ، وصار جميع ما حفظه الانسان من هذا الضرب كأنه تجارب له ، وقد دفع اليها واحتك بها ، وكأنه قد عاش ذلك الزمان كله ، وباشر تلك الأحوال بنفسه ، واستقبل أموره استقبال الخبير ، وعرفها قبل وقوعها ، فجعلها نصب عينه وقبالة لحظه ، فأعد لها أقرانها ، وقابلها بأشكالها ، وشتان بين من كان بهذه الصورة وبين من كان غـرا غمرا ، لا يتبين الأمر الا بعد وقوعه ، ولا يلاحظه الا بعين الغريب منه يحيره كل خطب يستقبله ، ويدهشه كل أمر يتجدد له[٢] ... »

---

(١) الطبرى التاريخ ١/٥ • (طبعة لايدن) دورة أولى ١/٦ •

(٢) تجـارب الامم وتعـاقب الهـمم (Gibb)، ج ١ ص ١ • (طبعة امدروز) القاهرة سنة ١٩١٤ ترجمة المؤلف ١/٢ •

ابن مسكويه هو ابو على أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويـه ، مات سنـة ٤٢١ للهجرة • ياقوت : الارشاد ٢/٨٨ فما بعدها ، ابن القفطى : تاريخ الحكماء ص ٣٣١ • (طبعة Lippert.) (روضة الافراح ونزهة الأرواح) او (نزهة الأرواح وروضة الأفراح) لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزورى الاشراقى • ورقة ١٨٣ « أحمد بن محمد مسكويه » • وفى المجمع العلمى العراقى صورة فوتغرافية لمخطوطة المتحف البريطانى • (Add. 23365)

Brockelmann, G. A. L. Vol. 1. p. 342. Suppl.. I. p. 582. Ency. of Islam. Vol. 2. p. 404.

دفعت هذه النظرية التجريبية ابن مسكويه الى الاقتصار فى تأريخ ما قبل الاسلام على كل ما له فائدة وعظة من الناحية التعليمية ، والى ما يتصل بالسياسات وعمارات البلدان ، وجمع كلمة الرعية ، واصلاح نيات الجند وحيل الحروب ومكايد الرجال وما تم منها على العدو وما رجع على صاحبه ، وذكر الأسباب التى تقدّم بها قوم عند السلطان والأحوال التى تأخر بها آخرون . وغايته من ذلك قبل كلّ شيء أن يكون علم التأريخ علماً للوزراء والساسة ومن بيدهم الحل والعقد . قال : « فلذلك جمعت هذا الكتاب ، وسميته « تجارب الأمم » وأكثر الناس انتفاعاً به وأكبرهم حظاً منه أوفرهم قسطاً من الدنيا كالوزراء وأصحاب الجيوش وسوّاس المدن ومعتبرى أمر العامة والخاصة ثم سائر طبقات الناس ، وأقل الناس حظاً لا يخلو له أن ينتفع به فى سياسة المنزل وعشرة الصديق ومداخلة الغريب ، ولم يعدم مع ذلك السمر الذى وجد فى القسم الآخر الذى اطرحناه .... »(١)

هذه الأسباب المذكورة هى التى جعلت ابن مسكويه يكتفى من الماضى بذكر الحوادث المهمّة التى لها فائدة عملية للانسان ، فلم يتبسط فى سرد القصص الشعبية والأساطير التى رويت عن الأقوام القديمة ، ولم يحفل بالاسرائيليات ؛ لأنه وجد هذا النمط من « الأخبار مغمورا بالأخبار التى تجرى مجرى الأسمار والخرافات التى لا فائدة منها غير استجلاب النوم والاستمتاع بأنس المستطرف منها ، حتى ضاع بينها وتبدد فى أثنائها ، فبطل الانتفاع به ، ولم يتصل لسامعه وقارئه اتصالا يربط بعضه بعضاً ، بل تنسى النكتة منها قبل أن تجيء أختها ... ولهذا السبب بعينه لم نتعرض لذكر معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم وما تم لهم من السياسات بها ؛ لأن أهل زماننا لا يستفيدون منها تجربة فيما يستقبلونه من أمورهم ، اللهم الا ما كان منها تدبيرا بشرياً لا يقترن بالاعجاز ... وأنا مبتدىء بذكر الله ومنته بما نقل الينا من الأخبار بعد الطوفان ، لقلة الثقة بما كان منها قبله ، ولأن ما نقل أيضاً لا يفيد شيئاً مما عزمنا على ذكره وضمناه فى صدر الكتاب . »(٢)

---

(١) تجارب الامم ج ١ ص ١ .

(٢) تجارب الامم ج ١ ص ٢ .

اقتصد ابن مسكويه فى أخبار ما قبل الاسلام ، ولم يتبسط الا فى أخبار الفرس وهو منهم ، مدفوعاً الى ذلك بعاطفته وشعوره القومي . فأمّا الطبرى ، فقد تبسط فى كلّ شيء فيما قبل الاسلام وفيما بعد الا سلام ؛ لأنه رجل عالم محدث يريد أن يقدم علمه للناس ، وأن يضع ما وعاه فى خدمة طلاب العلم .

وطريقة تدوين التأريخ على صورة « حوليات » يتقيد فيها المؤرخ بترتيب السنين ، من الطرائق التأريخية القديمة ، وقد عرفت عند الآشوريين ، والمصريين ، والبابليين ، واستعملها كثيراً مؤرخو اليونان والرومان . والفرق بينها وبين طريقة « التأريخ » (Chronicles) التى تتقيد بالترتيب الزمانى كذلك ، أن الطريقة الثانية وان كانت تراعى الترتيب الزمانى ، لا تتقيد بتسجيل الحوادث على حسب ترتيب الشهور والسنين [١] ، وقد جمع أكثر من كتب فى التأريخ العام من العرب بين هاتين الطريقتين على نحو ما فعله الطبرى .

راعى الطبرى فى ترتيب كتابه تسلسل الحوادث ، فرتبها على حسب وقوعها عاماً بعد عام منذ الهجرة الى نهاية عام ٣٠٢ للهجرة ، فذكر فى كل سنة ما وقع فيها من أحداث رآها تستحق الذكر . أما اذا كانت الحادثة طويلة ، فانه كان يجزئها على حسب السنين التى وقعت فيها ، أو يشير اليها مجملا ثم يذكرها بالتفصيل فى الموضع الملائم . ويقال لهذه الطريقة "Annals" أى « الحوليات » .

أما القسم الأول من كتابه وهو القسم الخاص بما قبل الاسلام الى الخليقة ، فقد اتبع فيه طريقة أخرى فى عرض الحوادث ، فلم يرتب الحوادث على حسب وقوعها عاماً بعد عام ، اذ كان ذلك امرا غير ممكن له فسار على النهج الذى سلكه أكثر المؤرخين الذين ساروا على طريقةعلماء التوراة بالبدء بالخليقة ثم بالأنبياء على حسب ما ورد فى التوراة ، ثم بالتعرض للحوادث التى وقعت فى أيامهم وذكر الملوك الذين كانوا يعاصرونهم وما جرت لهم من حوادث وحروب ، ثم ذكر الأمم التى جاءت بعد الانبياء الى ظهور الأسلام . وهو الترتيب المعروف عند أهل الكتاب . ويقال لهذه الطريقة فى تدوين التأريخ (Chronicles) [٢] « تأريخ » .

---

(١) Alfred Feder. Lehrbuch der Geschichtlichen methode. Regensburg. 1924. p, 92.

(٢) R. Flint. History of the Philosophy of History. 1893. pp, 157. دائرة المعارف البريطانية مادة "Chronicles"

وقد سبق الطبرى جماعة من العلماء الى تدوين التأريخ على النمطين المذكورين ، ومن هؤلاء الهيثم بن عدى المتوفى سنه سبع ومئتين ، وقد وضع فى التأريخ كتاباً رتبه على السنين والأعوام ،[١] وجعفر بن محمد بن الأزهر بن عيسى الأخبارى المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة ، وله كتاب فى التأريخ وضعه على أساس السنين[٢] .

خلد الطبرى فى كتابه نماذج من متون كتب أتى الدهر عليها ، وحفظ قطعاً حسنة من أقوال عبدالله بن عباس ومجاهد وعاصم وقتادة وكعب الأحبار ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام والزهرى والشعبى وأبى مخنف ، وأمثلة من أقدم الكتب التى ألفت فى التأريخ وفى الأحداث السياسية التى وقعت فى صدر الاسلام ، أخذها من كتب التخصص ومن الرجال الذين عرفوا بالدراية والاطلاع على هذه الموضوعات ، فأخذ الاسرائيليات من كتب أخذت من أقوال وهب بن منبه ، واعتمد فى رواية تأريخ العرب القديم على الاخباريين الذين كان لهم علم بذلك مثل عبيد بن شرية والأصمعى والشعبى ومحمد بن السائب الكلبى ، خاصة فى تأريخ الفرس والعراق ، واعتمد فى السيرة على سيرة ابن سحاق فى الأخص وعلى كتب السير الأخرى التى سنتحدث عنها ، ولم يأخذ من مغازى وهب بن منبه ؟ لأنه لم يكن عنده رجلا ثقة فى هذا الباب ـ كما أشرنا اليه سابقا .

والطبرى مثل أكثر المؤرخين الذين كتبوا فى التأريخ العام قصر اهتمامه على التأريخ السياسى متأثرا بروحية العصر الذى عاش فيه ، وبالنظرية التى كان يدين بها جمهرة المؤرخين ليس فى العالم العربى حسب بل فى العالم الخارجى كذلك ، مثل العالم النصرانى الذى كان مؤرخوه متأثرين بنظرية الكنيسة فى تفسير التأريخ ، تلك النظرية

---

(١) أحمد أمين : ضحى الاسلام (١٩٣٥) ص ٣٥٨ «كتاب التاريخ على السنين» . الفهرست ص ١٤٦ (الطبعة المصرية) . « الهيثم بن عدى : أبو عبد الرحمن الطائىالكوفى الاخبارى المؤرخ . روى عن مجالد وابن اسحاق وجماعة ، وهو متروك الحديث ، وقال ابو داود السجستانى : كذب » الشذرات ١٩/٢ «قال الامام أحمد : كان صاحب أخبار وتدليس .» «متروك الحديث محله محل الواقدى.» لسان الميزان ٢١٠/٦ «كتاب التأريخ على السنين» الوفيات ٢٦٩/٢ .

(٢) الفهرست ٥٣/٢ (طبعة أوربة) ياقوت : الارشاد ٢٤٧/٢ .

التي استخلصها ووضع قواعدها فيلسوف الكنيسة القديس « أوغسطين » "St. Augustinus" في كتابه المسمى « اثنان وعشرون كتاباً عن مملكة الله »(١) فجعل التأريخ صراعاً بين قوتين ، أو مملكتين : مملكة الله في السماء حيث الحق والعدل ، ومملكة الشيطان (Teufelsreich) في الأرض حيث السقوط والغواية . وقد تكونت بالخطيئة . وكان أول مواطن فيها هو « قابيل » (Kain) وأما « هابيل » (Abel) الذي شمله الله بعطفه ، فقد كان من مواطني مملكة السماء . ومن هذا الصراع تولد التأريخ الذي سينتهي بتغلب مملكة الله وخلاص البشر من « الخطيئة » بظهور المخلص ونشر تعاليمه على وجه الأرض ، ومشاركة المؤمنين في مكافحة دولة « الضالين » ، فيسود العدل ، ويختفي فعل الشيطان ، ويحل الأمن ، وتذهب كل آثار الفساد ، ثم تكون بعد ذلك القيامة حيث ينال « أبناء الله » الأبدية في مملكة السماء(٢) .

فالتأريخ البشري اذن هو صفحة تقدم وتطور تؤدي في الأخير الى الفضيلة والايمان ، وللاسراع في ذلك وجب على المؤمنين حكومات وأفرادا ، العمل على تنفيذ أوامر الله ، ونشر كلمته بين الضالين ، فاذا فعلت ذلك نالت الوطنية في مملكة السماء . ومن هنا ظهرت سلطة « البابا » على كل السلطات ، باعتداده ممثل « المسيح » على الأرض ، فاطاعة أوامره تعني اطاعة أوامر الله ، ومخالفة أوامره تعني مخالفة أوامر الله ، وهذه النظرية هي النظرية الرسمية للكنيسة في تفسير التأريخ . وقد حكت دورا كبيراً في القرون الوسطى في توجيه السياسة العالمية(٣) .

ظلت هذه النظرية التي تعد التأريخ نتيجة عمل الأفراد ، مهيمنة على عقول الكتاب حتى الآن ، ولا سيما في البلاد التي تديرها الدكتاتوريات أو الأحزاب الواحدة . ولما كان الخلفاء والملوك والسلاطين هم الذين كانوا يسيطرون على الشعب ، ويسيرون أمور

(١) كتب بين ٤١٣ ـ ٤٢٦ للميلاد .
Bernheim, Eeinleitung in die Geschichtswissenschaft. p. 19. "De Civitate Dei"

(٢) Bernstein. p, 20. Alfred Feder. Lehrbuch der Geschichtlichen methode. pp, 320.

(٣) Bernheim, mittelalterliche zeitschauungen in ihrem einfluss auf Politik und Geschichtschreibung. Teil 1. 1918.

الحروب ، لم نطمع من الطبرى فى أن يذهب فى تفسير التأريخ على طريقة أخرى ، كذلك لم يؤمل أن يرى مثل هذا التفسير يصدر من شخص آخر غير الطبرى . فلم يكن للشعوب ، ولا للرأى العام قوة فى العالم الى القرن الثامن عشر ، حتى يفطن المؤرخون اليها . ولهذا انصرفت عنايتهم الى الشؤون السياسية والعسكرية ، فى التأريخ . ومما يؤسف عليه أن الطبرى لم يذكر فى مؤلفاته السنة التى شرع فيها فى تأليف تأريخه ، والظاهر أنه بدأ به املاءا حتى اذا بلغ نهاية حوادث سنة ٣٠٢ للهجرة قطعه . ويفهم من رواية نقلها الذهبى فى كتابه « تذكرة الحفاظ » وهذا نصها « انّ ابن جرير قال لأصحابه : هل تنشطون لتأريخ العالم ؟ قالوا : كم يجيء ؟ فذكر نحواً من ثلاثين ألف ورقة . فقالوا : هذا مما يفنى الأعمار قبل تمامه ، قال : انّا لله ، ماتت الهمم . فأملاه فى نحو ثلاثة آلاف ورقة . ولما أراد أن يملى التفسير ، قال لهم ذلك ، ثم املاه على نحو من التاريخ ... »[١]. ان الطبرى بدأ بالتاريخ قبل التفسير ، وهذه الرواية هى على عكس ما جاء في الكتب التى ترجمت الطبرى ، فقد ورد فيها ، ان الطبرى بدأ بذكر التفسير اولا ثم ثنى بالتأريخ ،[٢] وهى أقرب الى الواقع من الرواية الأولى ، فالمعروف أن الطبرى انما أراد من تأريخه أن يكون متمماً للتفسير لاحقا به[٣] . ويؤيد هذا الرأى الطبرى نفسه حيث أشار فى تأريخه الى أن التفسير كان معدّا حينما باشر التاريخ « وقيل أقوال فى ذلك قد حكينا منها جملا فى كتابنا المسمى جامع البيان عن تأويل آى القرآن فكرهنا اطالة الكتاب بذكر ذلك فى هذا الموضوع[٤] .. » . ولما كان الطبرى قد بدأ باملاء كتاب التفسير سنة ٢٧٠ بمدينة بغداد على رواية ، أو فى سنة ٢٨٣ على رواية أخرى ، وقد استمر على املائه سبع سنوات فأنهاه سنة ٢٩٠ هـ ، وجب أن يكون الطبرى قد اشتغل به بعد سنة ٢٧٠ للهجرة وفى أيام اقامته بمدينة بغداد بعد ان تجمّعت لديه مادة واسعة فى التأريخ ، وقد فرغ من املائه ومن عرض المستملين له عليه للموافقة عليه موافقة نهائية فى يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع

(١) الذهبى : تذكرة الحفاظ ٢٥٢/٢ .
(٢) الارشاد ٤٢٣/٦ فما بعدها .
(٣) دائرة ص ٤٩٤ .
(٤) الطبرى ٤٥/١ (طبعة مصر) ص ٥٠ طبعة ليدن .

الآخر سنة ٣٠٣ للهجرة .[١]

ولأهمـية « تاريخ الرسل والملوك » ترجـم الى الفارسيـة بأمر الأمـير أبـي صـالح منصور بن أحمـد بن اسماعيل بن سـامان السـاماني ، وكان مشغـوفا به ، مكثرا لمطالعته والاستفادة منه ، ترجم سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة ، قام بترجمته وزير من وزراء الدولة السامانية وأديب خطـير بليغ بالفارسية هو أبو علي محمـد بن محمد بن عبدالله البلعمي المتوفى في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة.[٢]

وقد نص البلعمي في مقدمة الترجمة على الطريقة التي اتبعها وعلى النسق الـذي سار عليه في الترجمة ، فذكر أنه راعى « الاقتصار على سـوق الأخبار دون الأسـانيد وتهذيبها عما في هذا الكتاب من الاعتمادات والتطـويل في سياقة قصـة كل نبي وملك وخبر .... الى ان قال :« وأنا أترجم هذا الكتاب، وأقابله بالتقسيم الكبير ،وأقدم وأؤخـر من القصص ما يجب تقديمه وتأخيره ، حتى أسوق كل قصة على وجهها ، وأسرد كل خبر على سبيله، وأقرن كل شيء بشكله وأجمعه الى نوعه ومثله، وأبوب الكتاب بأخبار الانبياء والملوك وأؤرخه بأسماء الأزمنة والأوقات .... الخ ... » .[٣] وعلى هـذه الترجمة صنعت الترجمة التركية في عهد « أميرالامراء أحمد باشا »، ثم الترجمة الثانية التي صنعت ما بين سنتي ٩٢٨ ــ ٩٣٨ للهجرة .[٤]

---

(١) الارشاد ٦/٤٢٥ قال أبو بكر بن بالويه : قال لي أبو بكر محمد بن اسحاق ــ يعني ابن خزيمة ــ : « بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير ، قلت : نعم ، كتبنا التفسير عنه . قال : كله ؟ قلت : نعم . قال : في أي سنة ؟ قلت : من سنة ثلاث وثمانين الى سنة تسعين . »

De Goeje, Annales. Introductio P,LXXVIII.

(٢) راجع عن البلعمي Ency. of Islam, Vol, 1. P, 613-614

Ethè, Grundriss der Iranischen Philologie, Vol 2. P, 355.

Browne, A Literary History of Persia. Vol, 1.P,614.

وراجع « الانساب للسمعاني » ودستور الوزراء لخوندمير ص ١٠٨ من طبعة ايران كشف الظنون ٢٩٧/١ ، العتبي : تاريخ يميني بعناية (منين) ، القاهرة سنة ١٢٨٦ . ذكر « ريو » انه توفي سنة ٣٨٦ هـ ، وهو وهم اوقعه فيه التباسه بشخص آخر .

Rieu, Catalogue Brit. Muss. Vol, 1. P,70

(٣) JG.L Rosegarten, Taberistanenis id est Abu Dschaferi mohammed ben Dscherir ettaberi, Annales Regum Atque Legatorum Dei. Cryphisvaldiae MDCCCXXXI.P.XI.

(٤) De. Goeje, Annales, Introductio, P, XXVII. Zotenberg, Chronique de Abou-djafar mohammed-ben-yezid Tabari, Traduite Sur la Version Persane. 4 Vol, Paris, 1867-1879 (٩٢٨ هـ) في كتاب Rosegarten. P, XXIII

والظاهر أن الطلب لتأريخ الطبرى كان كبيرا، غير أن نسخه كانت قليلة، أو أنها أصبحت فى بعض الاماكن فى حكم النادر، فلذلك قام خضر بن خضر بن الحاج حسن الآمدى بترجمة الترجمة الفارسية الى اللغة العربية ، وهى ترجمة ليست بشيء بالنسبة الى الاصل، ومع ذلك استعان بها المستشرقون حين شرعوا فى طبع تاريخ الطبرى[١] كما استعانوا بنسخ اخرى لم تكن كاملة، اذ لم يتيسر العثور على نسخــة كاملة للكتاب ، والنسخة المطبوعة فى أوربة وهى أصح نسخة مطبوعة حتى الآن ، هى ناقصة معذلك . وقد عثر على اقسام فى عدة من المخطوطات لم يعثر عليها ناشر تاريخ الطبرى، وربما يعثر فى المستقبل على أقسام أخرى ، الا أنها كما يظهر لا تكون نقصا مهما بالنسبة لجملة الكتاب ولا تقلل من قيمة هذه النسخة المطبوعة ومن قيمة النســخ التى طبعت عنهــا فى بلاد الشرق[٢]. وهذا الكتاب جدير بالدراسة ، حرى بالنقد ، وهومثل أغلب الكتب التأريخية الاخرى لم يدرس دراسة علمية حديثة دقيقة ، فلم يقابل بالكتب التى ألفت قبله أو فى أيامه ، وطبعت ، أو لا تزال مخطوطة ، ولم تراجع سلسلة أسانيده وهى كثيرة ولو أن عددا من المستشرقين درسوا الكتاب دراسة عامة، وكتبوا فصولا عنه، وتحدثوا عرضا عن قسم من المصادر التى استعان الطبرى بها فى جمع كتابه ، مثل سيرة ابن اسحاق ، و « تاريخ بغداد » لأبى الفضل أحمد بن أبى طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ للهجرة[٣] ولم يشر الى اسمه الا مرة واحدة فى حوادث سنة ٢٥٠ للهجرة [٤] مع

(١) Rosegarten. P. XXIV « نبتــدىء بعــون الله الملك القيــوم القــوى فى ترجمة الجزء الثانى من تأريخ الطبرى ، العبد الفقير الحقير خضر بن خضر بن حاجى حسن الآمدى عفىالله عنهم بلطفه الخفى فى يوم الخميس ثانى عشر شهر رمضان سنة ٩٣٥ هـ » . « تمامة جزء الثانى من ترجمة تاريخ الطبرى من العجمى الى العربى العبد الفقير الحقير الراجى رحمة ربه خضر بن خضر ابن الحاجى حسن بن الحاجى محمد بن الحاجى حسن بن الحاجى اسماعيل بن الحاجى على الآمدى عفىالله عنهم وذلك فى ليلة الثلاثاء ثامن شهر ربيع الآخر سنة ٩٣٧ هـ ». كذا فى النسخ المطبوعة . وله ترجمة عربيــة أخرى عن الفارسية فى مدينة « ليدن » .

(٢) راجع الكراسة الصغيرة التى أصدرها « دى غويه » فى اقسام عثر عليها من تاريخ الطبرى .

(٣) كتــاب « تأريخ بغــداد » لم يعرف منه غــير الجزء الســادس ، وقد ترجمــه الى اللغة الالمانية وطبعه H. Keller بمدينة « لا يبزك » Leipzig عام ١٩٠٨ م . وترجمه K.C.Scelye الى اللغة الانكليزية وطبعه بنيويورك عام ١٩٢٠ م . (Columbia Univ. Orient, Ser. XVI). وقد أخذ المجمع العلمى العراقى صورة فوتغرافية لمخطوطة « المنثور والمنظوم » للمؤلف نفسه . وطبع « تاريخ بغداد » حديثافى القــــاهرة .

(٤) الدورة الثالثة ص ١٥١٦ (طبعة ليدن) .

أنه أخذ من كتاب « تاريخ بغداد» واعتمد عليه كما سترى فيما بعد • والكتاب مع هذا به حاجة الى دراسة ونقد، فهو واسع متشعب، وهذه الحاجة هي التي دفعتني الى مراجعة أسانيد الطبري ومقابلته بالكتب المطبوعة والمخطوطات التي حصل المجمع العلمي العراقي على صور لها لتكوين دراسة علمية متقنة ناضجة لهذا الكتاب المهم •

وقد لاحظت أن الطبري لايتقيد بالقيود التي يتمسك بها أهل الحديث بالنسبة الى الرواة الضعفاء، فأدخل في تفسيره وفي تاريخه أقوال الكلبي[١] وابنه هشام والسدي[٢]، وهم من الضعفاء، ولم يجد في ذلك حرجا، وفضل سيف بن عمر على الواقدي في « الردة » وفي فصول أخرى من تاريخه ، وهو مطعون عليه ومتهم بالزندقة، ولم يكن للطبري نفسه رأي حسن فيه ، ويعد تاريخ الطبري وكذلك تفسيره من الكتب الغنية بالاسرائيليات، وقد استمدها من مصادر عدة ترجع الى منابع يهودية مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه ، ورجال من يهود العراق، والى مصادر نصرانية ،كسنده عن ابن اسحاق عن أبي عتاب وهو رجل من فيلة تغلب، كان نصرانيا ثم أسلم[٣]، فادخل طائفة من القصص النصرانية، وكذلك جماعة آخرون أخذ منهم ابن اسحاق ، وغيره •[٤]

وتاريخ الطبري مجموعة مصادر تاريخية قيمة ، ونتف من كتب قديمة ، ذهب الدهر باكثر أصولها ، نقلت على ما كتبت ، ووضعت في المحلات المناسبة ، ولذلك أصبح خزانة روايات ونصوص، جمعها المؤلف بعناية وبتدقيق، متوخيا في ذلك الحياد التام ، والامانة في النقل والاحاطة بالشيء ، على قدر الامكان ، ومن هنا اكتسب تلك الشهرة الفائقة بين كتب التاريخ •

---

(١) الطبري • التفسير ٢٥٢/١ (الطبعة الاولى) بالمطبعة الأميرية ببولاق سنة١٣٢٣•

(٢) الطبري • التفسير ١٩٤/١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ومواضع أخرى « حدثني موسى بن هارون ، قال حدثنا عمرو ، قال حدثنا أسباط بن نصر عن السدي » « قيل للشعبي ان السدي قد اعطى حظا من علم القرآن • فقال : قد أعطى حظا من جهل بالقرآن » • « قال سلم بن عبدالرحمن مر ابراهيم النخعي بالسدي وهو يفسر لهم القرآن فقال أما أنه يفسر تفسير القوم » • « وقال الجوزجاني حدثت عن معتمر عن ليث يعني ابن أبي سليم قال كان بالكوفة كذابان أحدهما الكلبي والآخر السدي •• » وسأتحدث عن السدي فيما بعد • تهذيب التهذيب ٣١٤/١ ، ١٧٩/٩ •

(٣) المذاهب الاسلامية ٨٨ ، Lidzbarski, of, 13

(٤) « عن محمد بن اسحاق • أخبرنا بعض من أسلم من أهل الكتاب ممن كان عنده علم بتاريخ العجم •• » • التفسير ١٢/١٦ ، المذاهب الاسلامية ٨٩ •

فهو كتاب متميز من كتب المصادر لابد من رجوع المؤرخ الحديث اليه لتدوين التاريخ العربى وتأريخ الشعوب الاسلامية بطريقة حديثة ، لأنه يقدم له الأصول ، والوثائق التى تجمعت لمؤلفه فى أيامه ، ذهب الدهر بها . ولكنك لاتجد فيه طريقة المؤرخ الناقد ، والرأى الايجابى ، بل تجد فيه ضعف ملكة النقد بوجه عام ، وادارته التاريخ العام على الافراد والحروب والسياسة فى أيسر صورها ، وتجد قلة عناية بالشؤون العامة للجماعات وتعليل الحوادث والنفاذ الى أسرارها . وهى نقاط ضعف يشاركه فيها أكثر المؤرخين[١].

ويجتهد الطبرى فى تدوين كل ما يمكنه تدوينه من الروايات والأقوال عن الحادث الواحد ، ويرجح بالطبع أقوال شهود العيان على غيرهم لما لشهادتهم من أثر كبير فى تصوير الموقف ، واعطاء صورة دقيقة محسوسة عنه ، كما يقيم وزنا لشهادات المعاصرين للحوادث ولأنباء المعاصرين ، ويستطيع القارىء بعد قراءة هذه الأقوال وتمحيصها أن يكون فكرة خاصة فيها ، وهى ميزة قلما نجدها فى الكتب التأريخية التى ألفت فى ذلك الوقت عند الامم الاخرى ، ولو تيسرت لنا النسخ الاصلية لتأريخ الطبرى ، النسخ التى كتبها أولا ولم يسمح الدهر الى اليوم بابرازها ، وهى نسخ مطولة عمل منها الكتاب المتداول المعروف[٢] ، لكان للكتاب شأن أى شأن ، ولعرفنا من خلاله أشياء ربما لم يتيسر نشرها فى النسخة المختصرة المتداولة ، ـ أقول مختصرة مع أنها مطولة غنية بالنسبة الى الكتب الاخرى ـ قد تبدل أوجه نظرنا وأحكامنا فى النواحى الغامضة والحساسة من تاريخ الاسـلام .

وطريقة استقصاء الموارد ، ووضع متون الكتب التأريخية السابقة والوثائق والشهادات بعضها فوق بعضها ، وتدوينها فى كتاب واحد ، وان كانت طريقة حسنة محمودة ، أفادتنا اليوم كثيرا ، غير أنها صرفت الرواة والاخباريين عن تحرى أخبار الحوادث الرئيسة والقضايا التى يجب أن تحتل المكانة الاولى الى تتبع المسائل الثانوية واستقصاء الامور الجزئية ، والمسائل التافهة فى الاحيان ، كما جعلتهم يعيدون فى الغالب الاشياء أنفسها بتغيير طفيف ، فى الكلمات أو العبارات ، لا يستوجب كل ذلك الاهتمام . فتداخلت الروايات ، واختفت الآراء ، واحتلت الشخصيات الثانوية مكانة الشخصيات

---

(١) علم التاريخ ترجمة عبدالحميد العبادى وتعليقه ص ٦٩ .

(٢) Annales Quos Scripsit Abu Djafar mohammed Ibn Djarir At-Tabari. by De Goeje. Introductio, Glossarium Et Ebenda. lugd. 1901, P, XXVII.

الاولى التي كان يجب أن يدور الحديث حولها ، وتشعب الحديث وخرج عن الموضوع الاصلي الى موضوعات لا علاقة لها بالحادث جاءت بها اتفاقات الاستطراد ، فنسي الراوي وناقل الرواية الحادث الاصلي ، تحت تأثير نشوة الحديث ، فخرج الخبر من طابع الاخبار التأريخية الى طابع الاحاديث الادبية : أحاديث المجالس التي تتشعب ، وقد تمعن في الاستطراد فتشذ عن الاصل وينسى المحدث السبب الذي دعا الى ذلك الحديث .

تجمعت مادة تأريخ الرسل والأنبياء عند الطبري من موردين : كتب السير ، وكتب التفسير ولاسيما تفاسير تلامذة ابن عباس والمدارس التي تأثرت برأيه في التفسير . أما تأريخ الفرس فقد أخذه من الترجمات العربية لكتب الفرس ولاسيما كتب ابن المقفع وكتب ابن الكلبي الذي كان له علم واسع بأنباء العجم ، ولم يتبع في تأريخ الفرس ما ألفناه عنده من ذكر السند والتقيد به ، ويدل ذلك بالطبع على أنه نقل هذا التأريخ من الكتب بلا واسطة ، وقد استهل عدة من الفصول بهذه العبارة : (ذكر العلماء بأخبار الامم السالفة من العرب والعجم أن ....[1]) ، كما أكثر فيه من عبارة : « فحدثت عن هشام بن محمد الكلبي أنه قال ...[2] » ، أو « وذكر بعضهم ان ....[3] » أو « وزعم بعض العجم[4] » ، أو « وقال آخرون[5] » . و« وقال غير هشام...[6] » ولذلك نرانا مضطرين الى مقابلة هذه الفصول بما جاء في الكتب الأخرى لتعيين تلك الموارد ، ولعله نقل من كتب أخرى لما ورد عنده من العبارات التي تدل على ذلك ، مثل قوله : « .... قال وذكر غير هشام أن[7] » ، ومعنى هذا أنه نقل قول رجل آخر فدونه على نحو ما ذكره ، والظاهر أنه أخذ ذلك من مؤلف ولولا ذلك لذكر اسم الرجل ، فمن عادته اهمال اسم المؤلف حين ينقل أقواله من الكتب .

أما تاريخ العرب قبل الاسلام ، فأكثره من أقوال هشام بن الكلبي ، وفي الاخص

---

(١) الطبري ١/٢٩٣ ومواضع أخرى .

(٢) الطبري ١/٢٩٥ ، ٢/٢ ، ٤ ، ٢٧ ، ٣٧ ومواضع عديدة .

(٣) راجع تاريخ الفرس والحيرة .

(٤) وزعم بعض أصحاب الأخبار . الطبري ٢/٦٢ .

(٥) وقال غيره . الطبري ٢/٥٦ .

(٦) « فأما ابن حميد فانه حدثنا » الطبري ٢/٣٧ ، ولم يشر الى سند أو كتاب . الطبري ٢/٤ .

(٧) الطبري ٢/٦ .

القسم العراقى منه حيث يكاد ينفرد بالرواية[١] . وأما القسم الخاص بتأريخ اليمن ، فقد انتزع من سيرة ابن اسحاق ، وقد استقاها ابن اسحاق فى الأكثر من وهب بن منبه ومحمد بن كعب القرظى ، وهومن مسلمةاليهود[٢].وأما تأريخ الروم فهزيل جدا لايكاد يكون شيئا بالقياس الى ما ذكره الطبرى من أمر ملوك الفرس .

وتحتل سيرة ابن اسحاق المنزلة الاولى فى القسم الخاص بسيرة الرسول ، ثم تليها الكتب الاخرى التى ألفت فى السير والمغازى ، وبها خلد الطبرى قطعا من أقوال أقدم من اشتغل بهذا الموضوع ، مثل ابان بن الخليفة عثمان بن عفان المتوفى سنة ١٠٥ للهجرة ، وعروة بن الزبير بن العوام المتوفى بين ٩١ — ١٠١ للهجرة ، وشرحبيل بن سعد المتوفى سنة ١٢٣ للهجرة ، وموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ ، وعاصم بن عمر ابن قتادة المتوفى سنة ١٢٠[٣]هـ ، وابن شهاب الزهرى ، وغيرهم ممن سنتحدث عنهم بشىء من التفصيل حين نصل الى المحل المناسب لهم .

أما الردة ، فقد أخذ الطبرى اخبارها من كتاب سيف بن عمر الأسدى حيث فضله على غيره مع وجود آخرين كانوا قد عرفوا باطلاعهم على أخبارها مثل الواقدى صاحب كتاب الردة[٤] ، والمدائنى وهو صاحب كتاب فى الردة كذلك[٥] ، وقداعتمد عليه فى أخبار الفتوح والحوادث التى وقعت فى أيام الخلفاء الراشدين حيث نجد أخباره مقدمة على أخبار من نعـدهم فى الطليعـة مثل المدائنى وابن الكلبى والواقدى وغيرهم ، مع أنه ضعيف عند أكثر المؤرخين والمحدثين ، ويختفى صوت سيف بن عمر الاسدى بانقضاء حوادث معركة الجمل ، ويرتفع صوت آخر هو صوت أبى مخنف الازدى من معركة صفين فما بعد حيث يكون موضع ثقة الطبرى ، يعاونه المدائنى ، وعوانة ، والواقدى ، وعمر بن شبة ، وابن الكلبى .

---

(١) الطبرى ٢/٢٧ ، ٢٨ ، ٧٢ ، ٨٦ ، ٨٩ ومواضع أخرى .

(٢) الطبرى ٢/٣٨ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٠ محمد بن كعب القرظى الكوفى توفى سنة ١٠٨ هـ ، وقيل : فى ١١٧ هـ . شذرات الذهب ١/١٣٦ .

(٣) تهذيب التهذيب ٥/٥٤ وقيل : سنة ٢٦ أو ٢٧ أو ٢٩ بعد المئة .

أبان بن عثمان بن عفان كان معلم عبدالله بن أبى بكر الذى يرد اسمه فى تأريخ الطبرى . تهـذيب التهـذيب ١/٩٧ . وقد ورد اسم « أبان » فى مواضع متعـددة من تاريخ الطبرى .

(٤) الفهرست ١٤٤ .

(٥) الفهرست ص ١٤٩ .

أما تاريخ الدولة العباسية ، فقد استمده من موارد كثيرة من كتب ابن أبى خيثمة أحمد بن زهير وهو من المؤرخين المعروفين ، وقد أخذ منه أخبار آخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية ، ومن كتب المدائنى ، وعمر بن راشـد ، والهيثم بن عدى ، وآخرين سنتحدث عنهم عند دخولنا فى صلب الموضوع •

تأريخ ماقبل الاسلام

اللون البارز على هذا القسم الذى يمكن عده أطول قسم كتب عن الفترة التى سبقت الاسلام فى كتب التأريخ العام عند المؤرخين العرب ، هو اللون الخيالى القصصى، ففى تضاعيفه مادة واسعة من الأساطير والحكايات التى ترجع الى العهود التأريخية القديمة للانسان حيث تحتل السذاجة وبساطة التفكير المنزلة الأولى فيها ، وفيها مادة واسعة من الاسرائيليات التى تستطيع البحث عن مصادرها فى العهد القديم ، كما أن فيها مادة من الاساطير الشعبية الوثنيـة ولكنهـا قليـلة بالنسبة الى العناصر الأخرى المستفحلة فى هذا القسم •

ولاعجب اذا رأينا لهذا القسم حظا فى تاريخ الطبرى ، فقد قسم الطبرى تأريخه كما يظهر من عنوانه الى قسمين : تأريخ الرسل وهو القسم الاول والاقدم ، وتأريخ الملوك ويدخل فيه تأريخ الخلفاء ، وهو القسم الثانى • وقد حشر فى القسم الاول كل ما استطاع جمعه من أقوال فى الرسل والانبياء من غير نقد ، ولا تفكير فى الفائدة التى يرجوها من هذه الاقوال للقارىء • وقد سبق أن قلت : انه محدث عالم ، ومن صفات مثل هذا الرجل أنه يحفظ كثيرا ، ويريد أن يقدم للناس ما يريده لنفسه من حفظ وعلم•

وقد بدأ الطبرى تأريخه بالزمان : ما هو ؟ وما ابتداؤه ومنتهاه ؟ ثم تكلم على حدوث الاوقات والأزمان والليل والنهار ، وهل كان الله عز وجل خلق قبل خلقه الزمان والليل والنهـار شيئا ؟ وتحدث عن القـديم الاول وهوالله خالق الزمان والمحدث لكل شيء[١] ، ثم وصل الى ابتداء الخلق والايام التى خلق الله فيها العالم ، ثم استمر فبحث عن خلق آدم ، واهباطه اياه من السماء الى الارض والموضع الذى أهبط آدم وحواء اليه والاحداث التى كانت فى أيام آدم واستمر على هذا المنوال حتى دخل فى بحث الطوفان وقصص الرسل والأنبياء والأمم التى عاشت قبل الاسلام •

ولابد من الاشارة الى أن أول من نهج هذا المنهـج فى تدوين التـأريخ هــو

---

(١) راجع الجزء الاول من الكتاب •

المؤرخ « سكتس يوليوس افريقانوس » (الافريقى) « عاش فى القرن الثالث « Sextus Julius Africanus » الذى كتب تاريخا للعالم من الخليقة الى عام ٢٢١ م[١] ، ثم المؤرخ « أوسبيوس » « Eusebius » (٢٦٧ – ٣٤٠ م) أسقف قيسارية ومؤسس التأريخ الكنسى ، وقد بدأ فى كتابه « Chronica » الذى دون فيه تأريخ العالم بالخليقة وبقصة آدم وهبـوطه مع حواء من السماء الى الارض ثم استـمر الى « نوح » والطوفان ، ثم استمر الى ابراهيم ثم « داوود » فسقوط القدس ، الى ظهور المسيح • أخذ ما جاء فى التوراة فوضعه فى تأريخه • وقد أصبح هذا المنهج الطريقة المحببة الى نفوس المؤرخين ، والنموذج الكامل لدى المؤرخ الحصيف الباحث عن تأريخ العالم عند اليهود والنصارى والمسلمين ، فأضاف من جاء بعدهم الى الحوليات حتى أوصلوها الى أيامهم ، غير أنهم لم يغيروا شيئا فى المنهج العام ، وهو السير على طريقة « التاريخ » « Chronicles » فى البدء ثم الحاقه بالحوليات « Annales »[٢] الى أيام المؤرخ ، وهو المنهج الذى سار عليه الطبرى فى كتابه « تأريخ الرسل والملوك » وسار عليه قبله وهب بن منبه على ما يظهر ثم ابن اسحاق •

وبعد هذا العرض المجمل نعود الى الموارد التى أخذ منها الطبرى ، والواقع أن البحث فى موارد الطبرى معناه تدوين تأريخ التأريخ عند العرب الى أيام هذا المؤلف ، والبحث عن المؤرخين والنظريات التى طغت على مؤلفاتهم ، وليس هذا بأمر يسير ، بعد أن ذهبت أكثر اخبارهم ، وجرت عادة الناس بالاقتصار على أمر الأحداث والأخبار السياسية والعسكرية دون الالتفات الى الناحية الثقافية فى التأريخ ، حتى أصبحت النظرية العامة أن التأريخ العلمى والثقافى عند العرب لم يبدأ الا فى أيام الدولة العباسية ، وأن الناس قبل ذلك كانوا قد انشغلوا بالفتن والحروب ، وتلك نظرية أملتها السياسة المعارضة نكاية بالعهد السابق •

يتردد اسم وهب بن منبه[٣] فى مقدمة الأسماء الواردة فى تأريخ الرسل وقصص الأنبياء ؛ ثم يليه كعب الأخبار ، وعبدالله بن سلام ، ومحمد بن كعب القرظى • أما

---

(١) Bernheim, Einleitung. P, 81

(٢) The Encyclopaedia. Britannica 14 edition Vol, 11.Art. Eusebius.

(٣) توفى سنة ١١٤ للهجرة • الشذرات ١/١٥٠ ، المعارف ص ١٥٨ ، (القاهرة ١٣٠٠ هـ) ، ميزان الاعتدال ٢/٢٧٨ ، التذكرة ١/٨٨ ، ابن سعد ، الطبقات ٥/٣٩٥ ، ابن حجر التهذيب ١٥/١٠٦ • ٢٣٢ ، اليافعى ، مرآة الجنان ١/٢٤٨ •

وهب بن منبه فقد نسب اليه الأخباريون عدة من الكتب زعموا أنه ألفها أو ترجمها من ذلك كتاب في القدر ، قال عمرو بن دينار انه رآه في دار وهب بن منبه بمدينة صنعاء[١] و« كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم[٢]» وقد وضع على طريقة ايام العرب ، لم يتبع وهب بن منبه فيه طريقة الاسناد[٣]. ومن هذا الكتاب وضع أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ للهجرة كتابه « التيجان في ملوك حمير[٤]» بعد أن أضاف الى ما أخذه من كتاب وهب مواد جديدة أخذها من مؤلفات أخرى ، مثل مؤلفات محمد بن السائب الكلبي[٥] وأبي مخنف لوط ابن يحيى المؤرخ المعروف باطلاعه الواسع على أحداث العراق في أيام الاسلام[٦] ، وزياد بن عبدالله بن الطفيل العامري أبي محمد الكوفي المعروف بالبكائي راوية ابن اسحاق صاحب السيرة[٧] المتوفى سنة ١٨٣ للهجرة الذي نقل عنه ابن هشام سيرة ابن اسحاق وألف من نسخته هذه السيرة المعروفة بسيرة ابن هشام ، وهو نفسه عالم اشتغل بالسيرة ، وروى عنه جماعة من العلماء ، منهم الحسن بن عرفة صاحب محمد بن اسحاق[٨] .

وأهم مرجع اعتمد عليه ابن هشام في الحصول على روايات وهب بن منبه هو أسد ابن موسى الذي أخذ عن أبي ادريس بن سنان صاحب مؤلفات وهب بن منبه والمتحدث عنه[٩] . فالكتاب كما ترى — من تأليف ابن هشام ، أخذه من أصل كتاب وهب بن

---

(١) ارشاد الاديب ٧/٢٣٢ .

(٢) الارشاد ٧/٢٣٢ « كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وغير ذلك » . « الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم » ابن خلكان ، الوفيات : ٢/٢٣٨ . Brockelmann, Suppl Vol, 1. P, 101.

(٣) Ency. of Islam, Vol, 4. P, 1084

(٤) طبع بمدينة حيدر آباد دكن بالهند سنة ١٣٤٧ هـ ، وبذيله كتاب « أخبار عبيد ابن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها » Ency. of Islam, Vol, 2. p, 384.

(٥) التيجان ١٣٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ومواضع أخرى

(٦) التيجان ١٢٥ ، ١٨٠

(٧) التيجان ص ٦٦ ، ٧٥ . عن البكائي : لسان الميزان ٦/٨٣٦ سيرة ابن هشام اخراج محمد محيي الدين عبدالحميد ١/١٦ . كتاب الكنى والألقاب ٢/٨٢ لعباس بن رضا القمي ، مطبعة العرفان بصيدا ، سنة ١٣٥٨ هـ .

(٨) لسان الميزان ٦/٨٣٦ .

(٩) التيجان : ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٧٣ ومواضع أخرى .

منبه ، وأضاف اليه أقساما نقلها من أناس آخرين ؛ ويظهر أن الطبرى لم ينقل منه ولا من مؤلفات ابن هشام الآخرى مثل السيرة ، ولعله لم يتمكن من الوصول اليها فى أثناء اقامته بمصر ، مع أن ابن‌هشام كان‌قدتوفي‌بالفسطاط وحصل‌على‌شهرة واسعة هناك[١].

وقيل ان لوهب كتابا فى المغازى سماه بعضهم « مغازى رسول‌الله » لم يعرف من أمره شيء ، حتى عثر المستشرق « بيـكر » « C. H. Becker » فى ضمن مجموعة من الاوراق الخطية فى مدينة « هايد لبرك » بألمانية يقال لها مجموعة «Sshott-Reinhardt» على أقسام تعرفها ، واذا هى فى مغازى الرسول وسيرته ، ظهر منها أنها رواية عن وهب ابن منبه رواية عبدالمنعم بن‌أدريس ابن بنت وهب ، وقد تناولت قسما من‌الأحداث التى وقعت قبل الهجرة ، وكذلك غزوة خثعم[٢] .

ونسب اليه كتاب آخر قيل له‌كتاب « المبتدأ » أو « المبدأ » وهوفى مبدأ خلق‌العالم، كان عند عبدالمنعم بن ادريس بن سنان ابن ابنة وهب بن منبه المتوفى سنة **٢٢٨** للهجرة، وقد نسب ابن النديم هذا الكتاب الى عبدالمنعم[٣]. وكان عبدالمنعم هذا قاصا مشهورا ، وقيل عنه انه كان يكذب على وهب ، ويضع الحديث على أبيه ، وكان يطلب الكتب من الوراقين ويدعيها ، ويشترى كتب السيرة فيرويها ، ما سمعها عن أبيه[٤] . وقد ينسبها الى جده ، والذى يظهر على كل حال هو أنه كان ذكيا واليه تعزى كل أخبار وهب بن منبه[٥]. ونسب الى وهب ترجمة (زبور داوود) « كتاب زبور داوود ترجمة وهب بن منبه » ، ولعل هذه الترجمة هى الترجمة المعروفة التي‌يقال لها «كتاب المزامير ترجمة الزبور » وتوجد نسخ منها اليوم قيل عنها : انها ترجمة علماء الاسلام[٦] . كما نسبت اليه مواعظ قيل انه أخذها من مطالعته للكتب السماوية والحكمة لقمان[٧] .

---

(١) لم يرد اسم ابن هشام فى تأريخ الطبرى . راجع فهرست الطبرى ص٣٦١.

(٢) Ency. of Islam, Vol, 4. P, 1085. C. H. Becker, Papyri Schott Reinhardt. 1. 8. Fück Muhammed Ibn Ishâq. P, 4 Lidzbarski. P, 2. Wensinck, P, 700.

(٣) « كتاب المبتدأ والسير » لوهب بن منبه . الفهرست ص ١٣٨ « كتاب المبتدأ » ابن حجر الاصابة : ١/٨٨٧ .

(٤) لسان الميزان ٤/٧٣ .

(٥) عيون الأخبار لأبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ، ٢/٦٢ ، ٢٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ .

(٦) Ency of Islam. Vol 4. P,1085. 1185 Wensinck, P, 816. Fihrist Biblioteca Arabo Hispana. Vol IX. P, 294.

(٧) « مواعظ وهب بن منبه » « حكمة وهب » Ency. of Islam Vol, 4. P, 1085 « حكمة آل داوود » Brockelmann, Suppl,1. P, 101

وكان لوهب بن منبه أثر كبير في القصص ، فاليه يرجع رواية قسم كبير من أقاصيص اليمن التي طبعت بطابعين : الطابع الاسرائيلي ، وهو لاشك من تأثير اليهودية في اليمن وعمل المتهودة من العرب الذين بدلوا فيها أيضا تبديلا يناسب المحيط الذي عاشوا فيه . والطابع المحلي الذي يمثل تعصب أهل اليمن لتاريخهم القديم وللفكرة الاقليمية التي كانوا يدينون بها وتمثلت في نظرية انتسابهم الى جد أعلى لهم هو قحطان . وقد دخل قسم من هذه الاساطير التي رواها وهب بن منبه الكتب العربية ، ومنها كتاب الطبري الذي ذكرنا أنه حصل عليها من سيرة ابن اسحاق ، ومن مشايخه الذين وقفوا على روايات وهب بن منبه ، مثل محمد بن سهل بن عسكر بن عمارة مولى بني تيم البخاري المتوفى سنة ٢٥١ للهجرة بمدينة بغداد[1] ، والظاهر أن الطبري قد تعرف به في هذه المدينة في أيام اقامته الاولى ، وهو ممن روى عن جماعة كبيرة من العلماء ، مثل عثمان بن عمر بن فارس[2] ، وعبدالرزاق[3] ، ويحيى بن حسان[4] ، والقاسم بن كثير[5] ، وسعيد بن أبي مريم[6] ، وعبدالله بن موسى[7] ، وغيرهم . ولأكثر هؤلاء أخبار في تاريخ الطبري وصلت اليه عن طريق مشايخه الذين وردت أسماؤهم في الأسانيد . أما الشيخ الذي نقل عنه محمد ابن سهل روايات وهب بن منبه ، فهو اسماعيل بن عبدالكريم بن معقل بن منبه أبو هشام المتوفى سنة ٢١٠[8] للهجرة من هذه الاسرة التي ينتمي اليها وهب بن منبه ، ومن ممثليها في رواية أكثر الأخبار التي لها صلة بالاسرائيليات وبالعهد القديم .

---

(١) ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٠٧/٩ ، تاريخ بغداد ٣١٣/٥ .

(٢) عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط العبدي ، أصله من بخارى ، من رواة أبي معشر السندي ، روى عنه أبو خيثمة ، مات سنة ٢٠٧ أو ٢٠٨ أو ٢٠٩ للهجرة . تهذيب التهذيب ١٤٢/٧ ـ ١٤٣ .

(٣) عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم أبو بكر الصنعاني ، روى عنه ابو خيثمة ، له كتب ، مات سنة ٢١١ هـ . تهذيب التهذيب ٣١٠/٦ ، « صاحب المصنفات » الشذرات ٢٧/٢ .

(٤) يحيى بن حسان بن حيان التنيسي البكري أبو زكرياء البصري ، توفي بمصر سنة ٢٠٨ هـ ، وقيل : سنة ٢٠٧ هـ ، تهذيب التهذيب ١٩٧/١١ .

(٥) القاسم بن كثير بن النعمان الاسكندراني ، ويقال المصري ، توفي قريبا من سنة عشرين ومائتين . تهذيب التهذيب ٣٣٠/٨

(٦) سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم المعروف بابن ابي مريم الجمحي أبو محمد المصري من سكنة مصر ، مات سنة ٢٢٤ هـ . تهذيب التهذيب ١٨/٤ .

(٧) عبيدالله بن موسى بن أبي المختار ، واسمه باذام العبسي مولاهم الكوفي ، روى عنه عدد كبير من العلماء ، مات سنة ٢١٣ . تهذيب التهذيب ٥٢/٧ ـ ٥٣ .

(٨) تهذيب التهذيب ٣١٥/١ « والصحيفة التي يرويها عن وهب عن جابر ليست بشيء ، انما هو كتاب وقع اليهم ، ولم يسمع عن وهب من جابر شيئا . » « صحيفة همام عن أبي هريرة مشهورة » وهمام شقيق وهب بن منبه .

كان اسماعيل بن عبدالكريم لسان هذه الاسرة الناطق ، وقد روى أخبارا عدة فى مدح جد هذه الاسرة الذى كون لها شأنا وجعل لها أثرا كبيرا فى المدرسة اليمانية ، ولاسيما مدرسة صنعاء التى تلونت بهذا اللون الذى وضعه وهب بن منبه ومتهودة اليمن فى هذا القطر ، فزعم استنادا الى حديث قال‌انه حدثه به محمد بن داوود عن أبيه داوود ابن قيس الصنعانى ، أن الرسول قال : يكون فى أمتى رجلان أحدهما وهب يهب‌الله له الحكمة ، والآخر غيلان فتنته على هذه الأمة شر من فتنة الشيطان ، وهو أيضا صاحب هذا الخبر المبثوث فى‌الكتب المعزو الى‌داوود بن‌قيس الصنعانى الذى‌زعم أنه قال: سمعت وهب بن منبه يقول لقد قرأت اثنين وتسعين كتابا كلها أنزلت من السماء ، اثنان وسبعون منها فى‌الكنائس‌وفى‌أيدى‌الناس ، وعشرون‌لايعلمها الا قليل ، وجدت‌فى كلها أن من‌أضاف الى‌نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر[1]. ولا أدرى‌أكان‌وهب بن منبه قد قرأ التوراة قراءة صحيحة أم لا ؟ والواقع هو أنه كان ذكيا وأنه كان يدعى معرفة كل شىء حتى اللغات التى لا يعقل أن يكون له بها المام فضلا عن الاحاطة بها .

روى اسماعيل بن عبدالكريم عن رجال من هذه الاسرة ، فروى عن ابن عمه ابراهيم بن عقيل بن معقل بن منبه الصنعانى ، وروى عن عمه عبـدالصمد بن معقـل ، وروى عن رجال من أهل اليمن كانوا على اتصال بهـذه الاسرة مثـل عبـدالملك بن عبدالرحمن الذمارى من مدينة « ذمار » احدى مدن اليمن ، وعلى بن الحسين وهو رجل من أهل اليمن كان من خاصة وهب بن منبه[2].

أما ابراهيم بن عقيل[3] فهو من هذا النوع الذى نتحدث عنه ، روى عن أبيـه عقيل ، وروى عقيل عن والده معقل شقيق وهب بن منبه ، وقد مات قبل وهب ، وروى وهب عنه[4]. وأما عبدالصمد الذى دخل فى رجال سند الطبرى ، فهو ابن معقل ، فيكون وهب بن منبه عمه ، وتوفى‌سنة ٨٣ أو ٩٠ للهجرة[5] وقد روى‌عن‌عمه وهب بن منبه وطاووس وعكرمة ، وروى عنه الاخباريون ولاسيما أهل صنعاء ، مثل عبدالوهاب

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/٣٦٦ « قرأت من كتب‌الله اثنين وتسعين كتابا » ، الشذرات ١/١٥٠ « وكان شديد الاعتناء بكتب الأولين وأخبار الأمم وقصصهم بحيث كان يشبه بكعب الأحبـار فى زمانه ، وله مصنف فى ذكر ملوك حمـير ، صغـير » . ابن خلكان الوفيات : ٢/٢٣٨ .
(٢) تهذيب التهذيب ١/٣١٥ .
(٣) تهذيب التهذيب ١/١٤٦ .
(٤) الطبقات ٥/٣٦٦ .
(٥) تهذيب التهذيب ٦/٣٢٨ .

ابن معقل وأبناء يحيى ويونس ابنى عبدالصمد ، وعبدالرزاق ، ومحمد بن خالد ، وعمر ابن عبيد الصنعانيين[١] .

وتلقى الطبرى أخبار وهب من شيخ آخر من شيوخه هو الحسن بن يحيى بن الجعد ابن نشيط العبدى أبو على بن أبى الربيع الجرجانى المتوفى سنة ٢٦٣ أو ٢٨٥ للهجرة وكان نزيل بغداد[٢] ، وهو من جملة رواة عبدالرزاق بن همام بن نافع بن منبه شقيق وهب ، وقد توفى سنة ٢١١ للهجرة ، وكان مولده سنة ١٢٦ هـ ، وهو صاحب كتب ومؤلفات ، منها كتاب السنن فى الفقه ، وكتاب المغازى[٣] ولعله استند فى تأليفه الى ذلك الكتاب الذى بدأ به وهب بن منبه وأجيز الى عبدالمنعم بن ادريس . وقد روى عن معمر بن راشد المتوفى سنة ١٥٣ للهجرة ، وهو مولى من موالى الازد ترك البصرة ونزل اليمن ، فكان من الطبيعى بالنسبة اليه الاتصال بآل منبه الذين كان لهم شأن فى القصص والأخبار وفى المغازى فى مدينة صنعاء ، وقد تأثر بهم وألف كتابا فى المغازى[٤] لعله هذا الكتاب الذى تحدثنا عنه أو عمل عليه ورواه عنه عبدالرزاق .

لم يشر ويا للأسف أكثر النقلة الذين نقلوا أقوال وهب بن منبه الى المصادر التي أخذوا منها ؛ لذلك كان من المفيد موازنة هذه الكتب التى اقتبست من اقوال وهب ، مثل كتاب المعارف و« كتاب عيون الاخبار » لابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة[٥] ، وتأريخ اليعقوبى أحمد بن ابى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف

---

(١) تهذيب التهذيب ٣٢٨/٦ .

(٢) تهذيب التهذيب ٣٢٤/٢ ، شذرات ١٤٧/٢ .

(٣) له كتاب فى التفسير وهو شيخ البخارى فى الحديث . كشف الظنون ج ١ ص ٤٥٢ (طبعة استانبول وكالة المعارف) سنة ١٩٤١ .

الفهرست ص ٣١٨ ، « عبدالرزاق بن همام العلامة الحافظ أبو بكر الصنعانى صاحب المصنفات » . الشذرات ٢٧/٢ ، تهذيب التهذيب ٣١٠/٦ .

(٤) وقيل : سنة ١٥٢ هـ أو ١٥٣ ، ١٥٤ هـ . الشذرات ٢٣٥/١ الطبقات ٣٩٧/٥ ، وعند ابن النديم أنه من أهل الكوفة . الفهرست ص ١٣٨ ، تهذيب التهذيب ٢٤٤/١٠ فما بعدها .

(٥) اعتمدت على طبعة محمد اسماعيل عبدالله الصاوى ، الطبعة الاولى بالقاهرة سنة ١٩٣٤ . « ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى » عيون الأخبار (طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة) ١٢/٤ .

بابن واضح المتوفى سنة ٢٩٢[١] بما ورد فى مروج الـذهب للمسـعودى وفى كتاب « قصص الأنبياء » للثعلبى المتوفى سنة ٤٢٧ للهجرة[٢]، وهو كتاب جمعت مادته من الأخبار المنسوبة الى وهب بن منبه وكعب الاحبار وعبـدالله بن سلام[٣]. وفى تاريخ الطبرى للوقوف على الروايات الصحيحة المنسوبة لوهب ، والرجوع بها الى مواردها الاولى التى قيل ان وهب بن منبه قد أخذ منها وهى التوراة والتلمود وقصص بنى اسرائيل .

وتبين لى من موازناتى بين أقوال وهب بن منبه المدونة فى تأريخ الطبرى ونصوص العهد القديم أن وهب بن منبه قد أصاب فى أشياء فنقل ما جاء فى التوراة نقلا صحيحا ، وأخطأ فى أشياء قد تكون أحيانا من باب البديهيـات بالنسبة الى اليهودى المطلع على أحكام التوراة مثل جدول الانساب . ويلاحظ أن بين مروياته أقوالا لابد أن تكون صادرة من مصادر نصرانية[٤]، وأقوالا أخرى هى من الأحاديث التى يغلب عليها الطابع الجاهلى أو الطابع الاسلامى ، وقد تجمعت فى أحاديث الأنبياء والعباد وأحاديث بنى اسرائيل . التى كان يرويها وينشرها بين الناس ببغداد عبدالمنعم بن ادريس بن سنان المتوفى سنة ٢٢٨[٥]. وكانت تذاع على أنها من التوراة .

وتجد فى أحاديث وهب بن منبه أحاديث ترجع الى أصل يونانى والى الفلسفة اليونانية النصرانية التى وجدت لها سبيلا الى اليهودية ، مثل حديثه عن العناصر والطبائع الأربع ،وأصله النظرية اليونانية التى قالها الفيلسوف « أنبادقلس » «Empedokles» (حوالى ٤٩٠ ـ ٤٣٠ قبـل المسـيح[٦]) ، وجمـع بها نظريـة « طاليس » «Thales»

---

(١) اعتمدت على طبعة النجف ، وهى فى ثلاثة أجزاء .

(٢) « عرائس المجالس فى قصص الأنبياء » .

احمد بن محمد بن ابراهيم أبو اسحق النيسابورى ، وهو منمشاهير المفسرين، له كتاب « الكشف والبيان عن تفسير القرآن » ، وقد طبع كتابه « قصص الأنبياء » أو « عرائس المجالس فى قصص الأنبياء » مرارا فى القاهرة . راجع عنه الارشاد٢/١٠٤ ، ووفيات الأعيان رقم ٣٠ ، حـ ١ ص ٢٦ ، طبقات السبكى ٣/٢٣ ، وبغية الوعاة ١٥٤ ،
Ency. of Islam, Vol, 4. P, 735. Wüstenfeld, Gesch. d. Ara. p. 185 Schwally. Vol, 2. P,174.

(٣) اعتمدت على الطبعة المصرية .

(٤) الطبرى ١/١٠٢ ، قارنه بالتكوين اصحاح ١٠ آية ٢١ فما بعد . مولد المسيح وحياته تفسير الطبرى ٣/١٤٧ ، ١٧٧ ، و١٦/٤٣ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات جـ ٧ قسم ٢ ص ٩٧ .

(٦) Heinrich Schmidt, Philosophisches Wörterbuch, P, 148. Kafka, Zur Physik des Empedokles. in "Philologus" 78.1923,

(٦٢٥ – ٥٤٥ ق ٠ م)القـــائل ان أصـل العـــالم من المـــاء ،[١] ونظرية « انكسيمينـس » «Anaximenes» (٥٨٥ – ٥٢٥ ق ٠ م) الذى زعم أن أصل العالم من الهواء[٢] ، ونظرية « هرقليطس » « Heraklit » « Herakleitos »[٣] (٥٤٠ – ٤٨٠ ق٠م) الذى زعم ان أصل العالم من النار ، ونظرية « انكسمندر » «Anaximandr»[٤] (٦١١ – ٥٤٥ ق٠م) الذى زعم أن أصل كل شيء هو – ال «Apeiron» أى « اللانهائية » أى « الأزليـــة » التى لا يمكن تعرفهـــا ولا وصفها ، وهى « العلة الأولى » أى « المسبب الأول » أى « الفاعل الأول[٥] ». فأخذ « أنبا دقلس » العناصر الثلاثة المتقدمة ، وأضاف اليها عنصرا رابعا هو « التراب » ؛ لأنه العنصر المحسوس به الملموس الذى يلائم تلك العناصر ، وقال : من هذه العناصر تكون كل شيء فى العالم ، ومن هذه العناصر الاربعة نشأت نظرية الطبائع الاربعة ، التى زعم أن وهب بن منبه قال انه وجدها مكتوبة فى التوراة : « وجدت فى التوراة : انى حين خلقت آدم ركبت جسده من أربعة أشياء ، ثم جعلتها وراثة فى ولده تنمى فى أجسادهم وينمون عليها الى يوم القيامة ... الخ»[٦].

وهو قول ان صح عن وهب ، فانه يدل على انه كان قد وقـف على « المدراشـيم » (المدراش) وعلى التفاسير والشروح المتأثرة بالفلسفة اليونانية . أما قوله « انه وجد ذلك فى التوراة » ، فهو قول لا يستند الى أســاس ، وقـد يكون ذلك من باب التعميم ؛ اذ جرت العادة عند الاخباريين المسلمين اطلاق « التوراة »[٧] على العهـــد القـــديم

---

(١) Schmidt, Phil. 657,

(٢) Diels, H. Fragmente der Vorsokratiker, 1922. W !Capelle Die Vorsokratiker, (KTA) 1935.

(٣) Diels, H. Von Ephesos. 1909 Snell, H. Fragmente 1925. Weerts, H. Und Herakliteer, 1927.

(٤) Schmidt, P, 22. J. Burnet, Early Greek Philosophy, 3 ed. London, 19،4.

(٥) Schmidt, P, 32, P Tannery, Pour l'history, de Science helléne. Paris 1887.

(٦) عيون الأخبار ٦٢/٢ ٠

(٧) التوراة ماخوذة من كلمة « Toràth » وفى الأصل «Toràh» بمعنى « قانون » وهو الوحى الذى أنزله « يهـوه » على موسى «Pentateuch» وهـــو أسفـــار موسى الخمسة ، ولم يتقيد المسلمون فى تخصيص لفظة «توراة» بأسفـار موسى الخمسة ، بل

و « التلمود »[(١)] والمدراشيم والتركومين البابلي واليوريشلمي والكتب الأخرى • ولم يكن للناس علم بجميعها ، فنسب ذلك بالبداهة لهذا السبب الى التوراة التى كانت معروفة •

وأغلب ظنى أنه وضع على وهب ، من أوله الى آخره • ولكننا نجد من ناحية أخرى أنه كان ــ مثل كعب الاحبار ــ لايتورع من اضافة أشياء كثيرة الى التوراة من التنبؤات والملاحم ، والقصص الشعبى ، حتى أوصاف الخلفاء والملوك ، وهى ليست من من قبيل أحاديث آحاد أو روايات قليلة حتى يمكن أن نجد مخرجا لتبرئة ذمته من أمرها ولكنها ترد بكثرة ، وتؤيدها دعواه الطويلة العريضة وزعمه أنه كان يعرف أخبار الماضين

= سموا بها أيضا الأسفار الأخرى التلمود بقسميه والتركـوم حتى الكتب التاريخية والقصص الشعبى : راجع كلمة « توراة » •

Wensinck, Handwor. P, 744, Hastings. P, 532. Ency. Bibl, PP, 2714.

(١) التلمود « Talmud » بمعنى « تعليم » ويقسم التلمود الى قسمين « المشنة » (mishna) وهو الموضوع و « الجمارة » وهو التفسير « التعليم » فالمشنة « التكرار » مجموع تقاليد اليهود المختلفة مع آيات من الكتاب المقدس، وهى التقاليد التى قلد العمل بها لموسى حين كان على الجبل ، ثم تداولها هارون واليعازر ويشوع وسلموها الى الأنبياء ثم انتقلت عن الانبياء الى اعضاء المجمع المقدس (Pirqe Aboth, 1. 1) • وكان اعضاء المجمع المقدس وخلفاؤهم يقرأون فى المعابد « الكنيس » «Synagogues» التوراة ، ويشرحون الآيات للناس ، ويعلمونهم الاحكام ، ويضيفون الى ذلك القصص الاسرائيـلى الشعبى وعادات بنى اسرائيل ، واطلق على ذلك أى على قراءة المتن والشروح واجتهاد المفسرين «Sâpherîm» أى « الوصف » وكون ذلك « القانون الشفاهى » • وقد اطلق على التفاسير الاولى والشروح « ميدراش » (midrash) « تدارس » « مدارسة » وقد تولدت بمرور السنين حتى القرن الثانى للمسيح من هذه الشروح روايات مختلفه ، وذلك مما اضطر الحاخامين الى جمعها وتدوينها وتنسيقها ، فكانت أساسا لما يقال له « المشنة » Hastings. P, 890. • وأما « الجمارة » (الكمارة) (Gamarah) فهو جمهرة المناظرات والتعاليم والتفاسير التى جرت فى (المدراش) أى فى محلات تدريس الكتاب المقدس فى حلقات الدراسة فى « الكنيس » ، بعد انتهاء المشنة •

والتلمود على نوعين : التـلمود البابلي وقد كتب فى القرن الخـامس ، والتـلمود اليوروشلمي أو « تلمود أورشليم » كتبه حاخامو طبرية بين القرن الثالث والخامس •

وتتألف « المشنة » من ستة اقسام ، يقال لكل قسم «Sedarim» " آراميـة تعنى الترتيب، النظام »، ويتألف كل « Seder » من جمهرة فصول ، وكل فصل من فصول أخرى ، أو اقسام ، ويتألف كل قسم من فقرات • وأطلق على الذين كانوا يقومون بشرح « المشنة » وجمعه اسم « المعلمين» أو « Tannaim » وكان ذلك طوال عهد « المشنة » ، فلما انتهى عهد « المشنة » وأعلن الربانيون انتهاء « المشنة » ، قيـل للذى كان يشرح كتب المشنة التى جمعة واتخذت شكلها النهائى « آمورئيم » «Amoraîm» يعني « المفسر » و « الشارح » • Hastings. P, 891.

وكتب الله المنزلة على الانبياء والمرسلين ، وأنـه كان يحسن قراءة الكتابات التى لم يكن يعرفها أحد من الناس . على أن هذا لايعنى أنه كان قد اختلق جميع تلك الاخبار ، فقد كان منها ما هو منتزع من التلمود ، أو من الشروح التى وضعها « الربانيون » بعد المسيح ، أو من كتب النصارى كما يظهر من وقوفه على كيفية انتشار النصرانية فىشبه جزيرة العرب ، ومن حوادث الشهداء النصارى فى نجران ، ومن قصص « المسيح » وحوارييه ، وغير ذلك مما يدل على أنه كان متصلا بالنصارى ، وأنه كان يستعين بهم أو بكتبهم فى وقوفه على تلك الاخبار .(١)

والظاهر أن وهب بن منبه كان يستعين بالكتب ، وأنه تمكن من الحصول عليها . جاء فى الاخبار أن همام بن منبه بن كامل بن شيخ اليمانى أبا عقبة الصنعانى الابناوى ، وهو شقيق وهب بن منبه ، كان يشترى الكتب لأخيه(٢) . وقد استفاد حقا كثيرا من هذه الكتب التى اتخذها لنفسه واسطة من وسائط الاعلان والادعاء ، وقد استطاع بها من حشو كتب المسلمين بتلك المادة السمينة من الاسرائيليات ومن التقرب الى الخلفاء بحجة أنه من أصحاب العلم الاول ، وأن عنده من العلم بكتب الله وباخبار الامم الماضية ما لا يوجد عند أحد من الناس . ولكن علينا ألا ننسى كذلك أن قسطا ليس بقليل من هذه الروايات التى نسبت الى وهب كانت من وضع أفراد من بنىوهب استغلوا شهرته فوضعوا عليـه مالم يكن قالـه ولا كتبـه ، وعلى رأس هؤلاء عبدالمنعم بن ادريس راوى كتاب « المبتدأ » الذى كان عليه اعتماد الثعلبى فى كتابه « قصص الانبياء » .

ونجد فى تأريخ الطبرى قطعا من التوراة ترجمت ترجمة متقنة ، بعبارات بليغة سلسة ، كما نجد فيه قطعا انتزعت من المزامير ، أو من الأسفار الأخرى ، أو من التلمود ، ومن الأناجيل أحيانا ، غير أننا نجد فيه قصصا زعم أنها من التـوراة أو من كتب الله المنزلة على أنبياء اسرائيل ، وهى فى الواقع ضرب من القصص الشعبى الذى كان شائعا عند العرب او القبائل العربية المتهودة او القبائل المتنصرة ، ولا علاقة له بكتب اليهود ويمكننا أن نقول ان ما كان يعنيه أصحاب كتب الرجال والقصاص من كثرة عدد الكتب

---

(١) « كان ناس من اليهود كتبوا كتابا من عندهم يبيعونه من العرب ويحدثونهم أنه من عند الله ليأخذوا به ثمنا قليلا » .

Nallino, Raccolta Di Scritti Editi E Ineditti, Vol 3. Storia Della' Arabia Preislamica. Roma. 1941. P 120.

(٢) تهذيب التهذيب ١١/٦٧ .

المنزلة التى كان قد قرأها وهب بن منبه وكعب الاحبار انما تعنى فى الواقع أسفار التوراة وكتب التلمود والتفاسير .

أما كعب الأحبـــار ، وقد أورد الطبرى له أقوالا فى الأنبيـــاء والاسرائيليات ، فهـو يهـــودى من أهل اليمن يقـــال له أبو اسحاق كعب بن مطيـــع بن هيسوع . أسلم فى أيام أبى بكر أو أيام عمر ، وعرف « بكعب الاحبار » أو « كعب الحبر » مـن « حابير » «Hábér»[١] بمعنى العالم عند يهود بابل ، وهى منزلة تلى درجة « Rabbi » « ربانون »[٢] . ولا نكاد نعرف من أمره شيئا . ولم ينسب له كتـاب ، فالظاهر أن ما نسب اليه انما ورد عن طريق الرواية . وقد اورد الطبرى فى تاريخه جملة من الاقوال المنسوبة اليه يظهر أنها أخذت من مصادر قديمة ، وهى لم تدرس حتى الآن دراسة دقيقة ، ولم تقابل بالمصادر اليهودية أو أحاديث الكنائس لبيان مقدار قربها أو بعدها منها . وهو أهم مرجع بعد وهب بن منبه اعتمد عليه فى كتب قصص الأنبياء[٣] .

ومن أكثر الناس حديثا عن كعب ، ابن عباس ، وأبو هريرة[٤] . غير أن البحوث الحديثة لم تتمكن حتى الآن من وجدان دليل على التقاء ابن عباس وكعب ، ولذلك لانجد مجالا لنا للتصديق بهذه الأحاديث المنسوبة لابن عبـاس عن كعب[٥] . أما حديث أبى هريرة عن كعب الأحبار وهو فى الانبياء والاسرائيليات ، فالأمر يحتاج الى دراسة عميقة كذلك ، اذ ثبت أن كثيرا من هذه الاحاديث المنسوبـة الى أبى هريرة نفســه هى غـير صحيحة ، كما روى أن جماعة من الصحابة أنفسهم لاحظوا عليه كثرة ما يرويه عـن الرسول ، فوصل ذلك الى علمه ، فقال : « انكم تقولون ان أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله الموعد ، كنت رجلا مسكينا أخدم رسول الله صلى الله

---

(١) والجمع « حابيريم » (Hàbèrim)

Nallino, Raccolta Di Scritti Editi E Inediti. Vol, 3. Storia Della' Arabia Preislamica Roma, 1941 (Pubblicazjioni Dell' Istituto Per L' Oriente.)

(٢) دائرة المعارف اليهودية مادة Rabbi

(٣) أسد الغابة ٣١٥/٥ فما بعدها . ابن سعد الطبقات م ٧ قسم ٢ ص ١٥٦ كعب الأحبار بن ماتع الحميرى توفى فى خلافة عثمان . أسلم فى زمن أبى بكر ، وقدم من اليمن فى زمن عمر . تذكرة الحفـــاظ ٤٩/١ توفى ســنة ٣٢ هـ أو ٣٤ هـ . تهـذيب التهذيب ٤٣٩/٨ .

(٤) الطبرى ١٢٦/١ ومواضع أخرى ، النووى : ص ٥٢٣ .

(٥) Schwally: 2, P,165

عليـــه وسلم على ملء بطنى ، وكان المهـــاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم[١] . وأغلب الظن أنها وضعها عليه من ادعى أنه روى عنه ، وبلغت الأحاديث المنسوبة اليه (٣٥٠٠) حديث رواها عنه نحو (٨٠٠) رجل[٢] ، بينهم عدد كبير من الموالى يمثلون مختلف الأماكن والاجناس . وأقوال كعب الأحبار قليلة عند الطبرى وعند غيره اذا قيست الى أقوال وهب بن منبه[٣] .

أخذ الطبرى أقوال كعب من أقدم مشايخه الذين درس عليهم فى أيام شبابه ، وهو ابن حميد عالم الرى الذى زود الطبرى سيرة ابن اسحاق ، وأخذ ابن حميد أقوال كعب من شيخه جرير عن الأعمش عن أبى صالح عن كعب[٤]، وسوف نتحدث عنهم .

ويدخل فى هذه الأقوال المنسوبة الى وهب بن منبه وكعب الأحبار (الملاحم) أو (التنبؤات بالغيب) . وفى الطبرى نبوأة من كعب الأحبار بمقتل الخليفة عمر بن الخطاب قالها له قبل مقتله بثلاثة أيام ، زعم أنه وجدها فى التوراة رواها للطبرى شيخه (سلمة ابن جنادة)[٥] . وروى المقريزى أن ابن أبى حذيفة سأل كعب الأحبار، وكان معه فى سفينة واحدة : (هل هذا السفر مذكور عندكم فى التوراة ؟) ولكن كعبا لم يحر جوابا عن هذا السؤال وانما قال (انى أجد عندنا فى التوراة أن شابا اشعر يضرب حتى يموت كما يموت الحمار ، وأخاف أن لايكون أنت[٦]). انهذا التدر اللاذع من ابن

(١) عن أبى هريرة : صحيح مسلم ٢٠٢/٥ ابن الاثير ، أسد الغابة ٣١٥/٥ . ابن دريد ، الاشتقاق ص ٧٧٠ ، Ency. of Islam, Vol, 1. P, 93-94.

(٢) Sprenger. Das leben und die lehre des Mohammad, Vol, 3. P, Lxxxiii Goldziher, abh. zur arab. Philologie, I. P, 49. ZDMG. 1. P, 487. D. S. Margoliouth, mohammad, P,352. Ency. of Islam, Vol, 1 P, 94.

(٣) Ency.of Islam .Vol, 2. 582 ورد اسم « كعب » فى « ٣٣ » موضعا من تأريخ الطبرى . راجع فهرست الطبرى ص ٤٧٨ ، وورد اسم وهب فى أكثر من « ٥٥ » موضعا . وورد اسم كعب فى عدد من الأماكن من كتاب « عيون الأخبار » راجع الفهرست ص ٢١٤ ، وكذلك فى الكتب الأخرى بالنسبة لوهب .

(٤) الطبرى ٢٢/١ ، ٣١ .

(٥) الطبرى ١٢/٥ . راجع عن كعب : الدولابى ٩٩/١ ، Weil, Biblische Legenden der muselmmänner P,10. Sprenger, Das Leben und die Lehre des mohammad, Vol 3. P, cix. note 2 H Hirschfeld, Art Ka'b el-Ahbâr in Jewish Encyclopedia Vol, 7. P, 400.

(٦) السيادة العربيــة والشيعة والاسرائيليــات تأليف « فان فلوتن » ، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن ومحمد زكى ابراهيم سنة ١٩٣٤ ، ص ١١٥ .

أبى حذيفة بكعب الأحبار ، وكذلك سؤال الخليفة عمر بن الخطاب حين أبلغه كعب أنه سيقتل بعد ثلاثة ايام : (وما يدريك ؟) فقال : (أجده فى كتاب الله عز وجل : التوراة !) فأجابه عمر (الله انك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة ؟) فأجاب : (اللهم لاولكنى أجد صفتك وحليتك وأنه قد فنى أجلك) فقال عمر :(وعمر لايحس وجعا ولا ألما[١] !)، ليدلان على علم كعب بالمكيدة ، وعلى مشاركته فيها ، كما يدلان على المصادر التى كان يستعين بها كعب وأمثاله فى صنع الأخبار ، وعلى نصيب أحاديثهم من الصحة . والواقع أن كعبا ووهبا لم يكونا يتورعان عن الكذب محاولة منهما لاثبات أن لهما علما بكل شىء . ومن أمثلة ذلك ما ذكره المسعودى عن وهب بن منبه ، قال : (لما ابتدأ الوليد بناء مسجد دمشق ، وجد فى حائط المسجد لوح من حجارة فيه كتابة باليونانية ، فعرض على جماعة من أهل الكتاب ، فلم يقدروا على قراءته ، فوجه به الى وهب بن منبه ، فقال : هذا مكتوب فى أيام سليمان بن داوود عليهما السلام ، فقرأه فاذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . ياابن آدم ! لو عاينت ما بقى من يسير أجلك ، لزهدت فيما بقى من طول أملك ، وقصرت عن رغبتك وحيلك ، وانما تلقى ندمك اذا زلت بك قدمك ، وأسلمك أهلك ، وانصرف عنك الحبيب ، وودعك القريب ، ثم صرت تدعى قولا فلا تجيب . فلا أنت الى أهلك عائد ، ولا فى عملك زائد ، فاغتنم الحياة قبل الموت ، والقوة قبل الفوت ، وقبل أن يؤخذ منك بالكظم ، ويحال بينك وبين العمل ، وكتب زمن سليمان بن داوود ، فأمر الوليد أن يكتب بالذهب على اللازورد فى حائط المسجد : « ربنا الله ، لانعبد الاالله ، أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التى كانت فيه عبدالله الوليد أمير المؤمنين فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين ». ويقول المسعودى : وهذا الكلام مكتوب بالذهب فى مسجد دمشق الى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة[٢] .

ولم أستجز ذكر هذا النموذج لولا أن لوهب نماذج عدة من هذا الطراز وردت فى الكتب ولاسيما كتاب التيجان ، زعم أنها تراجم لألواح وجدت مكتوبة بخطوط لم يستطع أحد قراءتها خلا وهب بن منبه ، وكعب الأحبار .

---

(١) الطبرى ١٢/٥ ومن قبيل الملاحم ما جاء فى فتح مصر . الطبرى ١٢٧/١ زعم أن عبدالله بن الزبير كان قد قال عن كعب الأحبار : « ما كان فى سلطانى شىء الا قد حدثنى به ، ولقد حدثنى انه يظهر على البيت قوم » تهذيب التهذيب ٤٤٠/٨ .

(٢) مروج الذهب ٩٧/٣ ، ١٥٢/٢ (طبع المطبعة البهيــة) ١٣٤٦ بالقــاهرة . « وكانت له معرفة باخبار الاوائل وقيام الدنيا وأحوال الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وسير الملوك » ابن خلكان . وفيات الاعيان ٢٣٨/٢ .

ولم يذكر الطبرى اسم « كعب الاحبار » فى الفصل الذى عقده لقصة يوسف[١]، فلم يرو له خبرا ، على حين نردد اسمه فى الكتب الاخرى ولاسيما كتب قصص الانبياء كقصة يوسف[٢]. وقد دخل اسمه فى كثير منها حتى فى قصة « يوسف وزليخا » للفردوسى[٣] . ومن هذه الكتب دخل اسم « كعب الأحبار » فى « قصة يوسف » التى اشتهرت فى الأدب الاسبانى[٤]. ويمكن تعليل ذلك بأن ظهور اسم « كعب » فى قصة يوسف انما كان بعد زمان الطبرى ، ولذلك لم يرد فى هذا الباب من التاريخ[٥] .

ولوهب بن منبه وكعب الأحبار أخبار عن العرب العاربة مثل عاد وثمود وردت فى(قصص الانبياء)للكسائى[٦]. وفىتاريخ الطبرى حديث لوهب بن منبه عن قوم عاد أخذه عن شيخه محمد بن سهل بن عسكر عن اسماعيل بن عبدالكريم عن عبدالصمد عن وهب بن منبه . وأخذ ما قصه ابن اسحاق عن كيفية انتشار النصرانية فى جنوب بلاد العرب ، وهو مما روى عن وهب بن منبه[٧] .

ويجب أن نعترف أيضا بأن قسما من الأسماء الواردة فى الروايات المنسوبة لوهب وفى كتاب التيجان ، يدل على أنه كان قد نقلها نقلا صحيحا على النحو الذى وردت عليه فى التوراة ، وأنه كان يذكر أحيانا الشكل الذى كان ينطق به الاسم عند العبرانيين على النحو الذى نقلوه فيه من الترجمات السريانية[٨] ، فذلك مما يشعر منه بأن وهب بن منبه كان يراجع المظان للحصول على هذه المعلومات .

---

(١) الطبرى القسم الاول ص ٣٧١ ـ ٤١٣ .

(٢) الثعلبى ، قصص الانبيـاء ص ٦١ (القـاهرة ١٣٢٤ هـ) . قصص الانبيـاء للكسائى (طبعة بون) ص ٣١٥ فما بعدها .

(٣) طبعة « Ethé » حـ ٧ قسم ١ (اكسفورد ١٩٠٨) ص ٢٥٨ .

(٤) F Guillén Robles, Leyendas de José hijo de Jacob. y de Alejandro magno, Zaragozya. 1888.

(٥) Ency. of Islam, Vol, 2. P, 583

(٦) الطبرى ١/١١٥ هو غير الكسائى العالم النحوى الشهير ، راجع عنه : Ency. Vol, 2. P, 1037. Lidzbarski, Vita Prophetarum auctore muhammad ben Abdallah al-Kisa'i. Bonn. Hottinger. Promptuarium. Heidelberg

(٧) Ency. of Islam. Vol. 4. P. 1085.

(٨) Ency. Vol 4.P, 1084

ولابد لنا ، وقد أشرفنا على انهاء أمر وهب وكعب ، من التحدث عن شخص آخر كان من أصل يهودى من يهود المدينة ، وهو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظى المتوفى بين ١١٨ – ١٢٠ للهجرة • من قريظة حلفاء الأوس ، وقد عد من علماء الحديث والقرآن حتى قال بعضهم انه (من أعلم الناس بالتأويل[١]) • وكان مثل وهب قاصا من القصاص يقص فى المسجد • وكان الغالب على أهل القصص الاغراب فى الحكايات والمبالغة فيها اجتلابا لقلوب الناس كما هو معلوم • وقد جر قصصه هذا عليه البلايا ، فانه بينما كان يقص فى المسجد سقط عليه السقف فمات •

وجدت أقوال محمد بن كعب القرظى سبيلها الى تأريخ الطبرى عن طريق سيرة ابن اسحاق ، وذلك بالطريق المألوف الذى سنعرفه فيما بعد فى رواية هذه السيرة بالنسبة للطبرى ، وهو طريق ابن حميد عن سلمة بن الفضل عن ابن اسحاق ، صاحب السيرة الذى أخذ منه بلا واسطة كما أخذ عنه بالواسطة • أما الأخبار المروية عنه ، فهى فى سير الرسل والأنبياء ، وفى انتشار الديانة اليهودية والنصرانية فى اليمن ، وفى الأمور التى تخص اليهود فى الحجاز[٢] • وقد كان من المقربين الى الخليفة عمر بن عبدالعزيز ؛ لأنه كانت له به معرفة سابقة قبل توليه الخلافة • فلما ولى الخلافة ، كان يذهب اليه ، ويتحدث معــه فى الزهد وفى القصص الذى يحمل طابع الاسرائيليات[٣] وفى التفسير الذى اشتهر به •

واذا كانت المذاهب السياسية الحديثة التى تريد احتكار العقول وتوجيهها على حسب رأيها قد تجد من اول أهدافها تحريم قراءة كتب المذاهب المعارضة فى القرن العشرين ، ولاسيما المذاهب المنسوخة من حيث هى ناسخة لها وأنها خطر على العقول ، فان الاسلام لم يفعل ذلك : لم يحرم قراءة التوراة ، ولا الأناجيل ، ولم يمنع المسلمين من سماع القصص التى كان يقصها عليهم أهل الكتاب ؛ ولذلك وجدت قصص الرسل والأنبياء وخلق العالم سبيلها الى المسلمين بمطالعة هذه الكتب أنفسها ، أو بمدارسة أهل الكتاب • وقد حصل الطبرى على قسم من أخباره المدونة فى سير الرسل والأنبياء من مطالعته للتوراة والأناجيل كما أخذ ابن قتيبــة الدينورى وأحمــد بن واضح اليعقوبى

(١) تهذيب التهذيب ٩/٤٢٠ • تجد له عدة روايات عليها الطابع الاسرائيلى • راجع عيون الاخبار ١/٢٠١ ، ٢٦٤ ، حـ ٢ ص ١٤ ، ٣٤٣ ، ٣/٤ •

(٢) الطبرى ١/١٣٨ ، ٢/١٠٤ ورد اسمه فى « ٢٩ » موضعا من تاريخ الطبرى •

(٣) ابن‌سعد ، الطبقات ٥/٢٧٢ فما بعدها • مجلد ٧ قسم ٢ ص ١٩٣ عيون‌الاخبار ٢/٣٤٣ • « مقام محمد بن كعب القرظى بن يدى عمر بن عبدالعزيز » حـ ٣ ص ٤ •

والمسعودي وغيرهم من التوراة كذلك • ولما كانت التوراة مجموعة أقاصيص وأساطير تاريخية تناولت التكوين والأمم التي اتصلت باليهود وحوادث الأنبياء والرسل الذين اعترف بهم الاسلام ، كان من الطبيعي أن تصبح مألوفة عند علماء المسلمين أكثر من الأناجيل • وقد كان ابن اسحاق يحمل عن اليهود والنصارى ، ويسميهم في كتبه أهل العلم الاول[١] • وكان يسألهم ايضا سعيد بن جبير • حتى ان الخلفاء لم يجدوا حرجا في الأخذ من أهل الكتاب ، مثل الخليفة عمر بن عبدالعزيز[٢] •

ويصعب على المؤرخ الحديث تعيين اول ترجمة للتوراة والانجيل باللغة العربية ، ويظهر من الشعر الجاهلي ومن الأمثلة والمصطلحات الدينية التي ترجع الى أصل يهودي أو مسيحي أن القسيسين ودعاة النصرانية « المبشرين » كانوا يعنون بتفسير العهدين ، أو أقسام منها ، لرعاياهم العرب في الجاهلية ، وهنالك أدلة على أن العهدين كانا مترجمين في العصر الأموي ، وذكر أن أحمد بن عبدالله بن سلام ترجم التوراة ترجمة صحيحة للخليفة هارون الرشيد ، وأن تلك الترجمة كانت قد حفظت في خزانة المأمون[٣] • وقد ذكر المسعودي أسماء جماعة من اليهود والنصارى ترجموا التوراة والانجيل[٤] • وقد كانت هذه الترجمات من المواد المساعدة ، ولاشك ، على تأليف تأريخ ما قبل الاسلام • وكما كانت التوراة والانجيل المواد المساعدة لبناء هيكل تأريخ الرسل والأنبياء كذلك ساعدت مادة أخرى في تثبيت المنهج الذي سار عليه المؤرخون في تدوين هذا التأريخ ، هي كتب التواريخ التي كانت عند النصارى خاصة ، وليس هنالك مجال لنكران ذلك • فلا يعقل أن يكون الطبري ومن جاء قبله من المؤرخين قد ابتكروا هذا المنهج الذي يبدأ بالتكوين ، ثم يتمشى مع التوراة ويسير قدما الى ما بعد المسيح مرتبا على النمط الذي سار عليه رجال الكنيسة في تدوين التاريخ ، لا يعقل ذلك البتة ، ولا يعقل أن يكون قد جاء اليهم من وحي الخاطر والاتفاق • لقد كان للطوائف النصرانية كتب في تأريخ الرسل والملوك والأمم ، ذكرها المسعودي بشيء من التفصيل ، ويكاد ذلك التشابه الذي نلمسه

---

(١) الفهرست ص ١٣٦ •

(٢) الطبري ١/١٣٨ •

(٣) الفهرست ص ٣٢ • أحمد بن عبدالله بن سلام الانجيلي •

Wénsinck, P,745

(٤) التنبيه والاشراف ص ٩٨ • منهم أبو كثير يحيى بن زكريا الكاتب الطبراني وكانت وفاته في حدود العشرين والثلاثمئة ، ومنهم سعيد بن يعقوب الفيومي وكان قد قرأ على أبي كثير ، ومنهم داوود القومسي وكانت وفاته سنة ٣٣٤ هـ ، وابراهيم البغدادي •

حتى فى عنوان تأريخ الطبرى يوحى الى أن الطبرى وغيره قد أخذوا اصطلاحهم هذا ، وهو (تأريخ الرسل والأنبياء والملوك ، وأحيانا الامم أيضا) من تلك الكتب التى كانت موسومة فى الغالب بهذه العناوين ، وكانت تبدأ على نحو بداية الطبرى بالخليقة ، ثم تسير على هذا النحو حتى تنتهى بسير الملوك فى أيامهم ، متبعة فى ذلك الترتيب الزمنى ، أى نظام الحوليات .

ولهـــذا الموضـوع علاقة بكتـــــاب له أثر واضح فى تكوين الأجزاء الاولى من تأريخ الطبرى ، هذا الكتاب هو سيرة ابن اسحاق الذى ضمنه مؤلفه مادة واسعة من تأريخ الرسل والملوك والاسرائيليات شغلت حيزا كبيرا من هذا التأريخ . وقد فقدت هذه السيرة ، يا أسفاه ! ولكن القسم الأعظم من أشلائها ظل باقيا فى أثناء الكتب ، وتجدها مبعثرة فى صفحات تأريخ الطبرى . وقد خلد ابن هشام فى سيرته الجزء الأكبر من هذه السيرة ، ولاسيما السيرة النبوية . فأما ما قبل السيرة النبوية ، فقد استبعد منها تأريخ الانبياء من آدم الى ابراهيم ، واقتصر من بعد ابراهيم على ما له علاقة بالنسب النبوى كما حذف من الاخبار ما يسوء ، ومن الشعر ما لم يثبت ، وأضاف الى السيرة ما فات ابن اسحاق[1] .

اشتغل الطبرى برواية سيرة ابن اسحاق ، وهو فى أيام شبيبته ، وقد أخذها من عالم كبير كان رأس علماء مدينة (الرى) ، هذا العالم هو محمد بن حميد بن حيان التميمى أبو عبدالله الحافظ المروزى ، المتوفى سنة ٢٤٨ للهجرة ، وكان صاحب شهرة واسعة فى علم الحديث والسيرة والمغازى ، أخذ علمه عن جماعة من العلماء ، أمثال : يعقوب بن عبدالله القمى ، وابراهيم بن المختار ، وجرير بن عبدالحميد ، وابن المبارك ، وهارون بن المغيرة ، وسلمة بن الفضل[2] ، كما روى عنه جماعة من كبار العلماء الذين كانوا يقصدونه من مختلف الأنحاء ، ومنهم طائفة من كبار المحدثين والمؤرخين ، أمثال : أبى داوود ، والترمذى ، ويحيى بن معين ، وعبدالله بن عبدالصمد بن أبى خداش ، ومحمد بن اسحاق الصاغانى ، وأبى بكر بن أبى الدنيا ، ومحمد بن هارون الرويانى ، والطبرى ، وبقية هذه الطبقة التى مثلت الرصانة والتعمق فى البحث والتدقيق فى الكتابة والتأليف . ولما كانت وفاة محمد بن حميد فى سنة ٢٤٨ للهجرة كما أشرنا اليه أى بعد مغادرة

(١) راجع مقدمة ابن هشام .

(٢) تهذيب التهذيب ١٢٧/٩ . تذكرة الحفاظ ٦٨/٢ شذرات الذهب ١١٨/٢ ومع شهرته وعلمه رمى بالضعف «ضعف مضامين الاحاديث» قال فيه يعقوب بن شيبة : كثير المناكير . وقال البخارى : فيه نظر . وقال النسائى : ليس ثقة .

الطبري لمدينة الري ودخوله بغداد[١] بسنوات ، وجب ان يكون الطبري قد أخذ اجازته منه بالرواية عنه وعن مشايخه الذين أجازوه قبل دخوله مدينة السلام ، ويعني هذا أن الطبري كان قد اشتغل بسيرة ابن اسحاق التي أخذها عن هذا العام قبل اشتغاله بتأليفه كتابه في التأريخ بمدة طويلة ، ولعله في بداية عهده بالطلب حيث كان يكثر من الذهاب الى مجلس شيخه لسماع ما كان يتحدث به ولتدوين ما يمليه على الطلاب ، فاذا أتم ذلك دون الطبري أقوال شيخه ، ثم يعود عليه لعرض ما دونه خوفا من السهو والنسيان ، يفعل ذلك حتى في الليل ، وكان في جملة ما يقرؤه (ابن حميد) على الناس سيرة ابن اسحاق اجازة عن سلمة بن الفضل[٢] .

أما سلمة بن الفضل شيخ محمد بن حميد الذي أجازه برواية سيرة ابن اسحاق فهو سلمة بن الفضل الأبرش الأنصاري قاضي الري المتوفى بعد سنة ١٩٠ للهجرة ، وكان صديقا لمحمد بن اسحاق ، وقد قيل : ان مؤلف السيرة كان قد كتب نسخة من السيرة في قراطيس ، ثم صير القراطيس لسلمة بن الفضل ، ومن هنا فضلت رواية سلمة للسيرة على غيره لمكان تلك القراطيس ، وكان يقال عنه : انه صاحب مغازي ابن اسحاق وانه روى عنه المبتدأ والمغازي،[٣] ويرى « أدورد سخاو » أن من الجائز أن يكون ابن اسحاق قد سلم هذه النسخة لسلمة بن الفضل في أثناء اقامته في مدينة الري ، وهي هذه النسخة التي اتخذت مرجعا مهما للطبري ،[٤] وقد كان لسلمة نفسه كتاب في المغازي قيل عنه : انه ليس في الكتب أتم من هذا الكتاب .[٥] والظاهر أنه منتزع من هذه السيرة ، أو لعلها السيرة برواية سلمة أجريت عليها التنقيحات ، فعرفت باسمه ، كما حدث في سيرة ابن هشام .

---

(١) لم يعرف تاريخ دخول الطبري مدينة بغداد أول مرة معرفة أكيدة ، غير ان دخوله اياها كان بعد وفاة الامام أحمد بن حنبل بقليل ، وقد توفي أحمد بن حنبل في ١٢ شهر ربيع الأول سنة ٢٤١ للهجرة (٨٥٥م) . فيكون مجيء الطبري الى بغداد بعد هذا التاريخ بقليل ، وربما كان في هذه السنة . ياقوت : ارشاد الأريب ٦/٤٣١ .

(٢) تهذيب التهذيب ٩/١٢٩ ، ارشاد الاريب ٦/٤٣٠ .

(٣) تهذيب التهذيب ٤/١٥٣ . « سلمة بن الأبرش قاضي الري وراوي المغازي عن ابن اسحاق ، وقد اختلف في الاحتجاج به ، ولكنه ممن وثقهم ابن اسحاق . » الشذرات ١/٣٢٨ .

(٤) طبقات ابن سعد حـ ٣ القسم الأول ، مقدمة **Eduard Sachau** ص ٢٥ ، « أبو عبدالله سلمة بن الفضل الرازي » الدولابي ٢/٥٦ .

(٥) تهذيب التهذيب ٤/١٥٣ .

وزعم أبو بكر بن كامل ، وهو ممن أخـذ العلم عن الطبرى وكتب سيرة شيخه ودافع عنه الطاعنين ، أن الطبرى كان قد حصل على نسخة من سيرة ابن اسحاق من شيخ آخر من شيوخه كان يقيم فى قرية مجاورة للرى ، اشتهر بالسير والمغازى ، هو أحمد ابن حماد الدولابى ، وكان الطبرى يأتى اليه أيضا للأخـذ منـه ، وهو صاحب كتاب « المبتدأ والمغازى »[١] ، وكان قد أخذ السيرة عن سلمة بن الفضل ، فهو مثل محمد بن حميد من تلاميذ سلمة صاحب النسخة الأصلية لسيرة ابن اسحاق ، غير أن أسانيد الطبرى لاتؤيد هذا الرأى ، ولم نجد فى تاريخ الطبرى ما يشير الى ان الطبرى كان قد بنى تاريخه على هذه النسخة . والدولابى هو من أهل « دولاب » ، وهى قرية من أعمال الرى ، وكان له ولد اشتهر بالحديث والاخبار والتواريخ ، وطاف كأهل هذا الشـأن فى أماكن مختلفة طلبا للعلم ، وهو أبو بشر محمد بن أحمد المتـوفى فى سـنة ٣١٠ للهجرة ، وله مؤلفات فى التاريخ والمواليـد والوفيات ، طبـع منها « كتـاب الكنـى والأسماء[٢] .

لم يقتصر الطبرى مع ذلك على النسخة التى كانت عند « محمد بن حميد » ، بل أشار فى تضاعيف كتابه الى أنه أخذ من مشـ ـ آخرين مثل هناد بن السرى بن مصعب التميمى الكوفى المتوفى سنة ٢٤٣ للهجرة ، المعروف براهب الكوفة ، لشدة زهده وورعه وكان هناد من المشتغلين بالسيرة ، أخذ اجازته بروايتها من محدث ومؤرخ من أهل الكوفة هو يونس بن بكير بن واصل أبو بكر الشيبانى الجمال المتوفى سنة ١٩٩ للهجرة ، وقد عرف بصاحب المغازى[٣] ، وكان من الراوين عن الأعمش وهشام بن عروة وأمثالهما من مشاهير أهل الحديث . وقد أجاز لجماعة برواية المغازى عنه مثل أبى كريب من علماء الكوفة المعروفين ، وأخذ منه الطبرى ، وذكر اسمه فى مواضع كثيرة من تأريخه ، ومثل

---

(١) ارشاد الاريب ٦/٤٣٠ ،

(٢) ولد سنة ٢٢٤ للهجرة ، فهو فى سن الطبرى . وكتابه هذا طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد دكن بالهند سنة ١٣٢٢ هـ . راجع عنه تذكرة الحفاظ ٢/٢٩١ فما بعد . و« الكنى والألقاب » لعباس بن محمد رضا القمى . مطبعة العرفان صيداء ٣٥٨ هـ . حـ ٢ ص٢١١ — لم يذكره الطبرى فى تاريخه غيرمرة واحدة، راجع الدورة الأولى ص ١٨٠٦ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١/٢٩٩ . طبقات ابن سعد ، مقدمة « سخاو »حـ ٣ قسم ١ ص ٢٥ ، الشذرات ٢/١٠٤ ، ورد اسمه فى أكثر من « ١٠ » مواضع من تأريخ الطبرى . فهرست الطبرى ص ٦١٦ .

أحمد بن عبدالجبار العطاردى أبى عمرو الذى أجاز لغيره برواية سيرة ابن اسحاق الى أن وصلت الى ابن الأثير ، فاعتقد عليها فى كتابه[١] « أسد الغابة فى معرفة الصحابة »[٢]، واستفاد الطبرى من نسخة أخرى من نسخ سيرة ابن اسحاق كانت عند علم من أعلام السيرة والمغازى هو « سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص الاموى » وهو ، وان كان أمويا ، يمثل مدرسة الكوفة فى الرواية ، وكان يقيم فيها وفى بغداد[٣] وقد حدث عن أبيه المتوفى سنة ١٩٤ للهجرة عن ابن اسحاق وعن عمه محمد بن سعيد ، وقد أخذ عن ابن اسحاق[٤] ، وكان يحيى بن سعيد الأموى من خاصة ابن اسحاق ، وهو الذى روى عنه كتاب الخلفاء[٥] .

فهـــذه نسـخة أخرى من سـيرة ابن اسـحاق حصـل عليهــا من رواة أهل الكوفة ومن رجل عرف باتصاله بالمؤلف ، وبروايته كتبه عنه من هذه المدينة التى سبقت سائر المدن العربية حتى مدينة الرسول فى تدوين التاريخ الأسلامى وروايته ، وسبقت المدينة بعدئذ فى تنظيم كتب السير والمغازى ورواية الأحداث الاسلامية ، وان كانت قد أخذت هذا الدرس من عاصمة الأسلام الاولى . وقد نجح ابن اسحاق فى نشر مؤلفه بين رواة الكوفة الارستقراطيين الذين طبعوا التأريخ بطابع أهل الكوفة الخاص ، فلم تقتصر رواية السيرة على يحيى بن سعيد الأموى وحده ، بل ظهر عدد من الرواة رووا سيرة ابن اسحاق ، منهم هارون بن ادريس الاصم[٦] من رؤوس رواة أهل الكوفة ، وقد نقل علمه بمغازى ابن اسحاق من شيخه عبدالرحمن بن محمد بن زياد أبى محمد الكوفى المحاربى المتوفى سنة ١٩٥ للهجرة[٧] ، وهو من رواة ابن اسحاق . وقد روى عنه جماعة ،

---

(١) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ١/١١ طبع جمعية المعارف .

(٢) أحمد بن عبدالجبار بن محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمى العطاردى الكوفى ، توفى سنة ٢٧٢ للهجرة . تهذيب التهذيب ١/٥٢ ، ولم ينقل الطبرى من نسخته شيئا . راجع فهرست الطبرى ص ١٦ ترتيب De Goeje المطبوع سنة ١٩٠١ . الشذرات ٢/١٦٢ .

(٣) ارشاد الأريب ٦/٤٠٠ .

(٤) الطبرى ١/١٢٦ ، ٢/١٢٦ ، ومواضع أخرى . تجد ترجمته فى تأريخ بغداد ١٤/١٣٢ ، « يحيى بن سعيد بن أبان الأموى الكوفى حمل المغازى عن ابن اسحاق واعتنى بها وزاد فيها اشياء » الشذرات ١/٣٤١ .

(٥) الارشـاد ٦/٤٠١ ، تذكرة الحفاظ ١/٢٩٨ ، « كتـاب الكنى والاسـماء » للدولابى ١/١٠٢ .

(٦) ورد اسمه فى موضعين من تاريخ الطبرى . الدورة الأولى ص ٥٧٣ ، ٩٧٠ .

(٧) عبـدالرحمن بن محمـد المحاربى . الشـذرات ١/٣٤٣ ، تذكرة الحفاظ ١/٢٨٧ . ورد اسمه فى خمس مواضع من تاريخ الطبرى ، راجع الدورة الأولى ص ، ١١٥ ، ١٩٧ ، ٣٨٦ ، ٥٧٣ ، ٩٧٠ .

منهم هناد بن السرى الذى سبق ذكره ، وكانت لديه نسخة من سيرة ابن اسحاق[١] . ومنهم أبو كريب شيخ الطبرى الذى يرد ذكره مرارا فى سند الطبرى كما ستتحدث عنه .

وعرفت سيرة ابن اسحاق فى مدينة البصرة كذلك ، هذه المدينة التى نافست الكوفة فى النحو واللغة والقصص والأخبار ، وكان فيها جماعة كانت لهم صلات بالصنعانيين الذين أكثروا من رواية الاسرائيليات ، ولكنهـا لم تستطع الفواق على الكوفة فى الاخبار والتأريخ . وقد روى هذه السيرة جماعة منهم ، مثل ابن المثنى الذى ورد اسمه مرارا فى تأريخ الطبرى ، وهو محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس بن دينار العنزى أبو موسى البصرى الحافظ المتوفى سنة ٢٥٢ للهجرة[٢] . أخذ الطبرى عنه فى أثناء زيارته للبصرة . وأخذ ابن المثنى السيرة عن وهب بن جرير بن حازم أبى العباس البصرى الحافظ المتوفى سنة ٢٠٦ للهجرة[٣] من شيوخ البصرة المعروفين ، وحدث عن أبيه عن ابن اسحاق وعن جويريه وآخرين من هذا الطراز ، وتجد له أخبارا فى كتاب « أنساب الاشراف[٤] » ترى منها أن الرجل كان من المؤرخين المشهورين .

أما ابن سعد صاحب الطبقات ، فقد استعان — كما يظهر من « الطبقات الكبرى » — بنسخة من سيرة ابن اسحاق رواية ابراهيم بن سعد بن ابراهيم ابن عوف الزهرى المتوفى بين ١٨٢ — ١٨٥ للهجرة[٥] بمدينة بغداد . وكان من أهل المدينة ، ومن أصحاب ابن اسحاق ، روى عنه شيئا كثيرا من الحديث فى الأحكام ، وروى عنه المغازى ، ويقال : انه المدنى الوحيد الذى روى سيرة ابن اسحاق[٦] ، وبنسخة

---

(١) لسان الميزان ٨٤٨/٦ ، تهذيب التهذيب ٢٦٥/٦ تذكرة الحفاظ ٢٨٧/١ . الشذرات ٣٤٣/١ .

(٢) تهذيب التهذيب ٤٢٥/٩ ، تذكرة الحفاظ ٨٦/٢ ، الشذرات ١٢٦/٢ ، ورد اسمه فى أكثر من « ٤٠ » موضعا فى تأريخ الطبرى ، راجع فهرست الطبرى ص٥٢٨ .

(٣) تهذيب التهذيب ١٦١/١١ ، تذكرة الحفاظ ٣٠٧/١ ، الشذرات ١٦/٢ وقد روى عن ابن المثنى ابو بشر محمد بن أحمد الدولابى راجع ٥٦/١ ومواضع أخرى .

(٤) « أنساب الأشراف » لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى ، الجزء الخامس ، القدس سنة ١٩٣٦ ، صفحة : ٥٠ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٠٣ ، ومواضع عديدة أخرى .

(٥) تذكرة الحفاظ ٢٣٢/١ ، الشذرات ٣٠٥/١ ، الدولابى ٩٩/١ .

(٦) روى عنه « كتاب السيرة والمبتدأ والمغازى » الارشاد ٤٠١/٦ ، الفهرست ص ١٣٦ ، طبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص٢٥ مقدمة . و ج ٣ قسم ٢ ص ٥١ ، تهذيب التهذيب ١٢١/١ ، وابراهيم بن سعد من أكثر أهل المدينة حديثا فى زمانه ، وولى بيت المال ببغداد ، وأكرمه الرشيد .

أخرى هي نسخة هارون بن أبي عيسى الشامي كاتب ابن اسحاق ، وأحد الرواة عنه ، وكان موثوقا به في الرواية عن شيخه ابن اسحاق[١] ، وبنسخة ثالثة كانت عند محمد بن عبدالله بن نصير الهمداني أبي عبدالرحمن الكوفي النفيلي من رؤساء أهل الحديث في الكوفة ، ومن الأشخاص القليلين الذين رضي عنهم أهل الحديث ، وقد توفي بمدينة حران ، وأرى أن نسخة النفيلي هذه انما نقلت من نسخة ابراهيم بن سعد ، اذ يستبعد أخذ النفيلي المتوفى سنة ٢٣٤ من ابن اسحاق المتوفى سنة ١٥٠ ، أو بعد ذلك بقليل ، وان صرح ابن النـديم في كتابه ان النفيلي قد روى كتاب السيرة والمبتـدأ والمغازي عن ابن اسحاق[٢] .

والمتعـارف عنـد الرواة أن ابن اسحاق انما ألف السيرة اجابة لطلب الخليفـة أبي جعفر المنصور ، وذلك على أثر زيارته له بالحيرة ، فهم يقولون ان الخليفة كان بين يديه ابنه المهدي حين دخل عليه ابن اسحاق ، فلما بصر به قال له : أتعرف هذا يا ابن اسحاق ؟ قال نعم ، هذا ابن أمير المؤمنين . فقال الخليفة : اذهب فصنف له كتابا منذ خلق الله تعالى آدم الى يومك هذا . فذهب فصنف له السيرة فلما عاد ابن اسحاق بها ، قال له : لقد طولته يا ابن اسحاق ، اذهب فاختصره ، فذهب فاختصره ، فهو هذا الكتاب المختصر ، وألقى الكتاب في خزانة أمير المؤمنين[٣] . وفي رواية أخرى أن ابن اسحاق صنف هذا الكتاب في القراطيس ، ثم صير القراطيس لسلمة بن الفضل ، فمن ثم فضلت رواية سلمة ابن الفضل على رواية غيره لحال تلك القراطيس[٤] .

والواقـع أن ابن اسـحاق كان قد أتـم تصنيف السـيرة ، وهـو في المدينـة ، وقبـل اضطراره الى الهجـرة منهـا في عام ١٣٢ هـ . وقد وضعها على طريقة أهل المدينة في رواية السيرة ، وأخذها من رواة أهل المدينة[٥] ، وحملها معه ، وأجاز روايتها للعلماء الذين اتصلوا به في أثناء سفره الى العراق . فلما قدم العراق ، أهدى نسخة منها الى الخليفة[٦] ، ثم ذهب الى الري وهناك اتصل بالمهدي

---

(١) الطبقات حـ ٣ قسم ١ ص ٢٥ ، وحـ ٣ قسم ٢ ص ٥١ ، تهذيب التهذيب ١٠/١١ روى عنه ابنه عبدالله بن هارون ، ومعلى بن أسد العمي . قال البخاري : يخطىء في غير حديث ابن اسحاق .

(٢) الفهرست ص ١٣٦ ، شذرات الذهب ٢/٨٠ تذكرة الحفاظ ٢/٢٤ ، Sprenger, ZDMG xiv 288

(٣) تاريخ بغداد ١/٢٢١ .

(٤) تاريخ بغداد ١/٢٢١ .

(٥) Brockelmann, Suppl. Vol, 1.P 205

(٦) Fück, Muhammed Ibn Ishâq. Frankfurt A.M. 1925

وأجاز لجماعة من أهل الرى برواية السيرة ، ولعله قدم نسخة أخرى منها الى سلمة بن الفضل قاضي الرى ، ثم عاد بعد ذلك الى بغداد حيث توفى بها عام ١٥٠ أو ١٥١ أو بعد ذلك بقليل[١] .

تألفت سيرة ابن سحاق من أقسام ثلاثة : من المبتدأ وقصص الأنبياء ، أو المبدأ ، وهو تاريخ ما قبل الاسلام ، أو بعبارة أصح تاريخ العالم منذ الخليقة الى مولد الرسول . وهو يكون القسم الأول أى المقدمة بالنسبة للسيرة . وأما القسم الثانى فهو السيرة والمغازى[٢]، ثم يليها القسم الثالث . وقد دعى بكتاب الخلفاء[٣] . ويفصل فريق بين السيرة والمغازى ، ويفرقون بين الاثنين فيدخلون فى المغازى ما ليس من مغازى الرسول ويتوسعون فيها . وقد اقتصد ابن هشام فى القسم الاول . وأما الطبرى ، فلم يقتصد فى النقل منه . وقد نقل عن المبدأ أبو الوليد أحمد بن محمد الوليد بن الازرقى صاحب « كتاب أخبار مكة المشرفة » رواية سبطه ابى الوليد محمد بن عبدالله الأزرقى ، والمطهر بن طاهر البلخى[٤] .

والظاهر أن حظ القسم الثالث وهو « كتاب الخلفاء » كان عاثرا ، فلم ينل من المؤرخين عناية تستحق الذكر ، ولم يكتسب الشهرة التى نالتها السيرة . وقد اقتبس منه الطبرى فى تأريخ الخلفاء الراشدين وخلافة معاوية وصدر الدولة الأموية[٥] . أخذ ذلك عن شيخه محمد بن حميد ، وشيخه عمر بن شبة عن زهير عن وهيب عن أبيه

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ٧/٢ . ابن قتيبة ، المعارف ص ٢٤٧ . الفهرست ص ١٣٦ الارشاد ٣٩٩/٥ ، ابن خلكان ، الوفيات ٦٢٣ . الذهبى ميزان الاعتدال ٢١/٣ . ابن حجر ، التهذيب ٢٤٧/٩ . ومن كتب ابن اسحاق أخذ عبدالملك بن هشام ، وكل من تكلم فى السير فعليه اعتماده . الشذرات ٢٣٠/١ .

(٢) « المبتدأ » الفهرست ص ٩٢ . « مبدأ الخلق » ابن هشام ، طبعة « وستنفلد » ٨/٢ « المبدأ وقصص الأنبياء » السيرة الحلبية ٢٣٥/٢ . « كتاب المغازى » .
Ency.Vol,2. P,390.

(٣) « كتاب الخلفاء » : ظن المستشرق « Karabacek » انه قد تمكن من الاهتداء الى أوراق منه فى مجموعة « Rainer » يمكن أن تكون نسخة أصلية لسيرة ابن اسحاق .

Führes durch die Sammlung no: 665.Horovitz, in mitt, des Sem' für Orient. Sprachen. X.westas. Stud.P, 14. Ency Vol, 2, P,390

(٤) « أخبار مكة المشرفة » « تاريخ مكة المشرفة » .

Brockelmann. Suppl. Vol,1. P,209, Wüstenfeld Chroniken der Stadt Mekka. Ency. Vol, 1.P, 542

(٥) الطبرى ، تاريخ معاوية فما بعد .

عن ابن اسحاق[١] ، وعن عمر بن شبة أيضا عن علی بن مجاهد بن رفيع الكابلی أبی مجاهد المتوفی بعد سنة ١٨٠ للهجرة ، وهو صاحب كتاب فی المغازی وأحد رواة المغازی عن ابن اسحاق وأبی معشر السندی ، وكان له كتاب فی أخبار الا مويين[٢] .

وقد ورد اسمه فی مواضع كثيرة من تأريخ الطبری [٣] . وسنتحدث عنه فی الموضع المناسب ، عند البحث فی تأريخ الأمويين . كما ورد اسمه فی مواضع متعددة من كتاب « انساب الأشراف » للبلاذری حيث ذكر له جملة أخبار فی تأريخ بنی امية [٤] لعلها انتزعت من كتاب فی تأريخهم .

وقد استخدم ابن اسحاق فی سيرته مقدارا وافرا من الشعر ، ويمكن الحصول على فكرة تقريبية عن كمية الشعر من النظر فی ابن هشام ، فأنه نبذ قسما كبيرا من الشعر الذی استعمله ابن اسحاق ، وبلغت كمية ما تبقی منه مع كل ذلك نحو خمس مادة الكتاب ، واتهم ابن اسحاق بأنه لم يكن يميز بين الصحيح والفاسد من الشعر ، وأنه كان تعمل له الأشعار ويؤتی بها ويسأل أن يدخلها فی كتابه فی السيرة فيفعل . فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر[٥] . ولهذا السبب ترك ابن هشام جزءا وافرا من الشعر الوارد فی سيرة ابن اسحاق لم ير أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفه ، أو لأن شيخه البكائی الذی أخذ هو نفسه السيرة عن ابن اسحاق لم يقره[٦] .

وقد طعن على ابن اسحاق من هذه الناحية ، والواقع هو أنه لم يكن أول من أدخل الشعر المنحول فی كتبه ، أو أنه الوحيد الذی لم يكن يميز بين الصحيح والفاسد من الشعر ، وتكاد تضرب كتب الأخبار والأنساب التی تعرضت لما قبل الاسلام الرقم القياسی فی ايراد الشعر المختلق ، ثم ان من طبيعة المحدث الذی يعتمد على الرواية ويقيم وزنا لصدق الراوی فی نظره ، التصديق بكل رواية ، ومن هنا تتبين نقطة الضعف عند الرواة !

كانت الرواية هی الغالبة على أهل المدينة ، ولذلك كانوا يتمسكون بالسند ، ولا يرتضون الرأی ، فكانوا فی ذلك على نقيض أهل العراق ، ولاسيما أهل الكوفة الذين استعملوا الرأی والقياس . كانت أسانيد أهل

---

(١) تهذيب التهذيب ٣٧٧/٧ . تاريخ بغداد ١٠٦/١٢ الطبری ١٦٦/٦ .
(٢) كشف الظنون ٢٨٩/١ .
(٣) فهرست الطبری ٣٩٩ .
(٤) أنساب الأشراف ، القسم الثانی من الجزء الرابع ص ٦ ، ١٤١ ، ١٤٧ ح ٥ ص ٢٦٣ .
(٥) الفهرست ص ١٣٦ .
(٦) ابن هشام ٤/١ .

المدينة متينة قوية محكمة فى الغالب ، مرتبطة متسلسلة الا أنها لاتستطيع أن تقف تجاه الرأى ولا تستطيع أن تثبت بازاء نقد النقاد . ولهذا السبب أيضا كانت السيرة عند أهل المدينة مشرقة متصلة الأسانيد ، ولكنها لم تكن متينة البناء على نحو كتب السيرة التى وضعت فى الكوفة بعد انتقال علم السيرة من الحجاز الى العراق ، فمحمد بن اسحاق يمثل فى الواقع طبيعة أهل المدينة ، ولعله لم يكن متعمدا ادخال هذا الشعر المنحول فى السيرة ، وانما كان الرواة الذين تحدثوا اليه مسؤولين عنه .

وطعن علماء الحديث على ابن اسحاق ؛ لأنه خالف قواعد الاسناد ، وتساهل فى الرواية ، ومثل هذا لايجوز فى مصطلح أهل الحديث ، فجاءت أسانيدة فى نظرهم بهذا التساهل مفككة غير مرتبطة كقوله « حدثنى من لا أتهمه[١] » ، أو قوله « حدثنى بعض أهل العلم[٢] » ، أو قوله « حدثت ان ..[٣] » ، أو قوله « يقال ...[٤] » ، أو « حدثنا ... وغيره من أهل العلم أن ..[٥] » ، وغير ذلك من الأمثلة التى ترد فى سيرة ابن هشام وفى تاريخ الطبرى نقلا من سيرة ابن اسحاق . واذا جاز أن يكون هذا من مواطن النقد ، فانه ينطبق على الطبرى وعلى كثير من أمثاله ممن اتبع السند ولم يتقيد بشروط الرواية .

وطعن عليه ؛ لأنه كان يحمل عن اليهود والنصارى ، ويعتمد عليهم ، ويسميهم أهل العلم الأول ، وفى سيرته شواهد كثيرة تؤيد هذا الرأى . وقد أخذ غيره عن أهل الكتاب ، الا أنه لم يكثر ، ولم يغرب فى الرواية عنهم ، ولذلك لم يطعن عليهم .

وتدل القطع المنتزعة من كتابه على أنه من المبالغين فى الاعتماد على النقل ، ولهذا السبب صدق بما كان يحدثه به أهل الكتاب على أنه من العلم الأول ، وأنه وارد عندهم فى كتب الله . وما قيل فيه قيل فى اضرابه الذين اغربوا فى التصديق بالاسرائيليات .

أخذ ابن اسحاق عن جماعة من المشايخ بلغ عددهم « ١١٤ » شيخا ، وليس هذا العدد بشىء كبير بالنسبة لمألوف ذلك الزمان الذى كان فيه العلم شعبيا مشاعا ؛ فقد كان من عادة رجال العلم الاكباب على الدراسة حتى الموت ، والاغتراب عن الوطن فى سبيل الأخذ عن العلماء ، لاتنقطع أيام التلمذة مهما بلغ الانسان من العلم ، ففوق كل ذى

---

(١) الطبرى ١/٩٢ . (٢) الطبرى ١/٧٠ . (٣) الطبرى ١/٥٥ .
(٤) الطبرى ١/٤٧ . (٥) الطبرى ١/١٣٠ .

ابن اسحاق أبوه اسحاق بن يسار الذي ورد اسمه « ١٥ » مرة[١] ، وعبدالله بن أبي بكر المتوفى سنة ١٣٦ للهجرة الذي تردد اسمه « ٤٠ » مرة[٢] ، ويحيى بن عباد بن عبدالله ابن الزبير الذي جاء اسمه « ١٤ » مرة[٣] ، ومحمد بن جعفر بن الزبير[٤] ، ونافع مولى ابن عمر[٥] ، وعبدالرحمن بن هرمز الأعرج[٦] ، ومحمد بن ابراهيم التيمي[٧] ، وعبدالله بن أبي نجيح[٨] ، وهشام بن عروه[٩] ، ويزيد بن أبي حبيب المصري[١٠] ،

---

(١) وقد ورد اسمه في « ٧ » مواضع من تأريخ الطبري راجع فهرست الطبري ص ٣٢ . روى عن الحسن بن علي وعروة بن الزبير ، وروى عنه ابنه . تهذيب التهذيب ١/٢٥٧ .

(٢) راجع فهرست الطبري ص ٣٩٧ .

(٣) يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير بن العوام . تهذيب التهذيب ١١/٢٣٤ . ورد اسمه في « ١٧ » موضعا من تأريخ الطبري . راجع فهرست الطبري ص ٦٣٦ .

(٤) ورد اسمه في « ١٦ » موضعا من تأريخ الطبري . فهرست الطبري ص ٥٠٨ محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام المتوفي بين ١١٠ ـ ١٢٠ للهجرة كان من فقهاء المدينة . تهذيب التهذيب ٩/٩٣ .

(٥) ورد اسمه في « ٢٤ » موضعا منتاريخ الطبري . فهرستالطبري ص٥٨٧ ، نافع الفقيه مولى ابن عمر أبو عبدالله المدني ، توفي سنة ١١٧ أو ١١٩ أو ١٢٠ هـ . تهذيب التهذيب ١٠ / ٤١٤ الشذرات ١ / ١٥٤ بعثه عمر بن عبدالعزيز الى أهل مصر يعلمهم السنن .

(٦) ورد اسمه في « ٤ » مواضع من تأريخ الطبري راجع فهرست الطبري ص ٣٤٤ . توفي بالاسكندرية سنة سبع عشرة ومئة . الشذرات ١ / ١٥٣ وقيل توفي سنة « ١١٠ » ، قال ذلك الواقدي ، وهو وهم ، والاول أصح . وكان عالما بالانساب والعربية . تهذيب التهذيب ٦ / ٢٩١ ، « كاتب المصاحف » تذكرة الحفاظ ١ / ٩١ .

(٧) محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي ، توفي سنة ١٢٠ هـ ، روى عنه يحيى ابن سعيد الأنصاري ، وهشام بن عروة ، والأوزاعي ، ومحمد بن اسحاق . تذكرة الحفاظ ١ / ١١٧ ، الشذرات ١ / ١٥٧ .

(٨) مولى الاخنس بن شريق . توفي سنة ١٣١ هـ . من المفسرين والمحدثين ، قيل كان يرى القدر . تهذيب التهذيب ٦/٥٤ وهو صاحب مجاهد . الشذرات ١/١٨٢

(٩) ورد اسمه في « ٣٧ » موضعا من تاريخ الطبري . هو هشام بن عروةبن الزبير ، توفي سنة ١٤٦ أو ١٤٧ . تهذيب التهذيب ١١ / ٥٠ ـ ٥١ . تحدثت عنه في موضع آخر .

(١٠) ورد اسمه في « ١٢ » موضعا من تاريخ الطبري . راجع فهرست الطبري ص ٦٤٠ « يزيد بن أبي حبيب ، واسمه سويد الأزدي مولاهم أبو رجاء المصري ، كان مفتي أهل مصر في زمانه ، وكان أول من أظهر العلم بمصر ، توفي سنة ١٢٨ هـ . تهذيب التهذيب ١١/٣١٩ ، الشذرات ١/١٧٥ .

وسعيد المقبرى[(١)] ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وشعبة بن الحجاج ، وروح بن القاسم وغيرهم[(٢)] ممن وردت أسماؤهم فى تاريخ الطبرى ، وسنتحدث عنهم فيما بعد بشيء من التفصيل ٠

واذا كانت سيرة ابن اسحاق قد أمدت الطبرى بمادة واسعة من مادة ما قبل الاسلام ، فقد أمد علم ابن عباس هذا الباب بمادة غزيرة وردت على الطبرى عن ابن اسحاق ما فى ذلك شك ، وعن مدارس التفسير وتلامذة ابن عباس الذين نقلوا علم أستاذهم الى أقصى أنحاء الخلافة ، وعن كتب المغازى التى وضعت تاريخ الرسل والأنبياء مقدمة لسيرة الرسول ٠

ولا بن عباس كلام فى تاريخ الطبرى وفى تفسيره ، وقد ورد اسمه « ٢٨٦ » مرة فى التاريخ ، وفى هذا العدد كفاية للحكم على منزلته فى « تاريخ الرسل والملوك » ٠

وقد ورد اسم أبى هريرة « ٥٢ » مرة وأنس بن مالك « ٤٧ »[(٣)] مرة ، وأبى ذرالغفارى وسلمان الفارسى وابن عمر عدة مرات ، ولم يرد عن أحد من الصحابة والتابعين فى تأريخ الطبرى هذا المقدار من الأسانيد التى وردت عن ابن عباس ٠

أما الموضوعات التى يتناولها ابن عباس بالبحث ، فتمكن معرفتها من قراءة هذا الخبر الذى رواه ابن سعد عن مشايخه عن عبدالله بن عتبة قال : « كان ابن عباس قد فات الناس بخصال بعلم ما سبقه وفقه فيما احتيج اليه من رأيه وحلم ونسب وتأويل ، وما رأيت احدا كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ، صلى عليه وسلم ، منه ، ولا أعلم بقضاء أبى بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه فى رأى منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ، ولا أعلم بما مضى ، ولا أثقب رأيا فيما احتيج اليه منه ٠ ولقد كان يجلس يوما ما يذكر فيه الا الفقه ، ويوما التأويل ، ويوما المغازى ، ويوما الشعر ، ويوما أيام العرب ٠ وما رأيت عالما قط جلس اليـه الا خضـع له ،وما رأيت

(١) سعيد بن أبى سعيد كيسان ، توفى سنة ١٢٥ أو ١٢٦ هـ ٠ تذكرة الحفاظ ١ / ١١٠ ، تهذيب التهذيب ٤ / ٣٨ الشذرات ١ / ١٦٣ ٠

(٢) مقدمة « وستنفلد » لسيرة ابن هشام ٠ يحيى بن سـعيد الانصارى ورد اسمه فى « ١١ » موضعا من تاريخ الطبرى ٠ كانت له كتب ٠ تهذيب التهذيب ٢٢٠/١١ ٠ تذكرة الحفاظ ١٢٩/١ ٠ شعبة بن الحجاج ورد اسمه فى مواضع متعددة من تأريخ الطبرى توفى سنة ١٦٠ هـ ٠ محدث البصرة ٠ تذكرة الحفاظ ١٨١/١ فما بعـد ٠ « أمير المؤمنين فى الحديث » الشذرات ١ / ٢٤٧ ٠

(٣) Schwally.Vol,2.P,125. 126. Goldziher muh.stud,Vol, 2.P, 147. Caetani, Annali, Vol, 1. P, 43

سائلا فعل سأله الا وجد عنده علما[١] ٠

ولا تكاد تقرأ فصلا من فصول الطبرى الا تجد فيه قولا أو أكثر لابن عباس فى الاسرائيليات وفى الشعوب العربية البائدة وفى المغازى ، ولا تكاد تقرأ كتابا من الكتب التى تبحث فى مثل هذه الموضوعات الا تجد فيها كلاما لابن عباس ، وقد نسب المحدثون اليه (١٦٦٠) حديثا من الأحاديث زعموا أن ابن عباس رواها عن الرسول ، أخرج منها البخارى ومسلم (٩٥) حديثا ، عدا الأحاديث الأخرى التى أخرجها كل واحد من المحدثين على انفراد ، ونسبوا اليه (١٠٠) حديث فى تفسير كلام الله[٢] ٠

قالوا : وكان عند كريب بن أبى مسلم مولى ابن عباس حمل بعير « من كتب ابن عباس ، فكان على بن عبدالله بن عباس اذا أراد الكتاب كتب اليه : ابعث الى بصحيفة كذا وكذا ، فينسخها ، فيبعث اليه باحداهما[٣] » ٠ وفى هذا الخبر أشارة الى أنه كان قد بدىء بتدوين أقوال ابن عباس فى أيام حياته ، وأنه ترك صحفا لورثته بعد وفاته ، غير أنه لم يرد فى الأخبار أنه صنف كتبا على نحو ما نفهم من الكتاب فى زماننا ٠

ويثير لنا هذا الخبر مشكلة عويصة ، فاذا كان ما جاء حقا من أن ابن عباس ترك صحفا تقدربحمل بعير أو أكثر من ذلك أو أقل ، فلم هذا التناقض والاختلاف الذى دونه الرواة فى مادة واحدة مثلا من أقوال ابن عباس ؟

الحقيقة هى أن الجواب العلمى المقنع عن هذا الاشكال يرضى الناقد الحديث ، أمر ليس بسهل ولا بيسير ، أكان ابن عباس مترددا فى أقواله يقول ثم يرجع عن قوله بعد ذلك أم كان ينسى أقواله فعليه تقع تبعة هذا التناقض ؟ أم كانت هذه التبعة تقع على كاهل الرواة وعلى الذين كانوا يدونون أقواله فى حلقات الدراسة التى عقدها فى البصرة أو مكة أو الطائف أو الأماكن الأخرى ؟ أم لا تقع عليه ولا على هؤلاء ، بل على السياسة التى أعرضت عن معاقبة الوضاعين الذين ظنوا أنهم يتقربون بهذا الدس من ساسة الدولة العباسية ، فدسوا عليه أكثر هذه الأقوال كما دس على الرسول وعلى خلفائه وعلى الشعراء الجاهليين والاسلاميين ؟ ٠

---

(١) الطبقات ج ٢ قسم ٢ ص ١٢٢ ، اسد الغابة ١٩٣/٣ راجع عن ابن عباس ، الدولابى ٨٢/١ ٠

(٢) الطبقات ٢١٦/٥ ، تهذيب التهذيب ٢٧٦/٤ فما بعدها ٠

(٣) طبقات ابن سعد فى ترجمة ابن عباس وأبى كريب ٠

دفعت هــذه المشــكلة « شبرنكر » « A. Sprenger » (١) الى التحامل على ابن عباس فرماه بالكذب والبهتان ، وأنا على يقين أنه لو أعمل عقله ودرس هذه الأقوال المنسوبة الى ابن عباس دراسة علمية دقيقة ، ولو فكر فى العوامل السياسية التى يمكن أن تكون هى المسؤولة أولا عن ذلك ، وهى لا تدخل فى بحثنا هذا فى زماننا ، أقول : لو فكر فى ذلك ، وتعمق فى البحث عن هذه الأسباب ، ما تسرع فى حكمه هذا الذى تخالفه أيسر قواعد الجرح والتعديل •

ترك ابن عباس وراءه عددا من الطلاب كان لهم أثر كبير فى العقلية العربية فى العصر الأموى انتشروا فى العراق والشام والحجاز وسائر الاقطار وأنشأوا كأستاذهم عدة حلقات للدراسة كان الطابع الغالب عليها هو التفسير ثم الحديث والأيام والشعر ، ولا بد لدراسة التاريخ الثقافى فى العصور الاولى للاسلام من دراسة نشاط هـؤلاء وما روى من أقوالهم ومؤلفاتهم • وقد ذكر ابن الأثير(٢) أسماء أكثرهم نذكر منهم عبدالله بن عمر ، وأنس بن مالك ، وكثير بن عباس أخا عبدالله بن عباس ، وعلى بن عبدالله بن عباس ، وعكرمة ، وكريبا ، وعطاء بن أبى رباح ، ومجاهدا ، وابن أبى ملكية ، وعمرو بن دينار ، وعبيد بن عمر ، وسعيد بن المسيب ، والقاسم بن محمد ، وعروة بن الزبير ، ومحمد بن كعب ، وطاووسا ، ووهب بن منبه ، وكعب الأحبار وسعيد بن جبير ، وأبا صالح باذام •

ولأكثر هؤلاء علاقة بتاريخ الطبرى ، فلهم فيه أقوال وروايات أخذها الطبرى عن شيوخه ، وقد سبق أن تحدثنا عن وهب بن منبه بقدر ما لوهب من علاقة بتأريخ الطبرى وعن طرق الاسناد التى وصلت الطبرى بابن منبه ، ولوهب روايات زعم أنه أخذها من ابن عباس أشك فى صحتها ، اذ كيف يعقل أخـذ وهب بن منبـه هـذه الاسرائيليات من ابن عباس ، وهو أعلم بها منه ، ولا سيما بعد ان زعم الصنعانيون وآل منبه أنه قرأ عشرات الكتب ، وانه كان عالما بأحكام الكتب السماوية وبالتوراة والتلمود والمدراش ، ولذلك نرى الجائز العكس ، يؤيد هذا ما جاء فى الروايات من أن ابن عباس كان يسأل أهل الكتاب عما كان يشكل عليه ، والظاهر أن رواة وهب بن منبه ،

---

(١) A. Sprenger in Journal of the Asiatic Society of Bengal. Vol, 25. P,72. Year 1856. Das Leben und die lehre des Muhammed III. PP, CVI–CXV. Caetani, aunali. Vol, 1. 47-51, Schwally, Vol, 2. P, 167.

(٢) أسد الغابة ٣/١٩٤ ، الاتقان ٩٠٩ فما بعدها •

أو وهب بن منبه نفسه ، هم الذين وضعوا هذه الأقوال على لسان ابن عباس لتجد لها سبيلا بين المسلمين .

وأما كعب الاحبار وروايته عن ابن عباس فمسألة فيها نظر ، وان لم تكن كذلك في نظر أهل الأخبار وفي نظر الطبري نفسه الذي ذكر له عدة من الروايات بسنده عن ابن عباس[1] . غير أني أعتقد أنه ليس هنالك دليل قوي يثبت لقاء كعب الأحبار لابن عباس .

ومن أكثر طلاب ابن عباس رواية عنه في تأريخ الطبري سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٥ للهجرة ، ومجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٣ للهجرة ، وعكرمة المتوفى سنة ١٠٦ للهجرة ، وعطاء بن أبي رباح المتوفى سنة ١١٤ للهجرة ، وأبو صالح باذام ، وعمرو بن دينار المتوفى سنة ١٢٦[2] .

فأما سعيد بن جبير الذي له روايات عدة في الطبري تارة عن ابن عباس وتارة أخرى عن غيره وأحيانا ينتهي السند اليه[3] ، فقد كان من طلاب ابن عباس النشيطين كان يحضر مجالسه ويستمع الى أسئلة الحاضرين وأجوبة ابن عباس فيكتبها في الصحف التي كان يحملها معه اذا ذهب الى ابن عباس . وكان على علم بالحساب ، ولذلك كان يسأل عن الفرائض ، وكان يجلس للناس بعد صلاة الفجر وصلاة العصر ويقص لهم كما كان يقرأ لهم القرآن . وكان قويا في الكتابة والقراءة فلذلك كان يعتمد عليه ابن عباس[4] .

استقر سعيد بن جبير بالكوفة ، وحصل على شهرة كبيرة فيها ، وحمل اليها علم ابن عباس ، فكان أهل الكوفة اذا أرادوا شيئا من حديثه عمدوا الى سعيد بن جبير ، وكانوا اذا كتبوا الى ابن عباس يسألونه حديثه ، أشار عليهم بمراجعة ابن جبير . وجلس في هذه المدينة كما جلس أستاذه في الطائف ومكة يعلم الناس ويتحدث اليهم ، ويأخذ عنهم ، ويتتبع أخبار الماضين وما ورد عند أهل الكتاب من أخبار الرسل والأنبياء والخلق . وقد كان شغف القوم بهذا الموضوع عظيما فأخذ عمن كان بها

---

(١) الطبري ٦٢/١ . الواحدي ، الأسباب ١٤١ . Schwally. 2. P, 165

(٢) الفهرست س ٥١ .

(٣) ورد اسمه في أكثر من « ٦٣ » موضعا من تأريخ الطبري .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ١٧٩/٦ فما بعد . الشذرات ١٠٨/١ فما بعدها « وكان لا يكتب الفتاوى مع تصدي ابن عباس لها . فلما عمي ابن عباس ، كتب » . تذكرة الحفاظ ٦٥/١ فما بعدها .

منهم ، ولذلك نجد له فى الطبرى أقوالا يرجع ابن جبير سندها الى اليهود ، والظاهر أنه كان يجتمع فى الكوفة فيدارسهم ويأخذ منهم هذا النوع من التاريخ ، وكان له صاحب يقال له عزرة كان يختلف الى سعيد بن جبير معه التفسير فى كتاب ومعه الدواة يغير[١] ، وقد اشتهر تفسير سعيد بن جبير ورواه عنه جماعة من الشيوخ •

ترك ابن جبير عددا من المشايخ أخذوا العلم منه ، ولا سيما علم التفسير الذى اشتهر به ، ومن هؤلاء الضحاك بن مزاحم المتوفى سنـة ١٠٥ للهجرة[٢] • أخـذ التفسير من سعيد بن جبير ، وهو بالرى[٣] • وكان له « كتـاب » يعلم فيـه القراءة والكتابة والتفسير والقصص ، ومن أشهر طلابه الذين أخذوا عنه التفسير جويبر بن سعيد البلخى ، وعلى بن الحكم ، وعبيد بن سليمان الباهلى (سلمان) ، وابو روق بن حارث ، ونهشل[٤]• فسند سعيـد بن جبير يوصـل الى سنـد ابن عباس ، وأما طرق

---

(١) ابن سعد : الطبقات ١٨٦/٦ « حكى سعيد بن جبير قال : قال يهـودى بالكوفة ــ وأنا أتجهـز للحج : انى أراك رجـلاتتتبع العلم ، فاخبرنى أى الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم ، وأنا قادم على حبر العرب (ابن عباس) فسائله عن ذلك ؛ فلما قدمت مكة ، سألت ابن عباس عن ذلك ، وأخبرته بقـول اليهـودى ، فقال ابن عباس : قضى اكثرهما وأطيبهما ، ان النبى اذا وعد لم يخلف قال سعيد : فقدمت العراق ، فلقيت اليهودى فأخبرته ، فقال : صدق ، وما أنزل على موسى والله العالم » المذاهب الاسلامية ص ٧٢ • Schwally. 2. P. 167 الطبرى ، تفسير ٤٠/٢٠ •

(٢) ابن سعد : الطبقات ٢١٠/٦ ،

(٣) « لقى سعيد بن جبير بالرى فاخـذ منه التفسـير » تهـذيب التهـذيب ٤٥٣/٤ • توفى سنة ١٠٢ هـ • الشذرات ١٢٤/١ ، وقيل : ١٠٦ هـ •

(٤) Sprenger. das Leben. Vol. 3. P. CXIII. nr. 2.

جويبر بن سعيـد الأزدى ابو القاسـم البلخى من المفسـرين ، قال يحيـى القطان : « تساهلوا فى أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم فى الحديث ، ثم ذكـر الضحاك وجويبرا ومحمد بن السائب وقال : هؤلاء لا يحمـل حـديثهم ، ويـكتب التفسير عنهم • » • « جويبر بن سعيد : كن من أهل بلخ ، وهو صاحب الضحاك، وله رواية ومعرفة بأيام الناس ، وحاله حسن فى التفسير ، وهولين فى الرواية • مات بين ١٤٠ ــ ١٥٠ تهذيب التهذيب ١٢٤/٢ •

على بن الحكم البنانى ابو الحكم البصرى ، توفى سنة ١٣٠ ، أو ١٣١ هـ أو ١٣٥ هـ • تهذيب التهذيب ٣١١/٧ •

عبيد بن سليمان الباهلى مولاهم ، أصله من أهل الكوفة ، سكن مرو ، روى عن الضحاك بن مزاحم • تهذيب التهذيب ٦٧/٧ •

ابو روق عطية بن الحـارث الهمذانى الـكوفى صاحب التفسـير ، تهـذيب التهذيب ٢٢٤/٧ وقد ورد اسمه فى « ٤٦ » موضعا من تأريخ الطبرى •

نهشل بن سعيد بن وردان الوردانى أبو سعيد ، ويقال أبو عبدالله الخراسانى النيسابورى ، ويقال الترمذى • ليس بثقة ، كذاب ، ولا يكتب حديثه ، روى عن الضحاك الموضوعات • تهذيب التهذيب ٤٧٩/١٠ •

الاسناد التي وصلت الطبري بسعيد بن جبير ، فهي طريق سفيان بن وكيع بن الجراح الرؤاسي أبي محمد الكوفي المتوفى سنة ٢٤٧ للهجرة ، وقد أكثر الطبري من الرواية عنه فكان يقول : « حدثنا ابن وكيع » في الغالب ، وفي الاحايين : « حدثنا سفيان بن وكيع » . وهو ابن وكيع بن الجراح بن مليح بن عدى بن فرس بن جمجمة الرؤاسي الكوفي المتوفى سنة ١٩٧ للهجرة .[١] وهو من أصحاب الحديث والاخبار لهمؤلفات في التأريخ . وقد أخذ عن جماعة من مشاهير علماء الحديث في عصره مثل اسماعيل بن أبي خالد وهشام بن عروة وعبدالله بن عون وابن جريح والاوزاعي الفقيه البيروتي الشهير وسفيان الثوري واسرائيل وشعبة ، وهم ممن ترد أسماؤهم في طرق الاسناد عند الطبري . وقد نقل عنه جماعة ، منهم : ابنه سفيان بن وكيع شيخ الطبري ، وعبدالله ابن المبارك ، ويحيى بن آدم ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلى بن المديني ، وأبو خيثمة زهير بن حرب ، وأبو بكر وعثمان ابنا شيبة ، وعباس بن غالب الوراق ، ويعقوب الدورقي ،[٢] وغيرهم من مشاهير المحدثين والمؤرخين .

استغل الوراقون شهرة سفيان بن وكيع فصاروا ينحلونه الكتب وينسبونها اليه استغلالا لشهرته[٣] .ويتصل سنده بسعيدبن جبير بطرق كثيرة ، مثل طريق والده عن شيخه سفيان بن عيينة بن أبي عمران أبي محمد المتوفى سنة ١٩٨ للهجرة[٤] . وكان من محدثي الكوفة ، فانتقل الى مكة وأقام بها ، وسمع من محدثي الحجاز فأصبح من أعلم الناس بحديث أهل الحجاز ، حتى قيل : ان الامام الشافعي قال : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز[٥] . كما كان من كبار المفسرين ، أخذ علم التفسير عن صالح بن كيسان وعمرو بن دينار والزهري ، وله كتاب في التفسير . وعن طريق هؤلاء اتصل سند ابن عيينة بابن عباس[٦] .

حدث سفيان بن عيينة عن نفر عدهم العلماء من أشهر المحدثين

---

(١) المعارف ص ٢٢١ ، الفهرست ٣١٧ ، ولد سنة ١٢٩ للهجرة تذكرة الحفاظ ٢٨٢/١ . الشذرات ٣٤٩/١ .

(٢) تاريخ بغداد ٤٩٦/١٣ .

(٣) تهذيب التهذيب ١٢٣/٤ .

(٤) تجد ترجمة سفيان بن عيينه المولود سنة ١٠٧ هـ الذي هاجر الى مكة سنة ٦٣ للهجرة ، في كتاب المعارف ص ٢٢١ وتهذيب التهذيب ١١٧/٤ . من رواة الزهري « قال ابن وهب لا أعلم احدا أعلم بالتفسير من ابن عيينة » الشذرات ٣٥٤/١ .

(٥) تذكرة الحفاظ ٢٤٢/١ .

(٦) الفهرست ص ٣١٦ .

مثل الأعمش وابن جريج وشعبة . والواقع هو أن هؤلاء وأمثالهم كقتادة ويحيى بن أبى كثير وأبى اسحاق السبيعى قد قاموا بخدمة عظيمة لعلم الحديث ، لأنهم سهروا فى جمعه ، واشتغلوا بترتيبه ، فكانوا ممهدى الجادة لمن جاء من بعدهم .

أما الأعمش ، وهو سليمان بن مهران أبو محمد الاسدى الكوفى المتوفى بين ١٤٥ ـ ١٤٨ للهجرة[١] ، فقد كان من كبار رواة مجاهد بن جبر العالم المشهور بالتفسير ومن تلامذة ابن عباس ، ومن الرواة عن المنهال بن عمرو الأسدى الكوفى أحد الرواة عن أنس وسعيد بن جبير ومجاهد بن جبر ، وعبدالرحمن بن أبى ليلى والشعبى وغيرهم من مشاهير المحدثين والمفسرين فى الكوفة .

واما ابن جريج ، فهو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج المتوفى سنة ١٥٠[٢] . مولى الأمويين ، وأصله من الروم . وقد تحدث عن جماعة ، منهم : الزهرى ، وأبوه ، ومجاهد ، وعطاء بن أبى رباح ، ونافع ، وعكرمة ، وصالح بن كيسان ، وعمرو بن دينار . وأدرك صغار الصحابة ، وتحدث عنه جماعة من علماء الحديث والتفسير فى الحجاز والشام والعراق ، مثل سفيان بن عيينة الذى تحدثنا عنه ، وسفيان بن سعيد بن مسروق الثورى من فقهاء الكوفة ومحدثيهم المتوفى سنة ١٦١[٣] ومن « بنى ثور » النازلين فى الكوفة ، وكان الخليفة المهدى ناقما عليه ، لأنه لم يكن يجاريه ، ولأنه كان جريئا فى الحق ، فكان يجاهر برأيه فاضطر الى الهرب الى البصرة والتخفى فيها الى أن مات . وقد ترك كتبه لعمار بن سيف ، والظاهر أنه خاف من حيازة هذه الكتب فمحاها وأحرقها[٤] .

كان ابن جريج من العلمـاء المؤلفين ، ذكر ابن النديم أسماء كتب له ألفهـا فى الفقه[٥] . وذكر المترجمون أنه أول من صنف الكتب بالحجاز أو أول من صنف الكتب فى الاسلام ، وذكروا معه ابن أبى عروبة[٦] . على أنه أول من صنف بالعراق ، وذكروا أنه كان قد ألف كتبا ، وكانت مجموعة منها عند خالد بن نزار الأبلى[٧] . وقد كتب هو

---

(١) تذكرة الحفاظ ١٤٥ « وكان محدث الكوفة وعالمها » الشذرات ١/٢٢٠ ـ ٢٢١.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/١٦٠ ، الشذرات ١/٢٢٦ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١/١٩١ فما بعدها . ولد سنة ٩٧ للهجرة . « أمير المؤمنين فى الحديث » الشذرات ١/٢٥٠ .

(٤) الفهرست ٣١٤ ـ ٣١٥ « كتاب السنن » .

(٥) الفهرست ٣١٦ .

(٦) تذكرة الحفاظ ١/١٦١ . الشذرات ١/٢٢٦ .

(٧) تذكرة الحفاظ ١/١٦١ . خالد بن نزار بن المغيرة بن سليم الغسانى مولاهم الأبلى ، مات سنة ٢٢٢ هـ على رواية ابن سعد تهذيب التهذيب ٣/١٢٣ .

نفسه عن كتب الزهري[١] . والظاهر أنه كان من المكثرين في تصنيف الكتب الضخمة المبوبة ، فقالوا فيه : انه كان أول من ألف كتابا ، كما قالوا عن معاصره وزميله في الحديث والفقه سعيد بن أبي عروبة البصري المتوفى سنة ١٥٦ هـ : انه أول من صنف الكتب ، وقصدهم بذلك أول من صنف الابواب في البصرة[٢] . وقد كان كابن جريج صاحب أثر كبير في بلدته البصرة حيث تخرج عليه عدد كبير من طلاب العلم أصبحوا فيما بعد من أشهر علماء هذه المدينة .

وكان شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي المتوفى سنة ١٦٠ للهجرة[٣] محدث البصرة ، هو من أهل واسط ، درس في الكوفة فجمع بين علم الكوفة والبصرة ، وتخرج على يديه السختياني المحدث الشهير ، وابن اسحاق وهو من مشايخه أيضا ، وسفيان الثوري ، وغندر ، وأمثالهم . وكان يختلف عن بقية المحدثين في ميله الى دراسة الشعر حتى قال عنه الأصمعي : « لم نر أحدا قط أعلم بالشعر من شعبة[٤] » .

ويتصل سند الأعمش بالمنهال بن عمرو الأسدي الكوفي من رواة أنس بن مالك ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد بن جبر ، وعبدالرحمن بن أبي ليلى المتوفى سنة ٨٢ أو ٨٣[٥] من علماء الكوفة بالفقه ومن الذين خرجوا على الحجاج مع ابن الأشعث[٦] .

كان أثر ابن جبير في الكوفة كبيرا ، وكذلك أثر سائر تلامذة ابن عباس ، فأصبحت هذه المدينة التي اشتهرت بالعربية والأخبار والحديث من أشهر المدن بعلم التفسير ولاسيما التفسير المأثر بطريقة ابن عباس ، وقد كان في مقدور تلامذة ابن جبير وحدهم خلق جو علمي ، فكيف بتلامذة ابن عباس الآخرين ؟ وسرعان ما ظهرت في الكوفة طبقة من المفسرين قصدها الناس من سائر أنحاء الخلافة ، حتى من العاصمة التي أراد المنصور مؤسسها أن يجعلها تتفوق على هذه المدينـة التي لم يكن مزاجهـا السياسي يلائم مزاج المنصور والعباسيين .

(١) تهذيب التهذيب ٦/٤٠٢ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١/١٦٧ . الشذرات ١/٢٣٧ « شيخ البصرة وعالمها ، وأول من دون العلم بها » .

(٣) التذكرة ١/١٨٥ . « لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق » . الشذرات ١/٢٤٧

(٤) التذكرة ١/١٨١ .

(٥) عبدالرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الفقيه الكوفي . الشذرات ١/٩٢ . تهذيب التهذيب ٦/٢٦١ . تذكرة الحفاظ ١/٥٥ .

(٦) تذكرة الحفاظ ١/٥٥ .

لقى الكوفيون اضطهادا عنيفا من الحجاج دفع العلماء منهم والمثقفين الى الانضمام الى حركة ابن الاشعث ، فكان من بينهم ابن جبير وتلامذته ، ولكن الحركة لم تنجح ، بل كان نصيبها الاخفاق ، فحكم على ابن جبير بالقتل ، وقتل جماعة من الفقهاء والقراء والمحدثين والمفسرين • وكانت هذه الحركة فى الواقع نكبة من النكبات المؤسفة التى حلت بالعلم ، ونكسة من النكسات التى نزلت بتأريخ الثقافة فى العراق أثرت على حرية الرأى وجعلت الجو العلمى خاضعا لرقابة السياسة الصارمة التى لم يكن لها هدف أو اتجاه •

ومن تلامذة مدرسة ابن عباس مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكى المتوفى بين سنتى ١٠٠ ـ ١٠٤هـ[١] ، وكان من ملازميه مدة طويلة ، عرض القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات من أوله الى آخره يوقفه عند كل آية منه ويسأله عنها عن وقت نزولها وأسباب النزول ، فيحفظ ذلك ، ويدونه ، حتى تكون من ذلك تفسيره • وقد مدح تفسيره هذا ، وقيل عنه : انه من أعلم الناس بالتفسير ، وقيل : انه أضاف الى التفسير الذى أخذه من ابن عباس شيئا أخذه من صحيفة جابر وما أخذه من أهل الكتاب[٢] •

والظاهر أنه ترك كتابا فى التفسير أجاز بروايته لجماعة منهم حميد بن قيس وابن أبى نجيح ، وقد نقله عنه أبو روق وعيسى بن ميمون[٣] ، كما أخذ منه عطاء وعكرمة وابن

(١) تذكرة الحفاظ ٨٦/١ ، تفسير الطبرى ٣١/١ ، المذاهب الاسلامية ص ٧٣ ، ابن سعد ، الطبقات ٣٤٣/٥ • Schwally 2. P. 167

(٢) « عن ابن أبى مليكة قال : رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه ، فيقول له ابن عباس : أكتب • قال : حتى سأله عن التفسير كله • » تفسير الطبرى ٣١/١ « القاهرة سنة ١٣٢٣ مطبعة بولاق » • « عن مجاهد قال : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، من فاتحته الى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها » الشذرات ١٢٥/١ •

(٣) حميد بن قيس الأعرج المكى أبو صفوان القارىء الأسدى مولاهم ، مات سنة ١٣٠ هـ • تهذيب ٤٧/٢ •

عبدالله بن أبى نجيح المكى المفسر صاحب مجاهد كان مولى لبنى مخزوم ، مات سنة ١٣١ هـ • الشذرات ١٨٢/١ « كان سفيان يصحح تفسير ابن أبى نجيح » ، « قال يحيى بن سعيد لم يسمع ابن أبى نجيح التفسير من مجاهد » ، « قال القطان : لم يسمع التفسير كله من مجاهد ، بل كله عن القاسم بن أبى بزة ، وهو نظير ابن جريج فى كتاب القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى التفسير ، ورويا عن مجاهد من غير سماع » • تهذيب التهذيب ٥٤/٦ •

أبو روق عطية بن الحارث الهمدانى الكوفى صاحب التفسير •

عيسى بن ميمون الجرشى المكى أبو موسى المعروف بابن داية ، وهو صاحب التفسير • تهذيب التهذيب ٢٣٥/٨ •

عون وعمرو بن دينار وأبو اسحاق السبيعى وقتادة والأعمش وغيرهم ، ويتصل سند الطبرى بهم وبأستاذهم عن طريق سفيان بن وكيع عن أبيه وكيـع عن خصيف بن عبدالرحمن الجزرى أبى عون الحضرمى الحرانى الذى روى عن مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير[١] .

لقد كان كل واحد من هؤلاء مدرسة متنقلة همها الحديث والتفسير والفقه ، فعطاء بن أبى رباح المتوفى سنة ١١٤ أو ١١٥ للهجرة[٢] ، هو من تلامذة ابن عباس ومفتى مكة ومحدثها ، وقد تخرج عليه جماعة من أشهر الفقهاء والمحدثين أخذوا علمه ونشروه فى الآفاق فكان منهم من نشره فى الحجاز ، ومنهم من نقله الى اليمن ، ومنهم من أصدره الى الشام أو العراق ، يكفى لذلك أن تعلم أن من بينهم أمثال ابن جريج ، والأوزاعى فقيه الشام وصاحب النظريات المهمة فى الفقه الذى قال عنه المستشرقون انه كان حلقة وصل بين فقه الرومان وفقه الاسلام ، وأبى حنيفة صاحب المذهب المعروف فى الفقه وممثل أهل العراق فى النقد واستعمال الرأى والقياس ، وجرير بن حازم المتوفى سنة ١٧٥ للهجرة محدث البصرة وعالمها الشهير[٣] ووالد وهب بن جرير بن حازم المتوفى سنة ٢٠٦ للهجرة[٤] المحدث الذى ينقل عنه المؤرخون كثيرا من الاقوال مثل أبى خيثمة وابنه ابن ابى خيثمة المؤرخ وصاحب مؤلف مهم فى التأريخ ، والبلاذرى[٥] ، و الطبرى[٦] ، وغيرهم من المؤرخين .

وأما عكرمة المتوفى بين ١٠٥ - ١٠٧ هـ ، فقد نعت بالحبر العالم[٧] وقيل عنه انه « أعلم الناس بالتفسير » ، وزعم أنه قال « طلبت العلم أربعين سنة ، وكان ابن

(١) تذكرة الحفاظ ١٨٦/١ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات حـ ٢ قسم ٢ ص ١٣٣ ، ٥/ص ٣٤٤ - ٣٤٦ تذكرة الحفاظ ٩٢/١ . الشذرات ١٤٧/١ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١٨٦/١ ، تهذيب التهذيب ٦٩/٢ فما بعدها .

(٤) تذكرة الحفاظ ٣٠٧/١ ، الشذرات ١٦/١ ؛ وقد ورد اسمه فى « ٢٤ » موضعا من تاريخ الطبرى .

(٥) أنساب الأشراف ج ٤ القسم الثانى ، وقد ورد اسم وهب بن جرير فى مواضع كثيرة من الكتاب ، راجع « فهرست الأعلام » ص ٣٠ والجزء الخامس « فهرست الأعلام » ص ٤٢٨ .

(٦) فهرست تاريخ الطبرى ص ٦٣٠ .

(٧) ابن سعد الطبقات ٢١٢/٥ فما بعدها ، تذكرة الحفاظ ٨٩/١ .

عباس يضع الكبل فى رجلى على تعلم القرآن والسنن[(١)] « . بل زعم أن أبا الشعثاء كان يقول : « هذا عكرمة مولى ابن عباس ، هذا أعلم الناس » . وزعم أن الشعبى قال عنه: « ما بقى أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة[(٢)] » . ولا يخلو هذا الكلام من مبالغة حقا ، فهو من النوع المألوف الذى يرد ذكره فى حق كثير من الرجال ، وفى حق نفر من تلامذة ابن عباس . وقد صدر مثل هذا فى حق أناس كان يرضى عنهم الشعبى ، فيكيل لهم هذا الكيل ، تجده فى كتب التراجم والطبقات . ولم ينج الرجل مع كل هذا من الاتهام ، وأكثر من اتهمه هم من جماعة ابن عباس ، اتهموه بالكذب على ابن عباس وباستغلال صلته به[(٣)] . والواقع أن هذا النوع من الطعن هو من النوع المألوف كذلك . وتدل قرائن الأحوال فى أكثر الأحيان على أن الطاعنين لم يكونوا على صواب فى نقدهم هذا ، وأنهم كانوا يقومون به بدافع من العواطف الانسانية التى لاينجو منها الانسان . وأما اهانة عبدالله بن عباس له ، فالظاهر أن مبعثها سوء العلاقات التى كانت بين الاثنين ، حتى أن على بن عباس باعه فى الأسواق ، ثم ندم على ذلك وأعتقه[(٤)] .

طاف عكرمة فى أماكن كثيرة ، فزار البصرة وحدث فيها وترك له فيها جماعة من العلماء ، وزار سمرقند ، وقد ضاقت حاله ولم يكن يملك شيئا ، ونجد له جملة أحاديث ترجع أكثرها الى ابن عباس ذكرها الطبرى فى تاريخه أخذها من جملة مشايخ منهم : أحمد بن أبى خيثمة زهير بن حرب بن شداد المتوفى سنة ٢٩٩ للهجرة[(٥)] وكان من المحدثين والمؤرخين ، ألف كتابا فى التاريخ اتبع فيه طريقة أهل الحديث فى ذكر السند ، أى على الطريقة التى اتبعها الطبرى . وقد مدح المؤرخون هذا الكتاب وأتوا

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٩٠ ، ابن سعد : الطبقات ٢ قسم ٢ ص ١٣٣ و٥/ ٢١٢ « كان ابن عباس يجعل فى رجلى الكبل يعلمنى القرآن ويعلمنى السنة » .

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٩٠ ، الشذرات ١/ ١٣٠ . Schwolly, Vol, 2. P, 167

(٣) المذاهب الاسلامية ص ٧٤ .

ياقوت : الارشاد ٥/ ٦٢ . « قال عبدالله بن أبى الحارث : دخلت على على بن عبدالله بن عباس ، وعكرمة موثق على باب كنيف ، فقلت : اتفعلون هذا بمولاكم ؟ فقال : ان هذا يكذب على أبى » ابن خلكان ١/ ٤٠٢ « وقد تكلم الناس فيه لأنه كان يرى رأى الخوارج » .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ٥/ ٢١٢ ، ابن خلكان وفيات الأعيان ١/ ٤٠٢ ياقوت ارشاد الأريب ٥/ ٦٣ .

(٥) ولد سنة ٢٠٥ للهجرة . تذكرة الحفاظ ٢/ ١٥٦ ، لسان الميزان ١/ ١٧٤ ، ارشاد الأريب ١/ ١٢٨ ، تاريخ بغداد ٤/ ١٦٢ ، الفهرست ص ٣٢١ ، له من الكتب كتاب أخبار الشعراء . وكتاب المتيمين من الأعراب . الشذرات ٢/ ٨٠ ، توفى والده ابو خيثمة زهير بن حرب الشيبانى سنة ٢٣٤ هـ . وله مصنفات .

عليه ، والظاهر أنه فى التأريخ العام من الخليقة الى أيامه ، وكان لايرويه الا على الوجه ، وقد سمعه منه جماعة من الشيوخ ولم يكن يسمح لأحد بروايته الا اذا قرأه عليه وأجازه به .

أخذ ابن أبى خيثمة علم الحديث من أبيه زهير بن حرب[١] ، وعن يحيى بن معين المحدث الشهير ، وأحمد بن حنبل ؛ وأخذ علم النسب عن مصعب بن عبدالله بن مصعب ابن الزبير المتوفى سنة ٢٣٣ للهجرة الشاعر الراوية الاديب المحدث ، وهو صاحب كتب ومؤلفات فى النسب ، مثل كتب النسب الكبير ، وكتاب نسب قريش[٢] . وهو من أسرة عرفت بعنايتها بالأخبار والنسب والمغازى ، وهو عم الزبير بن بكار أبى عبدالله الزبيرى المتوفى بمكة سنة ٢٥٦ للهجرة صاحب مؤلفات عدة فى الاخبار والنسب والأدب ذكر أسماءها ابن النديم[٣] . وأخذ الأدب عن الأديب المعروف محمد ابن سلام الجمحى[٤] ، وأيام الناس عن أبى الحسن على بن محمد المدائنى المتوفى سنة ٢١٥ أو ٢٢٥ هـ المؤرخ الشهير الذى اعتمد عليه أكثر المؤرخين ، ذكر ابن النديم كتبه ، وهى كثيرة[٥] . وسنتحدث عنه .

وأخذ ابن أبى خيثمة عن موسى بن اسماعيل التبوذكى المنقرى البصرى المتوفى سنة ٢١٣ للهجرة[٦] ، وهو من تلاميذ داوود بن بكر ابن أبى الفرات من المحدثين[٧] ومن رواة علباء بن أحمر اليشكرى البصرى[٨] الذى حدث عن أبيه أحمر بن جزء اليشكرى[٩] وعن عكرمة عن ابن عباس .

---

(١) توفى سنة ٢٣٤ للهجرة . له من الكتب : كتاب المسند ، كتاب العلم . الفهرست ص ٣٢١ . وقد ورد اسمه فى أكثر من « ٢٣ » موضعا من تاريخ الطبرى على أنه « زهير بن حرب بن شداد الحرشى أبو خيثمة » ، ولد سنة « ١٦٠ » ، تهذيب التهذيب ٣٤٢/٣ فما بعدها .

(٢) الفهرست ١٦٠ ، ابن خلكان ، الوفيات رقم ٢٦٦ – ٢٦٧ ، ٤٢٧ ، Brockelmann, Suppl, Vol, I.P, 212.

(٣) الفهرست ص ١٦٠ – ١٦١ ، تأريخ بغداد للخطيب ٤٦٧/٨ ، ٤٧١ . ياقوت الارشاد ٢١٨/٤ ، تذكرة الحفاظ ٩٩/٢ . اليافعى ، المرآة ١٦٧/٢ « ذكر له صاحب الفهرست ٣٣ مؤلفا » زيدان : تأريخ آداب اللغة العربية ١٩٤/٢ ، ابن خلكان : الوفيات ١٨٩/١ ، توجد بعض مؤلفاته فى خزائن الكتب .

(٤) ارشاد الأريب ١٢٨/١ : أبو عبدالله محمد بن سلام الجمحى البصرى ، المتوفى سنة ٢٣٢ هـ . زيدان ١٠٨/٢ ، الفهرست ١٦٥ .

(٥) الفهرست ١٤٧ .

(٦) تذكرة الحفاظ ٣٥٧/١ .

(٧) تهذيب التهذيب ١٨٠/٣ .

(٨) تهذيب التهذيب ٢٧٣/٧ .

(٩) ويقال أحمد بن سواء بن جزء ، ويقال ابن شهاب بن جزء بن ثعلبة . تهذيب التهذيب ١٩٠/١ .

وكان زهير بن حرب بن شداد المتوفى سنة ٢٣٤ للهجرة[١] والد أحمد بن زهير من مشاهير المحدثين ، كما كان من المؤرخين وأصحاب العلم بالأخبار ، وهو من جملة من اعتمد عليهم أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى فى كتابه « أنساب الأشراف »[٢] .
وسند زهير فى البلاذرى وهب بن جرير بن حازم الذى سبق أن تحدثنا عنه .

وأخذ الطبرى سنده عن عكرمة عن عالم من علماء الكوفة ورد اسمه كثيرا فى هذا القسم من تأريخ الطبرى ، وأعنى به محمد بن العلاء بن كريب الكوفى الحافظ أبا كريب المتوفى سنة ٢٤٧ أو ٢٤٨ للهجرة .[٣] وهو من رؤساء أهل الحديث والأخبار فى الكوفة فى زمانه . وكان يقصده المحدثون للأخذ منه ، وقد قصده الطبرى عند دخوله الكوفة مع جماعة من طلاب العلم ، وبعد أن تحقق أبو كريب مقدرة أبى جعفر فى العلم أجازه بالرواية عنه . وتتصل سلسلة اسناده بعدد كبير من المحدثين الذين كانوا فى أيامه كأبى معاوية الضرير ، والأعمش ، وعثمان بن سعيد ، وبشر بن عمارة ، ويحيى بن يعلى المحاربى ، ويحيى بن عيسى . وقد أجازه هؤلاء بالتحديث عن مشايخهم ، مثل : اسرائيل بن يونس بن أبى اسحاق السبيعى الهمدانى أبى يوسف الكوفى المتوفى سنة ١٦٠ أو بعد ذلك بسنة أو سنتين[٤] ، وهو من المحدثين المشاهير روى عن جده أبى اسحاق السبيعى ، وسماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهبى البكرى أبو المغيرة الكوفى المتوفى سنة ١٢٣ للهجرة ، من رواة الكوفة ممن أخذ عن عكرمة فى التفسير ومن العلماء بالشعر وبأيام الناس ، ويتصل سنده بعكرمة ومن عكرمة بابن عباس[٥] .

وفى تضاعيف القسم الأول من تأريخ الطبرى روايات أخرى أخذها الطبرى من أبى كريب عن مختلف مشايخه ، ذكر أسماءهم الطبرى ، تصل أسانيدها الى رجال رووا عن ابن عباس[٦] . ويدل ورود اسمه فى مواضع متعددة من هذا القسم على أن أبا كريب كان من المعنيين بهذا النوع من الأخبار .

ومن رواة ابن عباس النشيطين فى التفسير أبو صالح باذان ، ويقال باذام مولى

---

(١) تهذيب التهذيب ٣/٣٤٢ ــ ٣٤٣ .

(٢) أنساب الأشراف ، طبع الجامعة العبرية بالقدس ، القسم الثانى من الجزء الرابع ص ٢٣ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٥٨ ، ٨٨ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، جـ ٥ ص ١٠١ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ٢٥٠ ، ٢٧١ ، ٣٠٣ ، ٣٣٢ ؛ ٣٣٣ .

(٣) تهذيب التهذيب ٩/٣٨٥ ، ١٢/٢١٢ . ويرد اسمه كثيرا فى تفسير الطبرى .

(٤) تهذيب التهذيب ١/٢٦١ .

(٥) تهذيب التهذيب ٤/٢٣٢ .

(٦) الطبرى ١/٩٤ ، ١٤٢ ، ١٨٥ ، ٢٣٣ .

أم هانىء بنت أبى طالب • وكان يعلم الصبيان ، واشتغل بالتفسير ، وكان له فيه كتاب رواه عن ابن عباس ، وقد رواه عنه محمد بن السائب الكلبى وهو نفسه من المفسرين • وقد روى عن أبى صالح ـ الاعمش ، واسماعيل السدى ، واسماعيل بن أبى خالد ، وعاصم ، وأبو قلابة ، وسفيان الثورى ، وسماك بن حرب[١] ، وغيرهم من رجال هذه الطبقة التى زاولت الحديث والتفسير ورواية الأخبار •

وقد دون الطبرى قطعا من روايات أبى صالح عن ابن عباس ، أخذها فى الغالب عن طريق شيخه الحارث بن محمد بن أبى أسامة التيمى المتوفى سنة ٢٨٢ للهجرة صاحب المسند ، وكان من الحفاظ المحدثين وقد سمع يزيد بن هارون ، وعلى بن عاصم، وعمر بن شبة البصرى ، وابن سعد ، والواقدى ، وابن المدائنى ، والقعنبى ، وهدية ، وغيرهم من المحدثين والمؤرخين[٢] •

ويرد اسم الحارث بن محمد فى مواضع كثيرة من الطبرى ، وأكثر أخباره عن ابن سعد صاحب الطبقات الشهير عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى عن أبيه عن أبى صالح باذام عن ابن عباس[٣] • وقد يتحدث عن مجاهد بن جبر عن الحسن عن ورقاء عن ابن أبى نجيح فمجاهد[٤] ، أو عن عبدالعزيز عن سفيان عن رجل آخر عن مجاهد[٥] •

برزت الكوفة فى هذه العلوم التى تحدثنا عنها ، وكان لها صلة بتأريخ الطبرى ، وقد اشتهر من مفسرى الكوفة عالمان هما السدى والكلبى ، وكلاهما صنف تفسيرا ، وكلاهما كان موضع شك وريبة فى نظر العلماء ، وقد اشتهر بينهم هذا القول : « كان بالكوفة كذابان : السدى ، والكلبى[٦] » • لكن على الرغم من هذا التحذير أدخل الطبرى فى تفسيره وفى تأريخه طائفة من أقوالهما ، دون أن يلتفت الى مواطن الشبهات ، وربما كان عذره فى ذلك أنه لم ينقل عنهما فى المواضع التى تتعلق بالأحكام • والواقع أن الطبرى غريب فى مثل هذه التصرفات ، فهو قد آثر الرواية لمصنف « سيف » المنحول على مصنف الواقدى بسبب ما حام حول الواقدى من شبهة بين المحدثين[٧] •

عرف السدى الكبير اسماعيل بن عبدالرحمن بن أبى كريمة أبو محمد القرشى الكوفى

(١) ابن سعد ، الطبقات ٦/٢٠٧ ، تهذيب التهذيب ١/٤١٦ ، المعارف ص ٢١٠ •
(٢) ميزان الاعتدال ١/٢٠٥ ، تاريخ بغداد ٨/٢١٨ ، تذكرة ٢/١٧٦ •
(٣) الطبرى ١/٦٠ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٧٦ •
(٤) الطبرى ١/١٦٨ •
(٥) الطبرى ١/١٨١ •
(٦) تهذيب التهذيب ١/٣١٣ •
(٧) دائرة المعارف ص ٤٩٣ (الترجمة العربية) مادة تاريخ •

الأعور المتوفى سنة ١٢٧ للهجرة بسعة علمه بتفسير كتاب الله ، وكان أحد ثلاثة اشتهروا في هذه المدينة بالتفسير : الشعبى ، ومحمد بن السائب الكلبى ، وهو . وقد اختلف أصحاب الحديث والاخبار فى أمره ، هذا يضعفه ويقول : لايصح الأخذ منه ، وهذا يقويه ويقول : انه ثقة صدوق ، مأمون ، أعلم بالقرآن من الشعبى . والطبرى من الفريق الاول يروى أنه قال : لايحتج بحديثه[1] . ومع ذلك فقد أخرج هو وابن أبى حاتم وغيرهما فى تفاسيرهم تفسير السدى مفرقا فى السور من طريق اسباط بن نصر عنه[2] . ويعد أسباط بن نصر الهمدانى أبو يوسف أو أبو نصر الراوية الاول للسدى ، وهو نفسه من رواة أهل الكوفة المعروفين ، الذين لم ينجوا من نقد النقاد . وقد وردت أكثر روايات السدى فى تاريخ الطبرى عن طريقه ، وهى فى الاسرائيليات ،روى عنه رواة أكثرهم من مدرسة الكوفة ، مثل : أحمد بن المفضل الحضرى الكوفى ، وعمرو بن حماد القناد ، وأبى غسان النهدى ، ويونس بن بكير ، وعبدالله بن صالح العجلى[3] . وأنشط هؤلاء رواية عنه عمرو بن حماد بن طلحة القناد أبو محمد الكوفى المتوفى سنة ٢٢٢ للهجرة[4] شيخ موسى بن هارون الكوفى المتوفى سنة ٢٩٤ للهجرة[5] راوية أخبار السدى ومسندها الى الطبرى ، وابراهيم بن الحكيم بن ظهر الفزارى أبو اسحاق صاحب تفسير السدى[6] وهنالك شيخ آخر من مشايخ الطبرى نقل أقوال السدى اليه هو محمد بن الحسين من رواة أحمد بن المفضل بن القرشى الأموى الكوفى الحضرى المتوفى سنة ٢١٤ أو ٢١٥ هـ . وهو من رواة أسباط والثورى واسرائيل . ولكن موسى بن هارون هو المرجع عند الطبرى على غيره فى رواية أقوال السدى التى قد تنتهى به وتنقطع ، فيكون ذلك رأى السدى نفسه ، وقد تستمر حتى تتصل بابن عباس، وحينئذ يقترن السند بسند آخر يتصل بعبدالله بن مسعود ، فيكون السند على هذا المنوال

(١) تهذيب التهذيب ٢١١/١ ، لسان الميزان ٨٢/١ ، السمعانى ، الأنساب ، ورقة ٢٩٤ ب ، الذريعة الى تصانيف الشيعة ، محمد محسن المعروف بأغابزرك الطهرانى ٢٧٦/٤ ، تاريخ بغداد ٢٩٣/٣ .

(٢) أعيان الشيعة ١٤/١٢ .

(٣) تهذيب التهذيب ٢١١/١ ، لسان الميزان ٨٢/١ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ٢٨٥/٦ ، صاحب تفسير أسباط بن نصر ، تهذيب التهذيب ٢٢/٨ .

(٥) تذكرة الحفاظ ٢١٧/٢ .

(٦) الطوسى ، الفهرست ص ٤ .

« حدثني موسى بن هارون قال حدثني عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن عبدالله بن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم[1] » .

أما الكلبي الذي طعن فيه وكان صاحب اطلاع واسع ليس في التفسير حسب ، بل في الايام والانساب والاحداث وتأريخ العراق خاصة ، وهو محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ هـ[2] ، فقد استمد مادة التفسير من تلامذة ابن عباس . وتختلف طريقة الاسانيد المتبعة في مخطوطة التفسير المنسوبة لابن الكلبي الموجودة في مكتبة برلين عن طريقة الاسناد المألوفة عن ابن الكلبي ، وتحتاج النسخة المطبوعة من التفسير والمنسوبة اليه الى دراسة ، فلعلها لغيره . واكثر ظني أنها ليست له لوجود اختلاف بين هذا المطبوع والنصوص المقتبسة من تفسيره المبثوثة في أثناء الكتب الاخرى . وراوي هذا التفسير هو محمد بن مروان بن عبدالله بن اسمعيل المعروف بالسدي الصغير المتوفى سنة ١٨٦هـ[3] حفيد السدي الكبير ، وكان من الملازمين للكلبي والمرافقين له حتى قيل له محمد بن مروان الكلبي[4] . وقد حصل على شهرة واسعة في علم التفسير ، ولهذه الشهرة استقدمه سليمان بن علي الى البصرة وأجلسه في داره فجعل يملي على الناس القرآن آية آية حتى أتم التفسير[5] . وكان له ولد يقال له « العباس » روى عنه ، وقد أكثر البلاذري[6] من الرواية عن العباس ، وكذلك أصحاب التأريخ والاخبار . فأما الطبري فقد اكتفى بالاخذ عن هشام .

وسند السدي عن الكلبي ضعيف عند العلماء ، لعدهم أن سلسلة « السدي عن

---

(١) الطبري ١/٢٠ ، ٢٤ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ١٣٠ ، ١٩٨ ، ٢١٨ ، ٢٣٧ . ومواضع أخر .

(٢) عن ابن الكلبي : الفهرست ص ٩٥ (طبعة فلوكل) ابن سعد ، الطبقات ٦/٢٤٩ ، السيوطي ، الاتقان ٩١٦ .

Schwally 2 P, 171. Ency. of Islam, Vol, 2. P, 689.

(٣) الذريعة ٤/٢٧٦ ، ٢٤٤ . عن نسخ تفاسير ابن الكلبي المخطوطة ببرلين ، راجع Brockelmann Vol, 1. P, 190. Sprenger. 404 المطبوع بمدينة « بمبي » سنة ١٣٠٢ . توجد نسخ منه في مكتبات الاستانة . Schwally 2 P,171.

(٤) تأريخ بغداد ٣/٢٩٣ .

(٥) الفهرست ١٣٩ .

(٦) راجع صفحات « أنساب الأشراف » طبع الجامعة العبرية .

الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، هى سلسلة الكذب[١] .

وروى تفسير ابن الكلبى رجال آخرون اخذوا من الكلبى ، منهم : محمد بن فضل ابن غزوان الضبى الكوفى المتوفى سنة ١٩٥هـ[٢] . وقد رواه عنه يوسف بن بلال السعدى الذى أخذ التفسير عن السدى الصغير كذلك ، وحيان بن على العنزى أحد رواة ابن الكلبى[٣] .

تأثرت أكثر التفاسير التى وضعت فى القرنين الأول والثانى للهجرة بمدرسة ابن عباس ، ومن هذه التفاسير تفسير الحسن البصرى المتوفى سنة ١١٠هـ[٤] ، وليس لدينا دليل قوى يؤكد وجود صلة تامة بين مدرسة ابن عباس وتفسير الحسن البصرى الا أن فى تكرار ورود اسم ابن عباس فى هذا التفسير ما يشير ضمنا الى أثر تفسير ابن عباس فيه[٥] .

واختلف فى قتادة بن دعامة أبى الخطاب السدوسى المتوفى سنة ١١٧ أو ١١٨[٦] وهو مثل الحسن البصرى من أهل البصرة ومن المؤثرين فى مدرسة البصرة أكان ممن سمعوا من ابن عباس أم لا[٧] . والظاهر أنه كان قد تأثر به . وقد روى تفسير قتادة

---

(١) « سلسلة الكذب » الاتقان ص ٩١٤ . السيوطى ، لباب النقول فى أسباب النزول . تفسير سورة ١٢ ، ١٣ . ابن سعد الطبقات ٢٥٠/٦ .
Schwally 2. P,170. Sprenger. 3. P, CXIV. otto loth in ZDMG. Vol, 35. P, 598 (1881).

(٢) تذكرة الحفاظ ٢٨٩/١ .

(٣) ابن سعد الطبقات ١١٤/٧ ، النووى ، ٤٠٩ فما بعدها .

(٤) Schwally 2 P, 168.
تذكرة الحفاظ ٦٦/١ . الحسن بن أبى الحسن يسار أبو سعيد البصرى ، الفهرست ١٨٣ (طبعة فلوكل) . ابن خلكان الوفيات ١٦٠/١ تهذيب التهذيب ٢٦٤/١ . ابن سعد الطبقات ١١٤/٧ فما بعدها .
Ency. Vol, 2. P. 273. Von Kremer, Geschichte der herrschenden Ideen des Islam. P. 22. Horten, Die Philosophischen Systeme. P. 120

(٥) Schwally. 2 P, 168. Brockelmann, G.A.L. Vol, 1 P. 67.

(٦) وقيل ١١٢ هـ . الفهرست ٥١ «كتاب سعيد بن بشير عن قتادة ، كتاب تفسير محمد بن ثور عن معمر عن قتادة » . تذكرة الحفاظ ١١٥/١ « ومع حفظ قتادة وعلمه بالحديث كان رأسا فى العربية واللغة وايام العرب والنسب » . تهذيب التهذيب ٣٥١/٨ فما بعدها . Schwally. 2. P,168.

(٧) النووى ، ص ٥٠٩ . Schwally. 2. P, 168

جماعة من العلماء منهم خارجة بن مصعب السرخسي (توفي سنة ١٦٨[١]) وروى هذا التفسير عن سعيد بن أبي عروبة (توفي سنة ١٥٦ أو ١٥٧ هـ[٢]) ، ومنهم شيبان ابن عبدالرحمن المتوفى سنة ١٦٤ هـ[٣] ، ومعمر بن راشد المتوفى سنة ١٥٣ أو ١٥٤ هـ[٤] وسعيد بن بشير[٥] ، وقد روى تفسير معمر بن راشد محمد بن ثور[٦] ، ولم يكن قتادة مفسرا حسب بل كان رأسا في العربية واللغة وأيام العرب والنسب ، ويقال انه كان من أنسب الناس في البصرة[٧] .

ولا بدلنا أن نشير الى تفسير محمد بن كعب القرظي الذي سبق أن تحدثنا عنه ، فيظهر أنه ممن أخذ من ابن عباس . وقد استفاد من تفسيره ومن كتبه أبو معشر المتوفى سنة ١٧٠ هـ وكتاب آخرون من أصحاب السير والمغازي[٨] والتواريخ مثل الطبري .

ومن المفسرين الذين مثلوا طبقة أخرى بعد من تقدم ذكرهم شعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠ هـ[٩] الذي مر ذكره ، ووكيع بن الجراح المتوفى سنة ١٩٧ هـ وسفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨ ، ويزيد بن هارون المتوفى سنة ٢٠٦ ، وعبدالرزاق ابن همام المتوفى سنة ٢١١ هـ[١٠] من رواة ابن جريج ومعمر والأوزاعي والثوري ، وكان صاحب مؤلفات ، وآدم بن أبي أياس (المتوفى سنة ٢٢٠ هـ) كاتب الحديث عند شعبة[١١] .

وفي الطبري والتفاسير ما يفيد أن ابن عباس كان له علم بالتوراة ، وأنه كان يقرأ التوراة ، وأنه كان يسأل أبا الجلد جيلان بن فروة الأزدي فضلا عن كعب الأحبار

---

(١) خارجة بن مصعب بن خارجة الضبعي بن الحجاج الخراساني السرخسي . تهذيب التهذيب ٣/٧٦ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١/١٦٧ هو اثبت الناس في قتادة .

(٣) تذكرة الحفاظ ١/٢٠٢ .

(٤) تذكرة الحفاظ ١/١٧٨ .

(٥) الفهرست ٥١ . Sprenger Das Leben. Vol, 3, P,CXVI. nr. 7.

(٦) الفهرست ٥٧ محمد بن ثور الصنعاني . أبو عبدالله العابد مات سنة تسعين ومئة ، أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل . تهذيب التهذيب ٩/٨٧ .

(٧) الفهرست ٥١ . تذكرة الحفاظ ١/١١٥ .

(٨) تذكرة الحفاظ ١/١١٦ . Schwally. Vol, 2, P, 168

(٩) تذكرة الحفاظ ١/١٧٤ ، النووي ٣١٣ ، تهذيب التهذيب ٤/٣٣٨ .

(١٠) تذكرة الحفاظ ١/٣٣١ .

(١١) تذكرة الحفاظ ١/٣٦٩ .

ووهب بن منبه وعبدالله سلام ، ويرجع اليه فى فهم معضلات القرآن • وورد عن أبى الجلد أنه كان يقرأ الكتب ، وكان يقرأ القرآن فى كل سبعة أيام ، ويختم التوراة فى ستة ، يقرؤها نظرا ، فاذا كان يوم ختمهـا حشـد لذلك ناسا ، وكان يقال : تنزل عند ختمها الرحمة[١] • وقد نقـل الطبرى شيئا من أقواله فى تفسيره • وأعتقـد أنه كان من أصل يهودى • وتشبه هذه القصة القصص الأخرى المروية عن اخوانه مسلمة اليهود ، وهى على الرغم من سذاجتها وآثار الوضع البين عليها قد وجدت لهـا سبيلا الى الكتب مع حذر أصحابها وخوفهم من الرجوع اليها بشهادة ابن عباس نفسه حيث روى أنه كان يقول : « لاتسألوا أهل الكتاب عن شىء » « ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم[٢] » • وقد يكون فى هذين الخبرين توضيح للفكرة الغامضة المنتشرة بين المؤرخين عن مدى تأثر ابن عباس بالاسرائيليات •

وقد يكون من النافع جمع أقوال ابن عباس المروية عنه فى الكتب ، وفى التفسير المنسوب له ، لنعلم الغاية التى بلغها التناقض فى أقوال هذا العالم • واذا أردنا أن يكون قولنا هذا قولا عمليا ، قلنا : الى أى مدى سيصل هذا التناقض فى أقوال تلامذة ابن عباس، وهل يعقل صدور ذلك كله من رجل واحد أيا كان عدد طلابه ومهما اختلف ادراكهم فى التفـــــسير ؟

وكان فى مصر تفسير زعم أنه تفسير ابن عباس رواه على بن طلحة الهاشمى ، أخذ منه الطبرى ، قيل انه من أصدق الروايات[٣] ومع ذلك فهنالك شك فى كون على ابن طلحة قد سمع هذا التفسير حضورا من ابن عباس •

ولابد لانهاء البحث فى هذا القسم من التحدث عن نفر من الصحابة وردت لهم أقوال فى تأريخ الطبرى ، وهم أبو ذر الغفـارى المتوفى سنة ٣٢ أو ٣٣ هـ ، وعبدالله ابن مسعود المتوفى سنة ٣٢ أو ٣٣ للهجرة[٤] ، وسلمان الفارسى المتوفى سنة ٣٥ أو

(١) طبقات ابن سعد حـ ٧ قسم ١ ص ١٦١ •

(٢) المذاهب الاسلامية ص ٧٧ •

(٣) المذاهب الاسلامية ص ٧٧ •

(٤) عيون الأخبار ص ٣٧٣ (طبعة Brockelmann) • طبقات ابن سعد ١٠٥/٣ فما بعد • (طبعة Sachau) ومقدمته ص XV • ابن هشام ٢٧٠/١ ، ٣٣٦ ، ٣٤٨ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ • ١٢٥/٢ ، ٢٧٦ ، ٣٢٨ ، ١٧٩/٤ (طبعـــة محمـــد محيى الدين عبدالحميد) •

Goldziher, Vorlesungen, P, 65. Caetani, Annali, Index. Ency. Vol 2, P. 403.

٣٦[١] ، وأبو هريرة المتوفى سنة ٥٧ أو ٥٨ هـ[٢] ، وجابر بن عبدالله المتوفى سنة ٧٨[٣] ، وأنس بن مالك المتوفى سنة ٩٠ أو ٩١ للهجرة[٤] . أما الخلفاء الراشدون فليس لهم سوى روايات معدودة ، وأكثرهم حديثا هو على بن أبى طالب حيث نقل الطبرى شيئا من أقواله أخذها من شيخه هناد بن السرى الذى مر ذكره عن أبى الأحوص سلام بن سليم الكوفى من زعماء مدرسة الحديث فى الكوفة[٥] الذى روى عنه جماعة محدثى الكوفة ، مثل : خلف بن هشام ، وأبى بكر بن أبى شيبة ، وعثمان ابن أبى شيبة وأمثالهم ممن أخذ منهم الطبرى وطبقته . وقد حدث أبو الأحوص عن جماعة من العلماء ، مثل : زياد بن علاقة ، ومنصور بن المعتمر المتوفى ٣٢ للهجرة[٦] ، وآدم بن على ، وسماك بن حرب . ويتصل سند سماك بن حرب بعرعرة عن على بن أبى طالب[٧] .

وعرفت أخبار الامام على بن أبى طالب فى البصرة كذلك ، فقد أقام الامام بها مدة ،وترك فيها جماعة . وكان فى جملة من أخذ الطبرى أخبار الامام منه فى أثناء

---

(١) طبقات ابن سعد حـ ٤ القسم الأول ص ٥٣ فما بعد . كتاب اللمع (طبعة Nicholson) ص ١٣٤ ، الطبرى (طبعة دى غويه) فهرسته . أسد الغابة ٣٢٨/٢ . ابن هشام ١٣٦ فما بعد (طبعة وستنفلد) .

Ency. Vol, 4. P. 116. C. Huart, Selman du Fars in Mélanges. H Derenbourg. Paris 1909. P, 297.

(٢) كتاب الاشتقاق لابن دريد ص ٢٩٥ ،

Ency. Vol,' P, 93 f Sprenger, Das Leben Und die Lehre des Mohammad. Vol. 3. PP. LXXXIII. Goldziher. Abh. Zur Arabi. Philologie, 1.P.49. ZDMG. 1.487. Wensinck, Handwörterbuch des Islam, Leiden 1911. P. 10

(٣) طبقات الحفاظ ٤ رقم ١١ . ميزان الاعتدال ١٧٥/١ ، تذكرة الحفاظ ٤٠/١ ،
Goldziher. Muh. Stud. Vol, 2.P, 10

(٤) تذكرة الحفاظ ٤٢/١ ، توفى بين ٩٠ ــ ٩٣ للهجرة . البلاذرى ص ٣٨١ (طبعة دى غويه) . المعارف لابن قتيبة ص ١٥٧ (طبعة وستنفلد) . ابن الأثير أسد الغابة ١٢٧/١ (طبعة القاهرة ١٢٨٦) .

Ency. Vol. 1. P. 346. Goldziher, Muh. Stud. 2. P, 32. Wensinck, Hand. des Islam, P. 51

(٥) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٣٠ .

(٦) تذكرة الحفاظ ١٣٤/١ .

(٧) الطبرى ١٢٨/١ .

زيارته لمدينة البصرة عالمان اشتهرا بالحديث بين رجال أهل البصرة ، هما : ابن بشار ، وابن المثنى •

أما ابن بشار ، فهو محمد بن بشار بن عثمان العبدى البصرى المتوفى سنة ٢٥٢ للهجرة ، ويعرف ببندار ، وكان صاحب علم بالأخبار ، يقصده المحدثون من مختلف الأنحاء • وأما ابن المثنى ، فهو محمد بن المثنى أبو موسى العنزى البصرى المتوفى سنة ٢٥٢ هـ[١] • وقد نقلا حديثهما الذى رواه عنهما الطبرى عن مؤمل • ويتصل سند مؤمل بسفيان بن عيينة الكوفى عن أبى اسحاق السبيعى عمرو بن عبدالله الهمدانى الكوفى ، من أشهر أصحاب الحديث فى الكوفة • وقد حدث عن (٣٠٠) شيخ ، وحدث عن جماعة من الصحابة •

ولم يكن أبو اسحاق السبيعى محدثا حسب ، بل كان نفسه قد ساهم فى الأحداث التى وقعت فى أيامه فاشترك فى الجيش الذى أرسله معاوية لغزو الروم ، والظاهر أن صلاته به كانت حسنة • وكان من أعلم الناس بحديث على بن أبى طالب وعبدالله بن مسعود ، وكان أحد أربعة اشتهروا فى عصرهم برواية الحديث ، هم : الزهرى ، وقتادة ، والأعمش ، وأبو اسحاق • يتفوق كل واحد منهم فى ناحية ، فكان قتادة أعلمهم بالاختلاف ، والزهرى بالاسناد ، وأبو اسحاق بحديث على وابن مسعود ، والاعمش بكل هذا[٢] •

وهنالك سند آخر يصل الطبرى بالامام على ، هو سنده عن شيخه المعروف بالزعفرانى من أهل بغداد • وهو أبو على الحسن بن محمد بن الصباح المتوفى سنة ٢٧٠[٣] ، من رجال الفقه بالعاصمة ، وأصله من نبط العراق • وكان من الملازمين للامام الشافعى ، ومن أقدر طلابه ، ولذلك كان يقوم بوظيفة قراءة الكتب وما يمليه الامام على الحاضرين فى حلقة الدرس لفصاحته وبلاغته • وكان من جملة مشايخه محمد ابن أبى عدى ، ويتصل سنده بشعبة عن أبى اسحاق السبيعى عن عبدالرحمن بن دانيل[٤] عن الامام • وهذا الخبر هو فى تفسير الآية : « وان كان مكرهم لتزول منه الجبال » ، والتفسير ــ على ما يظهر ــ هو من قبيل هذا القصص الوارد عن أهل الكتاب ، لعله من وضع ابن دانيل « دانيال » الذى يرجح أن يكون والده أو هو نفسه من أهل الكتاب •

أما أقوال الصحابى عبدالله بن مسعود أحد علماء الصحابة فى القرآن الذى كان

---

(١) تذكرة الحفاظ ٨٦/٢ • الطبرى ١٢٩/١ •
(٢) تذكرة الحفاظ ١٠٨/١ •
(٣) تذكرة الحفاظ ٩٧/٢ •
(٤) الطبرى ١٤٩/١ : « دانيال » •

قد جمع القرآن ورتبه فقد وصلت الى الطبرى عن طريق شيخه موسى بن هارون البغدادى الحمال المتوفى سنة ٢٩٤ هـ[١] عن عمرو بن حماد عن أسباط عن السدى عن مرة الهمدانى المعروف بمرة الخير المتوفى فى حدود سنة تسعين[٢] عن ابن مسعود ، ويعد مرة من المفسرين العباد ، ولذلك كانت فى تفسيره مسحة من اللون الذى اصطبغت به تفاسير العباد والزهاد من النزعة التصوفية والميل الى القصص وحكايات الترهيب . يتصل سنده بأبى بكر ، وعمر ، وأبى ذر ، وأبى موسى الاشعرى[٣] .

هـــذا ما أردناه من الكلام على موارد الطبرى فى تأريخ العرب قبل الاســلام ، وسنعرض فى بقية كلامنا فى المجلد الثانى لموارده فى تأريخ الفرس .

جواد علي

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢١٧/٢ فما بعدها . الطبرى : فهرسته (طبعة دي غويه)
(٢) تذكرة الحفاظ ٦٣/١ .
(٣) تذكرة الحفاظ ٦٣/١ ، الطبرى ١٥٦/١ ، ٢٣٧ ، ٢٢٣ .

مبحث في سلامة العربية

- ١ -

كتب كثير من الكتاب فى وجوب سلامة العربية ، والحفاظ عليها من الغلط واللحن وسوء التركيب ورداءة الاستعارة ونبو غيرها من المجاز ، وصنف منهم جماعة فى هذا الموضوع رسائل يعرفها كل من عنى به ، ولكنهم كانوا بين مجيد ومقصر ، ومتساهل ومتحجر ، ومتقال ومتكثر ، وقد ثبت أن التحجر الشديد دليل على النفخر والدعوى العريضة التى لا بينة لها وأن التساهل الكثير دليل على قلة العلم أو التنصى من تبعة الخطأ ، وكلاهما مضر بالعربية ، مخل بالقومية فان اللغة قوامها ونظامها وأرشد السبل فى المحافظة على سلامة اللغة وصحتها ، الاقتصاد والاستقامة ، ومعنى ذلك أن التخطئة والمؤاخذة ينبغى أن تكونا على حسب المقام ، (فالاسلوب العلمى أشد احتياجا الى التساهل من الاسلوب الادبى) وأن تعتمدا على امتناع وجوه التأويل اللاحب والقياس المطرد والاشتقاق المستتب والتعريب الرشيق .

فأما التساهل فى الاسلوب العلمى فلان اللغة العربية حديثة الاتصال بالعلوم والفنون الجديدة ، وقد كان لها عصر ازدهار علمى فى العصور الخالية ، كثرت فيه اصطلاحاتها ومعرباتها ، وزادت به مشتقاتها ، ودام نماؤها ، واستديم فتاؤها وبهاؤها ، ولم ينته ذلك العصر المديد الا بانتهاء حركة التأليف الفنى والتصنيف العلمى فيها .

وأما المداقة فى الاسلوب الادبى فلأن هذا الاسلوب هو مظهر الفصاحة والبلاغة ومعرض البيان وجمال التركيب ، فلا يجوز فيه التحال من شروط حسن التأليف ، ولا الترخص فى استعمال الكلم ، ولا التسمح فى التعبير ، فان ذلك يؤدى الى الابهام والتعقيدين اللفظى والمعنوى وهى من المحظورات فى علم البلاغة ، الا أن هذه المداقة ينبغى أن لا تعتمد على التحكم ولا تستند الى التكلف والتجنى وانما يجب فيها الرجوع الى الاحكام اللغوية الصريحة والاقوال الصحيحة والشواهد الفصيحة ، لان للكلم قيمتين قيمة معجمية وهى التى تذكرها المعجمات واستعمالية وهى التى تضمنها كلام العرب ، وقد تساوى القيمتان وربما تختلفان ، وعند الاختلاف يرجع الى الاستعمال لأنه مظنة القيمة الحقيقية . وكذلك القول فى القواعد النحوية ، والقواعد

الصرفية ، فان الاستقراء التام لكلام العرب اذا خالفها دل ذلك على اختلالها واعتلالها ، وان ادعى لها أنها مبنية على الاستقراء ،فالدعوى الصحيحة لا تخالفها شهادة الاستعمال الذى يعتمد عليه ذلك الاستقراء .

وقد تبينا بكثرة مطالعتنا لكتب الأدب الفصيحة ومراجعتنا لكتب اللغة العربية أن المعجمات اللغوية أغفلت مقدارا كبيرا من اللغة وأهملت كثيرا من المشتقات ، ولو كان ذلك الاهمال من مؤلفيها اشارة الى القياس ما ذكروا القليل منها ولا فاتهم كثير من التعابير الصحيحة فضلا عن المولدة المليحة ،ولطالما اغتررنا بما فيها فجررنا جرائر لغوية ، لأننا لم نفزع قبل الاغترار الى ما ذكرناه من التأويل اللاحب والقياس المطرد والاشتقاق المستتب ، ولا عولنا على القيم الاستعمالية للكلم ، ولا راعينا التطور الذى هو طبيعى فى كل لغة حية .

ومن الواجب علينا أن نشير الى أن جماعة قليلة من اللغويين لم يهملوا الاشارة الى تطور اللغة ولا تركوا الايماء الى ما لتغير الاحوال وتبدل الدول واختلاف الاقطار من التأثير فيها ، وأبرعهم فى ذلك جارالله الزمخشرى ، فقد نبه فى أساس البلاغة على هذه الامور ، كالذى قاله فى الكلام على « استأهل » أى استوجب واستحق فان من اللغويين من لا يراه فصيحا ، قال « وقد استأهل لذلك وهو مستأهل له ، سمعت أهل الحجاز يستعملونه استعمالا واسعا »وعلى ب د د قال : « من الكناية سمعت مرشد بن معضاد الخفاجى يقول : « خرجت أبدد » كنى بذلك عن البول وعلى ب خ ن ق قال : « وأملت على أم هبة : أم مثواى بالطائف فى كتاب استكتبتيه الى ابنتها[1] بمكة خفرة تقول : « لكم ياعمتى أشكو اليك حر العرى فى وجهى فأرسلى الى من مخاضب حنائكم ما أتبخنق به » » .

وعلى ب ث ث قال : « وقد انبث هذا الخبر وسمعت من يقول : الروح فى القلب على سبيل الركز وفى غيره على سبيل الانبثاث » . وعلى ب ث ن قال « أخصبت الارض وصارت بثنية وعسلا وهى حنطة موصوفة ،سمعت شاميا يصفها بالحمرة ويقول قمح الشام انواع منه البثنى والكيون والحسن والهويدى والناقونسى والشيلونى والسوادى » . وقال فى الكلام على مادة (ت ر ب)« ووطئت كل تربة فى أرض العرب فوجدت تربة أطيب الترب وهى واد على مسيرة أربع ليال من الطائف ورأيت ناسا من أهلها ، وكان عندنا بمكة التربى المؤتى بعض مزامير داود » .

---

(١) جاء فى طبعة دار الكتب المصرية تعليق على هذه الكلمة نصه « الى ابنتها هكذا بالأصل ولعله الى عمتها » وهو صواب .

وعلى ت و ر قال : « وكان رسول الله ـ ص ـ يتوضأ بالتور وهو اناء صغير وهو مذكر عند أهل اللغة ومررت بباب العمرة على امرأة تقول لجارتها : أعيريني تويرتك ».

وعلى خ ص ص قال « وسددت خصاصة فلان ، جبرت فقره . وسمعت أهل السراة يقولون : رفع الله خصتك » . وعلى د ف ن قال « وفيه داء دفين وهو الذي لا يعلم به حتى يظهر شره وسمعت من العرب من يقول في رائية ذي الرمة : أبياتها كلها دفن أي غامضة معماة » .

وبلى الزمخشري في الاهتمام بلغة عصره والتطور الذي يصيب الكلمات أحمد الفيومي وهو من ضعفاء اللغويين[١] ، قال في ج ف ف من المصباح « والتجفاف : تفعال بالكسر شيء تلبسه الفرس عند الحرب كأنه درع والجمع تجافيف ، قيل سمي بذلك لما فيه من الصلابة واليبوسة . وقال ابن الجواليقي : التجفاف معرب ومعناه ثوب البدن . وهو الذي يسمى في عصرنا بركسطوان » . وفي ع م ر « والعمارية : الكجاوة كأنه نسبة الى الاسم » . ونجد قريبا من هذا في تاج العروس .

وأفرد ما أشرنا اليه من الجديد في اللغة والطارىء عليها واحد بل اثنان من اللغويين أحدهما شهاب الدين الخفاجي مؤلف « شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل » ، ذكر فيه الجديد والقديم وخدم العربية خدمة مشكورة سجيس الليالي[٢]، واقتدى به دوزي العلامة الهولندي فألف مستدركا لمعجمات اللغة العربية ، وفسره بالافرنسية ، وألف في هذا الضرب معادماجه في الاصول المستشرق لين الانكليزي وفسر معجمه بالانكليزية ، ومع سعيهما المشكور فاتهما كثير من الانفاظ المولدة ، فان الاحاطة بها مستحيلة .

واللغة في الحقيقة كالعين الجارية الغزيرة العد ، يتدفق منها الماء المعين ، فجديدها ممتزج بقديمها ، وجريانها مستلزم لتجدد مائها ، قال المجد الفيروزأبادي في القاموس « والنيروز أول يوم من السنة معرب نوروز ، قدم الى (علي بن أبي طالب) شيء من

(١) انظر الى استدلاله على تذكير « منديل » في « ندل » من مصباحه قال « المنديل مذكر قاله ابن الأنباري وجماعة ، ولا يجوز التأنيث لعدم العلامة في التصغير والجمع فانه لايقال منديلة ولا منديلات ولا يوصف بالمؤنث فلا يقال منديل حسنة فان ذلك كله يدل على تأنيث الاسم . فاذا فقدت علامة التأنيث مع كونها طارئة على الاسم ، تعين التذكير الذي هو الأصل » ، قال ذلك مع أنه ذكر قاعدة التصغير للمؤنث الذي تلحقه التاء في « صغر » من مصباحه بأن الاسم لاتلحقه التاء الا اذا كان ثلاثيا مثل قديرة وعيينة ، وذكر في « قدم » أن قدام مؤنثه وتصغر بالهاء فيقال قديديمة وأنه لا يصغر رباعي بالهاء الا قدام ووراء » . فتأمل ذلك واقرأ مادة « نال » .

(٢) والثاني أبو منصور الجواليقي مؤلف « المعرب » .

الحلاوى ، فسأل عنه ، فقالوا : للنيروز . فقال « نيرزونا كل يوم » ، وفى المهرجان قال « مهرجونا كل يوم » . والسبب فى ذلك أن النيروز والمهرجان لما دخلا فى العربية واستعملا فى صدر الاسلام استلزما اشتقاق فعلين لهما فسبق الامام غيره الى اشتقاقهما ، ولم ينكر عليه أحد ذلك الاشتقاق لأنه جرى على طبيعة العربية ، وذلك أن اسم كل من العيدين استعير للحلوى فكان معنى « نيرزوناومهرجونا » : قدموا لنا حلوى النيروز والمهرجان أو أطعموناها . كما قالت العرب « زودونا وعسلونا وتمرونا » أى أعطونا زادا وعسلا وتمرا .

وذكر الشابشتى فى كتابه « الديارات » أن أبا بكر أحمد بن محمد اللبادى الشاعر من أهل القرن الرابع للهجرة كان يلبس أبدا على ثيابه لبادا أحمر وأنه مدح أبا القاسم يوسف بن يوداذ بن أبى الساج فصار الى داره فلما دخل الدهليز قال له الحاجب ـ وقد أنكر زيه ولباده ـ : أى شىء أنت ؟ قال : شاعر، وقد مدحت الأمير . فقال لبعض من بين يديه « زبطره » فزبطره وانصرف ، وكتب الى بكر بن محمد بن أحمد كاتب الافشين أبياتا منها :

فلما انتهيت الى داره جزيت على مدحه زبطره
فأنكرت جائزتى منهم وكانت لعمر أبى منكره

فليت شعرى ما هذه الزبطره ؟ فليس لها أثر فى كتب اللغة القديمة ولا فى المستدركات ، ولكن ظاهرها يدل على أن لها علاقة بمدينة « زبطرة »[1] فان ملك الروم توفيل بن ميخائيل أوقع فى سنة « ٢٢٣ » بأهل زبطرة : قتل وأسر ممن بها من الرجال وسبى الذرية والنساء ومثل بمن صار فى يده من المسلمين وسمل أعينهم وقطع أنوفهم وآذانهم[2] ولم يخرج أهل زبطرة الأسرى من بلاد الروم الا فى فداء سنة « ٢٣١ »[3] . وعلى هذا يكون معنى « زبطره » فعل به بعض ما فعل ملك الروم بأهل زبطرة فى الحرب .

فللغة العربية قابلية طبيعية لمجاراة الزمن وللتطور تطورا معتمدا على طبيعتها فى النحت والاشتقاق والتعريب ، ومعرفة هذه الطبيعة واجبة على من عنى بها ووكل اليه

---

(١) بالكسر ثم الفتح وسكون الطاء المهملة وراء وهاء : مدينة كانت بين ملطية وشمشاط .

(٢) كامل ابن الأثير فى حوادث هذه السنة .

(٣) التنبيه والاشراف للمسعودى « ص ١٦٢ » من طبعة مصر .

الحفاظ على سلامتها بدفع المخل عنها واضافة المغنى لها اليها ، فالاضافة نوع من التوقى والاستعداد يعين على بقائها صحيحة نامية كما يحفظ التوقى الجسد من الامراض ويستديم صحته .

وقد أصاب اللغة وقواعدها شىء من الضعف والابتذال والحيف بتحكيم شعرها فى نثرها، على أن فريقا من العلماء عدوا الشعر المحتوى على ما يخالف اللغة وقواعدها من الضرائر التى تسوغ للشاعر دون الناثر ، ولكنهم اختلفوا فى تعيينها ، فجماعة من النحويين أدخلوا صدرا من الضرائر فى قواعدا النحو وذكروا أنها مخالفة للنثر ولكنها سائغة وجاراهم فى ذلك فريق من اللغويين ، وآخر كتاب ألف فى الضرائر الشعرية هو « الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر » من تأليف العلامة السيد محمود شكرى الآلوسى[١] قال فيه « وذهب الجمهور الى أن أغلاط العرب ليس من قبيل الضرورة وانها لا تغفر لهم ولا يعذرون فيها ولا يتابعون عليها كما يتابعون فى الضرائر »[٢]، ثم قال تحت عنوان « انابة حرف مكان حرف » :

« وقد عد ابن عصفور هذا الباب من الضرائر الشعرية فى كتابه فقال : ومنه انابة حرف مكان حرف . وأورد لذلك عدة شواهد منها قوله :

اذا رضيت على بنو قشير لعمر الله أعجبنى رضاها

أراد « عنى » ووجه ذلك أنها اذا رضيت عنه أحبته وأقبلت عليه ولذلك استعمل « على » بمعنى « عن »[٣] ... ثم قال : وهذا الذى قاله ابن عصفور لم يذكره غيره كيف وقد ورد فى القرآن والحديث وغيرهما وغاية ما قيل انه لا يطرد فى كل موضع » وأيد ذلك بقول لابن جنى فى الخصائص[٤].

وانا أرى كثيرا من الحق فى قول ابن عصفور ، وقد ذكرنا بيان العلة فى ذلك فى موضع آخر من مواضع النشر[٥] ، والذى ورد منه فى القرآن الكريم يوضحه ما ورد فى مادة (ق و م) من الصحاح للجوهرى قال « والاستقامة الاعتدال ، يقال : استقام

---

(١) شرحه وطبعه (الأستاذ محمد بهجة الأثرى) فى المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤١ .

(٢) الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر « ص ٤٦ »

(٣) فى الأصل « من » وهو من غلط الطبع الذى لم يصحح .

(٤) الضرائر « ص ١٤٦ ـ ٧ » .

(٥) يراجع مقال « القول الناجع فى الغلط الشائع » فى الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين من مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق .

له الامر ، وقوله ـ تعالى ـ : فاستقيموا اليه •أى فى التوجه اليه دون الآلهة » • ومنه يعلم أن هذا الباب يعتمد على الحذف والتقدير ، وهذا الحذف وتقديره من أسرار البلاغة فى اللغة العربية ، أفلا ترى أن قولنا « غادر فلان بغداد الى البصرة » لا يتجه الا بتقدير « قاصدا الى البصرة » وقولنا « من لى بفلان ؟ » لا يصح الا بتقدير « من آت لى بفلان » أو « من ظفر لى بفلان » وقولنا « خرجت فاذا[1] به واقفا بالباب » لا يصح الا بتقدير «خرجت فاذا أنا شاعر به واقفا بالباب»أو ما فى معناه ، وقولهم فى المثل « الذود الى الذود » لا يصح الا بتقدير « الذود مضموما الى الذود ابل » ومنه يعلم أن قولهم « الامر لك » هو غير قولهم « الامر اليك » ففى الثانى تقدير « مسند وموكول » فتكون الجملة « الامر موكول اليك » • وقلة العناية بهذا الباب جعلتهم يحارون فى قوله تعالى « من أنصارى الى الله » فالتقدير ـ والله أعلم ـ « من أنصارى ضارعين الى الله » أو « متوجهين الى الله » أو « متوسلين الى الله » أو « لاجئين الى الله » وكلها بمعنى واحد وتقدير جماعة من المفسرين أنه « من أنصارى مع الله » ليس له معنى واضح سوى أن يكون « من أنصارى منضمين الى الله » أو فى الانضمام ، واذا رجعنا الى تأويل صاحب الصحاح الذى نقلناه آنفا كان تقديره « من أنصارى فى الضراعة أو التوجه أو التوسل أو اللجوء الى الله » ،والذى يعنينا التقدير حسب ، والتقارب فى المعنى بين المقدرين •

وضمان سلامة اللغة لا يستوجب الافتيات على روحها ولا رميها بالجمود والعجز ولا اتخاذ قواعدها غايات لا ذرائع الى البيان بها ، فالنقد اللغوى والنقد النحوى معروفان منذ زمن الكسائى اذ ألف كتاب « ما تلحن فيه العامة » • وألفت بعده كتب فى هذا الفن وفى لحن الخاصة ، ولكننا فى عصرنا لا نطمع من الخاصة فى أن يتكلموا باللغة الصحيحة المعربة فضلا عن العامة وانما أصبحت اللغة العربية صناعة لا يجيد الكتابة بها الا من يدمن تعلمها فيتقنها اتقانا تاما ، فى الكتابة والقراءة ، ويجب أن يكون فرق بين الذى يريد أن يكتب بها والذى يريد أن يكتب فى نقدها ، وهذا الفرق هو كالفرق بين التاجر الذى يعامل الناس ويبايعهم بالدراهم والصيرفى الذى حرفته نقد الدراهم والمعاملة بها معا ، وكنا أشرنا الى أن جماعة من الكتاب صنفوا فى النقد رسائل يعرفها كل

---

(١) هذا هو القول الصحيح ، ورفع « واقف » من الخطأ ، ودعوى أن الباء زائدة وهم من الأوهام فقد جاءت فى قولهم « فاذا أنا بفلان واقفا » وهذا يدل دلالة قاطعة على أنها ليست بزائدة •

من عني بهذا الشأن ولكنهم كانوا بين مجيدومقصـــر ومتســـاهل ومتحجر ومتقـــلل ومتكثر ـ كما أومأنا اليه ـ .

وأشيع كتب النقد اللغوى فى أيامنــا« لغة الجرائد » للشيخ ابراهيم اليازجى وهى المقالات التى نشرها تباعا فى مجلته الضياء ، و « تذكرة الكاتب » لا سعد خليل داغر وقد كان نشر قسما من مقالاتهـــا فى مجلة المضمار ، ولكنــه كان دون ابراهيم اليـــازجى علما ومعرفة بالنقد ، حتى لقد أنكر ما جاء على وفق القواعد النحوية وكلام العرب ،[١] وكان الغلط يحدث فى كلام فحول اللغة ، وكان بعضهم ينتقد على بعض فما ظنك بأسعد خليل داغر وغيره من المعاصرين لنا وان سبقونا الى الغاية المحتومة ؟ وقبل أن نعرض امثلة من نقدهم ونذكر رأينا فيها نحب أن ننقل ما قاله العـلامـة السيد شهـاب الدين محمود الحسينى الا لوسى فى الاحتجاج لاستعمال « كافة » اسم فاعل استعمالا مطلقا ، قال :

« ومقتضى الوضع أن كافة لا يلزمه ماذكـر (من استعماله بمعنى جميع منـكرا منصوبا فى الناس خاصة) فيستعمل كمـــا استعمل « جميعـــا » معرفا ومنـكرا بوجوه الاعراب فى الناس وغيرهم . والظاهر الجواز لا نا لو اقتصرنا فى الا لفاظ على ما استعملته العرب العاربة والمستعربة حجرنا الواسع وعسر التكلم بالعربية على من بعـدهم ، ولما لم يخرج عما وضع له فهو حقيقته والذى يشهد له العقل السليم أنه لا محيد عما قلناه الا لمكابر ومعاند ، على أنه قد ورد فى كلام البلغاء على خلاف ما ادعوه كما فى كتاب عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لآ ل بنى كاكلة[٢] فان فيه « قد جعلت هكذا لآ ل بنى كاكلة على كافة بيت مال المسلمين مئتى مثقال ذهبـــا ابريزا ، كتبه عمر بن الخطاب وختمه ، وعلى ختمه « كفى بالموت واعظا ياعمر[٣] » .

فالذى ينتقد على الناس لغتهم لا يجدبدا من الأخذ بهـذا الرأى السديد ، واذا

---

(١) كتخطئته من قال« سافر فلان فى السكة الحديد » ـ ص ٤١ ـ وزعمه أن صواب هذا التركيب « السكة الحديدية » مع أن قول القائل هو الصحيح وقوله هو الغلط ، بما صرح به النحويون وما جاء فى كلام العرب ، لأن معنى « السكة الحديدية » غير معنى « السكة الحديد » التى هى ترجمة « شمندىفير » بالفرنسية .

(٢) منهم القاضى عمادالدين أحمد بن اسماعيل الكاكلى الأردبيـلى من أهل القرن السابع للهجرة ، ذكره ابن الفوطى فى معجم الالقاب قال « هذا من أولاد القضاة الذين يتوارثون بمكتوب (كذا) ، عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما » (ج ٤ ص ٩) من نسختنا .

(٣) كشف الطرة عن الغرة « ص ٨٦ » .

ثت عنده خطؤهم فى كلمة من الكلم أوعبارة من العبارات فعليه أن يذكر صوابهما أو ما يقوم مقامهما والا كان كالطبيب الذى يدعى أنه يعرف الداء ولا يستطيع أن يصف الدواء ، بل هو دون ذلك الطبيب الناقص العلم .

توفرت الخبرة :

ومما عـده أسعد داغر فى تذكرته غلطا قولهم « يجب أن تتوفر فيه الخبرة التامة وهذا الامر لم تتوفر فيه الاسباب الكافية» .قال « ويستعملون الفعل توفر بمعنى وفر أو توافر أى كثر ، فيقولون يجب أن تتوفر..وهذا الامر لم تتوفر .. وفى اللغة : توفر عليه رعى حرماته وصرف همته اليه » .[1] انتهى قول أسعد .

والحقيقـة أن « رعى حرماته » غير « صرف همته اليه » لأن التوفر الأول على الانسان والتوفر الثانى على الاشياء ، فالخلط بينهما توحيد لمعانيهما وليس ذلك بصحيح قال الزمخشرى فى أساس البلاغة « وتوفر على صاحبه : اذا رعى حرماته . وتوفر على كذا: اذا كان مصروف الهمة اليه ». و «كذا» كناية عن الشىء والعدد ـ كما هو معلوم ـ وقد تستعار الحرمة للشىء فيستعار لها الفعل على الاتساع ، ولكن ذلك لا ينفى استقلال « توفر على كذا » .

ومما يبعث على العجب من نقد مؤلف التذكرة أنه لم يذكـر اكثر معـانى مـادة « و ف ر » مـع انهـا تدل على الكثـرة والتكثير والحفظ والابقـاء والارعاء والكمال والاكمال والتمام والاتمام والجمع والاجتماع والصيانة والوقاية وما الى ذلك ، ولا أشار الى أن الثلاثى « وفر » له رباعى هو « وفر توفيرا » قياسا وسمـاعـا ، ولا أومأ الى ان الصرفيين أجمعوا فى مذهبهم الصرفى على أن لكل « فعل » متعـد مطـاوعا على وزن « تفعل » فان جاء فى اللغة « وفره توفيرا » بمعنى « اكمله اكمالا وأتمه اتماما وجمعه جمعا » ففى ذلك جواز اشتقاق « توفر »[2] عندهم ، والمؤلف تابع لهم ومحتج بأقوالهم وما قيس على لغة العرب فهو من لغتهم ، قلت هذا على مذهب من يرى المطاوعة .

(١) تذكرة الكاتب « ص ٦٦ » .

(٢) قال الزمخشرى فى المفصل « وتفعل يجىء مطاوع فعل نحو كسرته فتكسر وقطعته فتقطع وبمعنى التكلف نحو تشجع وتصبر وتحكم وتمرأ ... ومنه تقيس وتنمر ، وبمعنى استفعل كتكبر وتعظم وتعجل الشىء وتيقنه وتقصاه وتثبته وتبينـه . وللعمل بعد العمل فى مهلة كقولك تجرعه وتحساه وتعرفه وتفوقه ... وبمعنى اتخاذ الشىء نحو تديرت المكان وتوسدت التراب ... وبمعنى التجنب كقولك تحوب ... » ومما زاد عليه الرضى « صيرورة الشىء ذا أصله » كتأهل وتألم وتأكل وتأسف .

وبتعرفنا معاني صيغة « تفعل » نعلم أن « توفر » مطاوع « وفره توفيرا » عند الصرفيين ، فيكون أصل القول « يجب أن توفر فيه الخبرة التامة فتوفر هي » . أي تجتمع فيه الخبرة التامة وتكمل ، و «هذا الامر لم توفر فيه الاسباب الكافية فلم تتوفر هي » أي لم تجتمع فيه الاسباب الكافية ولم تكمل . وبه يعلم أنهم لم يريدوا بقولهم « تتوفر الخبرة ولم تتوفر الا سباب » تكثر الخبرة ولم تكثر الأسباب ـ كما ظن مؤلف التذكرة ـ بل ارادوا « تكمل الخبرة وتجتمع ، ولم تكمل الأسباب ولم تجتمع » . ذلك لأن الخبرة محدودة الاجزاء معلومة الصفات ، ولأن الأسباب معدودة محدودة ، فلا تطلب الكثرة فيها وانما يراد اجتماعها وكمالها .

وقد أورد الشيخ ابراهيم اليازجي في كلامه على الاقتصاد « توفر » من تأريخ المسعودي وأرسله ارسال الافعال المسلمة الصحة قال[١] :

« فمن ذلك ما جاء في مروج الذهب للمسعودي في الكلام على خلافة المعتضد نقلا عن ابن حمدون أن المعتضد أمر أن ينقص حشمه ومن كان يجري عليه من كل رغيف أوقية ... قال ابن حمدون : فتعجبت من ذلك في أول أمره ثم تبينت القصة فاذا أنه يتوفر من ذلك في كل شهر مال عظيم[٢] » .

فانظر الى قوله « يتوفر » فهو بمعنى « يجتمع » ولو كان « التوفر » يفيد الكثرة ما قال « مال عظيم » ولاكتفى بذكر المال ، وعلى هذا يكون قوله « تتوافر الخبرة ولم تتوافر الاسباب » بعيدا عن المراد كل البعد ، فالمتوافر هو ذو الكثرة مطلقا ، وانما المراد « التوفر » اى التجمع والاجتماع والوجود المتضام الاجزاء .

ولم تقصر كتب اللغة في ايراد « توفر » الا أنها أوردت منه استعمالين فدلت صيغهما على الاستعمالات الاخرى ، وقد جاء على الصورة التي يريدها الكتاب في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، قال بشار بن برد : « ان عدم النظر يقوي ذكاء القلب ، ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته[٣] » . فتوفر الحس كتوفر الاسباب وتوفر الخبرة ، وجاء في كتاب[٤] طاهر بن الحسين الذي يوصي

---

(١) لغة الجرائد « ص ١٥ » .

(٢) اختصر اليازجي الخبر ، وتتمته في الأصل « ج ٢ ص ٤٦٢ » طبعة عبدالرحمن محمد و « ج ٤ ص ١٦٨ » طبعة دار الرجاء .

(٣) الأغاني « ج ٣ ص ١٤٢ » من طبعة دار الكتب المصرية .

(٤) قال أبو الفضل أحمد بن طيفور « تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه وشاع أمره حتى بلغ المأمون فدعا به وقرئ عليه » .

فيه ابنه عبدالله : « فكثر خراجك وتوفرت أموالك[١] » .

وقال الشريف المرتضى في شرح :

شغارة تقذ الفصيل برجلها فطاردة لقوادم الابكار

« وقوله : تقذ الفصيل برجلها ، أي تركله وتدفعه عن الدنو الى الرضاع ليتوفر اللبن على الحلب[٢] ... » .

فقوله « ليتوفر اللبن على الحلب » معناه ليجتمع لبنها ويتحفل . وركب زياد يوما في السوس يطوف الضياع والزرع فرأى عمارة حسنة فتعجب منها فخاف أهلها أن يزيد في خراجهم فلما نزل دعا وجوه البلد وقال : بارك الله عليكم فقد أحسنتم العمارة وقد وضعت عنكم مئة ألف درهم . ثم قال : « ما يتوفر على من تهالك غيرهم على العمارة وأمنهم جوري أضعاف ما وضعت عن هؤلاء الآن[٣] » .. وقال عزالدين ابن أبي الحديد في الرد على الشريف المرتضى في قضية فدك « فليت شعري كم مقدار ما يتوفر على أبي بكر وستة نفر معه وهم من جملة خمسين ألفا ... أترى يكون المتوفر على أبي بكر وشهوده من التركة عشر عشر درهم ؟ ما أظن أنه يبلغ ذلك[٤] » .

وقال الثعالبي في ترجمة بديع الزمان الهمذاني « واختص بالدهخدا[٥] أبي سعيد محمد بن منصور – أيده الله تعالى – ونفقت بضائعه لديه وتوفر حظه من عادته المعروفة في إسداء المعروف والافضال على الافاضل[٦] » . وقال القاضي الاكرم العلامة علي بن يوسف المعروف بابن القفطي في ترجمة فلوطرخس « كان فيلسوفا مذكورا في عصره يعلم جزءا متوفرا من هذا الشأن » وفي ترجمة أبي الحسن بن غسان الطبيب المصري « وكان لأبي الحسن هذا أدب متوفر وشعر حسن[٧] » . وقال شمس الدين ابن خلكان في ترجمة عماد الدين بن يونس « وتوفرت حرمته عند الظاهر أكثر مما كانت عند أبيه[٨] » . وأنشد أبو عبدالله الحسين بن علي اللغوي البصري النمري لما مات أبو عبدالله محمد بن المعلى الأزدي – وكان بينهما تنافس :–

(١) أخبار بغداد لابن طيفور « ص ٣١ » طبعة عزة العطار الحسيني .
(٢) أمالي الشريف المرتضى « ج ١ ص ٥٦ » .
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد « ج ٤ ص ١٣٦ » .
(٤) المرجع المذكور « ص ٩٢ » .
(٥) في معجم الأدباء لياقوت الحموي « الدهخواه » ج ١ ص ٩٦ طبعة مرغليوث .
(٦) يتيمة الدهر « ج ٤ ص ٢٤١ » طبعة الصاوي .
(٧) أخبار الحكماء « ص ١٧٠ ، ٢٦٣ » من طبعة مصر .
(٨) الوفيات « ج ٢ ص ٥١ » من طبعة العجم .

وكانت بيننا أبدا هنـــات توفر عرضه منهـــا وعرضي[١]

وقال أبو الطيب المتنبي :

بدر فتـى لو كان من سـؤاله يوما توفر حظـــه من ماله

قال ابن عدلان الموصلي فيما قال يشرح هذا البيت « فلو كان بدر من سؤال نفسه لكان حظه أوفر من ماله[٢] » .

وقال ابن عنبة في خبر من الاخبار « فما توفرت على الطالبيين أموالهم[٣] » .

وعلى ما ذكرنا من الشواهد يقال « توفر الحس وتوفرت الاموال ، وتوفر اللبن على الحلب ، وتوفر عليه المال ، وتوفر عليه كذا وكذا ، وتوفر حظه ، وتوفرت حرمته ، وتوفر علمه ، وتوفر أدبه ، وتوفر عرضه » ، وهذا زيادة على « توفر فلان على الأمر ، وتوفر فلان على فلان » . فكيف لا يقال « توفرت الخبرة ولم تتوفر فيه الأسباب » ؟ وكيف يدعي المدعي أن الصواب « توافر » والفرق بين الفعلين بعيد ؟ فالفعل « توفر » بمعنى اجتمع وكمل ومعناه هذا مستفاد من لغة زياد بن أبيه وبشار بن برد وطاهر بن الحسين والمتنبي وأبي عبدالله النمري البصري والشريف المرتضى والثعالبي وابن أبي الحديد المدائني وابن القفطي وابن خلكان وابن عنبة . فهو مستعمل من اواسط القرن الاول للهجرة حتى أوائل القرن التاسع لها ، فليس بدعا أن يستعمله كتاب العرب في عصرنا وهم قد قرؤوه في كتب الادب والاخبار كمقدمة ابن خلدون فانه استعمل « توفرت الدواعي » قال « وهو على ما ذكروه من الغرابة تتوفر الدواعي على نقله[٤] » .

هم وقور وهم وقر وهن وقر ووقائر

ومما ينبغي التنبيه عليه قولهم « هم وقـورون وهن وقـورات » يحسبون أن « الوقور » يجمع جمع سلامة وليس ذلك الحسبان بصحيح ، قـال ابن الحـاجب في الكافية في جمع الصفة جمع مذكر سالما : « وان كان صفة فمذكر يعقل وأن لا يكون أفعل فعلاء مثل احمر ولا فعلان فعلى مثل سكران ولا مستويا فيه مع المؤنث مثل جريح وصبور ولا بتاء تأنيث مثل علامة » . وقال في الشافية « ونحو صبور على صبر غالبا » . قال الرضي الاسترابادي :

(١) المرجع المذكور « ص ٧٢ » .

(٢) شـرح ديوان المتنبـي « ج ٢ ص ١٧٨ » لابن عـدلان الموصلي ونسـب الى العكبري خطأ .

(٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب « ص ٦٢ » وهذه الشواهد كلها نقلناها من « معجمنا اللغوي » ولا يزال مخطوطا .

(٤) مقدمة ابن خلدون « ص٨ » من طبعة المطبعة الخيرية سنة ١٣٢٢ .

« قوله : ونحو صبور على صبر غالبا «سواء كان للمذكر أو للمؤنث ويستوى فى هذا البناء المذكر والمؤنث ، والتاء فى فروقةوملولة للمبالغة فمن قال « فروقة » قال فروقات ومن قال « فروق » قال فى جمعهفرق ، كما ذكرنا فى شرح الكافية فى باب الجمع ، وقد يجمع مؤنث فعول المجرد على« فعائل » كعجوز وعجائز وقلوص وقلائص وجدود وجدائد وذلك لأن علامة التأنيث فيه مقدرة فكأنه فعولة كما ذكرنا فى فعيل الاسمى وفعائل اكثر فيه من فعل ولا سيمافيما اختص بالمؤنث كقلوص وجدود . ولا يجمع « فعول » جمع السلامة ـ كما ذكرناه فى شرح الكافية ـ[1] » .

وقال ابن الحاجب فى الكافية فى شرطجمع الصفة جمع مؤنث سالما : « وشرطه ان كان صفة وله مذكر فأن يكون مذكرهجمع بالواو والنون » . وقال الرضى الاسترابادى : « وان لم يكن فى الصفة المؤنثة علامة تأنيث ظاهرة ولم تكن خماسية أصلية الحروف لم تجمع بالالف والتاء سواءكان لها[2] مذكر يشاركها[3] فى اللفظ كجريح وصبور (وسائر ما يستوى مذكرهومؤنثه ، حملا لها على مذكراتها الممتنعة من الجمع بالواو والنون) أو لم يكن لهمذكر أصلاكحائض وطالق ومطفل » ثم قال شارحا : « ومعنى هذا الكلام أن المؤنث على ضربين اما أن يكون له مذكر أولا ، فان لم يكن له مذكر فشرطه أن لا يكونمجردا عن التاء كحائض وان كان له مذكر فشرطه أن يكون ذلك المذكر جمع بالواووالنون ، فخرج بهذا القيد « فعلاء أفعل وفعلى فعلان » وجميع الامثلة التى يستوىمذكرها ومؤنثها كصبور وجريح[4] » .

والذى نقلنا يدل على أن « فعولا »الصفة اذا كانت بمعنى « فاعل » مثل صبور بمعنى « صابر » [5] فان المذكر والمؤنثفيه يستويان ولا تلحقه علامة التأنيث ولا يجمع جمع سلامة ولذلك يجب أن يقال« رجل وقور وامرأة وقور » و « رجال وقر ونساء وقر ووقائر » ومن الغلط أن يقال« امرأة وقورة ورجال وقورون ونساء وقورات » فاذا سمى بالوقورة جاز استعمالهاعلى ضعف كالعجوزة .

---

(١) شرح الشافية « ج ٢ ص ١٣٩ ـ ١٤٠ » طبعة مطبعة الحجازى بمصر . والموضع الذى أشار اليه وأحال عليه من الكافية هو فى « ج٢ ص٢٠٨ » من طبعة الاستانة الرديئة .

(٢) فى الأصل « له » فكأنه أراد « الوصف » .

(٣) فى الأصل « يشاركه » .

(٤) شرح الكافية « ج٢ ص٢٠٩ » من الطبعة المشار اليها .

(٥) اسم الفاعل بصيفته الأصلية يدل على القلة والكثرة معا فاذا نقل الى ما سموه المبالغة اختص بالكثرة .

وقد علل الصرفيون امتنـــاع جمـع « امرأة وقور » على « وقورات » بامتنـــاع جمـع مذكره « وقور » على « وقورين » ، فالجمعان السالمان منتفيان متنافيان معا ، وهو تعليـل عليـل « ضعيف » ، فانه يقال لهـم « ولم امتنع « وقور » المذكر أن يجمع جمعا سالما ؟ فيقولون : لأنه لا يقبل تاء التأنيث[1] مع أنه لا صلة بين أن لا يجمع جمعا ســالما وأن لا يقبل تاء التأنيث ، بل لا صلة بين ذلك وأن لا يكون له مؤنث أصلا .

والذى أرى فى امتناع جمع « فعول » للمذكر والمؤنث جمعا سالما انما هو كون هذه الصفة معتلة ما بعد العين بأحد أحرف العلة وهو الواو ، فهى شـبيهة بـ « فعيل » وهذا الوزن ـ أعنى فعيلا ـ هو الاصل فى الصفة الثلاثية الأصل ، والصفة عند العرب قديما يستوى فيها المذكر والمؤنث والقليـل والكثير ، وتشبهها من صفات اللغات الغربية التى نعرفهـــا صفة اللغــة الانكليزية ، قال ـ تعالى ـ « ان رحمة الله قريب من المؤمنين » ، وقال ـ عز وجل ـ « وكأى من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله » . وقال الشاعر « فقلت لها ان الكرام قليل » وتقول « هم صديق لى » و « هؤلاء عدو لكم » و « امرأة وقاح الوجه » و « جارية بالغ » قال ابن القطاع: بلغ بلاغا فهو بالغ والجارية بالغ أيضـــا بغير هاء . قال ابن الانبارى قالوا : جارية بالــغ . فاستغنوا بذكر الموصوف وبتأنيثه عن تأنيث صفته كما يقال : امرأة حائض . قـــال الازهرى ، وكــان الشافعى يقول : جارية بالغ ، وسمعت العرب تقوله وقالوا امرأة عاشق[2] . والصحيـح هو الذى ذكرناه ، لأن التذكـير هو الامر القـديم المشترك والتأنيث هو الامر الحديث العارض ، فالافراد والتذكير انما هما رجوع الى الاصل ، وبذلك نعلم أن التأنيث فى اللغة حديث وأن جمع المؤنث السالم وجد بعـــد التأنيث ، فجمع التكســـير أقدم منــه[3] ، ولذلك جمع « فعول » على « فعل » للمذكر والمؤنث وعلى « فعائل » للمؤنث خاصـــة ، واستغنى بذلك عن جمع المؤنث الســــالم ، وكذلك القول فى « فعيل » بمعنى مفعول مثل « قتيل » و « قتلى » . واختصــــاص المؤنث بـ « فعائل » يدل على أن هذا الجمع أحدث من الاول زمانا لأن الاصل الاشتراك ولأن « فعـــائل » محمول على لمح تاء التأنيث فى

(١) أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك « ج١ ص٤٢ » طبعة مطبعة الاستقامة .

(٢) المصباح المنير « بلغ » وتتمة الكلام فى الأصل .

(٣) ومما يدل على ذلك أن جمع المؤنث السالم جعـل لأدنى العـدد أى القلة « المفصل ص ١٩٥ » مع أن أصل الجمع الكثرة كما هو مقرر فى كتب الصرف ولعل السبب فى ذلك أن النظرة الأولى تستطيع تمييز الثلاثة والعشرة وما بينهما فيذكر الرائى العدد فان جاوز ذلك أتى بالجمع المبهم العدد الدال على الكثرة .

« فعول » المؤنث ، مع أن خلوه من هذه التاء وامتناعه من قبولها منعاه من أن يجمع جمع مؤنث سالما ، في زعم الصرفيين ، وهو زعم فيه ما فيه .

ومن أعجب الامور في هذا الجمع أنه لم يشذ عنه مثال يحتج به أصحاب « على وفق الاصول » و « على وفق المنهاج » لأن المسموع والمنقول من كلام الفصحاء أن العربية ، وهذه السلامة من الشذوذ عزيزة في اللغة العربية كل العزة .

لا يقال « فعله وفق الاصول ولا الفه وفقا للمنهاج ، ولا وفقه الى الخير » :

نرى أكثر الكتاب يستعملون « فعله وفق الاصول وألفه وفقا للمنهاج » والصواب « على وفق الاصول » و « على وفق المنهاج » لأن المسموع والمنقول من كلام الفصحاء أن يستعمل الوفق في مثل هذا الموضع مع « على » استعمال « حسب » ورغم و « قدر » و « نحو » وما اليها ، يقال « أنفق على حسب الوصية وبحسبها » و « فعله على رغم فلان وعلى الرغم منه » و « تكلم على قدر حاجته » و « جرى على النحو الذي عرف » .

ولا يصح استعماله غير مجرور بعلى الا اذا كان خبرا في الاعراب أو حالا منقولة منه ، قال الجوهري « يقال : حلوبته وفق عياله أي لها لبن قدر كفايتهم لا فضل فيه قال الشاعر[1] :

أما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد » .

ومثله ما في أساس البلاغة ، وقال الفيومي في المصباح المنير « وكسبه وفق عياله أي مقدار كفايتهم » وهو قريب منه ، وقال المطرزي في « فقر » من « المغرب في ترتيب المعرب » يفسر بيت الراعي المذكور « وفق العيال أي لبنها يكفيهم » . وقال الراغب الاصفهاني في مفرداته « الوفق : المطابقة بين الشيئين قال : « جزاء وفاقا » .

وفي تمثيله بعض البعد عن المراد ، لأن « وفاقا » وصف بالمصدر ، والمطابقة مصدر صريح فلا يكون بينهما تطابق ههنا : وجرى أكثر كتب اللغة على هذا النقل[2] ولم يذكر فيها مثل للعبارتين اللتين ذكرناهما آنفا ، أي « على وفق الأصول وعلى وفق المنهاج » .

وقد فسر بعض الادباء « الوفق » بالتوفيق ، قال عويف القوافي يرثي سليمان بن عبدالملك ويذكر عمر بن عبدالعزيز :

يا عمر الخير الملقى وفقه سميت بالفاروق فافرق فرقه[3]

(١) في أساس البلاغة أنه للراعي يشكو ساعي الصدقة ومثله ما في لسان العرب.

(٢) من ذلك ما ورد في اللسان « وفق الشيء ما لاءمه وتقول : هذا وفق هذا ووفاقه وفيقه وفوقه وسيه وعدله ، واحد » .

(٣) الكامل للمبرد « ج ٢ ص ٢١٤ » طبعة الدلجموني الأزهري وذكر هذا البيت في اللسان ولم يذكر السبب في قوله .

قال المبرد « وقوله : الملقى وفقه ، يقال لقى فلان خيرا أى جعل يلقاه ، والوفق : التوفيق »[١] ، وأنا أرى أن الوفق التمام فيكون معناه « يا عمر الخير الملقى تمام الخير » وقريب منه قول عبدالله الغامدى :

تعبدوا وأقيموا وفق دينكم ان المغالب صلب الله مغلوب[٢]

أى أقيموا دينكم على تمامه وكماله ، على أنه يجوز أن يكون من الاقامة بمعنى البقاء فيكون المعنى « ابقوا موافقين لدينكم » . قال الزمخشرى فى أساس البلاغة « وجاء القوم وفقا : متوافقين قال :

« يهوين شتى ويقعن وفقا » .

وذكر فى اللسان « جاء القوم وفقا أى متوافقين وكنت عنده وفق طلعت الشمس أى حين طلعت أو ساعة طلعت عن اللحيانى ، وجاء فى نهج البلاغة فى وصف النملة « رزقها وفقها » . قال عز الدين عبدالحميد بن أبى الحديد المدائنى « ويروى : مكفول برزقها مرزوقة بوفقها[٣] » . وقال فخر الدين الطريحى فى مجمع البحرين ومطلع النيرين « والوفق من الموافقة بين الشيئين كالالتحام ، وقولهم : حلوبته على وفق عياله أى له لبن قدر كفايتهم لافضل فيه » . وهذا اللغوى انفرد باضافة « على » الى العبارة المشهورة ، وقال الجاحظ « ذلك المقدار من جميع الصنفين وفق لكثرة حاجاتهم وشهواتهم[٤] » . وقال ابن المقفع « فوجده فى جميع الامور وفق عرضه[٥] » . فلا تتجرد « وفق » من على الا اذا كانت خبرا أو حالا وقال أبو حيان التوحيدى « وكان منظره وفق مخبره » ، والشواهد على أن مثل تينك الجملتين لايستغنى فيه عن ذكر « على » قول عمر بن أبى ربيعة :

فما جئتنا الا على وفق موعد على ملأ منا خرجنا له معا

ونقل صاحب المصباح المنير فى (ش ك ك) قولهم « وقد استعمل الفقهاء الشك فى الحالين على وفق اللغة نحو قولهم من شك فى الطلاق ومن شك فى الصلاة » . وقال ابن النجار فى ترجمة العماد الاصفهانى « وجرت أموره على وفق الصلاح »[٦] .

---

(١) المرجع المذكور « ص ٢١٦ » .
(٢) أساس البلاغة فى « صلب » .
(٣) شرح نهج البلاغة « ج٣ ص١٩٩ » .
(٤) الحيوان ج١ ص٤٣ طبعة عبدالسلام هارون .
(٥) كليلة ودمنة « ص٣٦٩ » طبعة محمد المرصفى .
(٦) معجم الألقاب « ج٤ ص١٢٥ » من نسختى التى انتسختها لنفسى .

وهذا هو الذى جرى عليه المتأخرون قال الرضى الاسترابادى فى شرح الكافية « ج ٢ ص ٣٤٥ » فى باب نعم وبئس: « ويجوز أن يأتى قبل المخصوص أو بعده تمييز أو حال على وفق مخصوصه » .

ومما قدمنا يستبين أن « الوفق » هو القدر والمقدار والمكافأة والكفاء ، فاذا استعمل لبيان الطريقة أو الحال أو الهيئة وجب جره بعلى نحو « جئنا على وفق موعد » و« استعملوا الشك على وفق اللغة » . و« جرى على وفق الاصول وألف على وفق المنهاج » والظاهر من رواية لنهج البلاغة جواز أن يقال « بوفق الاصول وبوفق المنهاج » كما قالوا « بحسب » و « برغم » و « بقدر » .

و « الوفق » عندى أصل اشتقاق الفعل « وافق » لا ن الصفات المحافظة على وصفيتها والمنتقلة الى الاسمية ، هى الاصل فى الاشتقاق فالاسود سابق لفعله « سود » و « الأبيض » سابق لفعله « بيض » و « اللابن والتامر والدارع » سابقة لأسماء الفاعلين المعنوية ، ولا تتفق دائما مع أفعالها ان كان لها أفعال ، وعليه يكون « الوفق » سابقا للفعل « وافق » فى الوجود ، ولما كان يراد به المفاعلة وجب أن يكون على « فعل » بكسر الفاء وسكون العين ، كمثل وشبه وعدل وقرن وسلف وتبع وند وضد والف ، ولكن الواو فى أوله امتنعت من الكسر كما امتنعت واو « زوج » من سبق الكسرة لها فقيل « زوج » ووجهه « زيج » وكذلك « الزور » بمعنى المزاور ، ولكنه خضع للتطور فجعل « زيرا » وخص بالنساء فقيل « زير نساء » أى مزاور لهن ، فكأن الرقة جاءته منهن .

وان لقائل أن يقول : ان « الزور » هو جمع قديم للزائر مثل « آهل وأهل وراكب وركب وسافر وسفر وشارب وشرب وصاحب وصحب وقائم وقوم ووافد ووفد » وغير ذلك ، فيصح على هذا أن يكون الوفق جمع « الوافق » مثل « الراجل جمع الرجل » و « حسب » بمعنى كاف فكأنه جمع حاسب ، و « رهط » فكأنه جمع راهط ؟ فيقال له : ان ذلك واه بالاضافة الى قول اللغويين : ان الوفق من الموافقة (كذا) بين الشيئين كالالتحام ، على أن الموافقة والتوفيق مشتقان من الوفق ، فوافقه : صار وفقا له كما تقول « آخاه : صار أخا له » و « طابقه : صار طبقا له » ووفقه له جعله وفقا له فكأنه لفق له كما تقول « وكله أى جعله وكيلا وقيده بمعنى جعله قائدا » ولما كان الاصل « هذا وفق لهذا » و « كان هذا وفقا لهذا »[1] وجب أن تبقى اللام فى

(١) قال الجاحظ فى البيان والتبيين « ج٢ ص٢٠ » طبعة مصطفى محمد سنة ١٩٢٦ « ومتى شاكل — أبقاك الله — ذلك اللفظ معناه ، وأعرب عن فحواه وكان لتلك الحال وفقا ولذلك القدر لفقا » .

هذا المجرور أيضا حين تعلقــه بالفصل أو مصدره فيقال « وفقه الله للنجاح » و « توفيقه للنجاح » ولا يجوز أن يقـال « وفقه الله الى النجاح » لأن المعروف فى كلامهم أن تعاقب اللام الى للتخفيف مثل « دعا له وقصد له واهتدى له » ولا يصح العكس أبدا ، وقد وقع هـذا الغلط فى عبارة لصلاح الدين الصفـدى قال « وأسـأله التوفيـق الى التحقيق »(*) ، والظاهر أن هذه العبـارة كانت السبب فى انتشار هذا الخطأ فى مصر وغيرها من الاقطار التى تتعاطى الكتابة باللغة العربية ، وقد نبهت عليه غير مرة ، ويحسن بى أن أذكر الشواهد على اجماع أهل اللغة والادباء على أن الصواب « وفقه للامر » لا « وفق اليه » لأعضد القياس بالسماع .

قال الامام على ـ ع ـ فى كتاب له الى أهل مصر : « عصمكم الله بالهـدى وثبتكم بالتقوى وفقنا واياكم لما يجب ويرضى » . وقال محمد بن أبى بكر الصديق ـ رض ـ فى خطبة له خطب بها أهل مصر « فان رأيتم من ذلك عملا بغـير الحق فارفعوه الى فانى بذلك أسعد وأنتم بذلك جديرون وفقنا الله واياكم لصالح العمل »(١) . وجاء فى وصية للامام على ـ ع ـ كتبها من صفين الى ابنه الحسن ـ رض ـ « ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك وأن يهديك لقصدك »(٢). وقال فى خطبة له يصف فيها المنافقين : « نحمده على ما وفق له من الطـاعة وداد عنـه من المعصية »(٣) . وجاء فى العهد المعزو اليـه « وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة أن يوفقنى واياك لما فيه رضاه »(٤) . ومن كتـاب له الى قثم بن العباس « وفقنا الله واياكم لمحابه »(٥) . ومن الكلام المنسوب اليه « الهم أنت خلقتنى كماشئت فارحمنى كيف شئت ووفقنى لطاعتك حتى تكون ثقتى كلها بك وخوفى كله منك »(٦) وقال ابن المقفع « والرجل العالم الموفق للخير(٧) » .

(*) الغيث المسجم فى شرح لامية العجم « ج١ ص٦ » بالمطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٥ هـ وجاء فى أساس البلاغة « والله يوفق عبده للطاعة وفى الطاعة » . واستعمال « فى » لا ينفى اللام فكأنه « يوفقه للفوز فى الطاعة » .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد « ج٢ ص٢٦ ، ٢٩ » نقلا من « كتاب الغارات » لابراهيم بن سعد بن هلال الثقفى .

(٢) الشرح المذكور «ج٤ ص٢٤ » .

(٣) المرجع المذكور « ج٢ ص٥٥٦ » .

(٤) ج٤ ص١٥٣ .

(٥) ص٢٢٣ .

(٦) ص ٥٦٤ .

(٧) كليلة ودمنة « ص ٣٩٨ » .

وقال أبو العباس المبرد فى أول الكامل: « وبالله التوفيــق والحول والقوة واليــه مفزعنا فى درك كل طلبــة والتوفيق لما فيــه صــلاح أمورنا » ، وقال فى موضـع آخر « يقال أوزعك الله شكره أى وفقك لذلك » .

وقال النابغة الذبيانى :

فريع قلبـــى وكانت نظرة عرضت   حينا وتوفيق أقـدار لأقـدار[١]

وهذا الشاهد أقدم زمانا مما ذكرنا من الأقوال ، الا أن مذهبنا تفضيل النثر على الشعر فى الاستشهاد . وقال الحكيم بن عبدل :

فأعفيتنى لمـا رأيت زمانتـــى   ووفقت منى للقضاء المســـدد

وقال أبو نواس يمدح الأمين :

ملك تقصر المدائح عنـــه   هاشـمى موفق للصواب[٢]

وقال أبو العتاهية فى فتح الرشيد لهرقلة :

ألا نادت هرقلـة للخراب   من الملك الموفق للصـــواب[٣]

وقال مروان بن أبى حفصة :

موفق لسبيل الرشد متبـع   يزينـــه كل ما يأتـى ويجتنب

وعلى ذلك جرى المتأخرون فى كتبهم، قال الشريف المرتضى فى تعريف « الاذن » الوارد فى قوله ــ تعالى ــ : « وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله » : « ومنهــا أن يكون الاذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل ، ولا شبهة فى أن الله يوفق لفعل الايمان ويلطف فيه ويسهل السبيل اليــه »[٤] . وقال أبو حيان التوحيــدى « ولا يسـعد بدعوته الا من وفق لاجابته وأذعن لطاعته »[٥] .

وجاء فى الفرج بعد الشدة « فحمد الله على ما وفقه له[٦] » . وقال الجوهرى فى ت و ب « تاب الله عليه وفقه لها » يعنى للتوبة . وقال فى ض ل ل « وفلان يلومنى ضلة اذا لم يوفق للرشـــاد فى عذله » . وقــال فى ى س ر « وقد يسره الله لليسرى أى وفقه لها » وقال الزمخشرى فى ف و ق من الاساس « لا زلت للخير موفقا وسهمك فى الكرم مفوقا » .

---

(١) جمهرة أشعار العرب « ص ١١٧ » من الطبعة الأولى .
(٢) الطبرى فى حوادث سنة ١٩٨ .
(٣) المروج ج٢ ص٢٠٨ طبعة المطبعة البهية .
(٤) أمالى المرتضى « ج١ ص٣٠ » .
(٥) الامتاع « ج٢ ص٢١ » .
(٦) الفرج بعد الشدة « ج٢ ص١٧٣ »

وقال عزالدين بن أبي الحديد « لأن الله - تعالى - أجرى هذه الأمور على أيديهم ووفقهم له، والفاعل لذلك بالحقيقة هو الله - تعالى - »[١] وقال عمر رضي الله عنه ، وقد سأله سائل أيجاب المنافق اذا دعا في ساعة الاستجابة « فان المنافق لا يوفق لتلك الساعة »[٢] وقال ابن أبي الحديد أيضا « ويحتمل أن يكون الذي تمناه - ع - من ابداله بهم خيرا منهم قوما صالحين ينصرونه ويوفقون لطاعته »[٣]. وقال المطرزي « اللهم وفقنا لاصلاح الأعمال »[٤] .

هذه هي الشواهد التي جمعناها من لغة العرب من عصر الجاهلية الى القرن السابع للهجرة ، وكلها مجمعة على استعمال اللام في مجرور الفعل « وفق » ومصدره ، ونود أن ننقل شاهدا معجميا كنا نقلناه من أساس البلاغة في الحواشي السوابق ، قال الزمخشري « يوفق عبده للطاعة وفي الطاعة » وكنا أومأنا الى أن استعمال « في » لا يعني أنها تقوم مقام اللام فكأنه أراد« وفقه الله في الطاعة للفوز » أفلا ترى أنه قال - وقد نقلنا قوله - في ف و ق وتقول «لا زلت للخير موفقا وسهمك في الكرم مفوقا » ؟ فهذا هو الوجه الذي أيدته الشواهد في عصر القدماء وعصر المولدين ، وعلى ذلك يكون « وفقه الله للطاعة » غير « وفقه الله في الطاعة » كما أن « وفقه الله للعمل » غير « وفقه الله في العمل » وان كان الثاني متوقفا على الاول ، أعني أنه لا يقال فيه « وفقه الله في العمل » الا بعد أن وفقه الله للعمل ، وانما دل المجرور بفي على المجرور باللام ، لأن «التوفيق» اختص بالخير، فذكره كاف في ارادة الخير وتعيينه . قال تعالى «وما توفيقي الا بالله » ، وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : « وفقك الله يا أمير المؤمنين فلم تزل موفقا »[٥] . وقد أباحهم هذا الاختصاص أن يتصرفوا في استعمال التوفيق كجعلهم الانسان « موفقا له » لا موفقا ، قال الجاحظ في ذكر قس بن ساعدة : « وانما وفق ذلك لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد »[٦] وآل الاتساع في استعمال التوفيق الى التسوية بين الموفق والموفق له في الجنس ، قال علقمة « قدمت الشام

---

(١) شرح نهج البلاغة « ج١ ص٤٧ » وفي الأصل « بذلك » .
(٢) البيان والتبيين « ج٣ ص١٦٢ » .
(٣) الشرح المذكور « ص ١١٥ » .
(٤) المغرب في ترتيب المعرب « ص٣٢١ » .
(٥) الطبري « ج٥ ص٣٠ » .
(٦) البيان والتبيين « ج١ ص٥٦ » من طبعة سنة ١٩٢٦ بمصر ونقله منه البغدادي في خزانة الأدب « ج١ ص٣٧٦ » طبعة دار العصور غير الكاملة .

فقلت : اللهم وفق لى جليسا صالحا ، فجلست الى رجل فاذا هو أبو الدرداء »[١] ، وقال الأحوص الشاعر « الحمد لله الذى وفقكم لى ، ما أحب أنكم غيركم »[٢] وهو من التوفيق أى جعل الشىء وفقا لغيره ، وكون الموفق ملاقيا مصادفا — كما فى لسان العرب — مستفاد من كونه وفقا أى ملائما مطابقا والملاءمة والمطابقة بعد اللقاء ، وجاء فى الشعر حذف اللام على الحذف والايصال قال أبو بكر بن دريد :

« الله وفقه اتباع رسوله »[٣] .

وهو سائغ جميل لأنه يلائم اللغة العربية فى ميلها الى التخفيف بالحذف ، أعنى حذف حرف الجر وايصال الفعل الى مفعوله ، وهذا مطرد عند العرب فى الأفعال التى تنصب مفعولا به واحدا وتصل الى الثانى بحرف الجر « اللام » ، لأن حذفها لايورث الجملة التباسا ، ومن ذلك قولهم « كسب عياله مالا » أى لعياله و « كالهم برا » أى كال لهم ، « وجناه عسلا » أى له ، قال الشاعر :

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

وقد يكون المحذوف غير اللام مثل « حسده الشىء » و « ساهمه العيش » و« اختار موسى قومه سبعين رجلا » الا أن القياس فى اللام كما ذكرت .

مصطفى جواد

---

(١) تاريخ الخطيب البغدادى « ج١ ص١٦٢ » .

(٢) الأغانى « ج٤ ص٢٤٣ » من طبعة دار الكتب المصرية .

(٣) تاريخ الخطيب « ج ٢ ص ٧٢ » .

أصبحت دراسة النقود ، منذ عهد بعيد ، علما يعنى به ؛ وغدت هذه النقود تنضد فى المتحفات ولها هوون يجمعونها ويعتزون بها ، فرأى الأب أنستاس الكرملى أن يتحف قراء العربية بكتابه هذا[1] . وقد جاء فى آخر مقدمته قوله : « وفى الختام نتوقع أن يقوم من يوفى هذا الموضوع أتم توفية ، ويشبعه اشباعا يرضى أبنـاء العرب والغرب ، نشرا للآداب العربية ، وتحبيبا للغتها وأوضاعها ومصطلحاتها ، وليس ذلك ببعيد على من أوتى العزم والحزم » . فكلامه هذا يجرؤنى على ابداء ملاحظات فى شأن القسم المعنون بـ « أسماء النقود المستحدثة بعد العصر العباسى » (ص ١٦٥ من كتابه هذا) غير أنى لا أجد الموافقة المطلوبة بين البحث الذى طرقه وهذا العنوان ، ذلك أن هذا العنوان يدل على أن الكلام الذى يليه يشمل نقود الحقبة التى ابتدأت فى أثر العصر العباسى ، وهو يريد النقود المستعملة فى بلادنا العربية ، مع أن بحثه خاص بما هو مستعمل من النقود فى هذه البلاد منذ نحو منتصف العصر العثمانى (راجع ١٦٥ المار ذكرها وملاحظاتى الآتية ، تر تلك النقود ليست من النقود التى كانت قبل ذلك الا الآقجه) ، وقد فاته كثير منها مع اهماله لذكر النقود التى كان تداولها فى الأقطار العربية الواقعة فى غرب مصر وفى الحجاز والأحساء . ولو عنون هذا القسم من كتابه بقوله مثلا : « قسم من النقود المستعملة فى معظم البلاد العربية منذ نحو منتصف العصر العثمانى » لانطبقت التسمية على الواقع .

وتدعو الحاجة هنا الى بيان السبب فى غلطات الاب فى كلامه على النقود المستعملة فى أيامه ، ذلك أنه كان من الناس الذين لم تدخل النقود أيديهم وتخرج منها قلت هذه النقود أو كثرت . فقد كان يعيش فى غرفته ـ بل فى صومعته ـ وليس لديه من النقود الا ما يصل اليـه منها لينفقـه على معشوقاته من الـكتب ، فكان له من الغلطـات ما كان .

وهذه ملاحظاتى :

آقجــــه

قال الأب : « المصريون كتبوها ولفظوها (أقشا) كلمة تركية معناها الضارب أو الضاربة الى البياض ، وهى نقد صغير تركى عرف فى مصر ، وكذلك فى العراق . ولكن

(١) طبعه فى مصر سنة ١٩٣٩ م.

قبل نحو أكثر من مئة سنة ٠٠٠[١] ، وباليونانية آسبرون Aspron ، وبالفرنسية آسبر Aspre ، وكان سعرها عند ظهورها نحوا من ٢٢ سنتيما ، ثم هبط الى أدنى من ذلك بكثير » ٠

قلت : لو كانت جيم (آقجه) عربية ، لكان معناها كما قال الأب ٠ وقد جاء في المعجم التركي الفرنسي لديران كلكيان : « آقجة (بجيم عربية) تعنى (Blanchâte) » ٠ ومن المعلوم أن هذه الكلمة معناها « ضارب الى البياض » ٠ وقال كذلك كلكيان : (آقجه) بجيم عربية ، أو (آقجه) بجيم فارسية : نقد ٠٠٠٠ أما شمس الدين سامى فانه يقول في معجمه : آقجه (بجيم فارسية) بياضمسى بياضجه ، (أى ضارب الى البياض) ٠ ويقول أيضا آقجه : مثل السابقة بجيم فارسية نقد فضة صغير ٠ قلت : فلعل الجيم الفارسية الواردة في الكلمة التي قال شمس الدين : ان معناها ضارب الى البياض غلط طبع ٠ فقد أورد كلمة (بياضجه) بجيم عربية كما رأينا ، ومثلها (صاريجه) (أنظر المادة فيه وفي كلكيان) ، ومعناها ضارب الى الصفرة ٠ وجاء في كلكيان (قرمزيجه) كذلك بجيم عربية ، ومعناها ضارب الى الحمرة ٠ واذا رجعنا الى كتب النقود والتواريخ وغيرها نجد اسم النقد انما هو بجيم فارسية ٠ ان هذه الأداة (جه) أداة فارسية ، وهى أداة تصغير كقولك باقجه = بستين ، صندقجه = صنيديق ، فاسم النقد اذن (آقجه) بجيم فارسية ، ومعناها أبيض (بالتصغير) وان رأى كلكيان أن هذا النقد يكتب بجيم عربية أو بجيم فارسية ٠ ويؤيد ذهابى الى أن اسم النقد بجيم فارسية كتاب تقويم مسكوكات عثمانية لاسماعيل غالب ٠ استانبول ١٣٠٧[٢] (ص ٥) حيث يقول : ان لفظة (آقجه) مغولية معناها نقد أبيض ، ولم يقل ضارب الى البياض ٠ وفيه (ص ٥) ان الابتداء بضرب هذا النقد كان في عهد السلطان أورخان العثماني (٧٢٦/٦١) ، وثقله خمسة قررايط وثلاث حبات أى ربع مثقال ، وبحساب الغرامات اليوم أربعة غرامات و٦١٨ ملغرام (ص ٣ وغيرها) ، ثم غير وزنه وحجمه وعياره كثيرا في أثناء قرون عدة مرت ٠ والظاهر أن تعيين الأب لقيمة هذا النقد بنحو من ٢٢ سنتيما (من الفرنك) هو ما رآه في معجم لاروس الحديث المصور في مادة آسبر (Aspre) ، وهو قوله « نقد من الفضة صغير كان مستعملا في تركية وبلاد البربر ، وهو جزء من الباستر (Piastre غرش) الذى

---

(١) أعوض بالنقط هنا وفي ما يليه عما لا يمس جوهر الموضوع وعن أمثال ذلك ، ولا أتعرض للنقود التي كانت مستعملة خارج العراق ، الا ما أعرفه منها ٠ وأما ما زاد على ذلك في كلام الأب فلا أؤيد ما قاله ولا أنكره عليه ٠

(٢) وقد قال في مقدمة كتابه (ص ب) أنه قضى خمس عشرة سنة في دراسة النقود العثمانية ٠

قيمته اليوم اثنان وعشـرون سنتيما ، ويقول المعجم : أن (آسبر) مشتقة من آسبرون اليونانية التي معناها ابيض . قلت : فيكون الافرنج قد نقلوا معنى (آقجه) الى كلمة يونانية . ولعل سبب ذلك تلفظ اليونانيين بهذه الكلمـة من كلمـات لغتهم ، فأخذها الافرنج عنهم ، فان من المعلوم أن بلاد اليونانيين كانت لتركية في ذلك الزمن . ويظهر لي أن معجم لاروس أراد بالياستر الذي ذكره جزءا واحدا من مئـة جزء من اللـيرة العثمانية الذهب (الجزء الواحد هو الغرش) لمساواة الاثنين والعشرين سنتيما لجزء واحد من مئة جزء من هذه الليرة كما هو معلوم .

وأقول : ان الآقجـه لم تكن جزءا من هذا الياستر (الغرش) ، وذلك أنهـا أهمل تداولها بعد أن ضربت الليرة ، واعتبرت مئة غرش ، وكان ذلك بعيد منتصف القرن الماضي للهجرة . فالآقجه كانت معاصرة لقروش قديمة يأتي الكلام عليها . وسبب غلط المعجم وجدانه في مرجع من المراجع أن مئة آسبر تساوي غرشا، فذهب الى ما ذهب اليه ، فقوله مغلوط فيه . هذا بعض ما كنت كتبته في مجلة غرفة تجارة بغداد (٤ « ١٩٤١ » ٢٩٦ ح) ويراجع الباقي هناك .

وجاء في تقويم مسكوكات عثمانية لاسماعيل غالب المار الذكر (ص ١٤ – ٤١٣) أن الآقجه لم يضرب منها شيء بعد سنة ١٢٣٤ ، وهي السـنة الثانية عشـرة لجلوس السلطان محمود . وفي تعريفة لرسـوم الاحتسـاب في بغداد تأريخها سـنة ١٠٩٤ (١٦٨٢/٨٣م) ذكر للغرش والباره والآقجه والبغدادي ، وفيها أن كل عشرين آقجه تساوي بغداديا[1] ويفهم مما هناك ان كل ثماني بغداديات كانت تساوي غرشا ، فكل مئة وستين آقجه كانت تساوي غرشا أيضا . وكثيرا ما كانت تقع اختلافات في ما يساوي النقد الفلاني مما هو أصغر منه أو أكبر منه لتغيير الوزن والعيار في هـذا أو ذاك ، أو لرغبة الناس في نقد دون الثاني ، أو لغير هذا السبب . ولي شواهد على ذلك لا أريد التطويل بسردها . وبعد أن كانت الآقجه نقدا تتداوله الأيدي خلال عدة قرون أمسى أسما لجزء لا وجود له الا في حسابات الحكومة الدقيقة ، فقد وجدت في وثيقة للحكومة تأريخها أول أيلول ١٢٨٢ (١٣ أيلول ١٨٦٦) أن كل ثلاث آقجات تساوي بارة واحدة وكل أربعين بارة تساوي غرشا واحدا ، وكل مئة غرش تساوي ليرة عثمانية ذهبا ، فتكون الآقجه هذه جزءا واحدا من مئة وعشرين ألف جزء من هذه الليرة (تجد النقل من الوثيقة في مجلة غرفة تجارة بغـداد (٥ « ١٩٤٢ » ٦٠٥/٦٠٤) . ولم أطلع على ذكر

(١) راجع التعريفة ، وكنت نشرتها في مجلة غرفة تجارة بغداد (٥ [١٩٤٢] ٣٠٥)

الآقجه في الحسابات بعد ذلك التأريخ . وكانت الآقجه معروفة في بغداد ، وتتداولها الأيدي ، وعندي وثائق تذكرها .

آنـــــه

قال : « نقد هندي من « النكل » دخل العراق في احتلال الانكليز له ، ثم زال ... وهو يساوي ثمانية أفلس ، وبعض العوام يقولون (عانه) بالعين ، وهذا خطأ » .

قلت : هو نقد هندي بريطاني زال من التداول بظهور نقودنا العراقية في سنة ١٩٣٢ ، وهو جزء من الربية التي تساوى ٧٥ فلسا من فلوسنا العراقية بموجب جدول تحويل الربية الى نقدنا العراقي . ولما كانت الربية تساوى ١٦ آنة ، وهذه الربية تساوى ٧٥ فلسا كما ذكرت ، فتكون الآنه مساوية لأربعة أفلس وأحد عشر جزءا من أصل ستة عشر جزءا من الفلس ، وانما الحكومة اعتبرت الآنه خمسة أفلس تسهيلا للمعاملة ، فالآنه لا تساوى ثمانية أفلس . وجدول تحويل الربية الى فلوس نشرته الصحف عند ظهور نقدنا العراقي . ولا يزال فريق من العوام يسمى بـ « آنه » أو « عانه » نقدنا ذا الأربعة الأفلس ، لقربه منها حجما وقيمة وثقلا ، ولاستخفافهم الاسم .

أبو مدفع ، بمدفع ، بومدفع

قال : ويقال بومدفع بحذف الهمزة ، وبمدفع بضم الباء ، أطلب (ريال) .

وقال في مادة (الريال) بعد أنعد أنواع الريالات : « وريالأبو مدفع ، أو بومدفع، أو بمدفع » .

قلت : ان الذى ذكر تسمية هذا النقد بريال بمدفع هو مصطفى الذهبي الشافعي في جدوله (٨٥ من كتاب الأب) ، فكانت هذه التسمية خاصة بمصر . أما في بغداد فكان النقد يسميه الأهلون أبو طوب (والطوب هو المدفع) ، وقد ذكره جونس وقال : « انه نقد فضة ذو خمسة فرنكات ، وعين قيمته بأربعة وتسعين غرشا رائجا باعتبار الليرة ٤٣٠ غرشا رائجا .

اسلامبول سليمى

قال : « نقد ذهبي تركى عراقي[١] قيمته ١٢٠ قرشا رائجا ... »

قلت : ذكره جونس وعين قيمته في جدوله ، ولا شك في أن الأب نقل ذلك من نسخة جدول جونس التي بعث بها ، وهذا النقد منسوب الى السلطان سليم ، وهو مضروب في استانبول كما يفهم من اسمه ، فهو أحد النقدين المذكورين في اسماعيل غالب (ص ٣٤٨ برقم ٨٨٦ و٨٨٧) وثقل الاول ١م و١ وربع ط[٢] والثاني وزنه

(١) ورد هنا للأب ، وكثيرا ما يرد له قوله (نقد تركى عراقي) وهو يريد أنه كان مستعملا في العراق .

(٢) الميم رمز درهم ، والطاء رمز قيراط . اسماعيل غالب (ص يه) .

١م ١ط م ، فوزن كل منهما مثل الثاني تقريبا •

اسلامبول عتيق

قال : « نقد ذهبي تركي عراقي قيمته ١٥٠ غرشا رائجا » •

قلت : ذكره جونس أيضا مع بيان قيمته ، ولعله نقد السلطان عبدالحميد الأول (١٢٠٣-١١٨٧هـ) الذي ذكره اسماعيل غالب (ص ٣٣١ رقم ٨٣٠) ونقله فيه ١م و٦ ونصف مع بعض الزيادة على الاسلامبول السليمي ، وذلك ما جعل الناس تتعاطاه بـ ١٥٠ غرشا أي بزيادة ثلاثين غرشا على اسلامبول سليمي •

اكلك

قال : « والبعض يكتبها « ايكيلك » من التركية أي اثنين ، ومحصل معناها ذات القرشين ، وهي قطعة نقد صغير من فضة قيمتها قرشان » •

قلت : نقل هذه الكلمة عن مصطفى الذهبي (ص ٨٦ وغيرها من كتاب الأب) ، فيكون هذا الاسم من أسماء النقود التي كان تداولها في مصر ، ويظهر أن هذه التسمية لم تكن معروفة في بغداد لاغفال جونس لها ، كما أني لم أسمعها عندنا ، ولم أعثر على من ذكرها في الحسابات •

باره

قال : « في محيط المحيط في مادة (ب ا ر) قطعة من المعاملة تساوي تسعة جدد ، أو خمس ثمن الغرش وتعرف بالمصرية • معرب باره بالفارسية ومعناها قطعة ج بارات » •

قلت : وقال الأب أيضا : « قوله المعاملة بمعنى النقد أو الورق لا يعرفه الفصحاء ، والعرب العصريون لم يقتبسوا الباره من الفرس بل من الترك ، وهؤلاء أخذوها من الفرس ، وهذا ما يجب أن ينتبه له في علم اللغة ، وعشر بارات تساوي غرشا صاغا ، وأهل العراق يلفظون الباره بباء مثلثة تحتية أي باللفظ التركي ، ومثله في الفارسية ، وراجع ما جاء في (ورق) » •

قلت : اكتفى الأب بهذا الكلام الوجيز على البارة ، وهو تعريفه لها بعد منتصف القرن الماضي للهجرة حتى آخر زمن العثمانيين في بلادنا العربية ، فكأن لا وجود لهذا النقد قبل هذه العقود من السنين • أجل كان أمرها في زمن البستاني صاحب محيط المحيط المتوفى في سنة ١٨٨٧ على ما قال • ومحصل قوله أن كل أربعين بارة تساوي غرشا واحدا ، وهذا الغرش جزء واحد من مئة جزء من الليرة العثمانية التي أحدثها السلطان عبدالمجيد • وكان الاهلون في بغداد يسمون هذا الغرش غرشا صاغا (صحيحا) ، وكان أمرها عندنا كما ذكره البستاني في سورية ، وقد ضرب منها ما قيمته أربعون

باره وأقسام من هذه الأربعين ، وهذا النقد ذو الباره الواحدة كان من النحاس وكان ضربه في استانبول ومصر في عهد السلطان عبدالمجيد وعبدالعزيز (راجع كتاب اسماعيل غالب ص ٣٢-٤٢٩ و ٤٩-٤٤٨) واذا ما رجعنا الى قول الأب : « ان عشر بارات تساوي غرشا صاغا» وجدناه في غير محله ، فان عشر بارات كانت تساوي غرشا رائجا ، وهذا الغرش هو ربع الغرش الصاغ . وفي زماننا الاول كنا نطلق كلمة باره على نقد ايراني نحاسي مكتوب عليه : « ٥٠ دينارا » (خمسون دينارا . يا للعجب !) وكنا نسمي هذا النقد « شاهية » أيضا (نسبة الى شاه ايران) ، وكان فريق منا يسميه فلسا ، وكانت أربع قطع من هذا النقد ، وأحيانا أكثر تساوي غرشا رائجا (يراجع ما كتبته في مجلة غرفة تجارة بغداد (٤ « ١٩٤١ » ٢٩٥ وما بعدها) .

ان الذي يظهر مما سلف أن الباره لم تكن معروفة قبل ضرب الليرة العثمانية ، وهذا غير صحيح ، فقد جاء في تقويم مسكوكات عثمانية (٢٠٠-١٩٩) ما نقله عن الرحالة تافرنيه (Tavernier) (٤ : ٤١) وهو ذكره لنقد في استانبول اسمه « باره » يوم كان فيها في سنة ١٦٣١ (١٠٤١) . وقال التقويم : ان المؤرخين لا يذكرون سنة ضرب الباره بصورة صريحة ، وان من هؤلاء جودت باشا . ويفيدنا التقويم أيضا أن أول ذكر للباره ما جاء في تافرنيه ، كما مر بنا ، فيكون أول خبر وقف عليه اسماعيل غالب واردا في أواخر الثلث الاول من القرن السابع عشر للميلاد (١٠٤١هـ) . وجاء في معلمة الاسلام : ان الباره نقد تركي بدأ ظهوره في القرن السابع عشر (أوله ١٠١٠ للهجرة) وأنه من الفضة ، وكانت قيمته أربع آقجات . ولم تعين المعلمة سنة الضرب ، فاذا أصعدنا تأريخ ظهور هذا النقد الى بدء القرن السابع عشر نرى المعلمة كاسماعيل غالب لم تقبض على ناصية الحقيقة . وقد ظفرت بما يفيد أن نقدا اسمه « باره » ، كان معروفا في بغداد على ما جاء في نسخة كتاب لوالي بغداد جغاله زاده سنان باشا الى السلطان ، تأريخه العقد العاشر من المئة العاشرة (١٥٨٣/٩٢) يشكو فيه ظمأ النجف ويذكر أن سكانها يشترون قربة الماء المشروب بخمس بارات أو ست . وهذا الكتاب بالتركية ، وهو مما تضمنه الكتاب المسمى « بدستور الانشاء » لصاري عبدالله ، وعندي قسم منه مخطوطا ، ولا علم لي بطبعه . وأكتفي بشأن الباره بهذا الخبر الذي لم يطلع عليه اسماعيل غالب ، ولا كاتب المادة في المعلمة . وقد أوردت هنا أول خبر عن الباره في بغداد وآخر خبر عنها . وكنت نقلت فحوى كتاب الوالي في مجلة الاعتدال (٥٤ « ١٣٥٥ = آذار ١٩٣٧ » ١٠٠) .

بقشـــة

قال : (بعد أن تكلم على أنها أساس النقد عند اليمانيين) : « وبقشـة تسـاوى القمرى عند العراقيين أو قرشين رائجين . والبقشة من التركية باغجه أو بغجه ، أى صرة أو خرقة ، لاسيما تلك الخرقة التى تلف بها الدراهم فسميت بذلك » .

قلت : ان كانت هذه الكلمة تحريفا للكلمة التركية باغجه أو بغجه التى قال الأب ان معناها صرة أو خرقة لاسيما تلك التى تلف بها الدراهم ، فهذا المعنى غير صحيح ، فان باغجه (ومن غير الأتراك من يقول « بقجه ») ـ وهى تصغير باغ ـ ، ومعنى باغجه : بسيتين = حديقة ، فهذه الكلمـة لا تعنى ما قاله الأب . ويفهم من المعنى الـذى ذكره لباغجه أنه يراد بها كلمة بوغجه (بواو بين الباء الموحدة والغين المعجمة) ، وهى قطعـة نسيج تلف بها الالبسة وأمثالها ، ولكن لا تلف بها الدراهم كمـا هو معلوم ، وانمـا النقود توضع فى كيس وما يضاهيه ولا تلف لفا فى بوقجه . وان أريد حفظها فى قطعة نسيج ، فانها تعقد ، أو تلم أطرافها وتشد ، أو تخاط . وان كانت بقجه تحريف باغجه فهل استحسن أهل اليمن منظرها كأنها حديقة ، فقـالوا باغجـه محرفة ؟ والأعراب عندنا كانوا يسمونها (بكشه) بضم الباء واسكان الكاف العربية ، قبل أن عادت الينا فى السنين الأخيرة لفظة حديقة . وليس لدينا ما يؤيد أن البقشة كانت تسـاوى القمرى أو قرشين رائجين عند العراقيين . والظاهر أن بقشة محرفة من (بر آقجه) أى آقجه واحدة ، فان اللفظ والمعنى يوافقان المقصود كل الموافقة . وفى رحلة سلفاتور أبوتتى الايطالى فى اليمن فى سنة ١٣٥٣ المطبوعة فى مصر فى سنة ١٩٤٧ ترجمة طـه فوزى (ص ٥٢) : « ان البقشة هى عملة قيمتها واحد على أربعين من الريال » .

بوطـاقة(١)

قال : « ضرب من الريال هو أبو طاقة أو بطاقة أو بوطاقة . أطلب (ريال) » .

قلت : رجعت الى مادة (ريال) فرأيت فيهـا تعريفه اياه لنـا بمعنـاه مع ذكره لأنواع منه ، وأن سعره اختلف فى البلاد وفى الأزمنـة ، ثم قال : « ان من الريالات أبو طاقة أو بوطاقة أو بطاقة . » ويظهر لى أن لفظة ريال أبى طاقة منقولة عن مصطفى

(١) قال اسماعيل غالب (ص٤٢٠ح) وان كتب ما رسل الكلمة بـ « بى » الفرنسية الا أن الكلمة عربية ناقلا ذلك عما جاء فى ترجمة القاموس الى التركية (٢/٨٧١) ، وهذه جملة القاموس العربية بنصها : « البطاقة ككتابة الحدقة والرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب التى ترقم ثمنه لأنها تشد بطاقة من حدب الثوب .

وفى أقرب الموارد عن الجوهرى : « رقيعة توضع فى الثوب فيها رقم الثمن بلغة أهل مصر ... »

الذهبي فقد جاءت في جدوله في كتاب الأب (ص ٨٥)وهذا الاسم لم أجد من ذكره بين أسماء النقود التي كانت تستعمل في بغداد ، وجد فيها هذا النقد أو لم يوجد . أما في مصر فقد جاء عنه في كتاب التوفيقات الالهامية للواء المصرى محمد مختار باشا (بولاق ١٣١١) فيما ذكره من حوادث ١٢١٠هـ ما يأتي (١٧٩٥/٩٦) قال : كان للريال أبي بطاقة قيمتان : احداهما تسعون نصفا وهي القيمة الديوانية ، وسعر في المعاملة بين الناس ، وهي مختلفة تارة ١٢٢ ، وتارة ١٥٥ نصفا فضة » .

بشلغ ، بشلك ، بيشلغ ، بيشلك

رجعنا الاب في مادة بشلغ وبشلك الى مادة بيشلغ ومادة بيشلك ، وقال في مادة بيشلغ « وبعضهم يكتبها كما يكتبها الترك (بيشلك) ومعناها ذو خمسة ؟ لأن (بيش) خمسة ، و(لك) بمنزلة ياء النسبة عند العرب ، ومعناها (ذو) . وكان أصل وضعه خمسة قروش ذهبا ، ثم توسعوا في معناها ، فلم يلاحظوا فيه الخمسة ، بل مطلق النقد وان اختلفت قيمتها . وقيمة البشلغ العتيق ٧٢ قرشا ، والبيشلغ الجديد خمسة قروش صاغ أو ٢٠ قرشا رائجا . وهذا كان من الفضة في غالب تركيبه .

قال في مادة (بيشلك) : من التركية (بيش) أي خمسة مختومة بالأداة (لك) الدالة على النسبة بمعنى (ذي) وأغلبهم كتبها بشلك أو بشلغ ، وهو نقد فضي ذو خمسة غروش . وكان عند المصريين بيشلك قديم وبيشلك جديد وهونفس البيشلغ .

قلت : يكتب الترك اليوم الكلمة (بشلك) من دون ياء بعد الباء . وأداة (لك) اذا ما ألحقت بعدد دلت على ما يحويه من الوحدة . وهذه الأداة تلحق بالألفاظ الخفيفة. أما في الالفاظ الثقيلة فانها تكون (لق) كقولك (أونلق) ، فبشلك تعني ذا الخمسة أو الخماسي . وليس بالحاق ياء النسبة بخمسة . ولم يتوسع أحد في معنى البشلك ولم يطلقوه على كل نقد وان اختلفت قيمته ، وانما الترك توسعوا في لفظة آقجه وباره فاعتبروهما بمعنى نقد من أي نوع كان . ونحن البغادة قلنا ونقول (فلوس) وأهل سورية ولبنان ومصر يقولون (مصارى) في هذا الباب .

وقد عين الاب قيمة هذا البشلك العتيق بـ ٧٢ قرشا رائجا ، ولا بد أن يكون هذا التعيين نقلا من جدول جونس الذي نظمه في سنة ١٨٥٤ (١٢٧٢هـ) يوم كان في بغداد ، كما أن هذا الجدول ذكر ربع المجيدى الفضة وقال : « قيمته عشرون قرشا رائجا » ، وهذه العشرون من القروش الرائجة تساوى خمسة قروش « صاغ » (أي صحيحة) ، فيكون البشلك العتيق من النقود السابق ضربها لربع المجيدى الذي كنا

نسميه بشلك . وقد وجدت فى اسماعيل غالب (ص ٣٧٨) بين أسماء النقود المسماة الجهادية نقدا ذا خمسة قروش (من قروش قديمة) سمى بعد ضرب الليرة المجيدية الذهب والمجيدى الفضة وأقسامه (عتيق بش غروشلق) ، وهو من النقود التى ضربها السلطان محمود (٥٥-١٢٣٣هـ) ، وليس فى وسعى أن أتكلم على البشلك فى مصر . ولفظة بشلغ بغين كانت على ألسنتنا . أما اذا تكلمنا بالتركية ، فكنا نقول بشلك .

تالير

قال : « وبعضهم يفخمها فيقول (طالير) وآخرون يتقعرون فى لفظهم ويتفلسفون فى كتابتهم ، فيرسمونها (ثالير) بالثاء المثلثة ، والشائع (تالير) بالمثناة الفوقية ، وهى من الافرنجة Thaler وهو نقد ألماني الأصل من فضة . وكان فى القديم يساوى ثلاثة ماركات ، ثم تغير سعره مع الزمان والمكان . وقد عرفه الشرقيون من سوريين ومصريين فى الايام الاخيرة قبل نحو نصف قرن . »

قلت : ذكر جونس ريالا قيمته ٩٩ قرشا رائجا ، وكتب بالانكليزية أنه نقد اسبانى . وقد وهم فى هذه النسبة ، وكنت قد رأيته تتداوله الأيدى فى حداثتى ، وهو نقد عليه صورة ، ثم عرفت انها صورة (مارى تيريز) انبراطورة ألمانية وملكة هنغاريا وبوهيمية وأرشدوكة أوسترية ، المولودة فى سنة ١٧١٧ والمتوفاة فى سنة ١٧٨٠ (أنظر فى شأنها معجم لاروس الحديث المصور) . ولعل جونس عده اسبانيا لأن أصل هذا النقد واسمه كانا اسبانيين ، وكان قد انتشر فى الشرق وأفريقية ، ودام ضربه على هذا الوجه . وقد كتب فيه كتابا فى ٢٠٦ صفحة مارسيل - موريس فيشل Marcel-Maurice Eishel) باريس ١٩١٢ وصدره بـ « خارطة » البلاد التى كان أهلها يتداولونه فيها مع صورة هذا النقد . وفى آخر الكتاب جدول بسنى ضربه من سنة ١٧٥١م الى سنة تأليف الكتاب . وذكر هذا النقد باسم (ريال فرنسة) مكتوب للسيد عبدالجليل (له ديوان مطبوع) مؤرخ بسنة ١٢٢٦ (١٨١١) ، وهو فىالبحرين اذ ذاك ، وذلك فى خبر (سعود آل سعود) بأخذهم من آل عتبة ثلاثين ألف ريال فرنسة (كنت نقلت المكتوب فى مجلة لغة العرب (٦ ، ٢٩-١٩٢٨ ، ٤٣-٧٤٠) ، وتجده فى « مباحث عراقية » ، وكان هذا النقد رائجا فى بغداد ومعروفا قبل نحو ستين سنة ، وقد استمر رواجه فى بلاد العرب ، ومن ذلك ما نراه فى رحلة الايطالى سلفاتور ايونتى[1] فى اليمن فى سنة ١٣٥٣ (١٩٣٤) (ص ٧) فانه قال وهو فى سيارة ، وكان هناك (فيها أيضا كيس ... وهو كيس النقود ، لأن الشعب اليمنى ليست له ثقة فى قطع

(١) نقلت الرحلة الى العربية بقلم طه فوزى .

الأوراق ... كنقود اذ أنه في اليمن كما في بلاد الحبشة يستعمل (ريال ماريا تيريزا) . وكان في هذا الكيس ألف من الريالات لا يقل وزنها عن الثمانيـة والعشـرين من الكيلوجرامات . وكان يقال هناك ريال فحسب » اه . أما تسميته في بغداد بفرنسة ، وقول السيد عبدالجليل « ريال فرنسة » ، فلعل سبب ذلك أن النقـد مكتوب فيه ماري تيريز أرشدوكة أوسترية التي كان يسميها معظمنا (نمسة) ، فأخـذت الألسن تقول للنقد (فرنسة) لشيوع ذكرها عندنا أكثر من نمسة مع قرب اللفظة (وراجع ريال) .

تومــــان

قال : « نقـــد ايراني من ذهب كان معروفا في العراق لمجـاورته لايران ، وهو كالليرة العثمانية التي تساوي ٤٠ قرشا رائجا لكن اختلفت قيمته باختلاف الزمان وهو معروف الى يومنا في العراق » .

قلت : قد زل القلم في قوله ان الليرة العثمانية تساوي ٤٠ قرشا رائجا ، ولعل سبب الزلل سقوط صفر في الطبع . ان الليرة كانت تساوي مئة قرش صاغ (صحيح) بحساب الحكومة قبل اعلان الدستور (المشروطية) ، ثم بعد اعلانها جعلت تساوي مئة وغرشين وأربعا وعشرين باره (٢٤ باره = ٦٠ سنتيما من الغرش) . أما بين الناس ، فكانت تساوي اذ ذاك مئة وثمانية قروش صحيحة وبحساب الغروش الرائجة ٤٣٢ قرشا . وكان قيمة التومان في عهد جونس ٢٠٨ قروش رائجة وباصطلاح القروش الصاغ ٤٢ قرشا ، وهو لا يشبه الليرة ، والعراق لا يعرفه في التداول منذ عقود سنين ؟ فاني لم أره في أيدي الناس متداولا .

بندقلي (جديد) بندقلي محمودي (قديم) فندق

(١) بنـــدقـلي

قال : « وبعضهم يقول فندقلي على السواء وهي نسبة تركية الى البندقية من مدن ايطالية ، وهو نقد ذهبي كان معروفا في مصر قبل نحو قرن ، وكان عندهم بندقلي محمودي جديد . وكان عندهم بندقلي أو فندقلي سليمي . وأسعار هـذه النقود كانت في صعود وهبوط دائمين . وقد قلنا : ان البنـدقلي غير البنـدقي ، فلكل معنى غير معنى الثاني ، والسعر مختلف جدا » .

(٢) بنـــدقي

وقال : « بياء النسبة وبضم الأول والثالث هو عند المصريين ما يسميه العراقيون

(بندق) ، وهو نقد ذهب . واختلفت قيمتـه أيضا باختـلاف الزمان والمكان ، وهو غير (البندقي) . وراجع فندق وان كان أصل اللفظين واحدا . ويقال في بندق (فندق) أيضا وهو نقد ذهبي مصري كان رائجا قبل نحو مئة سنة . وكان عندهم بندقي جديد وبندقي عتيق ، ويقول بعضهم (فندقي) ، وراجع (فندقي) » .

(٣) فنــدق

ثم قال : « الفندق فندقان : فندق جديد ، وفندق عتيق . فالفنـدق الجديد نقـد تركي عراقي من ذهب ، قيمته ١٦٠ قرشا رائجا . والفندق العتيق يساوي ٢٠٠ قرش رائج . وأصل (فندقي) بياء النسبة ، والترك يقولون فنـدقلي ، وكلاهمـا منسوب الى الفندقية من بلاد ايطالية ؛ لأنه يضرب فيها ، ثم استغنوا عن ضربه في تلك المدينة ، والاسم بقي على حاله الأولى . وتلفظ فندق وفندقية بضم الأول والثالث . ويقال بندق وبندقية . وقيمة البندقلي اختلفت دائما عن قيمة البندقي » .

قلت : ان الأداة (لي) هنا تعني الاشتمال والاحتواء ، أي أن هذا النقد فيه فندق التي نقولها نحن البغداديين بندقا . وبندقلي ليست بنسبة تركية الى البندقية (المدينة) . فان أردنا النسبة اليها اتباعا لقواعد اللغة التركية ، فعلينا أن نقول (بندقيه لي) . ثم ان الترك لا يسمون المدينة بندقية كما نسميها ، انما يقولون (ونديك) ، فالنسبة اليها « ونديكلي » عندهم . وفي اسماعيل غالب وهو من علماء النميات التركية كما مر بنا (٢٧٤ من كتابه) : « ان سبب التسمية تشابه النقط ـ وباصطلاح آخر ـ الحبوب التي بأطراف النقد للفندق » وفيه : « أن من هذا النقد ما كان ضربه في مصر » . ولا شك في أن ذكر الأب لوجود فندقين قيمة العتيق منهما ٢٠٠ قرش رائج ، وقيمة الجديد ١٦٠ قرشـا ، هو منقول من جدول جونس في النقود التي كانت مستعملة في بغداد في الزمن الذي كان فيها (سـنة ١٨٥٤) ، وان لم يذكر الاب محل التعامل بهذين النقدين . وفي جونس : « أنهما من ضرب الجزائر » . ولكن ليس في اسماعيل غالب ما يشير الى ضرب نقود بهذا الاسم في تلك البلاد . والذي يبين لي ، أن الفنـدق العتيق هو من ضرب السلطان سليم الثـالث (٢٠٣-١٢٢٢ = ١٧٨٨/٨٠٧) ، فقد ذكر اسماعيل غالب ضربه في (استانبول) لنقد باسم فندق مع بيان وزنه ١م وط ١ وربع (اسماعيل غالب ص ٣٤٨) . أما الجديد ، فلا يبعد أن يكون المضروب في (القسطنطينية) للسلطان مصطفى(٢٣-١٢٢ = ٨٠٨-١٨٠٧) ، فقد ذكره اسماعيل غالب أيضا وعين وزنه ١م ، وقد سماه فندقا (ص ٣٦٢ رقم ٩٣٢) . وهذان الوزنان اللذان يقل ثانيهما عن الاول يجعلانني أعتد بعض الاعتداد بما ذكرته ، أي أن أحد الفندقين للسلطان سليم والثاني للسلطان مصطفى . وراجع مادة (فندقلي)

في المعلمة الاسلامية تر أن المقصود بهذه الكلمة النقد المسمى (فندقا) . وليس هناك ما يشير الى أن الكلمة تحريف (بندقلى) باعتبار أن هذه الكلمة هي نسبة الى مدينة البندقية . وجاء في المعلمة أيضا أن (الفندقلى) لم يضرب منذ زمن السلطان محمود الثاني (٥٥-٢٢٣ = ١٨٠٨/٨٣٩) ، الا أن آخر ذكر للفندق في اسماعيل غالب هو ضرب السلطان مصطفى اياه كما مر بنا . ويا ليت الأب أبان لنا مصادر بحثه بايضاح . وأقول أخيرا : ان كلمة البندقلى والفندقلى وبندق وفندق مصدرها واحد وان اختلف وزن هذا النقد باختلاف الزمان والمكان ، ولا أظن أن البندقى منسوب نسبة عربية الى البندقية ، وانما هو منسوب الى (بندق) بابدال فاء النقد المسمى (فندق) بباء موحدة .

وقد سبق أن قلت : ان اسماعيل غالب لا يذكر نقدا اسمه « فندق » للسلطان محمود ، مع أننا نرى في جدول مصطفى الذهبي (كتاب الأب ص ٨٤) نقدا مسمى (بندقلى محمودى قديم) ، وآخر اسمه (بندقى جديد) فهل يمكن أن يكون التوفيق بين الكلامين هو أن المصريين رأوا أن يطلقوا هذين الاسمين ـ أحدهما بنسبة تركية ، وثانيهما بنسبة عربية على نقدين للسلطان محمود أو على نقد واحد للسلطان محمود ، وعلى نقد آخر لخلفه السلطان مصطفى أو السلطان عبد المجيد ، وان لم يسمياه في (استانبول) فندقا ؟ ان هذا لجائز . وفي المعلمة الاسلامية في مادة (زر محبوب) أن ضربا من هذا النقد هو فندق . وسيأتي الكلام بتفصيل على محبوب وزر محبوب .

تلق (حميدى) وتلق (مجيدى) (بكسر التاء واللام)

قال : « نقد فضي مصرى ، والكلمة من التركية (آلتيلق) . وكان عندهم (تلق حميدى) وهي من أيام عبدالحميد . ومعنى تلق ذو أربعة ، لأن (آلتى) معناها أربعة و (لق) أداة الاضافة عندهم ، كأنك تقول : أربع أو ذو أربعة غروش أو نحو ذلك » .

وقال : « تلق مجيدى . والكلمة الأولى تركية أصلها (آلتيلق) أي ذو ٦ قروش ، وهذه القطعة منسوبة الى السلطان عبدالمجيد ، وهي قطعة مصرية فضية كانت شائعة في أسواق مصر قبل نحو مئة سنة . وكان عند المصريين « تلق » ثان اسمه (تلق مجيدى) » .

قلت : لاشك في أن نقل اسم هذين النقدين ، ووصف أحدهما بحميدى والثاني بمجيدى ، هو عن مصطفى الذهبي ، وما زاده الأب على قوله (آلتى) معناها أربعة ، فهو غير صواب ، فان معنى (آلتى) ستة . وقد أصاب في قوله (ستة) في (تلق مجيدى) . وليست (لق) أداة اضافة . وقد مر بنا ما يراد بها في مادة (بشلك)

وليس لي أن أنكر على الذهبي قوله وجود تلق حميدي وتلق مجيدي ، ولكن اسماعيل غالب لا يذكر (آلتيلق) للسلطان عبدالحميد لا الأول (١١٨٧/١٢٠٣) ولا الثاني وانما يذكر (آلتيلق) للسلطان محمود (ص ٣٨٥ رقم ١٠٣) وقد ضرب في سنة ١٢٤٩هـ ، وآخر للسلطان عبدالمجيد (ص ٤٢٤ رقم ١١٤٧) وهو مضروب في سنة ١٢٥٥ (وراجع الجدول ٣ لاسماعيل غالب في آخر كتابه و ٤١٦ و٤٢٤) وهما مضروبان في (القسطنطينية) ، فهما ليسا بمضروبين (بمصر) ليقال انهما مصريان .

تمشلك (بكسر التاء والميم وسكون الشين وكسر اللام)

قال : « نقد فضي مصري كان معروفا في بلاد وادي النيل قبل نحو من مئة سنة . والكلمة تركية من (آلتمشلك) أي من آلتمش ، أي ستين مع أداة النسبة ، فيكون معناها (ذات الستين باره) أو نحوها من النقود الصغيرة النحاسية أو الفضية . »

قلت : نقل وجوده في مصر عن الذهبي ، والترك يلفظون الكلمة « التمشلق » لأن لفظة آلتمش ثقيلة . وقد ذكر اسماعيل غالب (ص ٣١٥) ضرب السلطان مصطفى الثالث لآلتمشلق (١١٧٩ = ١٧٦٥/٦٦م) ، وذكر (ص ٣٣٥) آلتمشلق ثانيا للسلطان عبدالحميد الاول (١١٨٧) وثالثا (ص ٣٥٠) للسلطان سليم الثالث (١٢٠٤) ورابعا (ص٣٦٣) للسلطان مصطفى(١٢٢٢) ، وخامسا (ص٣٨٥) للسلطان محمود الثاني (١٢٢٣) ، وقد سماه (جديد آلتمشلق) ، راجع جدول اسماعيل غالب في آخر كتابه . والظاهر أن النقد الذي قصده الذهبي هو هذا ، وفيه أنه يساوي ٦٠ باره ، فهي من البارات المعروفة قبل ضرب الليرة المجيدية الذهب وأقسامها وضرب المجيدي الفضة وأقسامه في سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) . وكل هذه النقود مضروبة في القسطنطينية (راجع اسماعيل غالب ص ٣١٥ و٣٣٥ و٣٥٠) فالآلتمشلق ليس بنقد مضروب في مصر ليقال انه مصري . وجاء في تأريخ يوسف الخوري عبود الذي دون أخبار حلب في أكثر من ٣٥ سنة آخرها أخبار سنة ١٢٢٠ = ١٨٠٥[1] قوله في آخر أخبار سنة ١٢٠٣ (١٧٨٨/٨٩) ما هذا نصه : « وفي هذا التاريخ حضر سكة جديدة أكبر من القرش الستيني بقرشين ، وقيل : أنه ذات (كذا) القرش المصطفاوي (كذا) سكوه بقرشين ، لأنه صار ضيقة على الخزائن في هذا السفر (أي الحرب) والمصروف عظيم لا يقدر » اهـ .

---

(١) لا يزال هذا الكتاب مخطوطا ، ونسخته الوحيدة بخط مؤلفه هي عندي ، ولي بعض وصفه في (لغة العرب) وفي (مباحث عراقية) ص ١٩٣ .

جرخي (بجيم فارسية في الاول)

قال : « نقد تركي عراقي من فضة قيمته تسعة قروش وربع . والكلمة منسوبة الى (الجرخ) بالفتح وهي كلمة فارسية ... والمراد بالجرخي هذا النقد الاملس الدائر الخالي من التسنين أو السلسلة . »

قلت : يصح الآن قوله ان هذا النقد تركي عراقي ، لأنه مضروب في بغداد[1] ، وكان ضربه في عهد السلطان محمود . وقد عين الأب قيمته عن جونس . وجاء في اسماعيل غالب (ص ٣٨٨ رقم ١٠٥٣) : « جديد بشلك (ضرب بغداد) هو تقليد بشلك القسطنطينية الى درجة مع نقص في وزنه ، وهو ما يسمى اليوم (جرخي) في بغداد . » وهذه الغروش المذكورة في جونس أحدها جزء من ٤٣٠ جزءا من الليرة الذهب العثمانية . وجاء في جريدة الزوراء في عددها المرقم بـ ٣٨٢ والمؤرخ في ٢٢ رجب ١٢٩٠ = ٣ أيلول ١٢٨٨ (١٥ أيلول ١٨٧٣) أن الجرخي من ضرب علي باشا يوم كان واليا في بغداد .

جهـــادي

قال : « نقد تركي عراقي ذهبي قيمته ٣٤٠ قرشا رائجا ، والكلمة منســوبة الى الجهاد ككتاب . ويظن أنه ضرب في أيام الجهاد . »

قلت : نقل اسم هذا النقد وقيمته عن جونس ، ولو قال قرشا رائجا باعتبار الليرة العثمانية ٤٣٠ كما في جونس نفسه في شأن قيمتها لفهم المراد بالقرش الرائج ، ودفع كل التباس ، لوجود غروش قديمة تختلف كل الاختلاف عن هـــذه الغروش . ولا أدري أي نقد أراده جونس ، فان اسماعيل غالب (ص ٣٧٨) يذكر عدة نقود أطلقت عليها لفظة (جهادية) ، ولكنها ليست ذهبا بل فضة ، وهي للســلطان محمود الثاني (٥٥-١٢٢٣ = ٣٩/١٨٠٨) . (أنظر اسماعيل غالب ص ٣٧٨ وما بعدها وص ٤١٢) والظاهر أن جونس أراد نقدا من النقود الذهب لهذا السلطان ، كان ضربه قبيل ضرب النقود التي عملت لتأدية نفقات الجهاد ، وكان في ذلك الزمن جهـــاد (أنظر التاريخ) ان ظن الأب مصيب في سبب التسمية .

جنيـــه (بفتح الجيم وفتح النون)

قال : « وزان أمير ، والعراقيون لم يسمعوا بهـــذا النقد ، بل يرونه مكتوبا في

---

(١) ضرب نقد ذهب في الحلة على عهد السلطان سليمان الأول (اسماعيل غالب ص ١٠٥ رقم ٢٨٢ ، وفي آخر الكتـــاب رسمه) .

الصحف المصرية والكتب المطبوعة في ديار النيل ، ويلفظونها جنيـة مؤنث الجنى وزان الهندى . وقد حاولنا مرارا أن نصلح غلط من يقرأ هذه القراءة السيئة ، فكان جواب القارىء : أن تلفظ جنيـة ، لأن الذهب المصرى يسحر العقول والأنظـار كبنـات الجن[١١] ... الى أن قال : ومن الجنيهات التى كانت معروفة فى مصر قبل قرن جنيـه مجيدى وهو الدينار العثمانى ... »

قلت : ولم أسمع من قال لهذا النقد (جنية) مؤنث الجنى ، ثم انه لو قال « جنية مجيدى » وهو الليرة العثمانية ، لوافقت هذه التسمية نوعا ما يقوله الناس ، لأنه لم يسمع تسمية هذه الليرة بدينار مجيدى[١] .

خرية وخيرية

قال : « ١ ـ خرية وزان هندية من النقد المصرى الذهبى الذى زال اسمه اليوم من التجارة ومن الاسواق . والكلمة منسوبة الى خير بك ، وذلك أن السلطان سـليما أو السلطان سليم شاه كما يقول بعض المؤرخين أودع ولاية الديار المصرية سـنة ٩٣٠ (١٥٢٣/٢٤) الى الأمير المذكور، وكان يلقب بملك الأمر، فضرب النقد الذهب ، فسمى خيرية على وزن ديرية ، ثم صحفها العوام فقالوا (خرية) بكسر الخاء وتشديد الراء المكسورة فياء مثناة تحتية مشددة فهاء .

ثم أن الذين ضربوا الذهب فى مصر بعد الأمير خير بك راعوا الاسم من غير أن يتقيدوا بأنه من ضرب الأمير ، لأنهم طبعوا دنانير على حجم الخيرية وشكلها ، فسميت خيرية لهذا السبب دون غيره . فكان عندهم « خيرية » أو « خرية » مصرى . وكانت تضرب فى مصر نفسها، وكان يأتيهم مثلها من استانبول، وكانوا يسمونها (خيرية استانبولى قديمة) هكـذا بهذين الوصفين : الأول مذكر ، والثانى مؤنث كما ترى ، وهو فى منتهى الغرابة . وكان عندهم « خرية مصرى قديمة » بسعر قائم بنفسه .

٢ ـ خيرية : هى المسماة فى مصر خرية ، وخيرية بلسان أهل فلسطين ، وهى من ذهب . وهى نوعان : خيرية استانبولى قديمة ، وخرية مصرى ، وثمن كل منهمـا ٢٠ قرشا تركيا . »

قلت : ان السلطان سليما لم تمتد أيامه الى سنة ٩٣٠ ، فقـد كان آخرها سـنة

---

(١) المجلة : ما رمى الكرملي العراقيين به من الجهل والسخف فى هذه الجملة ، له فى مقالاته أشباه ونظائر كثيرة كان (تجاوز الله عنه) يحلو له أن يخترعها اختراعا ، لتكون من المأثورات عنه فى بطون الدواوين ، وفي نفى الفاضل يعقوب سركيس لروايته هذه عن العراقيين ما يؤيد رأينا هذا فيه .

٩٢٦ ، وان ما ضرب باسمه نوعان من النقود الذهب كان يقال لهما تارة (سلطانى) ، وتارة (أشرفى) ، والأشرفى نسبة الى الأشرف لقب ملوك مصر الذين لقب كل منهم بالملك الأشرف (اسماعيل غالب ص ٨١) • ان لفظة خيرية متأخرة عن تلك الأزمنة ، فانها أطلقت على نقد ذهب من ضرب السلطان محمود الثانى (٥٥/٢٣-١٢ = ١٨٠٨/٣٩) ، وعلى نقد مزدوج من هذا النوع والفئة ، وعلى نقد آخر هو نصف من هذا النوع • وفى عهد السلطان محمود هذا ضربت خيرية فى مصر ، وهى نصف الوحدة (اسماعيل غالب ص ٣٩٠ رقم ١٠٦٢) ، فلا صلة بين هذا الاسم للنقود المار ذكرها وبين خير بك ، فان لفظة خيرية مقتبسة مما كان يقال له (تنظيمات خيريه) وهو تعبير بدىء باستعماله فى عهد السلطان محمود (راجع مادة تنظيمات فى معلمة الاسلام) •

الدبلون (بفتح الأولين وضم اللام) ، ودبنون (بفتح الأولين)

قال : « الدبلون وزان حلزون نقد ذهبى سمعنا به بلفظ دبلون فى العراق • وأما أهل مصر ، فيلفظونه دبلون كزيتون ، وهو فى الأصل من ضرب الاسبانيين ، وكان معروفا فى سورية أيضا ، وقيمته ستة عشر ريالا أو يزيد أو ينقص بموجب البلاد والزمان • وبالاسبانية دبلو ن Doblon

« دبنون • وزان حلزون هو دبلون ، وتلك بلغة أهل العراق • راجع الدبلون • وسمعنا من يقول (أبو دبنون) • »

قلت : لم أسمع تسمية (دبنون) ولا (أبو دبنون) ولا أعرف من أمره شيئا فى مصر وسورية • أما فى بغداد ، فانه كان يساوى ١٦٠٠ قرش رائج باعتبار الليرة العثمانية ٤٣٠ قرشا رائجا فى سنة ١٨٥٤ (راجع جونس) •

ربع مجيدى ومجيدى

قال : « ربع مجيدى نقد تركى عراقى من ذهب قيمته ٢٠ قرشا رائجا • راجع مجيدى •

« مجيدى • المجيدى : مجيديان كبير وصغير ، وكلاهما نقد تركى عراقى فضة • فالمجيدى الكبير قيمته ٨٠ قرشا رائجا ، والمجيدى الصغير يساوى ٨ قروش رائجة وبقيت القيمة واحدة • وكان عندهم نصف مجيدى وقيمته ٤٠ قرشا رائجا وربع مجيدى ويساوى ٢٠ قرشا رائجا • والمجيدى منسوب الى السلطان عبدالمجيد الذى ولى السلطنة سنة ١٨٣٩ للميلاد ••• وتوفى سنة ١٨٦١ للميلاد • »

قلت : قوله : « ان ربع المجيدى من ذهب قيمته ٢٠ قرشا ليس بصحيح فان المجيدى من فضة وقيمته ٨٠ قرشا وربعه يساوى ٢٠ قرشا من هذه القروش كما ورد للأب في مادة مجيدى ، وكنا نسمى هذا الربع بشلك نريد بهذه اللفظة ٥ قروش صاغ (أى صحيحة) باعتبار الليرة العثمانية مئة قرش بحساب الحكومة وبما يزيد على ذلك با حاد ، ومن القروش الصحيحة بحساب الأهلين ، وفى اصطلاح لهم يساوى ٢٠ قرشا رائجا باعتبار الليرة العثمانية ٤٣٢ قرشا رائجا » وقوله : « مجيدى كبير ومجيدى صغير » منقول عن جونس » أما فى زماننا فكان يقال (مجيدى) فقط ، لما سمى هناك بمجيدى كبير ، وكنا نقول لما سمى هناك أيضا بمجيدى صغير (أبو ثمانية)، نريد به ثمانية قروش رائجة ، فهذا النقد الصغير هو جزء من عشرة أجزاء من المجيدى » ومن أقسام المجيدى نصفه كما قال الأب » ومنا من كان يسمى ذلك النقد الصغير (قرانا) لمساواة الواحد للثانى فى القيمة أحيانا وللفرق الجزئى بين قيمتيهما أحيانا أخرى فى أيام حياتنا فى العهد العثمانى »

ربع غازى » غازى خيرى » غازية » غازى عتيق

قال : « ربع غازى نقد تركى عراقى ذهبى قيمته ٢١ قرشا رائجا » راجع غازى ثم خيرى »

غازى خيرى : نقد تركى عراقى من ذهب قيمته ٨٤ قرشا » وسمى باسم أحد السلاطين الغزاة ، وهم الذين يذهبون الى قتال العدى » قال صاحب محيط المحيط : « الغازى ضرب من المسكوكات القديمة يساوى نحو ٢٠ غرشا » » اه ، ويجمعونها على غوازى وغازيات » ثم توسع العوام بمعنى هذه الكلمة فأطلقوها على كل ما أشبه ذلك النقد وان كان من نحاس مموه بالذهب » واطلب معنى (الخيرى) فى محلها »

غازى عتيق : نقد تركى عراقى من ذهب » قيمته ٩٥ قرشا رائجا »

غازية : الغازية عند أهل فلسطين ما يسميه العراقيون الغازى » وهو عندهم نقد ذهبى تساوى القديمة ٣٠ قرشا تركيا » والجديدة ٢٠ قرشا » ويجمعونها على غازيات » »

قلت : هنا نقل عن جونس فى شأن الغوازى الدارجة فى بغداد ، وفيه أنها نوعان : غازى عتيق ونصفه ، وغازى خيرى ونصفه وربعه ، فما الغازى الخيرى الا ما سمى خيرية أو خرية للسلطان محمود التى مر الكلام عليها » فقد جاء فى اسماعيل غالب (ص ٣٧٤ ح) أن النقود المسماة بالخيرية بدىء بضربها في السنة الحادية والعشرين لسلطنته ، وضربت فى سنتين وأنها هى ما يقال له (غازى) بلسان العوام » ولعل ما سمى

بـ (غازى عتيق) فى جونس ، هو أحد النقود المسماة فى اسماعيل غالب (جديد رومى آلتونى) (هو الذى أشار اليه بـ « تك » = مفرد فى ص ٣٧١ العدد ٩٦١/٩٦٢) وكان الابتداء بضرب هذا النقد فى السنة التاسعة لسلطنة محمود الثانى حتى السنة الخامسة عشرة لسلطنته . وسبب ذهابى هذا هو أن ذلك النقد الخيرى المذكور فى اسماعيل غالب المسمى بـ (الغازى) وزنه ٨ ط وثلاثة أرباع ، ووزن (جديد رومى آلتونى) (تك) هو ١١ط وثلاثةأرباع . وكان ضرب هذا الرومى الجديد (تك) فى السنة الثانية والعشرين لسلطنة السلطان محمود . وقد أبان لنا اسماعيل غالب أن النقد المضروب فى السنة الخامسة عشرة المذكورة (رقم ٩٦٢) فى عياره نقص عن مثيله ، ولهذا أقول : لما كان الذى وزنه ٨ ط وثلاثة أرباع قيمته ٨٤ قرشا كما فى جونس ، وجب أن تكون قيمة النقد الذى وزنه ١١ ط وثلاثة أرباع نحو ١١٢ قرشا ، مع أن جونس يقول : قيمته ٩٥ قرشا ، والظاهر أن هذا النقص فى قيمته ناشىء عن النقص الذى فى عياره . وفى جونس أن لهذا الغازى العتيق نصفا ، ولكن لا ذكر له فى اسماعيل غالب ، والأمر محتاج الى زيادة تحقيق على ما مر بنا . وجاء فى جدول فى سالنامه ثروت فنون (٢ « ١٣٢٦ رومية = ١٩١٠م » ٨١) فى النقود المستعملة زينة أن قيمة الغازى المسمى خيرية ٢٣ قرشا و ١٠ بارات ، وقيمة (جديد رومى آلتونى) ٢٨ قرشا و ٢٠ باره (باعتبار الليرة مئة قرش وقرشين وكسرا) .

ربع ممدوحى . ممدوحى . نصف ممدوحى

قال : « نقد تركى عراقى من فضة قيمته ٦ قروش رائجة . راجع ممدوحى » .

« ممدوحى : نقد تركى فضة يساوى ٢٤ قرشا رائجا ، ونظنه منسوبا الى ممدوح باشا ، وهو اسم طائفة من البشوات والوزراء الترك » .

« نصف ممدوحى : نقد تركى فضة يساوى ٢٤ قرشا رائجاه راجع ممدوحى » .

قلت : ان قيمة ربع (الممدوحى) منقولة عن جونس . أما ظنه أن هذا الاسم هو نسبة الى ممدوح باشا ، فليس بصحيح ، وليس فى الباشات والوزراء العثمانيين طائفة بهذا الاسم ، فقد راجعت كتاب تراجمهم المسمى (سجل عثمانى) وهو فى أربعة مجلدات ، فلم أجد فيه من اسمه ممدوح الا واحدا ، وهو (بك) لا (باشا). وفى اسماعيل غالب (ص ٤٢٣ وص ٤٣٥) أن النقود التى ضربها السلطان عبدالمجيد قبل ضربه لليرة الذهب وأقسامها وضربه للمجيدى الفضة وأقسامه كان يقال لها (ممدوحية) . وفى تاريخ أحمد راسم (ص ٢٠٧٢ الفائدة ٢٩٣) : أن (الممدوحية)

نقد ذهبي قيمته عشرون قرشا صاغا (أي صحيحا) ، وأن ضربه كان في أوائل جلوس السلطان عبدالمجيد ، وان لهذا النقد أنصافا وأرباعا من الفضة .

قلت أيضا : فماكان في التداول ببغداد من هذه الأقسام فهو ربع هذا النقد ، وقيمته خمسة غروش صاغ باعتبار الليرة مئة قرش صاغ ، وستة قروش صاغ أيضا باعتبارها نحو ١٠٨ غروش ، والستة الغروش الصاغ تساوي أربعة وعشرين قرشـــا رائجا ، وهكذا نجد ذلك في جونس ، فالنصف اذن قيمته ١٢ قرشـــا رائجا كمـــا في جونس أيضا ، وليست قيمته ٢٤ قرشا كما سلف للأب .

ربعية ، وربعية سادة ، وربعية مزنجلة

قال : « ربعية . نقد مصري اختلف سعره باختلاف السنوات ، وفي السنة ١٢٣٨ كانت الربعية المصرية تساوي ثلاثة قروش ونصفا . » .

ربعية سادة : نقد تركي عراقي من ذهب قيمته ٣٨ قرشا رائجا . والربعية نسبة الى الربع ...

ربعية مزنجله : نقد تركي عراقي من ذهب قيمته ٣٩ قرشـــا رائجا . ومزنجلة اسم مفعول من زنجله .. فيكون مزنجلة ، دائرها ذات سلسلة أو مسننة كالسلسلة . » .

قلت : انتقل اسم هذين النقدين مع بيان قيمةكل منهما هو عن جونس ، ويظهر لي أن الربعية السادة هي النقد الذي ذكره اسماعيل غالب (ص ٣٣٤ رقم ٨٣٦) للسلطان عبدالحميد الأول مع بيان وزنه ٤ ط وربع كما أنه ذكر ربعية ثانية (ص ٣٤٨ العدد ٨٨٨) ، وهي للسلطان محمود وزنها ٤ ونصف ، فوزن كل منهما قريب جدا من الثاني . وهذا ما جعل الفرق بينهما في القيمة غرشا واحدا (وراجع مادة اسلانبولي في ما سبق).

ربية ، أو روبية

قال : « نقد هندي من فضة دخل العراق منذ نحو سبعين سنة ، لكن انتشر كل الانتشار بعد احتلال الانكليز لديار العراق ، ويســـاوي ٧٥ فلســـا من فلوس العراق العصرية . والكلمة هندية منسوبة الى « روب » وزان حوت ، ومعناها القطعة الفضية . واليوم ليس للروبية وجود في العراق . » .

قلت : والأوفق أن يقال نقد هندي بريطاني ، وان كان الذهن في هــذه الحـالة لا ينصرف الى نقد هندي لا دخل للانكليز به ؟ فقد كان للهند من هذا النقد (راجـع مادة روبية في معلمة الاسلام) . وقد وجدت في رحلة ايفس Ives في أخبار سنة ١٧٥٨ (١١٧١) ذكرا لروبية ايرانية في كلامه على النقود المتداولة في بغداد والبصرة

وحلب (كتابه ص ٢٣٦) وهو في البصرة . وسأنقل جدوله في النقود) . وجاء في نسخة وقفية لأملاك في بغداد مؤرخة بسنة ١١٨٦ (١٧٧٢) خص فيها الواقف أحد الموقوف عليهم بعشرين ربية شهريا لقيامه بواجبات دينية عينها له ، كما أني وجدت في رسالة لأحد التجار في بغداد ذكر ربية عجم فيها بتأريخ ١٢٢٤(١٨٠٩).ولا أعرف ما يراد بهذه النقود ، اذ لم يكن في زماني نقد يقال له روبية لايران ، وجونس نفسه لم يذكر هذا النوع من النقود . وقد جاء ذكر هذا النقد في الص ١٦ و١٠١ من « كتاب النقود والأنواط والختوم لشاهات ايران لبورغوماله »
(Coins, Medals and seals of the shahs of Iran by H. L. Robiuo di Borgomale London 1945)

ريـــال

قال : « اسم شائع في جميع بلاد الشرق ، وأول من أجراه في السوق والتجارة الأسبانيون ، واسمه عندهم ريال Real ، ومعناه الملكي . وما من نقد اختلف سعره في البلاد مثل هذا النقد . وكذلك اختلف سعره في الأزمنه ، فقد اختلف بين ثمانين قرشا رائجا وتسعين قرشا . وقد اختلفت أنواعه واسماؤها ... » .

قلت : وجاءت هنا أسماء لريالات لم تسمع في بغداد ، فلا يعنيني أمرها ، ووليها ، قوله : « وريال مجيدي أو ريال عثماني ، ثم أطلق عليه اسم مجيدي . والآن قد شاع في العراق والديار المصرية الريال بدون أن يذكر له وصف ، وهو يساوي ٢٠ قرشا صاغا أو أربعة شلنات وخمسة دراهم في العراق ، وشاع في اليمن الريال النمســـاوي المعروف بأبو شوشة أو مارية تريزة أو ماري تريز . وفي اليمن الريال الامامي ، وهو مطبوع في صنعاء اليمن . ومن أنواع الريالات (الريال الحميدي) نسبة الى السلطان عبدالحميد ، و(الريال الرشادي) نسبة الى السلطان محمد رشاد الخامس وهو الريال التركي وهو العثماني أو المجيدي أيضا ، و (الريال المجري) و (الروسي) الى غيرهما » .

قلت : ذكر جونس نوعا واحدا من الريالات وقال انه اسباني[1]، وسعره ٩٩ قرشا رائجا ، ويظهر لي أنه قد غلط في هذه النسبة ، لأن النقد الذي كنت أراه في التداول في أوائل شبابي ــ وبين تلك الأيام وزمن جونس نحو من أربعين سنة ــ هو ما كنا نسميه

(١) جاء في رحلة بولاي لوكوز (Boullaye le-Gouz) (ص ٤٨) الذي كان في إستانبول في سنة ١٦٤٩ أن الخراج (الجزية) فيها على كل نصراني ويهودي وهندي خمسة ريالات اسبانية وفيه (ص ٥٢٨) ان هـذا النقد في تركية يساوي ٨٠ آسبر (آقجه) وكل آقجه تساوي أربعة مانغرات ، والمانغر من نحاس.

فرنسة ، وهو الريال النمساوي على ما عرفته أنا بعد حين ، وذلك من الكتابة والصورة التي فيـــه .

ولنرجع الى مادة (ريال Real) في معلمة الاسلام ، فأنها تقول ما موجزه : « كانت تطلق كلمة (ريال) في العالم الاسلامي في القرن السابع العشر والثامن عشر ، على نقود كبيرة : هولاندية ، وألمانية ، ونمساوية . وفي الأصل كانت تطلق كلمـة (ريال) على نقد اسباني ، وأخيرا قام مقام تلك الريالات (الريال النمساوي) لماري تيريز . فالنقـــد الذي ذكره جونس كان من هذا النوع لا غيره كما ســبق بيـانه (وراجـع مادة تالير فيما سبق) .

ان القول « ما من نقد اختلف سعره في البلاد مثل (الريال) . » هوقول فيغيرمحله، ويكفي شاهدا في رده أن أورد مثلا واحدا هو أن القرش كان قديما نقدا كبيرا كما هو معلوم (أنظر في اسماعيل غالب وغيره) ، اختلف وزنه وحجمه وعياره اختلافا عظيمـا خلال عدة قرون ، ثم رأيناه في عهدنا صغيرا جــدا وهو جزء من مئـة جزء من الليرة العثمانية الذهب بحساب الحكومة ، وهو القرش الصاغ عند الأهلـين ، بل هو جزء من أربع مئة وبضع عشرات من أجزاء هـــذه الليرة ، وهو القرش الرائج في المعـــاملات الصغيرة عند هؤلاء الأهلين أنفسهم .

واذا ما نظرنا الى القول المذكور آنفا : « ريال مجيـــدي أو ريال عثماني » ، فهو كذلك غير صواب ؛ لأن هذا النقد الذي بدأ بضربه عبدالمجيد لم يسمه أحـــد عثمانيا ، وليست قيمة الريال لحكومتنا العراقية خمسة دراهم ، بل أربعة دراهم ، والدرهم خمسون فلسا . وهذا لا يحتاج الى الرجوع الى مصدر ، فان هذين النقدين بأيدي الناس ، وربما لا يخلو جيب رجل منها ،وان قل الريال في الأيدي لما فيه من الفضة فحفظ واختزن . وليس بيننا من كان يقول (ريال حميدي) و (ريال رشادي) ، بل كنا نقول (مجيدي) ؛ لأن ما ضرب من هذا النقد في زمن السلطان عبدالحميد ورشاد كان ضربه كالسابق من دون تغيير في حجمه ووزنه وعياره . ولم ينطق الناس بتسمية له غير لفظة (مجيدي)، وهكذا جاء اسمه في اسماعيل غالب : مجيدية (ص ٤٢٧ العدد ١١٦١) .

ريح بالك

قال : « نقد تركي عراقي من ذهب قيمته خمس ليرات . والكلمة مركبة من ريح (براء مكسورة فياء مثناة ساكنة فحاء ساكنة) وهي في لسان عوام العراقيين تخفيف لقولهم (أرح) من أراح يريح ، و (بالك) أي خاطرك . وكانت هـــذه القطعة الكبيرة من ذهب تريح بال من يملكها . »

قلت : لا تعليق لى على هذه المادة الا أن أضيف اليها أن هذا النقد بدىء بضربه فى عهد السلطان عبدالحميد فى السنة السادسة لسلطنته • (اسماعيل غالب ص ٤٢٦ رقم ١١٥٦) •

زر محبوب ، ومحبوب

قال : « زر محبوب • نقد ذهبى مصرى الاستعمال • والكلمة مركبة من الفارسية (زر) أى ذهب ، و(محبوب) اسم أحد المماليك فى سنة ٦٩٨ (١٢٩٩ م) ، وكان عياره ١٦ قيراطا وكسرا • وبقى عيار (الزر محبوب) قبل دخول الفرنسيين فى مصر كما كان يوم طبع •

محبوب : هو اسم أحد المماليك فى المئة السابعة للهجرة • وفى أيامه كانت تأتى الى مصر الدنانير من ضرب القسطنطينية • وكان يسمى (محبوب سليمى اسلامبول) ، وكان سالما من الغش • ثم ان المملوك المذكور تولى لنفسه ضرب الدنانير ، ونقص من عيارها شيئا ، فسميت (زر محبوب) •

وهناك محبوب ثالث هو (محبوب مصطفاوى) وهو منسوب الى السلطان مصطفى الرابع الذى تولى السلطنة العثمانية سنة ١٨٠٧ • وكان فى مصر (محبوب محمودى جديد) • والمحبوب عند أهل فلسطين يعرف (بمحبوب سليمى) • وهو نقد ذهبى عندهم يساوى عشرين قرشا تركيا • »

قلت : لا أدرى وجود أحد المماليك فى مصر اسمه محبوب فى سنة ٦٩٨ هـ (١٢٩٩) • وهب ذلك صحيحا ، فهل كانت الفارسية أو التركية معروفة هناك ، فسمي النقد بهذا الاسم ؟ هذا ما لا أقره عليه ، ولا سيما أنى لا أقر أن هذا النقد بقى على حاله كما كان يطبع فى سنة ١٢٩٩م الى ما قبل دخول الفرنسيين مصر فى سنة ١٧٩٨م ، فمعنى ذلك أنه بقى على حاله خلال خمس مئة سنة ، مع أننا نرى تبديل أنواع النقود بغيرها من الأنواع خلال سنين معدودة ، فكيف فى تلك الأزمنة ؟ (راجع اسماعيل غالب وغيره) وما محبوب الا صفة لزر •

دعنا من هذا الدليل وان كان مقنعا لايحتاج الى غيره ، ولنر غيره للتأييد • انمحبوبا كما جاء فى قول الأب كان من أبناء المئة السابعة للهجرة ، وانه كان ترد فى أيامه نقود من ضرب القسطنطينية تسمى (محبوب سليمى اسلامبول) • وما هذا المحبوب الا للسلطان سليم الثالث (١٢٠٣/٢٢ = ١٧٨٨/٨٠٧) ؛ لأنه من المعلوم أنه فى سنة ٦٩٨هـ لم تكن القسطنطينية قد دخلت فى يد العثمانيين ، فقد كان فتحهم لها في سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م) •

وقد ذكر اسماعيل غالب (ص ٣٤٩ رقم ٨٨٩) هذا النقد باسم (زر محبوب) من ضرب السلطان سليم المذكور ، وكان له أيضا نقد آخر بهذا الاسم ضرب في مصر (اسماعيل غالب ص ٣٥٣ رقم ٩١٥) • وأما (المحبوب المصطفاوى) ، فهو كما سلف منسوب الى السـلطان مصطفى ، وهو المضروب فى القسطنطينية ، أو الآخر المضروب في مصر (اسماعيل غالب ٣٦٢ رقم٩٣٤ وص٣٦٥ رقم٩٤٤) ، وفي سالنامه ثروت فنون (٢ ٣٢٦، رومية = ١٩١٠م) ان (زر محبوب السلطان مصطفى الثالث) باق في الاستعمال لزينة النساء ، وقيمته ٣٦ غرشا (صاغا) • وفى « رسلمى وخريطه لى تاريخ عثمانى » لأحمد راسم (ص ٤١٣ الفائدة ١٢١) ان ما سمى (زر محبوب) هو النقد الأشرفي ذو الطغراء الذى ضرب في زمن السلطان مصطفى الثانى (١١٠٦/١٥ = ١٦٩٤/٧٠٣) وكان يقـال له (طغرالى آلتون) ، وهو نقد ذهب • وكان يقال له في مصر (زر محبوب) ، وقد صوره فى ص ٤١٥ • وفى اسماعيل غالب (ص ٢٥٣) بيان لهذه التسمية ، وهى تزيينه بالطغراء السلطانية والنقوش الجميلة ، وعياره الموافق للمطلوب، وقال : بحق (سمى زر محبوب) • وخلاصة الكلام ان محبوبا العلم لا صلة له بمحبوب الصفة • وكان (الزر محبوب) من النقود المستعملة في العراق ، فقد ذكره ايفس (Ives) فى رحلته (ص ٢٣٦) مساويا لـ ٢٤ مرمودة (Marmooda) و٧٥ فلسا في البصرة و٢٤ في بغداد ،كما أن رفيق السر اركوت (Eyre Coote) ذكره في مروره بالعراق سنة ١٧٧١ في كلامه على قيمة الدينار فقال : « ان الجمل قيمته عشرون (زر محبوب) وكل عشرين منهذا النقد يساوى نحو سبعة باونات وعشرة شلنات من النقود الانكليزية • وعندى نسخة مخطوطة عتيقة من هذه الرحلة • وهى مطبوعة في مجلة الجغرافية الملكية ٣٠ (١٨٩٠) ص ١٩٩ • وجاء في دوحة الوزراء (ص ١٣٦/٣٧) أن الملتجىء الى بغداد حسين مرزا من أولاد الشاهات الصفويين أعطى بأمر السلطان صلة قدرها أربعة آلاف (زر محبوب) ، وسفر الى حيث أتى فى سنة ١١٦٤هـ (١٧٥٠/٥١) على وفق للأمر • ومن النقد المضروب المسمى (زر محبوب) ما هو من ضرب السلطان محمود الأول (١١٤٣/٧٨ = ١٧٣٠/٥٤) • وقد ذكر وصفه اسماعيل غالب (ص ٢٨٦ رقم ٦٧٢ و٦٧٣ و٦٧٤) • وفى سـالنامه ثروت فنون (٢ • ١٣٢٦ رومية = ١٦٩٠ • ٨١) أنه باق فى الاستعمال ، تتزين به النساء • وكان ذلك فى سنة صدور السالنامه ، وهو يساوى ٣٧ قرشا (صاغا) و٣٠ باره • وقد أطلق هذا الاسم (زر محبوب) على كثير من النقود العثمانية (راجع اسماعيل غالب) •

زلطة وظلط

قال : « زلطة • محركة قطعة من النحاس ، أو من معدن ، تساوى ثلاثين باره ، وهى

من التركية ، وهذه من الصقلبية (أو السلافية كما يقول اليوم المعاصرون) ، وتكتب زولتة Zolata او Zoloto او Zlot وكانت تساوى فى أول ظهورها ثمانين باره ، ثم هوت الى ثلاثة أرباع القرش الصحيح (الصاغ) وكانت شائعة فى سورية ولبنان ، وعرفت قليلا فى العراق ، وذلك قبل نحو أكثر من قرن . ومنهم من كتبها بالعربية زولوطة أو زولاطا أو زلوط . أما المصريون ، فلم يذكروها فى كتبهم ، ولم تسمعها من المعاصرين منهم ، فالظاهر أنهم لم يعرفوها . وهذا عجيب ، وقد عرفوا أسماء كثيرة من الورق . وأهل اليمن حرفوا الكلمة وقالوا (ظلظط) للدراهم عامة من باب التعميم أو زلط . وقد شاعت عندهم منذ عهد السلطان عبدالعزيز » . وقال أيضا :

« ظلظ . اسم الدراهم عامة عند اليمانيين ، وهى تصحيف « زلطة » التى جمعها زلط . راجع زلطة . وقد شاعت عند اليمانيين منذ عهد السلطان عبدالعزيز » . وقال : ظلظ تفخيم كلمة زلط . راجع هذه الكلمة . » .

قلت : الزولة نقد فضة كما فى معجم لاروس الحديث المصور ، واسماعيل غالب . ولم تكن يوما من الايام من نحاس . وفى هذا الكتاب الثانى (ص ٢٥٤) : أن هذه اللفظة كانت تطلق فى عهد السلطان مصطفى الثانى (١٥/١١٠٦ = ١٦٩٤/٧٠٣) على نقد أجنبى هو طارلر (تالير) ماتياس ، ثم حولت الزاطة الأجنبية بالضرب عليها نفسها الى نقد عثمانى ، وبقى فيها أثر من الحروف الافرنجية فى أطرافها ، وجاء فى حاشيته (صفحة ٢٥٦) : أن الكلمة السلاوية (الصقلبية) « زولتة » أصبحت علما للقروش الفضية . أما فى اللغـــة الروسية ، فكلمة زولوتو Zoloto معناها الذهب . وقد ضرب من (الزولطة) فى القسطنطينية فى عهد السلطان أحمد (٤٢/١١٥ = ٢٩/١٧٠٣) (راجع اسماعيل غالب ص٣٦١ رقم ٦٢٠و٦٢١ وص ٢٦٢ رقم ٦٢٣) . ومن الزولتات ونصفها ما ضرب فىعهد السلطان مصطفى الثالث ٨٧/١١٧١ = ٧٢/١٧٥٧ (اسماعيل غالب ص ٣١٥ رقم ٧٧٠ و٧٧١ وص ٣١٦ رقم ٧٧٢ وفيه أيضا (ص ٢٥٦) : أن قيمة الزولتة ، وان تبدلت بمرور الزمن تبدلات كثيرة الا أنها دامت الى عصر السلطان عبدالحميد الأول ٢٠٣/١١٨٧ = ٨٨/١٧٧٣ ، وتركت . ثم ضرب منها ذات وحدتين (زولتتين) ، وبقيت رائجة بعدئذ بدلالة ما ذكر فى سالنامه سنة ١٢٦٣ ، وهو قيمة كل درهم من دراهم الزولتة . ومن الزولتات ما ضرب فى عهد السلطان عبدالحميــد الأول (اســماعيل غالب ص ٣٣٦ رقم ٨٤٣ و٨٤٤ و٨٤٥) ، وما ضرب فى عهد السلطان محمود الثـانى (٥٥/١٢٢٣ = ٣٩/١٨٠٨) وهو نقد ذو زولتتين (آلتمشلق = ذو ستين) وزولتة واحدة (أوتوزلق = ذو ثلاثين) (اسماعيــل غالب ص ٣٧٧ رقــم ٩٩٥ وص ٣٧٨ رقم ٣٩٦ و٣٩٧) ، وضربت

الزونه ونصفها في بغداد في عهد هذا السلطان (اسماعيل غالب ص ٣٨٧ رقم ١٠٤٨ و١٠٤٩ وص ٣٨٨ رقم ١٠٥٠) ، وقد صور هذا النقد في اللوح السابع الملحق بالكتاب ، وتجد صورته أيضا في أحمد راسم (ص ٤١٧ في الفائدة ١٢١) نقلا عن اسماعيل غالب .

شـــامي

قال : « نقد تركي عراقي من فضة قيمته ٣٢ قرشا رائجا . قال ... يعقوب نعوم سركيس : هو الذي كان يسمى أيضا القرش الرومي . قلنا : والظاهر أنه سمي باسم الشام التي هي دمشق ، لأنه ضرب فيها لأول مرة . وراجع غرش . » .

قلت : تعيين قيمة الشامي منقول عن جونس ، والمعروف عن قيمته بعد ذلك أنها عشرة قروش صاغ أو ما يقل عنها بكسر من الغرش ، باعتبار الليرة العثمانية مئة غرش ، أي قيمته أربعون غرشا رائجا باعتبار هذه الليرة أربع مئة غرش رائج . وسعره هذا بالقروش الصاغ ، وجدته في وثيقة حكومية (هي عندي) تأريخها في أول أيلول ١٢٨٢ (رومي) أي ١٢ أيلول ١٨٦٦ م يومئذ ، وقد نشرتها في (مجلة غرفة تجارة بغداد ٥، ١٩٤٢ ، ٦٠١) وهكذا كان التعامل في البصرة باسمه ، لاعينا ، في بيع التمور وشرائها باعتباره عشرة قروش ساغ حتى الحرب العالمية الاولى ، أو قبيل ذلك . ان ما نقل عني صحيح لولا قوله، ان هذا النقد هو الذي يسمى أيضا القرش . فأن الذي كنت قلته وأقوله الآن : هو أن النقد صار يسمى(شاميا) بعد أن كان يقال له (غرش رومي) . وكان آخر اطلاعي على تسمية هذا النقد بالقرش الرومي في ما وجدته في أربع وثائق : الأولى كتبت في البصرة سنة ١٢٢٧/٢٩ = ١٨١٢/١٤ ، وقد نشرتها في (مجلة لغة العرب ٣ ، ٩١٢/٩١٣ ، ٥٦٣) ، ثم في مجموعتي (مباحث عراقية) . والثانية كتبتها كذلك في البصرة من سنة ١٨١٠ الى سنة ١٨١٤ (١٢٢٥/٢٩) ، وقد نشرتها في (مجلة غرفة تجارة بغداد : ٧ ، ١٩٤٤ ، ٣٧٩). والثالثة في دفتر مصروفات لاحد التجار في بغداد تأريخها سنة ١٢٣٦ (١٨٢٠) . والرابعة في تدوين في أموال الموصل لأحد الناس من أهلها أو من سكانها في خبر من أخبار سنة ١٢٣٢ هـ ، ولم أجد اسم (قرش رومي) في جونس في سنة ١٨٥٤ (١٢٧١) . فتغير الاسم كان في هذه الحقبة من السنين ، وقدرها خمس وثلاثون سنة ، وليس في وسعي تعيين تأريخ التغيير بالسنة ، ولا بيان السبب الذي حمل الناس على هذا التغيير للاسم . ثم اني لم أجد في اسماعيل غالب ضرب نقد في الشام في أية مدينة كانت من ذلك القطر بعد ضرب السلطان محمد الرابع (١٠٩٩/١٠٥٨ = ١٦٤٧/٨٧) لنقد من الفضة ضرب في دمشق (اسماعيل غالب ص ٢١٥) . وأزيد على ذلك أن القرش الذي قلت انه هو الذي سمي (شاميا) بعدئذ ، هو من ضرب السلطان عبدالحميد الأول ، وهو المسمى في اسماعيل

غالب (ص ٣٣٦ رقم ٨٤٣ و٨٤٤ و٨٤٥) (زونه) ، وبجانبه : (أوتوزلق) = ذو ثلاثين المضروب فى السنة الرابعة عشرة لتوليه للسلطنة • وعندى من هذا النقد كما أنه عندى من غيره من نوعه أيضا ، ضرب فى السنة الخامسة عشرة لجلوس هذا السلطان على العرش • وفى جونس : أن التعامل بالشامي مرغوب فيه عند الأعراب حتى أعراب جنوب البصرة ، فأنهم يفضلونه على غيره من النقود • أما التجار من الأهلين فى بغداد ، فان حساباتهم بـ (البشلك القمرى) •

شاهي أو شاهية

قال : « هى نقد نحاسى ايرانى يشبه البارہ التركية ، أو الفلس العراقى العصرى • وقد اختلفت أيضا قيمته باختلاف الوقت والبلد • والشاهية معروفة الى عهدنا هذا • والكلمة منسوبة الى الشاه ، ومؤداها باللغة الفارسية : الملك ، فيكون معناها القطعة الملكية أو النقد الملكى • »

قلت : ليست كلمة (شاهي) بالتذكير منسوبة الى شاه ايران ، فأنها كانت من النقود العثمانية • وقد جاء فى اسماعيل غالب (ص ٨٠) عن مصادر ذكرها : أن تسميته هذه انما كانت لوجود كلمة شاه على نقود من الذهب للسلطان سليم الأول (٢٦/٩١٨هـ = ١٥١٢/١٩) الذى استولى على مصر ، فكان من الطبيعى أن يسمى ذلك النقد شاهى ، وهكذا سميت الآقچات التىضربت الى نحو سنة الألف للهجرة شاهيأيضا • هذا ايجاز ما قاله • وفى كتاب (اونتجى عصر هجريده استانبول حياتى) : استانبول ١٣٣٣ (ص٩٩) فرمانللسلطان (سليم الثانى) موجه فيتأريخ سنة٩٨٠ الى بكلربكى دياربكر ودفتردارها، مضمونه جواب الاستئذان بضرب (الشـــاهى) و (الباره) بعيار بغـداد ، وهو أنه أمر بأن يضرب نقد بعيار شاهى بغداد ، على أن يزاد عليه قيراط ، وترفع عنه لفظة شاهى ويسمى : (سليمى) • وجاء فى هذا الكتاب (ص ١٠٣) فرمان آخر تأريخه فى سنة ٩٩١ يقضى بقبض ما يرد من أرضروم وآمد وبغداد وحلب من الشاهى الناقص الوزن والعيار • وكذلك جاء فى تأريخ نعيما (٣ : ٣٦٨) فى أخبار سـنة ١٠٣٥هـ (١٦٢٥) فى زحف السردار حافظ احمد باشا الى بغداد قوله : « وكان ضيق بسبب قلة النقود ففتحت دار الضرب فى قلعة الامام الأعظم (أبى حنيفة) ، وشرع فى ضرب شاهى بغداد • » وجاء فى برأءة تضمين الكمرك للمدعو سفر من الأرمن على أثر فتح السلطان مراد لهذه المدينة فى سنة ١٠٤٨ (١٦٣٨/٣٩) : أنه يؤذن له فيها بضرب الباد شاهى (قلت : انفردت هذه البراءة بهذه التسمية)[1] والباره فى بغداد • وقد نقلت ترجمة هذه الوثيقة الى لغتنا فى

(١) كنت قلت فى (مجلة غرفة تجارة بغداد) : ٤ « ١٩٤١ » ٢٩٧ : « ان كلمة شاهى مقطوعة من بادشاهى » • أما الآن ، فقد بان لى سبب التسمية وهو اطلاق كلمة شاه على السلطان سليم الأول كما جاء هنا •

(مجلة غرفة تجارة بغداد : ٥، ١٩٤٤ ، ١٦٧) ، وكنت أتوقع الاطلاع على كلام في ضرب هذا الشاهي للسردار حافظ أحمد باشا في بغداد في كتاب اسماعيل غالب ، ولكني لم أجد شيئا من ذلك . وكان (الشاهي) مستعملا في بغداد في سنة ١٦٦٤ م (١٠٧٥ هـ) ، وهو من ضربها . فقد جاء في رحلة تيفنو Thevenot (٣ : ٢١٢ و٢١٣) : « والشاهي يسمى (بغداديا) ، لأنه يضرب في بغداد ، ووزنه درهم » . وفي (مجلة المشرق : ١٣ (١٩١٠) ٦٥٩) في رحلة القس خدر الكلداني من الموصل الى رومة في سنة ١٧١٩ ، في كلامه على هذه المدينة ، وكان فيها في سنة ١٧٢٧ (١١٤٠) : « أن الجولية هي البغدادية (كذا بالتأنيث) السالكة في الموصل » ، هو يرى أن قيمة كل منهما تساوي الأخرى .

وفي اسماعيل غالب أن نقدين من الفضة ضربا في بغداد في عهد السلطان ابراهيم (٥٨/١٠٤٩ = ٤٨/١٦٣٩) ، وقد سماهما درهما (ص ٢٠٦ رقم ٥٢٧ و٥٢٨) ، وفيه أيضا (ص ٢١٦ رقم ٥٤٩ و٥٥٠ و٥٥١) ذكره ثلاثة نقود فضية مضروبة كذلك في بغداد على عهد السلطان محمد الرابع (٩٩/١٠٥٨ = ٨٨/١٦٤٨) ، وقد سماها دراهم كالسابق . ويلوح لي أن النقد الذي أراده تيفنو ، هو من هذا النوع من النقود المضروبة في عهد هذا السلطان ؛ فان وزن كل منها مساو للآخر ، وهو ١٤ ط (قيراط) ، ولا يختلف أحدهما عن الآخر في القطر الا قليلا . وفي اسماعيل غالب ص يه من المقدمة : « أن كل ١٦ ط يساوي درهما » . فالفرق قليل بين كلام تيفنو واسماعيل غالب ، ولعل سبب ذلك عدم عناية تيفنو بضبط الوزن . وسنرى في ملحق أضيفه الى هذه النبذة كلاما لهذا الرحالة تيفنو على النقود التي رأى التعامل بها في بغداد ، وقيمة كل منها .

هذا ما كان من أمر الشاهي العثماني . أما (الشاهية) بالتأنيث ، فهي ــ كما جاء في المتن ــ نقد نحاسي ايراني . وما شبهها للباره العثمانية من ضرب القرن الماضي الا في الحجم تقريبا ، وقيمتها كما هو مكتوب عليها ٥٠ دينارا (خمسون دينارا !) لكنها لا تشبه الفلس العراقي العصري في وجه من الوجوه ، الا أنها من النحاس مثله حسب . وراجع في شأن (الشاهية الايرانية) ما أوردته في (مجلة غرفة تجارة بغداد : ٤ ، ١٩٤١ ، ٣٩٥) ، وهذه الشاهية ليست معروفة الى عهدنا هذا .

أجل كانت في عهدنا دارجة في بغداد ، ولكن استعمالها بطل قبل الحرب العالمية الأولى ، أو في الاحتلال البريطاني .

الشرك والجورك (الجرك)

قال : « بضمتين من القروش ما ليست بصاغ ، وعشرة من الشرك يساوي قرشا

صاغا . والكلمـــة من التركيـــة جورك ، أو جرك . والعراقيون يلفظونهـــا جرك ومعناها الرث » .

قلت : رأينا فيما سبق كلاما على الغرش الرائج والصاغ ، وسيأتي الكلام بتفصيل على الغرش . وهنا وردت كلمة (جرك) عند العراقيين ، والذي كنت عرفته في زماني القديم أن لا فرق بين الغرش الرائج والغرش الجرك ، وهو جزء من « أربع مئة ونحومن ثلاثين جزءا من الليرة العثمانية » في تعامل الأهلين ؛ وأن كل أربعة من هذه القروش كانت تساوي قرشا صاغا . وكلمة (جرك) كانت قليلة الاستعمال ، وقد وجـدت في تدوين لاحد التجار في سنة ١٨٧٠ أن خمس مئة قرش جرك تساوي ليرة عثمانيـــة ذهبا ، ومن المعلوم أن ما يساوي الليرة من الغروش كان غير مستقر على حال واحـدة لأسباب . ولم تكن عشرة قروش تساوي يوما من الأيام قرشا صاغا . وكنت قرأت في جريدة الزوراء في العدد المؤرخ في ١٢ شهر ربيع الأول ١٢٨٧ = ١٠ حزيران ١٢٨٥ الرومية المالية (٢٢ حزيران ١٨٦٩م) ما أمر به في بغداد بشأن الغرش الصاغ الرائج والجـوروك والأوزان والمقاييس . وكـان الـوالي اذ ذاك مدحت باشـــا . وكنت قرأت أيضا بحثا ثانيا في هـذا الموضوع كذلك في هـــذه الجريدة في ٤٢ المؤرخ في ١١ المحرم ١٢٨٧هـ = ٣١ مارت ١٢٨٦ر (١١ نيســـان ١٨٧٠م) . وكانت قراءتي لهذين البحثـين في مجموعة لهذه الجريدة محفوظة في خزانة الكتب للآباء الكرمليين . ويقصد بالجوروك هذه النقود المغشوشة ، وهي النقود الفضـــة التي كان ضربها قبل احداث (المجيدي) وأقسامه (اسماعيل غالب ص ٤٥٨) . وسبب التسمية قلة الفضة في تلك النقود . وكان يقال لها (متاليك) .

شـــلن

قال : « بكسرتين هو الدرهم الانكليزي ، ويساوي خمسة قروش مصرية ، أي خمسين فلسا عراقيا ، وهو من فضة . وربما قال بعض العوام (شنن) بنونين وبكسرتين ، وبعضهم يقول (شلم) بميم في الآخر ويجمعونها على (شلومة) .

قلت : لم أسمع من قال (شنن) و (شلم) و (شلومة) .

شـــوشي

قال : « نقد تركي عراقي من فضة قيمته ٥٦ قرشا رائجا ، وهو الذي كان يسميه أهل الشام (أبو شوشة) الذي قال عنه صاحب محيط المحيط : « نوع من المعـاملات الافرنجية فيه نقش كالشوشة » . وفسر الشوشة بشعر الرأس ، ويطلق على كل شعر

طويل في البدن . قال الأب انستاس ماري الكرملي : « الشوشة كلمة عامية شامية معناها الجمة ، وهي من أصل ارمي هو شاشا أي كبة القطن » .

قلت : ان ما نقله الأب بشأن قيمة (شوشي) في بغداد هو عن جونس ، وفيه أنه نقد تركي ؛ فلا يمكن التوفيق بين هذه النسبة وعده (أبو شوشة) ذلك النقد الذي ذكره محيط المحيط وعده نقدا افرنجيا ، فيظهر أن أحدهما قد غلط في النسبة . أقول هذا من باب الاحتياط .

شيشي مجيدي

قال : « الشيشي هو الذي يسميه العراقيون (شوشي) ، وأهل الشام (أبو شوشة) راجع شوشي قبل هذا » .

قلت : لم يسم العراقيون الشيشي (شوشي مجيدي) ؛ فان ما كان يقال له (شوشي) ليس من أقسام (المجيدي) الذي بدأ بضربه السلطان عبدالمجيد . والدليل على أن هذا (الشوشي) ليس من أقسام (المجيدي) أن جونس ذكر هذه الأقسام ، ثم ذكر (الشوشي) ، فهو من النقود التي كان ضربها قبل احداث (المجيدي) وأقسامه .

الصاغ

قال : « القرش الصحيح منها ، وهو يساوي أربعين (باره) ، والكلمة تركية معناها (صحيح) » .

قلت : هذه الكلمة من الاصطلاح الذي كان جاريا في بغداد عند الأهلين للتفريق بين ما يراد بجزء من الليرة العثمانية وجزء آخر هو القرش الرائج . والقرش الصاغ كما في أعلاه قيمته أربعون بارة من بارات الحكومة العثمانية بعد ضربها لليرة . ويساوي القرش الصاغ أربعة قروش رائجة . ولم تقل الحكومة (قرشا رائجا) ، بل كانت تقول (قرشا) من غير وصف ، وهي تعني به جزءا من مئة جزء من الليرة المذكورة .

عادلي صايغ وعادلي مكرر

قال : « عادلي صايغ . نقد تركي عراقي من ذهب قيمته ٧٠ قرشا رائجا ، وتلفظ « صايغ » بالياء على ما ينطق به العوام ، ونظن أن (عادلي) منسوب الى أحد كبارالباشوات (عادل) ، وقد سمي بهذا الاسم كثيرون » .

عادلي مكرر : جاء في جونس ذكر هذين النقدين مع بيان قيمة كل منهما . وليست كلمة (عادل) اسما لكثيرين من الباشوات ؛ اذ ليس في (سجل عثماني) الذي مر ذكره الا واحد منهم اسمه (عادل اسماعيل باشا) وقد توفي سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥) ،

وما عادلى الا تحريف كلمة عدلى . وهى مخلص للسلطان محمود الثانى منقوش على عدد من نقوده . (راجع اسماعيل غالب ص ٣٧١ وما بعدها .) . أما اضافة أحد هذين النقدين الى (صايغ) ، فلا أدرى سببها . والعادلى الثانى فى جونس موصوف بمقره (بقاف عوضا عن الكاف وبهاء فى الا خر) وبازائها بالانكليزية (Adelli Makerer) (مكرر) ولعل الصحيح ما جاء مكتوبا بالحروف الافرنجية فلا أعرف ما يراد بهذا الوصف . وقد يكون المقصود « ثانيا » . وفى (سالنامهٔ ثروت فنون) (ص ٨١) : أن (عتيق عدلى) قيمته ١٩ قرشا و ٢٦ باره .

عدليـــة

قال : « العدلية عدليتان : قديمة وجديدة ، وكلتاهما مصرية من الذهب . وقد اختلفت قيمتهما باختلاف المكان والزمان . وكانت العدلية الجديدة تساوى فى سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠) ستة عشر قرشا . والعدلية يسميها العراقيون عادلى . وعندهم صايغ وعادلى مكرر راجعهما . وكان عند المصريين (عدلية قديمة مجيدية) ، وكل منهما بسعر يختلف عن سعر الثانية » .

قلت : أجل ، فى النقود عدليتان ، وهما من ضرب السلطان محمود فى القسطنطينية . وقد ذكر الأولى اسماعيل غالب فى كتابه (ص ٣٧١ برقم ٩٦٣) ولها أنصاف ، والثانية (ص ٣٧٣ برقم ٩٧٣) باسم « جديد عدليه آلتونى » ولها نصف وربع . وما قول الأب : « ان هناك عدلية قديمة مجيدية » الا نقل عن الذهبى (راجع جدوله فى ص ٨٣ من كتاب الأب) ولا بد أن فى نسبة عدلية القديمة الى السلطان عبدالمجيد غلطا ، فان عهده من سنة ١٢٥٥ الى سنة ١٢٧٧ (١٨٣٩/٦٠) فهو متأخر عن زمن السلطان محمود (من سنة ١٢٢٣ الى سنة ١٢٥٥ = ١٨٠٨/٣٩) فيكون الذهبى قد أراد نسبة عدلية القديمة الى السلطان محمود ، فنسبها الى عبدالمجيد غلطا ، فلهذا السلطان عدليتان وصفت احداهما بالجديدة ، وفى سالنامهٔ ثروت فنون : أن (جديد عدليه آلتونى) قيمتها ١٧ قرشا و٢٧ باره ، ولعل الثانية هى التى ذكرتها أيضا السالنامه باسم (عتيق عدلى) ، مع بيان أن قيمتها ١٩ قرشا و٢٦ باره كما مر بنا فى مادة (عادلى) .

غرش

قال : « والبعض يقول قرش بالقاف ، وكله جائز ، لأن الأصل ألمانى ، وهو Groshen . فمن الناس من ينقل الحرف g الى قاف ، ومنهم الى الغين ، وأهل

مصر المعاصرون ينقلونه الى جرش • ومثل هذا الاختلاف وقع عند العرب أنفسهم ، اذ اختلفوا برسم الكاف المثلثة على الوجه المتقدم بسطه •

والغرش غرشان : غرش صاغ ، وغرش رائج • فالغرش الصاغ يساوى أربعين بارة ، والغرش الرائج يساوى أربعة ، أى عشر بارات • ويجمع القرش أو الغرش على قروش وغروش •

وكان أهل البصرة يسمون الشامي (القرش العين) ، ثم قالوا (القرش) ، وذلك منذ المئة التاسعة عشرة للميلاد • وكان يساوى هذا القرش العين أو القرش الشامي عشرة قروش صاغ • قال ••• يعقوب نعوم سركيس : « وكان القرش الشامي يسمى فى بعض أنحاء العراق بالقرش الرومي • »

قلت : راجع اسماعيل غالب (ص ٢٣٣) ومعلمة الاسلام فى مادة غروش تجد أصل هذه الكلمة الدخيلة الافرنجية وتطورها حتى أصبحت كلمة Groshen [١] •

وقد جاء فى أعلاه ما يفيد أن نقدا بهذا الاسم لم يعرف الا فى العهد الذى أطلقت عليه كلمة شامي • وكان هذا فى نحو منتصف القرن التاسع عشر مع أن هذا الاسم فى المملكة العثمانية كان معروفا قبل ذلك ، وكان يطلق على نقد دخيل كما جاء عن اسماعيل غالب (ص ٢٣٣) وفى معلمة الاسلام • وجاء ذكر القرش فى مجموعة (أونتجى عصر هجريده استانبول حياتي : ص ١٠١/١٠٠) فى فرمانين ، تاريخ أحدهما سنة ٩٨٩ (١٥٨١) وفيه يخاطب السلطان قاضي استانبول ويأمره ألا تكون قيمة الغرش أكثر من أربعين (آقجه) ، والآخر تأريخه سنة ٩٩٠ (١٥٨٢) وفيه يأمر أن تكون قيمة الغرش أربعين (آقجه) • وعندى نسخة لبراءة سلطانية أعطيت على أثر فتح السلطان مراد لبغداد فى سنة ١٠٤٨ هـ لملتزم الكمرك سفر الأرمني ، وفيها ذكر ما هو مكلف بتأديته من القروش عن بدل ضمان الكمرك ، وقد نشرت هذه الوثيقة فى (مجلة غرفة تجارة بغداد) منقولة الى العربية (٥ « ١٩٤٢ » ١٦٧) • ثم كان الابتداء بضرب نقد بهذا الاسم فى الحكومة العثمانية فى عهد السلطان سليمان الثاني (١٠٩٩/١٠٢=١٧٨٧/٩٠) كما فى اسماعيل غالب (ص ٢٢٧) والمعلمة الاسلامية • ويظهر لى أننا قلنا ـ نحن العرب ـ قرش أو غرش عوضا عن غروش ، لاعتبارنا هذه اللفظة جمعا ، فرأينا أن

---

(١) ما أغرب ما قاله الأستاذ نعوم جرجس طاماز فى مجلة « الرسالة المخلصية » التى تصدر فى صيدا (٧١٤ من جزئها المؤرخ فى تشرين الثاني ١٩٤٩) ! وقوله هو أن كلمة قروش تحريف « قورش » التى امست قرية تعرف بالقرشية الواقعة بقرب اللاذقية بينها وبين حلب مرحلتان •

يكون مفردها بطى الواو ، وهكذا تصرفنا فيها • وراجع مادة (شامى) تجد صحة ما قلته قبلا وأقوله الآن فى شأن هذا النقد الذى كان يسمى قرشا • واذا ما أريد وصفه أضيفت اليه كلمة (رومى) تمييزا له عن القروش الدخيلة القديمة على ما يبين لى • ومن المعلوم أن العرب كانوا يطلقون أحيانا كلمة الروم على الاتراك • وفى المتفق اذا ما أراد الناس أن يخيفوا أولادهم الصغار يقولون لهم : « جاءك الرومى » وهم يقصدون به الجندى من جنود الحكومة العثمانية • ويظهر لى أن هؤلاء العرب كانوا يقولون (جرش) قبل تسمية هذا النقد بشامى بدلالة أنهم يقولون : « ان فلانا أدى الجرش للعشيرة الفلانية » أى أنه انتسب اليها وصار منها ، فغدا يؤدى ما يترتب عليه : من دية قتيل ، أو عضب عضو (وهذا يسمى فى اصطلاحهم فصلا) أو غرامة ، وأمثال ذلك •

فرنسا او فرنسة

قال : « أو الريال الفرنسى » •

قلت : راجع مادة (تالير) و (ريال) مع اعترافى بأنى وجدت فى كتاب تنضيد العقود السنية بتمهيد الدولة الحسنية للسيد محمد حيدر الحسينى المتوفى سنة ١١٦٣ (١٧٤٩) ، وهو مخطوط عندى ، فى أخبار سنة ١١٤٠ (١٧٢٧) : أن (الفرانسة) بقرشين وثمن بالديوانية ، و(الريال) المسمى بـ (سكة المرأة) بقرشين • ولا أعرف أى امرأة أراد ، لا نها ليست مارى تيريز صاحبة التالير المعروف بالريال ، ولا ن ولادتها كانت فى سنة ١٧١٧ ، وان ضرب ريالها بدىء به فى سنة ١٧٥١ (كما فى موريس فيشل (ص ٢٠٠) ، وصورتها التى فيه تدل على أنها ليست فى أول شبابها •

فرنك

قال : « بفتح الفاء والراء واسكان النون وفى الآخر كاف ، هو النقد الفرنسى المشهور ، وكان سعره عشرين قرشا رائجا فى الشرق فى أول ظهوره ، ثم تغير بوقوع الحرب العظمى » •

قلت : أما نحن ، البغداديين ، فنلفظ الكلمة باسكان الفاء كالفرنسيين ، ونلفظ الكاف كافا فارسية ، ولم نره عندنا فى التداول •

الفلس

قال : « بفتح الفاء ، وبكسرها غلط • راجع كلاما طويلا عليه فى ص ٦٧و٦٨ » •

قلت : قد يذهب القارىء الى أن التلفظ بهذين الوجهين مغلوط فيه ، والأحسن أن يكون قول الأب بفتح الفاء ، وأما بكسرها فغلط • وهو جزء من ألف جزء من

دينارنا العراقي الحالي .

الفوريني

قال : « من الايطالية فيورينو Fiorino ، وهو نقـد أجنبي الأصل ، وكان مستعملا في مصر قبل نحو أكثر من مئة سنة ، واختلف سعره باختلاف المكان والزمان وكان سعره في سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣م) أربعة قروش وثمانيـة أنصـاف ، ويقـال أيضا فلورين . » .

قلت : يظهر أن كلمة « الأصل » في غير محلها ؛ لأن النقد الذي ذكره أجنبي كما سنرى ، وقد أبان الأب أن قيمته كانت أربعة قروش وثمانية أنصـاف في سـنة ١٢٨٠ ، وهذه القيمة تدلنا على أنه من الفضة ؛ لأن القروش التي ذكرها من القروش المتأخرة عن ضرب الليرة العثمانية التي تساوي مئة غرش . وكلمة (فيورينو) الايطالية كانت قـد حرفت في الممالك العثمانيـة ، فكانت (فيلوري) ، ومنهم من كان يقول (فلورن) Florin اللفظة الفرنسية . وكان هذا النقد ذهبا في القديم ، والشواهد على ذلك كثيرة لا محل لسردها ، وانما أكتفي بالرجوع الى اسماعيل غالب (ص ٥٤ ح) وقد قال هناك : « ان هاتين اللفظتين (فيلوري) و (فلورن) تطلقان في هذا الزمان على نقد لأوستريا (أي زمان طبع كتـابه في سنة ١٣٠٧ = ٩٠/١٨٨٩م) . وفي المعجم التركي لشمس الدين سامي والمعجم الفرنسي التركي لديران كلكيان : « أن هذا النقد ذهب » . وكان عليهما أن ينصا أن ذلك كان في القديم .

قران

قال : « وزان كتاب ، نقد فضي ايراني دخل العراق منذ عهـد قديم لقرب البلد الواحد من الآخر . وقد اختلف سعره بين فرنك وبين ما يزيد عليه أو ينقص عنه ، وذلك باختلاف البلاد والزمان . والكلمة مســماة بلفظ من اصطلاح المنجمين ، وهو (القران) الذي هو اجتماع الكوكبين غير الشمس والقمر في جزء واحـد من أجزاء فلك البروج من باب التفاؤل . » .

قلت : صحيح أن القران كان يساوي نحو فرنك قبل ظهور غيره مما عرف أيضا باسم قران . والأوفق لنا أن نقيسه بالنقود التي كانت متداولة في بلادنا كما قيس غيره ، ولاسيما أن الفرنك لم يكن في أيدينا في العراق في وقت من الأوقات ، ولا أعرف هل كان متداولا في غيره من بلادنا العربية . وهذا جونس يقول : ان القران قيمته واحـد وعشرون قرشا ، وقد سماه قران محمد شاه (وفاته في سنة ١٢٦٤هـ = ١٨٤٧م) ، وهو

خلف جده فتح على شاه (وفاته في سنة ١٢٥٠هـ = ١٨٣٤) وكان لفتح على شاه هذا قران مرغوب قيمته تزيد على قران حفيده محمد شاه قرشا رائجا أو قرشين ، على ما كنت سمعته منذ زمن بعيد من رجل كان شابا في منتصف القرن الماضي للميلاد . ولم يكن هذان متداولين في زماننا ، وانما كان أيام كنت شـابا (قران) ضربه غير منتظم ، ثم ضرب غيره ، وكانت دائرته منتظمة ، وكنا نسمية (قران جرخ) ، وكان من جنسه ذو قرانين سميناه (منكنه) بكاف فارسية ، وهي من الايطالية تحريف لماكنة . ويراد بمكنة الآلة التي يضغط بها كما في المعجم التركي لشمس الدين سامي . وكان في المتفق للقران اسم آخر هو (فتة) بفتح الفاء وتشديد التاء ، مخففا لفتح علي . والمراد بذلك بادىء ذي بدء القران الذي ضربه فتح على شاه المذكور ، ثم اطلقت الكلمة على كل قران من أي نوع كان الا أنه كان يقال اذا أريد تعيين القران غير المنتظم الضرب في ذلك اللواء (أبو دبيلة) ، ومن معاني الدبلة في اللغة : اللقمة الكبيرة ، والكتلة من كل شيء كما هو معلوم ، فقد أرادوا تشبيه هذا القران بذلك لعدم انتظام ضربه . وكانت تطلق لفظة (بناباد) بفتح الأحرف الثلاثة على نقد صغير هو نصف قران، وهذه الكلمة تخفيف (بناه آباد) الفارسية ، ومعنى (بناه) الملجأ ، (وآباد) المعمورة ، الحاضرة ، كقولك (حيدر آباد) و(سلطان آباد) . وكان في العراق نقد ايراني فضة صغير جدا ورقيق كالكاغد يسمى (بيجوة) بباء فارسية وتشديد الواو وجيم فارسية ، ولا أعرف معنى الكلمة . وكانت قيمة هذا النقد غرشا رائجا ونصف غرش باعتبار الليرة العثمانية ٤٣٢ قرشا رائجا . ول (بناه آباد) ذكر في كتاب بورغومالي المار الذكر في (الجدول ٣) وفي هذا الكتاب (ص١٦ ح ٢) نقلا عن مكدوال (Me Doual) القنصل البريطاني في المحمرة أنه يقـال للقران غير منتظم الضرب « بودويله » . والذي أظنه أن هناك غلطا اما في سمعه ، واما في طبع الكلمـة ، وأن الصحيح هو « أبو دبيلة » كما مر بنا .

قروش

قال : راجع (غرش) . والقرش المصري يختلف سعره عن سائر القروش المسماة بهذا الاسم . وكثيرون من أهل مصر حاضرة المملكة يلفظون القرش همزة فيقـولون (الارش) وهم يريدون القرش . .

قلت : لا يختلف القرش المصري عن سائر القروش ، فقد كانوا يطلقون هذه الكلمة على النقد التركي القديم الكبير الحجم ، ثم غدوا يطلقونها على الجزء الواحد من مئة جزء من جنيههم الذهب ، كما كنا نقول (غرش صاغ) لجزء واحد من مئة جزء من

الليرة العثمانية . والفرق بين الغرش (الصاغ) باعتبارالليرة العثمانية مئة غرش وجنيههم نحو ثلاثة عشر من المئة ، فان جنيههم يساوي نحوا من مئة وثلاثة عشر قرشا من هذه القروش العثمانية .

قمري

قال : « نقد تركي عراقي من فضة . فان قلت (قمري بشلغ) فقيمته ٢٠ قرشا رائجا . وان قلت (قمري) بدون اضافة فهو يساوي قرشين رائجين . وسمي هذا النقد بالقمري لأنه كان منقوشا عليه صورة الهلال او القمر الذي هو شعار الترك . » .

قلت : قيمة (قمري بشلغ) منقول عن جونس ، وكان هذا النقد في التداول اذ ذاك . أما في عهدنا العثماني ، فلم يكن في التداول نقد نسميه (قمري بشلغ) ، بل كنا نطلق كلمة (قمري) على نقد قيمته قرشان رائجان كما قال أعلاه لصورة هلال فيه ، فرأت الناس أن تنسبه الى القمر ، لأن منا من يقول اذا هل الهلال : « طلع القمر » .

ليرة

قال : « نقد تركي عراقي من ذهب كان يساوي ٤٠٠ قرش رائج ، والكلمة من الايطالية (Lira) ، والايطالية من اللاتينية (Litra) . وقد اختلفت قيمتها في كل بلد وفي كل زمن . والليرة (أبو خمس غازيات) نقد تركي عراقي ذهب يساوي ٤٣٠ قرشا رائجا ..... » .

قلت : كانت قيمة هذا النقد عند الحكومة مئة قرش (صاغا) ، ثم جعلت قيمته بعد اعلان المشروطية (أي الدستور) مئة قرش واربعا وعشرين بارة باعتبار القرش أربعين بارة كما هو معروف عند الحكومة . وقد اختلف سعر هذا النقد عند الناس بين نحو من ١٠٨ قروش صاغا ، وهي تساوي ٤٣٢ قرشا رائجا وما فوق ذلك أحيانا حتى كان سعره في وقت من الأوقات نحوا من ٥٥٠ قرشا عندنا في بغداد . أما اما ورد أعلاه في شأن الليرة (أبو خمس غازيات) فهو منقول عن جونس ، ولكنه لم يقل (غازيات) بل قال (أبو خمس نمازياد)، وكتب بالافرنجية Lira or Mejeedi ، فهو يريد الليرة نفسها ويكون قد ذهب الأب الى أن في الطبع غلطا فقرأ الكلمة قراءة صحيحة . واذ ذكر جونس أن قيمة (الغازي) العتيق خمسة وتسعون غرشا (رائجا) ، وقيمة (الغازي الخيري) أربعة وثمانون غرشا (رائجا كذلك) كما مر بنا ، لزم أن تكون خمسة غازيات خيرية تساوي ٤٢٠ ، فلم يكن الفرق بين هذا المبلغ وما يساوي الليرة في زمنه الا عشرة قروش ، وكان للناس أن يتساهلوا فيقولوا ليرة أبو خمس غازيات ، وهو اسم لم أسمعه في زماني . وأقول في

الآخير : ان الليرة وما ذكره جونس باسم ليرة أبو خمس نمازياد (غازيات) ، هو نقد واحد . وكان البدء بضرب الليرة فى سنة ١٢٦١ ﻫ (١٨٤٥ م) (راجع اسماعيل غالب ص ٤٢٦) . وكان يوصف هذا النقد العثمانى بادىء ذى بدء بمجيدية نسبة الى السلطان عبدالمجيد . وقد ضرب فى عهده ، ثم ضرب منه فى عهد خلفه السلطان عبدالعزيز ، فغدا الناس يقولون لكل منها (عثمانية) وصفا لهذا النقد (راجع اسماعيل غالب ص ٤٥٦) . أما فى عهدنا العثمانى فى العراق فكان الناس اذا أرادوا وصف هـذا النقد ، قال بعضهم (ليرة مجيدية) وبعضهم (ليرة عثمانية) لا لفرق بينهما ، بل لما قيل لها أولا (مجيدية) ثم (عثمانية) . وأما اليوم وقد غدت الليرة كسلعة فالناس ولاسيما الصيارفة يفرقون بين الليرة المضروبة فى زمن السلطان الفلانى والسلطان الفلانى فيصفون كلا من الليرات باسم السلطان الذى ضربت فى عهده لنقص طارىء على بعضها من كثرة لمس اليد لها ، فيقولون (ليرة مجيدية) و (ليرة حميدية) و (ليرة رشادية) .

متليك

قال : « تعريب (Metallique) أى نقـد معدنى ، ويلفظونه بفتح الميم وكسر اللام . وهو عند أهل سورية وفلسطين والعراق يساوى عشرة بارات . وهو نوعان : متيليك نحاس ، ومتليك نيكل . وبعضهم يقول : نقل ، بكسرتين فى نكل . »

قلت : ما أعرف شيئا عن هذا النقد عند أهل سورية وفلسطين . أما فى العراق ، فليست الكلمة مستعملة الا فى البصرة ، وأهلها يريدون به النقد المسمى فى بغداد (القرش الرائج) الذى يساوى عشر (بارات) كما تقدم . ولكن يجب تعريف هذه (البارات) ، فأقول : انه يراد بها (بارات) الحكومة التى كل أربعين منها يساوى (قرشا صاغا) . وهذا النقد الذى كان فى الأيدى فى القرن الماضى هو نقد صغير ضرب فى عهد السلطان محمود وهو من الفضة ، وكذلك فى عهد السلطان عبدالمجيد (اسماعيل غالب ص ٣٧٦ رقم ٩٨٧). ولكن الفضة قليلة فيه ، ولونه ضارب الى السواد . ثم ضرب نقد يعادل قيمته من النحاس (اسماعيل غالب ص ٤٥٨) ، وبعد ذلك كان من النحاس أيضا فى الأيام الأخيرة للسلطان عبدالحميد . ثم ضرب بعد اعلان المشروطية (الدستور) من النكل . ولم أسمع من يقول « نقل » بقاف . وكان يقال (وركة) بكاف فارسية أى « ورقة » لهذا النقد الصغير فى لواء المنتفق . وقيل لى انه كان يسمى كذلك (وركة) فى لواء الديوانية . ومن المعلوم أن الورق : الدراهم المضروبة . وللأب فى كتابه (ص ١٦٣ وص ٢٣٤) بحث عن أصل الكلمة . ومثل ذلك النقد القديم المضروب فى عهد السلطان محمود ما هو مضروب فى

بغداد (اسماعيل غالب ص ٣٨٧ رقم ١٠٤٦ ورقم ١٠٤٧) .

مجــر

قال : « بالتحريك نقد ذهبي مصري ضرب لأول مرة في بلاد المجر ، ومنه اسمه . وبعض العراقيين يقولون (مجار) بألف قبل الآخر . لكن المشهور بلا ألف . وهو اللفظ الصحيح الفصيح . وقد اختلفت قيمته واسمه بالافرنجية (Maggar) . والأصل في (المجر) أنه جيل من الناس من نجار تركي .... وهم الهنغاريون . والمجر عند أهل شرقي الأردن وفلسطين نقد نحاسي يساوي نحو خمس بارات . » .

قلت : لا أعرف عن هذا النقد شيئا في شرقي الأردن وفلسطين، وانما ذكره جونس وعده نقدا من الذهب متداولا في بغداد مبينا أن قيمته مئتا قرش واثنا عشر قرشا (رائجا) وقال بازاء ذلك بالافرنجية : انه (بلجكي) . فهل هو واهم في نسبته هذه ؟ بل جاء في تعريفه النقود الواردة في سالنامهٔ استانبول لسنة ١٢٩٦ (١٨٧٠م) (ص ٤٥٩) : « ان النقد المسمى « مجار » هو دوكة فلمنك (هولاندة) » .

مجيدي (راجع ربع مجيدي)

محبوب (راجع زر محبوب)

محمودي

قال : « في قولهم قطعة محمودي من النقود المصرية الفضية الصغيرة نسبة الى السلطان محمود . ولا مناسبة في القيمة بين المحمودي والمحمودية ، وان كانت المجانسة اللفظية ظاهرة . فالمحمودية قطعة من ذهب ، وهذه قطعة فضة . وكذلك لا صلة لها بـ (بندقلي محمودي) سوى مشابهة اللفظ » .

قلت : قد يكون هذا النقد أحد النقود الفضة التي ضربت في مصر في عهد السلطان محمود . (راجع اسماعيل غالب ص ٣٩١ وما بعدها) .

محمودية

قال : « هو نقد ذهبي من نقود مصر ، وقد اختلفت قيمته . وهو منسوب الى أحد سلاطين الترك كان اسمه محمودا . راجع (بندقلي محمودي) . وكان في مصر قبل مئة سنة محمودية جديدة ومحمودية قديمة » .

قلت : ذكر اسماعيل غالب (ص ٣٧٥) ضرب نقد اسمه (جديد محموديه آلتوني) للسلطان محمود الثاني في القسطنطينية في السنة السادسة والعشرين لتوليه السلطنة (وكان تولاها في سنة ١٢٢٣ هـ) . ووزن هذا النقد ٨ قراريط . وذكر نصفا لهذا النقد

مضروبا فى مصر ، وزنه ثلاثة قراريط ونصف قيراط (ص ٣٩٠ رقم ١٠٦٣) • قلت : فالمحمودية الجديدة هى أحد هذين النقدين ، ولعلها التى ضربت فى القسطنطينية • فان الذى ضرب فى مصر هو نصفها ، ولابد من أن تكون (المحمودية القديمة) من النقود التى سبق ضربها فى أيام هذا السلطان ، وهى كثيرة الأنواع (راجع اسماعيل غالب ص ٢٦٨ وما بعدها) •

مصر

قال : « مصر • مصران : مصر سليمى ، ومصر مصطفى • فالمصر السليمى نقد تركى عراقى ذهب قيمته ١٠٥ قروش رائجة • والمصر مصطفى نقد ذهبى مثله ، لكنه يساوى ١٢٠ قرشا رائجا • ولعل الاسم الأصلى (مصرى) ؛ لأنه كان يؤتى به من مصر ، أوكان ضرب فى مصر ، ثم حذفت ياء النسبة للخفة • •

قلت : هذا نقل عن جونس ، والنقدان من ضرب مصر من غير شك ، لما فى اسميهما من التعريف ولا سيما لما جاء فى اسماعيل غالب (ص ٣٥٣ رقم ٩١٥) • وهو ضرب نقد ذهب فى مصر باسم السلطان سليم الثالث (١٢٠٣/٢٢ = ١٧٨٨/٨٠٧) ، وقد سماه زر محبوب (جفته = مزدوج) ، وزنه ١م و٩ قراريط وله نصف وزنه ٦ قراريط وربع، وزر محبوب آخر مضروب فى مصر كذلك (وهو جفته أيضا باسم السلطان مصطفى (١٢٢٢/٢٣ = ١٧٨٨/٨٠٨)، وزنه ١م و٧ قراريط وربع، وله نصف وزنه ٨ قراريط وربع (اسماعيل غالب ص ٣٦٥ رقم ٩٤٤و٩٤٥)• فيبين أن النقدين اللذين ذكرهما جونس هما أنصاف النقدين بدلالة أن (الجفته) التى للسلطان سليم يزيد وزنها على التى للسلطان مصطفى، وكان وزن النصف الذى للسلطان مصطفى زائدا وزنه على وزن النصف الذى للسلطان سليم • وهكذا رأينا قيمة النقد الذى ذكره جونس للسلطان مصطفى يزيد وزنه على الذى للسلطان سليم •

مليم

قال : « بكسر الميم الأولى وتشديد اللام المكسورة أيضا يليها ياء مثناة ساكنة فميم ثانية ، هو من النقود المصرية العصرية ، والكلمة من الفرنسية Millième بمعنى جزء من ألف من أجزاء الدينار المصرى أو الجنيه المصرى • ويحسن بنا أن نسميه (الألف) وزان قفل حرصا على سلامة لغتنا من تدفق الأعجمية اليها وتمكنها فيها • راجع ما كتبناه فى (سنتيم) • وأهل فلسطين وشرقى الأردن يقولون (مل) بكسر فتشديد • وهو كالفلس عند العراقيين • •

قلت : لاحاجة الى أن يقال انه من Milliéme ، فان كلمة Millime نفسها موجودة في الفرنسية ، والفلس الذي ذكره هو فلسنا العراقي في يومنا هذا ، فان دينارنا يساوي ألف فلس .

ممدوحي (راجع مادة ربع ممدوحي)

نصف جهادي

قال : « نقد تركي عراقي ذهب قيمته ١٢٠ قرشا رائجا . راجع (جهادي) » .

قلت : أجل هكذا قال جونس ، ولكنه قال أيضا : « الجهادي قيمته ٣٤٠ قرشا » ، فكيف يتفق أن تكون قيمة النصف ١٢٠ قرشا ؟

نصف غازي

قال : « نصف غازي . نقد تركي عراقي قيمته ٤٢ قرشا رائجا . راجع (غازي) و(خيري) » .

قلت : يظهر أن قوله نصف غازي قيمته ٤٢ قرشا ، يريد به نصف الغازي الخيري الذي ذكره جونس مع بيان قيمته هذه .

نصف مجيدي (راجع مادة ربع مجيدي)

نقشلي

قال : « نقد تركي عراقي من فضة يساوي أحد عشر قرشا رائجا ونصفا . وسمي كذلك لنقش فيه ، وبعضهم يكتبه (نافشلي) وهو غير صحيح » .

قلت : هذا منقول عن جونس ، ولعل هذا (النقشلي) أحد نقود السلطان محمود الثاني المضروبة في بغداد . فقد ورد في اسماعيل غالب (ص ٣٨٦/٨٧) : أن « هذه النقود كان فيها نقوش » .

النيرة

قال : « هي الليرة عند بدو شرقي الأردن وبادية الشام والعراق ، بل عند جميع البدو على اختلاف بلادهم ، فأنهم يذهبون الى أنها تخفيف النيرة (بالتشديد) ، لأن الذهب ينير بعض العقول ، كما أن الفقر يزيد بعض الأحلام . ونيرة الحصان هي الليرة الانكليزية أو الاسترلينية عند جميع البوادي » .

قلت : لا أظن أن (النيرة) تخفيف النيرة (بالتشديد) . أقول هذا مع اعترافي بأني أجهل سبب ابدال فريق من الأعراب النون من لام هذه الكلمة .

يرملق سليمى

قال : « والبعض يكتبها يارملق . وهى من التركية (يارم) أى نصف ، فيكون معناها : ذا النصف ، أو ذا نصف القرش ، أو نحو ذلك . وهو نقد مصرى فضى كان شائعا قبل قرن فى العهد التركى . » .

قلت : جرت عادة الترك أن يقولوا نصفية لنصف الوحدة من النقود . راجع اسماعيل غالب ص ٣٥٤ رقم ٩١٦ وغيرها ، تره كثيرا ما ذكر نصفية ، ولم يقل قط يارملق . ان هذه الكلمة الملحقة بها أداة (لق) هى يكرمى (أى عشرون) ، والترك يقولون (يكرميلك) ؛ لأن (يكرمى) خفيفة اللفظة ، وقد سبق لى بيان ذلك فى مادة (بشلغ) . واذا ما رجعنا الى اسماعيل غالب (ص ٣٥١ رقم ٩٠٠ و٩٠١) وجدنا فيه أن مما ضرب فى عهد السلطان سليم الثالث نقدين مضروبين فى استانبول اسماهما (يكرميلك) ، ونقدا ثالثا بهذا الاسم مضروبا فى مصر (ص ٣٥٤ رقم ٩١٩) ، (فيرملق سليمى) هو أحد هذه النقود الثلاثة بلا شك . وأزيد على ذلك أنه قد جاء للأب ذكره (للنصفية) وقال : انها نقد مصرى .

يوزلك

قال : « كلمة تركية الأصل من (يوز) أى مئة (ولك) أداة النسبة ، فيكون معناها المئوية ، أو ذات المئة (القرش) . وهو نقد مصرى فضى يساوى سعره مئة قرش ، أو نحو ذلك . » .

قلت : كان فى القرن الماضى نقود يقال لها (يوزلك) مضروبة فى استانبول ، منها خمسة ضربت فى عهد سليم الثالث (اسماعيل غالب ص ٣٤٩ رقم ٨٩٠/٩٤) ، وواحد فى عهد السلطان مصطفى (اسماعيل غالب ص ٣٦٣ رقم ٩٣٥) ، واثنان فى عهد السلطان محمود (اسماعيل غالب ص ٣٧٨ رقم ١٠٠٠ وص ٣٨١ رقم ١٠١٦) . فالذى عناه الأب هو أحد هذه النقود .

مستدركات للأب

قال : « فاتنا كثير من مصطلحات النقود ، من ذلك (الفكة) ، فهى عند عوام المصريين النقود الصغيرة التى يتعامل بها . وسميت كذلك لأنهم ينظرون الى (الجنيه) نظرهم الى عقدة محكمة الشد ، ولا يمكن أن يتصرف فيها الا بفكها بالنقود الصغيرة . ويسميها أهل سورية (الفراطة) وأصلهـا (الافراطة) من فرط الجلة للقوم اذا نثر فيها من الثمن . فالليرة كالجلة . ويسميها العراقيون (الخردة) من الفارسية (خرده) أى قطع أو أجزاء صغيرة . وكان العرب الأقدمون يسمونها (الورق) ، وهناك غير هذه الأوضاع . » .

قلت : في تعليله لكلمة فكة وفراطة نظر •

اضـافة

قال الأب في هذه المستدركات : « انه فاته كثير من مصطلحات النقود • » **فأقول** : بل فاته كثير من أسماء النقود وما يساويها ، فان من يتصفح كتب التاريخ والرحـلات وغيرها يجد أسماء لنقود غير التي ذكرها أحدثت بعد العصر العباسي في بلادنا الشرقية ومصر والبلاد التي في غربها • وكذلك يجد هناك نقودا أدخلت هذه البلاد من أوربة ، واستعملت عندنا في العصر العثماني ، ولكنه لم يذكرها • واخراج هذه الأسماء من تلك المؤلفات يطول أمره فأتركه الآن • ولعل من المفيد أن أنقل هنا مثالا لذلك عن أصحاب رحلات هم : بالبي وتيفنو وايفس • فقد جاء في كتبهم أسماء نقود كانت متداولة في في بلادنا مع ذكر النسب بينها • ومن هـذه النقود التي لم يذكرها الاب : مدين[١] ودوكا أو سلطاني وبوكل وسكن ومرمودة ودنيم (قلت : صحيحها دهنيم من الفارسية ، أي من العشرة واحد) وعباسي ونادري • وهذه الرحلات قديمة ، فقد كانت الأولى في القرن السادس عشر ، والثانية في السابع عشر ، والثالثة في الثامن عشر ، وهـذا ما ورد في كل منها :

بالبي الايطالي (Balbi)

جاء في رحلته أنه غادر حلب في ١٣ كانون الأول ١٥٧٩ (٩٨٧هـ) قاصدا بغداد بطريق البيرة ، فركب الفرات فوصل اليها في أواخر كانون الثاني ١٥٨٠م • وقـد قال بشأن النقود المستعملة فيها ما تفضل بنقله لي عارف بالايطالية ، وهو :

« أن نقود بغداد هي (شاهيات) ، وكل شاهي يساوي خمس مدينات ، و (المدين) من ضرب بغداد ، وكل أربعين منها تساوي سبعة وأربعين مدينا[٢] • و (الباسـتر) يساوي ثلاثة وثلاثين مدينا من النقود البندقية وريال اسبانية قيمته مئة درهم (Dramme) وليس له سعر ثابت » اهـ •

وبعد أن أقام صاحب الرحلة نحوا من شهر في بغداد غادرها في ١٣ آذار قاصدا البصرة ، فوصل اليها ، وتكلم على النقود المستعملة فيها ، واني قد أهملت كلامه هذا ؛

---

(١) في اسماعيل غالب (ص ١٢٨) أن المديني نقد فضي مضروب في مصر ، وهو من نقود السلطان سليم الثاني (وفاته في ٩٨٢/١٥٧٤م) •

(٢) جاء اسمه في اسماعيل غالب (ص ١٢٨ و ١٣٠) بصورة « مديني » وأنه نقد فضي من ضرب مصر في عهد السلطان سليم الثاني ، وان هذه اللفظة كانت مستعملة هناك بمعنى بارة ابتـداء من عصر السلطان مصطفى الثـالث وبقي استعمالهـا جاريا بعـد ظهور البارة •

لأن فيما نقل لى غموضا على ما يبين لى •

(راجع ما أعادت الفاضلة أولغا بينتو طبعه من هذه الرحلة ، وهو القسم الخاص بحلب والعراق مع تعليقات وحواش كثيرة لها ، وذلك فى مجلة الأكاديمية الأهليـة فى لينسى فى ايطالية فى سنة ١٩١٢ م ، وقد استخرجت مما نشرته نسخا على حدة •)

تيفنو (Thévenot)

قال صاحب هذه الرحلة ، وكان فى بغداد فى آب ١٦٦٤ (١٠٧٥هـ) : « قيمـة (العباسى) شاهيان ونصف شاهى ، وقيمة (القرش الريال) ثمانية شـــاهيات ، وكل شاهى يساوى خمس بارات • و (البارة) قيمتها أربعة آسبرات (يريد آقجـــات) • وهذه النقود جميعها من فضة • و (بوكل) (Boquelle) قيمته سبعة شـاهيات ، وقيمة (سكن)[1] (Sequin) التركى ثمانية عشر شاهيا ، وسكن الـ Venitien (أى البندقى نسبة الى مدينة البندقية) تسعة عشر شاهيا • ثم قال : وهو فى قرانلق قبو (معناها باب الظـلام ، أو البـاب المظلم ، وهو ما سـميناه بالباب الشرقى[2] نريد بذلك الباب الجنوبى) أدى كل منا شاهيا • وهذا الشاهى يسمى أيضا (بغداديا) لأنه مضروب فى بغـداد ، وثقله درهم (Dragme) (راجع الرحلة المطبوعـة فى أمستردام فى سنة ١٧٢٧ المجلد رقم ٣ ص ١٣/٢١٢) •

ايفس البريطانى (Ives)

كان صاحب الرحلة هذه فى البصرة فى نيســـان ١٧٥٨م (١١٧١هـ) ، وأورد الجدول الآتى :

فلس	مرمودة	
–	١٠٠	تومان
–	٥	روبية ايرانية
–	٢٨	سكن (أى بندقى نسبة الى البندقية)
–	٥	روبية بومبى
١٠٠	–	مرمودة

(١) يقول معجم لاروس الحديث المصور ان كلمة سـكن هى تحريف « سـكة » العربية وانه من ذهب وهكذا قال اسماعيل غالب (ص ٥٤ ح) مع قوله ان راتهاوز يذكر تحريف سكن Sequin من « جيقين » (التركية) ومعناها صرة ، بدرة •

(٢) بدأت بهدمه امانة العاصمة فى اليوم الثالث عشر من أيار ١٩٣٧ وكان ذلك بعد الغروب فى نحو الساعة الثامنة وتم الهدم خلال بضعة أيام ، وكنت دونت ذلك فى يوم الابتداء بالهدم بعد رؤيتى اياه بعينى فى الساعة التاسعة •

فلس	مرمودة	
١٠	–	دنيم (دهنيم)[١]
٥٠	٤	القروش فى البصرة (يريد قرش المعاملة)[٢]
١٠	٧	القرش الرومى فى البصرة (يريد القرش الرومى العين)[٣]
٥٠	٨	البياستر فى معاملة بغداد
–	٦	البياستر فى معاملة حلب
٢٠	٢	العباسى
٣٠	٣	النادرى
–	٢٧	الفندقى فى معاملة البصرة
٥٠	٢٢	الفندقى فى معاملة حلب
٧٥	١٩	زر محبوب فى معاملة البصرة
–	٢٤	زر محبوب فى معاملة بغداد

(راجع ص ٢٣٦ من رحلته وهى مطبوعة فى لندن فى سنة ١٧٧٣) .

بل فات الأب ـ ما عدا ذلك ـ أسماء نقود كانت مستعملة فى أيام جونس ، وقد ذكرها فى جدوله . وهى نقود دخيلة كان قسم منها لا يزال مستعملا فى بغداد فى زمن الأب ، ولم يذكرها . ومن هذه النقود ما هو من ذهب ، ومنها ما هو من فضة . وهاك النقود الذهب : (ليرة انكريزى) كذا براء عوضا عن اللام ، (همه بادروس) وبازائها بالافرنجيـــة (Roussian Imperial) ، (يلديز ســورتى) . أما النقود الفـضـــة ، فهى : (أبو طوب ، أبو لطخة ، مناط ، ونصفه وربعه وخمسه ، طنكير) .

وكان آخر ضرب النقود فى بغداد فىسنة ١٢٥١هـ (١٨٣٥/٣٦م) . راجع ما كتبته فى (مجلة غرفة تجارة بغداد (٤ ، ١٩٤١ ، ٨٦٩) ، والله الهادى الى الصواب .

يعقوب سركيس

---

(١) وراجع مباحث عراقية (ص ٤٢ رقم ١٩٧) .

(٢ و ٣) اذا ما قيل قرش فى تلك الأيام يراد به القرش الرومى (أى العثمانى) واذا ما وصف هذا القرش بقرش عين يراد به هذا القرش نفسه ولكن اذا ما قيل قرش حسب ولا سيما اذا قيل قرش معاملة يكون المراد به هـذا القرش مضافا اليه نســبة مئوية كبيرة فيحسب القرش العين بنحو منقرش ونصف قرش معاملة بين زيادة ونقصان كما هو واضح من تعيين صاحب الرحلة لقيمة « القرش فى البصرة » وقيمـــة « القرش الرومى فى البصرة » . ان الفرق بين قيمتيهما ظاهر (ويراجع ما نقلته من تقويم لتاجر مقيم فى البصرة من سنة ١٨١٠ الى سنة ١٨١٤ . وذلك فى (مجلة غرفة تجارة بغداد : ٧ (١٩٤٤) ٣٧٩ وما بعدها) .

دراسة الشريعة الاسلامية في انجلترة

والاتجاهات الفقهية الحديثة (١)

حضرات المستمعين الكرام

أقدم لكم اعتذاري قبل كل شيء ، لعدم تمكني من أن أستعد الاستعداد الكافي لكي ألقي على مسامعكم في هذا المساء محاضرة تليق بهذا المجمع الجليل . ذلك أني لم أكن متوقعا لهذه الدعوة التي وجهها الى حضرة الرئيس الكريم ، وقد كنت على وشك السفر الى كربلاء والنجف ، كما كنت مرتبطا بمواعيد أخرى . غير أني رأيت من المستحيل ألا ألبي هذه الدعوة ، ولا سيما أنها قد أتاحت لي فرصة أعبر فيها عن شكري وامتناني لحضرة الرئيس الجليل ولحضرات أعضاء المجمع الأجلاء على ما بذلوه من جهد في مساعدتي وعلى تكريمهم وتقديرهم لي تكريما وتقديرا لا أستحقهما . ولكني أعترف بهذا الجميل ، وأقدر هذا الشعور النبيل . واني أرجو من حضراتكم أن تغضوا الطرف عن الخطأ الذي قد يصدر مني في هذه الكلمة الارتجالية ، وعما يقع مني من خلل في بعض الجمل مما لايوافق الأسلوب العربي الفصيح .

موضوع محاضرتي هو الفقه الاسلامي ، غير أن هذا الموضوع واسع الأطراف . ولن أستطيع أن أعالجه بوجه عام في هذه المحاضرة الوجيزة ، ولا أظن أن أحدا يقدر على الالمام به على هذا النحو . ومهما يكن من الأمر فلست أنا بذلك الرجل ، وعلى الأخص لأني أعرف جيدا أن بين ظهرانينا في هذا المساء من هم أعلم مني بهذا الموضوع « واذا حضر الماء بطل التيمم » . ولكني سأحاول معالجة أمرين يتعلقان بهذا الموضوع ربما يهمانكم ، وقد اقترح على حضرة الرئيس الجليل معالجتهما : أولهما (دراسة الشريعة الاسلامية وتدريسها في انجلترة) ، وثانيهما (التطورات والاتجاهات الفقهية الحديثة) التي لاحظتها في أثناء تجولي في الشهور الأخيرة بالبلاد العربية .

دراسة الفقه الاسلامي بانجلترة

ان دراسة الفقه الاسلامي في بلادنا تقوم على نظامين مختلفين بعض الاختلاف .

---

(١) محاضرة الأستاذ ج . د . أندرسن مدرس الفقه الاسلامي بجامعة لندن ، في دار المجمع العلمي العراقي .

ففى كثير من جامعاتنا قسم خاص بالعلم الشرقيـة تدرس فيه اللغات الشرقيـة وآدابهـا وتأريخها من نواح متعددة • وفيما يختص باللغة العربيـة فلا يخفى عليكم أن الفقـه الاسلامى ينال قسما وافرا من آدابها وعلـومها ـ الأمر الذى قد يجذب الطـلاب الى التخصص فى هذا الفرع بنوع خاص • ومن أبرز الشخصيات عندنا فى الفقه الاسلامى (يوسف شاخت) من (جامعة أكسفورد) ، الذى يؤلف الآن سلســلة من الكتب فى هذا الموضوع ، ومنها كتاب على وشك الظهور خاص بـ (نمو الفقة الاسلامى فى فجر الاسلام ونشأة المذاهب الفقهية) •

أما النظام الآخر الذى تدرس فيه الشريعة الاسلامية فى بلادنا ، فهو نظام خاص بجامعة لندن وجامعة كمبردج ، حيث تقرر جعل الفقه الاسلامى مادة اختيارية فى قسم الحقوق فى شهادة البكالوريوس وشهادة الماجستير فى الحقوق • وقد سئلت عن الطلاب الذين يختارون هذه المادة ، فبعضهم من الانجليز ، وبعضهم من غير الانجليز • وبعض الذين يدرسون الفقه من الانجليز هم من موظفى الحكومة فى المستعمرات والبلدان التى يقطنها مسلمون ، ومنهم انجليز يريدون الاقامة فى البلاد الشرقية • وأما غير الانجليز ، فبينهم عدد من أبناء الناطقين بالضاد من البلاد العربية ، وهناك عدد آخر ممن لا يعرف من العربية شيئا • ومن أجل هذا كانت لغة الدراسة هى اللغة الانجليزية ، والمراجـع التى يرجع اليها باللغات الأوربية • والذين يعرفون العربية يرجعون ـ بطبيعة الحال ـ الى الأصول العربية •

أما فيما يختص بالمناهج المقررة ، فان منهج البكالوريوس هو أصول الفقه وتأريخ التشريع الاسلامى مع نشأة الفرق والمذاهب الفقهية (باختصار) ثم الأحوال الشخصية بوجه عام والتبرعات (من الهبة والصدقة والوقف) والشفعة ، وذلك بحسب المذهبين الحنفى والجعفرى مع الاشارة الى المذاهب الأخرى • وقد اختيرت هذه الفروع دون غيرها لأنها تشمل بوجه عام القسم المعمول به من الشريعة فى البلاد الاســلامية فى الوقت الحاضر • أما فيما يختص بشهادة الماجستير فى الحقوق ، فانها تنال اما بامتحـان عام فى المواد المذكورة نفسها مع شىء من التفصيل الواسع فيها ، واما بتقديم بحث فـى موضوع فقهى متفق عليه ، مع الامتحان فى الموضوعات التى تتعلق به • وهنـاك من يتخصص فى الفقه الاسلامى لنيل شهادة الدكتوراه ، وعلى الطالب فى هـذه الحالة أن يقدم رسالة فى موضوع فقهى متفق عليه • واذا ما قدرت لجنة الممتحنين قيمة البحث من الناحية العلمية ومقدار قدرة الطالب على معالجة البحث والتفكير ، يمتحن الطالب شفويا فى تفصيلاتها ، ويمنح شهادة الدكتوراه •

التطورات الحديثة فى الشريعة

كنت فى الشهور الماضيـة أطوف ببعض البلاد العربيـة لأدرس بنوع خاص التطورات الحديثة الخاصة بتقنين أحكام الشريعة الاسلامية وما يتصل بذلك . ولقـد لاحظت فى مصر مثلا تطورات واسعة النطاق جديدة ، كما وجدت فى غيرها أيضـا تطورات أخرى ومشروعات ما تزال تدرس .

وحركة الاصلاح الخاصة بالشريعة الاسلامية قد بدأت ــ كمـا هو معروف ــ فى الدولة العثمانية ، ثم امتدت الى البلدان العربيـة ، ويظهر لى أن المصلحين يرمون فى الاصلاح الى ثلاثة مقاصد :

المقصد الأول ــ اصلاح نظام المحاكم الشرعية واجراءاتها (أعنى أصول المرافعات وما يتعلق بذلك) .

المقصد الثانى ــ تدوين الأحكام المعمول بها وتقنينها فى مواد على طراز القوانين الحديثة .

المقصد الثالث ــ عدم التقيد بمذهب خاص فى هذا التقنين ، ولكن اتخاذ أحكامه من جميع المذاهب الفقهية وغيرها من آراء الفقهاء بوجه عام .

كما يظهر لى أن المبدأ الأساسى الذى قامت عليه هذه الحركة ، هو القاعدة التى تقول ان لولى الأمر أن يخصص القضاء بالمكان والزمان وبالحوادث التى يسمعها القاضى ، وأن يأخذ بأى قول كان من الأقوال فى المسائل المختلف فيها بين الفقهاء ويطبق ذلك فى قضايا معينة . ولا يخفى على حضراتكم ما كان حول هـذه القاعدة من جـدل بين العلماء ، بيد أنه أصبح الآن مبدأ مقبولا عند جمهور الفقهاء فى معظم البلاد العربية .

وانه يكفينا فى هذا الصدد أن نشير الى بعض الأمور البارزة فقط :

١ ــ نظام المحاكم واجراءاتها

لا ننس أن المحاكم الشرعيـة الآن فى كل البلاد تقوم على نظـام من الطراز الحديث . فنجد فى مصر مثلا محاكم شرعية ، جزئية وكلية ، وكذلك ابتدائية وعليا ، كما أن فيها أيضا نظاما للاستئناف والتمييز . وفى بلادكم العزيزة تنقسم المحـاكم الشرعية الى محاكم سنية ومحاكم جعفرية ومحكمـة تمييز سنية وجعفرية . وينص القانون على أن القاضى الذى يسمع قضية ممن ليس من طائفته ، عليه أن يستفتى عالمـا من هذه الطائفة . وهنالك محاكم من هذا الطراز ــ مع بعض الاختلاف ــ فى البـلاد العربية الأخرى ، كما يتجلى أن مثل هذا الترتيب كله من باب تخصيص القضاء .

وأهم ما يلفت نظرنا أكثر من هذا ، هو ما صدر فى هذه البلاد من قوانين ولوائح خاصة بأصول المحاكمات والمرافعات فى هـذه المحاكم ، مثل لائحــة الاجراءات التى صدرت فى مصر سنة ١٩٣١م ، وقانون البينات الذى صدر فى سورية سـنة ١٩٤٨م ، وما الى ذلك . فنجد فى هذه القوانين أن الأدلة الخطية معتبرة حق الاعتبار فى كل هذه البلاد ، بل توجد مسائل لا تكاد تقبل فيها بينة غير خطية فى بعض هذه الدول ، بالرغم مما فى كتب الفقه من الاختلاف فى هذا الموضوع . وقد بطلت فى مصر والسودان وسورية مسألة تزكية الشهود وتعديلهم ، وحل محل هذا تحليفهم واستجوابهم . كما أن شهادة النفى أصبحت مسموعة الآن حيث يترك الى فطنة القاضى تقدير قيمة الشهادات المتناقضة . غير أنه لايزال الجدل يثار حول مسـألة نصاب الشـهادة المطلوبة للحكم بمقتضـاها فى المحاكم الشرعية ، فالقرينة القاطعة مثلا مقبولة كطريقة من طرق الاثبات الشرعية فـى مصر ، كما أن قانون البينات الجديد فى سورية نص على قبولهـا ، وعلى قبول شـــهادة الواحد أيضا اذا اطمأن اليها قلب القاضى (وهذا بخلاف الوضع فى مصر كما يظهر) . غير أن هاتين المسألتين قد أثارتا من رجال الشرع ضجة شديدة حملت الحكومة السورية على اصدار تعديل استثنت فيه المحاكم الشرعية من العمل بهما ، ونص فيه على أن القاضى الشرعى لا يزال مقيدا بنصاب الشهادة الشرعى . أما من جهة السند الفقهى ، فلا يخفى عليكم ما جاء فى بعض كتب الحنفية خاصا بالقرينة القاطعــة وما احتج به العلامة (ابن القيم) مثلا على حكمة النصوص الواردة فى نصـاب الشـــهادة الشرعى وعدم تقيـــد القضاء به .

ويجدر بنا ، بهذه المناسبة ، أن ننوه أيضا بوسيلة مهمة التجأ اليها المصلحون كثيرا للوصول الى ما يرمون اليه ، ونعنى بذلك اصدار الأمر بعدم سماع بعض القضايا المعينة عند المحاكم الشرعية . ونجد مثلا لهذه الوسيلة فى لوائح الاجراءات وفى مواد تقنـين الأحكام المعمول بها على السواء ، مثل تحديد أقصى مدة جائزة لرفع الدعاوى من أى نوع كان ــ وهذا مستعمل فى كل البلاد ــ فمنعت المحاكم من سماع الدعوى بعد هذه المدة المعينة ، كما منعت المحاكم أيضا من سماع دعاوى الوصية والوقف مثلا عند الانكار ــ وأحيانا مطلقا ــ الا اذا وجد سند خطى من طراز معين نظرا الى ما فى شهادة الشهود من احتمال الكذب . وفضلا عن هذا فقد التجأ المصلحون فى مصر الى هذه الوسيلة من أجل اصلاح مهم لا يزال يثير جدلا مرا من أجل سنده الفقهى ، وأعنى بذلك تقييد سن الزواج ، فلا تسمع دعوى فى مصر الآن بناء على عقد نكاح غير مسجل عند الموظفـين المختصين ــ ما عدا مسألة اثبات النسب ــ كما أن هؤلاء الموظفين قد منعوا من تسجيـل

أى عقد كان لم يبلغ فيه الزوج ثمانى عشرة سنة ، أو الزوجة ست عشرة سنة ، ولا تسمع هذه الدعاوى أيضا حتى عند الاقرار اذا لم يصل الطرفان الى هذه السن المعينة عند رفع الأمر الى المحكمة . وهناك غير ذلك أمثلة أخرى لاستعمال هذه الوسيلة فى بلاد أخرى ، والمجال لا يسمح بالتوسع فى بيان ما أثارت هذه الوسيلة من اعتراضات من جانب بعض العلماء فى البلدان المختلفة .

٢ ـ الرغبة فى التقنين

والاتجاه الثانى الذى ظهر فى معظم هذه البلاد ، هو الرغبة فى تدوين أحكام الشريعة الاسلامية المعمول بها وتقنينها فى شكل القوانين المدنية . وكان الحال قبل ذلك ـ منذ صدور الأمر من السلطان العثمانى ـ أن القاضى الشرعى عليه أن يحكم بأرجح الأقوال فى مذهب (أبى حنيفة) . ولا يخفى أن أرجح الأقوال فى المذهب منثور فى بطون كتب فقهية عديدة مختلفة ، كما أن المؤلفين لم يجمعوا على أرجحية الكثير منها ، ولكنهم اختلفوا الى درجة كبيرة فيما رجحوه واختاروه للفتوى . فكان القضاة من أجل هذا فى بحر خضم من التخريجات والاختيارات من العسير عليهم تفضيل بعض دون بعض ، وعلى الأخص فى هذه الأيام التى طغت فيها الثقافة الحديثة وقل فيها التعمق فى الثقافة الفقهية القديمة . واذا كان من العسير على القاضى الشرعى نفسه معرفة الراجح فى المذهب ، فانه يكاد يكون من المستحيل على غير المتقفين بهذه الثقافة معرفة ذلك . فكان من الأفضل ، من غير شك ، أن يكون فى متناول المتعلمين كلهم أن يعرفوا هذه الأحكام التى تطبق عليهم خاصة فى الأمور التى لها خطورة كالنكاح والطلاق والميراث . فالدافع الأساسى الى تقنين هذه الأحكام وتدوينها رسميا ، أمر واضح ، وهو مساعدة القضاة وانارة الشعب .

وقد لقى هذا الاتجاه شيئا من المعارضة فى جميع البلاد . والذى دفع الناس الى المعارضة هو اعتقادهم تارة أن ليس لولى الأمر أن يخصص القضاء هذا التخصص ، والخوف تارة أخرى ـ على ما يظهر ـ من أن يؤدى هذا التدوين الى اهمال كنوز الفقه الاسلامى ، وما يتبع هذا من اهمال رجال الفقه والتقليل من شأنهم . ولعلهم يخشون أيضا من هذا التقنين ما قد يمهد اليه الطريق من وحدة المحاكم ، بحيث يمكن القاضى المدنى من الحكم فى الأحوال الشخصية أيضا بمجرد الرجوع الى نص القانون المدون .

ومهما يكن من شىء ، فالظاهر أن هذا الاتجاه لا تجدى مقاومته نفعا ، وأن مما لا شك فيه أن تقنين الأحكام الفقهية المعمول بها سيتم أمره قريبا فى جميع البلاد العربية .

٣ ـ عدم التقيد بمذهب خاص

والحق أنه مما دفع المصلحين الى الاتجاه الى هذا التقنين كان الرغبة فى عدم التقيد بمذهب خاص فى اختيار الأحكام التى تتناسب مع مقتضى الظروف من كنوز الشريعة الاسلامية عامة . فقد كشفت لهم التجربة أن العمل بالمذهب الحنفى وحـــده فى بعض المسائل مما لا يتفق مع مقتضيات العصر ، فى الوقت الذى يستطيعون فيه ، بالرجوع الى المذاهب الأخرى ، أن يجدوا ما يسد الحاجة .

ولا يخفى عليكم ما قام به الفقهاء فى الأيام الخالية من بحث ومناقشة فى مســألة التقيد بأرجح الأقوال فى مذهب خاص ، حتى فيما يختص بالشخص نفسه . فان هناك من الأحناف المتأخرين من ذهب الى أن من ولد حنفيا يجب عليه أن يبقى حنفيـا طول عمره ويعزر اذا خرج على أحكام مذهبه . وهناك أناس آخرون جوزوا للشخص تغيير مذهبه بمذهب آخر مرة واحدة ، وليس له تقليد امام فى مسألة وامام آخر فى مسـألة أخرى . كما أن هناك غيرهم أباحوا مثل هذا الاختيار بشرط أن يقتنـع المقلد فى كل مسألة بأن أدلة المجتهد الذى يقلده أقوى من غيرها . واشترط بعض الفقهاء ألا يقصد المقلد بذلك اتباع الرخص فى المذاهب المختلفة ، أو أن يلفق بين الأقوال فى مسألة واحدة بحيث يصل الى قول جديد . وهناك غيرهم لم يشترطوا شيئا من هذه الشروط ، وجوزوا حرية الاختيار على ألا يكون القصـد من ذلك مجرد التشـــهى أو اللهو . أما المفتى والقاضى فيما لا يتعلق بحياتهما الخاصة ، بل فيما يتعلق بالحياة العامة من افتاء أو قضاء ، فان الفقهــاء المتأخرين قد اتفقوا تقريبا على أنهمـا مجبران على اتباع أرجح الأقوال من مذهب امامهما ، غير أن بعضهم استثنى من ذلك ما اذا أمر ولى الأمر بخلاف هــذا القول الراجح لمصلحة عامة أو ضرورة ملحة . ومهمـا يكن من الأمر ، فان التطورات الحديثة فى سائر البلاد العربية فى اصدارها قوانين ومراسيم طبقت فيها أحكام مرجوحة فى (مذهب أبى حنيفة) فى حوادث معينة ـ انما بنيت على هذا الرأى القائل بأن لولى الأمر أن يخصص القضاء الى هذا المدى .

وكان أول ما حمل المصلحين على هذا الاتجاه فى عدم التقيد بالمختار من (مذهب أبى حنيفة) ، حرج بعض الزوجات اللاتى حملتهن ظروف قاسية ودفعتهن الى طلب التطليق ، أو فسخ عقد النكاح عند القاضى ، ولم يجدن سبيلا الى هذا فى (مذهب الامام الأعظم) . وبناء على ذلك صدرت فى سنة ١٩١٥م ارادتان سلطانيتان من قبل السلطان العثمانى : احداهما خاصة بتطبيق آراء (محمد بن الحسن الشيبانى) فى فسخ عقــد النكاح عند طلب الزوجة اذا وجدت زوجها مصابا بالبرص أو الجذام أو الجنون وما فى

درجتها ، والأخرى خاصة بالعمل بمذهب (أحمد بن حنبل) فى تطليق الزوجة اذا تغيب عنها زوجها وتعذر تحصيل النفقة . وهاتان الارادتان مطبقتان الآن فى بلادكم . ثم صدر فى تركية فى سنة ١٩١٧م قانون يشمل معظم أحكام النكاح والطلاق والعـدة عنوانه (قانون حقوق العائلة العثمانى) يحوى بين مواده السبع والخمسين والمئة جواز تطليق الزوجة أيضا لبعض الأسباب الأخرى ، وعدم وقوع طلاق السكران أو المكره ، مع مواد أخرى لا تقل أهمية عن ذلك كتحديد سن الزواج بعض التحـديد ، وما الى ذلك . وهذا القانون غير مطبق فى بلادكم مع أنه معمول به فى لبنان وسورية .

ومما تجدر ملاحظته أنه فى سنة ١٩١٦م صدر فى السودان منشور شرعى يشمل تطليق زوجة المصـاب بالبرص أو الجذام أو الجنون أو ما يماثلها ، وتطليقها أيضـا لعدم الحصول على النفقة أو عند الشقاق أو غيبة الزوج عنهـا بحيث تخشى الفتنـة على نفسها . ومهما يكن من شىء ، فالذى يظهر لى أن الخطوات المتتالية التى تابعها المصلحون المصريون هى أوضح مثلا وأبعد مدى فى هذه السبيل .

والفضل الأعظم فى حركة الاصلاح فى المحاكم الشرعية وما تطبقه من أحكام فى مصر ، وربما فى البلاد الاسلامية الأخرى ، يرجع على ما أظن الى شـخصية ممتازة ظهرت فى أواخر القرن الماضـى ، أعنى بهـا (الامام الشيخ محمد عبده) ، غـير أن اقتراحاته الخاصة بالأخذ بغير المذهب الحنفى فى بعض الحوادث لم يعمل بهـا فى مصر حتى سنة ١٩٢٠م . فقد صدر فى هذه السنة مرسوم يحتوى على ثلاث عشرة مادة أهمها أن نفقة الزوجة تبقى دينا ثابتا فى ذمة زوجها من وقت امتناعه عن الانفاق عليها من غير توقف على قضاء أو تراض ، وجواز تطليق الزوجـة ممن لا ينفق عليها ـ حاضرا أم غائبا ـ بعد الاجراءات المذكورة ، وتطليق الزوجة من زوجها المصاب بمرض يمنعها من الاقامة معه الا بضرر ، وتحديد مدة عدة المطلقة (أو المتوفى عنها زوجهـا) التى يجوز لها طلب النفقة فيها . ونلاحظ أن هذه المواد ـ التى نجد ما يوافقهـا فى بلاد أخرى ـ مأخوذة كلها من الأقوال الراجحة فى مذهب ما من المذاهب السنية الأربعة المشهورة .

وبعد اصدار المرسوم الخاص بتحديد سن الزواج فى سنة ١٩٢٣م ، الذى أشرنا اليه فى مسألة الأمر بعدم سماع بعض الدعاوى ، تكونت لجنة فى سنة ١٩٢٦م لدرس ما لا يزال يحتاج الى اصلاح ، فقدمت هذه اللجنة اقتراحاتها فى تلك السـنة نفسها ، ونفذت معظم هذه الاقتراحات فى سنة ١٩٢٩م . وقد اشتمل المرسوم الذى صـدر فى هذا التأريخ على خمسة وعشرين مادة ، أهمها المواد الخاصة بتطليق الزوجة للضرر أو لتغيب زوجها عنها مع تضررها من غيبته ، وعدم سماع بعض دعاوى النسب ، ونفقـة

العدة التى يخشى فيها الخدعة ، وعدم وقوع طلاق السكران والمكره والطلاق غير المنجز الذى لا يقصد به الا الحمل على فعل شيء أو تركه ، وأن الطلاق المقترن بعدد لفظا أو اشارة لا يقع الا واحدة ، وأن كنايات الطلاق لا يقع بها الطلاق البتة الا بالبينة .

وهذه الأحكام بالرغم من أن أكثرها مأخوذ من الراجح فى مذهب ما من المذاهب الأربعة أو من قول معتمد فيها ، الا أن بعضها يخرج عن هذه القاعدة خروجا واضحا مثل كون الطلاق المقترن بعدد لا يقع الا واحدة ، ومثل كون الطلاق غير المنجز المقصود به مجرد اليمين أو التهديد لا يقع على الاطلاق . وتشير المذكرة التفسيرية بالنسبة الى هاتين المسألتين الى الآراء المنسوبة الى بعض الفقهاء القدامى ، والى أقوال شاذة فى المذهب الحنبلى صرح بها (ابن تيمية) و (ابن القيم) ، كما يلاحظ أيضا أن المواد الخاصة بعدم سماع بعض دعاوى النسب أو الارث بسبب الزوجية ونحوها قد بنيت فى الحقيقة على على الآراء الطبية الحديثة فى أقصى مدة الحمل ، مع أنها تخالف المختار فى جميع المذاهب الأربعة كل المخالفة .

أما الاقتراحات التى قدمتها لجنة سنة ١٩٢٦م ولم يعمل بها الى الآن ، فقد كانت خاصة بتقييد تعدد الزوجات وصحة بعض الشروط التى قد تشترطها الزوجات فى عقود الزواج والتى لم تكن معتبرة من قبل ، غير أنها كانت صحيحة فى (مذهب أحمد) ، وقد نص على اعتبارها أيضا (قانون حق العائلة العثمانى) . مع أن اقتراح تقييد تعدد الزوجات يرجع فى الحقيقة الى اجتهاد (الامام الشيخ محمد عبده) على أساس تفسيره لآية التعدد فى القرآن واعتبار الشرطين الواردين فيها مما يمكن تنفيذه قضاء .

وفى سنة ١٩٣٦م كونت لجنة أخرى لوضع تقنين شامل للأحوال الشخصية كلها يستمد أحكامه من المذاهب الاسلامية المعتد بها جميعا . فمن ثمار بحوث هذه اللجنة (قانون المواريث) الذى صدر فى سنة ١٩٤٣م ، و (قانون أحكام الوقف فى سنة ١٩٤٦) ، و (قانون الوصية) فى هذه السنة نفسها . ولا يسعنا هنا الا أن نذكر بعض المسائل البارزة فى هذه القوانين التى أخذ بما يماثلها فى بعض البلاد العربية الأخرى ، أو يقترح فى بعض آخر الأخذ بها .

فمن ذلك مواد (قانون المورايث) الخاصة بارث الجد الصحيح مع الأخوة الأشقاء أو لأب بحيث لا يحجبهم عن الارث الآن كما كان من قبل ، وبالرد على أحد الزوجين وباشتراك الأشقاء مع الأخوة لأم فى المسألة المشتركة . أما ما ورد فى القانون المصرى عن المسألة الأولى ، فهى مما قد يعتبر تلفيقا حسنا بين آراء (على بن أبى طالب) وآراء (زيد بن ثابت) ، مع أن حكم الرد على أحد الزوجين ، عند عدم وجود عصبة من

النسب أو أصحاب الفروض النسبية أو ذوى الأرحام ، مأخوذ من رأى بعض الصحابة القائل بالرد عليهما كما يرد على غيرهما من أصحاب الفروض فى بعض الأحوال ، ومن مذهب جمهور الفقهاء القائل بعدم الرد عليهما مطلقا فى أحوال أخرى • غير أن مسألة المشتركة مأخوذة من القول الراجح فى (مذهب الشافعى) •

وأبرز الأحكام فى (قانون الوصية) وأهمها فقهيا ، هو لزوم الوصية لوارث بلا توقف على اجازة الورثة الآخرين ، ومسألة الوصية الواجبة لذرية الوالد الذى مات فى حياة أبيه • أما الحكم الأول ، فسنده الفقهى المذكور فى المذكرة التفسيرية هو أقوال بعض المفسرين لآية الوصية القرآنية ومذهب فريق من الفقهاء غير المشار اليهم بالذات والمقصود بهم علماء الشيعة الامامية وبعض علماء الشيعة الزيدية ، كما أن مسألة الوصية الواجبة مبنية أيضا على بعض أقوال بضعة من المفسرين لآية الوصية بصفة عامة وعلى مذهب (ابن حزم الظاهرى) وبعض آراء الأباضية بصفة خاصة • وعلى العموم فهذان الحكمان يخالفان ما أجمعت عليه المذاهب السنية الأربعة •

كما أن أهم شيء فى قانون الوقف ربما كان اقرار صحة الوقف المؤقت خيريا كان أم أهليا ما عدا وقف المسجد ، وكذلك اقرار أن الوقف الأهلى لا يجوز فيما بعد الا مؤقتا بطبقتين أو بستين سنة بعد وفاة الواقف • وهـذا الحكم مأخوذ من رأى (مالك) بصحة الوقف المؤقت من جهة ، ومن جهة أخرى فان تحديد المـدة وبعض التصرفات الأخرى التى رأتها اللجنة يتفق مع المصلحة العامة أساسه الفقهى القاعدة الفقهيـة بأن لولى الأمر أن يأمر بالمباح •

أما البلاد العربية الأخرى ، فنجد فيها ما يتماشى مع هـذه التطورات المصرية الى حد بعيد • فقد ذكرنا لكم (قانون حق العائلة العثمانى) فيمـا يختص بأحكام النكاح والتفريق والعدة ، ثم فيما يتعلق بمسائل الارث المذكورة سابقا ، فان هذه الأحكام يعمل بها الآن فى السودان ، وقد نص عليها فى (مشروع قانون الارث والوصية) فى لبنان ، حتى ان مسألة لزوم الوصية لوارث فيما لا يتجاوز الثلث من غير توقف على اجازة الورثة الآخرين مقررة أيضا فى السودان وفى المشروع اللبنانى • أما مسألة الوصية الواجبة ، فلم تتقرر بعد فى السودان • وقد تجاوز المشروع اللبنانى ، ونص على مبدأ الخلفية فى الارث فى تلك الأحوال • ثم ان الأوقاف على الذرية بطلت الآن فى سورية كليـة ، كما أنها وقتت فى لبنان على ترتيب يشبه النظام المصرى الى درجة كبيرة •

ملاحظات ختامية

من هذه الأمثلة ، نرى المدى البعيد الذى وصل اليه الآن مبدأ تخصيص القضاء

فى هذه البلاد . وليس من شك فى أن بعض الأحكام التى قررت فى هذه القوانين المذكورة تخالف مخالفة واضحة ما ادعى انعقاد الاجماع عليه . وينكر المصلحون فى الواقع رأى الأحناف فى الاجماع انكارا كليا ، مستندين فى ذلك الى قول (أحمد) فى احدى الروايتين عنه أن « ما يدعى فيه الرجل الاجماع هو الكذب ، من ادعى الاجماع فهو كاذب ، لعل الناس قد اختلفوا ولم ينتبه اليه » - كما أنهم يحتجون بعدم امكان التحقق من وجود الاجماع بعد تشتت الفقهاء المجتهدين من الصحابة فى عصر الخليفة (عمر بن الخطاب) .

ولعله يخطر ببال الباحث فى مواد هذه القوانين أن بينها ما لا مفر من اعتباره ضربا من الاجتهاد الجديد ، مع أن واضعيها ينكرون هذا الاعتبار ويدعون أنهم لم يتجاوزوا فى ذلك مبدأ التخير بين آراء المجتهدين القدماء . وفوق هذا ، فأنهم ينكرون أيضا أنهم فى معظم الأحيان قد لفقوا بين الآراء المختلفة بدعوى أن أخذهم بهذه الآراء المختلفة هو فى الواقع فى مسائل فردية . ولكن الباحث لا يسعه الا أن يشك فى هذا الادعاء وهل هو من صميم اعتقادهم الشخصى أو أنه مجرد ارضاء للرأى العام .

وأخيرا ، يتضح للمتأمل فى هذه الاتجاهات المتماثلة فى البلاد العربية المختلفة أنها تكشف عن شىء من التقارب بين أفكار السنية وآراء الشيعة الجعفرية . ونسوق بعض أمثلة على هذا التقارب باختصار :

١ - لا يقع الآن فى مصر السنية بعض أنواع الطلاق غير المنجز وكنايات الطلاق التى لا يقصد بها فى الحقيقة وقوع الطلاق ، كما أن تأثير بعض ضروب الطلاق قد حدد الى درجة ما ، ويوجد مصلحون من أهل السنة يطلبون اصدار قانون بعدم وقوع الطلاق البدعى البتة . ولا يخفى أن هذا كله من قبيل التقارب بينه وبين المذهب الجعفرى .

٢ - يجوز للزوجة الآن فى كل هذه البلاد أن تطلب الطلاق أو فسخ عقد نكاحها بسبب اصابة زوجها بالبرص أو الجنون أو ما فى درجتهما (فيما أصابه قبل العقد على الأقل) ، ويتفق هذا مع المذهب الجعفرى . كما أن بعض المجتهدين الموجودين الان بين علماء هذا المذهب يسمحون بالتطليق فى بعض الظروف الأخرى التى تقررت بالقوانين الحديثة فى البلاد السنية .

٣ - قد رأينا أن بعض المواد فى هذه القوانين قد بنيت على اعتبار أقصى مدة الحمل سنة شمسية بدلا من سنتين أو أربع سنوات ، بل ان بعضها الآخر قد بنى على اعتبار مدة الحمل العادية تسعة أشهر ، والجعفريون مذهبهم معروف بأن مدة الحمل العادية تسعة أشهر وأن أقصاها عشرة أشهر .

٤ ـ لا يحجب الجد الصحيح ، بحسب هذه القوانين ، الأخوة الأشقاء أو الأخوة لأب ، وانما يشاركهم فى الارث ، كما عند الجعفريين فى نظامهم الخاص •

٥ ـ تصح وتلزم الآن بين المصريين الوصية لوارث بدون توقف على اجازة الورثة الآخرين ، كما أن المشروع اللبنانى أيضا ينص على هذا الحكم ، الذى يرجع فى الحقيقة الى المذهب الجعفرى •

٦ ـ تسمح القوانين الحديثة فى مصر ولبنان بانشاء الأوقاف المؤقتة ، ويماثل هذا النظام ما يسميه الجعفريون بالحبس •

٧ ـ قد رأينا السنيين فى هذه البلاد يكادون يفتحون الآن باب الاجتهاد مرة ثانية ، ولا يخفى أن المذهب الجعفرى لم يوافق البتة على سد باب الاجتهاد وفيه مجتهدون فى كل عصر من العصور •

ج • د • أندرسن

مقدمة للرياضيات *

الفصل الأول : الطبيعة المجردة للرياضيات

يتوق المبتدىء بدراسة الرياضيات الى الشروع السريع فى الأعمال الطريفة التى يعالجها هذا العلم ؛ فقد سمع أنه بمســاعدته توزن النجوم ، وتحصى بلايين الذرات فى قطرات الماء . وان المتعة النظرية بأفكاره ، والسلامة المنطقية فى أساليبه ؟ لتقوى هـذا الأمل فى نفس المبتدىء ، كما تقويه التطبيقات العملية المهمة له . لكنه سرعان ما يتعرض للشعور بالخيبة حين يجد أن هذا العلم العظيم يتملص أحيانا من تشبثات قوانا الفكرية أن تمسك به ، فهو أشبه بشبح واند هملت الذى قد تتصوره هنا وهناك ، واذا هو يختفى من بين يديك اختفاء السراب ؛ على أنه اذا كان الشبح الموهوم أدق من أن نقبض عليه بطرائقنا مهمـــا بلغت من العنف ، فان ما نراه من الرياضيات لا يوحى امكان الوهـم أو انخداع الحواس . واذا ما جاز فيها استعمال العنف ، فيجب أن يكون تجاه النتـائج التافهة التى تحتل صفحات الأبحاث الأولية فى الرياضيات .

ان سبب خيبة هذا العلم أن يحافظ على شهرته ، هو أن الأفكار الأساسية فيـه لا توضح للطالب وحدها ، بل هى متعلقة بالطريقة الفنية التى ابتدعت لتيسير عرض تلك الآراء فى أمثلة معينة ، وعلى ذلك يجد المتعلم المسكين نفسه كيما يحرز بعض المعلومات يتخبط فى جملة من التفاصيل لا تربط بين أجزائها فكرة ما عامة . لاشك أن الاحاطة بالمواد الفنية الأساسية شرط أولى للفعاليات الفكرية القيمة ؛ اذ كيف تتذوق مثلا نغمات (ملتون) الشعرية ، أو وجد (شلى) اذا كان علينا أن نتهجى الكلمات ، ولسنا واثقين بمعرفة أشكال الحـروف على الانفراد ؟ وبهـذا المعنى لايوجد طريق معبـد فى كيفيـة تحصيل العلم ، الا أن قصر الانتباه من جهة ثانية على الطرق الفنية ، وصرف النظر عن الاهتمام بالآراء العامة ، لا يقل خطأ عما سبق ، وهو شأن المتحذلقين .

ليس الغرض من الفصول الآتية تعليم الرياضيات ، بل جعل المتعلم قادرا ـ منـذ البدء ـ على معرفة ماهية هذا العلم ، وافهامه لماذا يعد بحكم الضرورة أساس التفكير الصحيح

(*) تأليف وايت هيد ، وترجمة الأستاذ محيي الدين يوسف .

فى دراسة الظاهرات الطبيعية . وكل اشارة تالية الى استنتاجات تفصيلية فى كل ناحية من نواحى هذا العلم ، ستذكر على سبيل المثال ، وسيعنى بتوضيح الفكرة العامة للموضوع على ما قد يعترض بين حين وآخر من عمليات فنية أو رموز لا يفهمها القارىء .

يتعرف الكثير من الناس بالرياضيات أول مرة بدراسة الحساب بالأمثلة الحسابية لقضية رياضية بسيطة يعرفها كل واحد ، وهى أن ٢ + ٢ = ٤ ، فالحساب اذن موضوع صالح لتحرى اكتشاف أبرز ميزة لهذا العلم .

وأول حقيقة ملحوظة عن الحساب ، هى استخدامه فى كل شىء : فى الأذواق والأصوات والتفاح ، وفى الزوايا ، وفى خواطر العقل وعظام الجسم ؛ لأن طبيعة الأشياء لا دخل لها فى الأمر بتاتا ، فان ٢ + ٢ = ٤ تصح فى كل الأشياء ، لذلك نسجل أن الميزة البارزة للرياضيات هى أنها تتعامل بصفات وآراء تنطبق على الأشياء لمجرد أنها أشياء ، أى بصرف النظر عن كل المشاعر الخاصة أو العواطف أو الاحساسات المرتبطة بها بأى شكل كان . وهذا هو المقصود بالقول : « ان الرياضيات علم مجرد » .

والنتيجة التى توصلنا اليها جديرة بالتأمل ، فمن الطبيعى أن نظن أن العلم المجرد لا يمكن أن يكون ذا أهمية كبيرة فى أعمال الحياة البشرية ؛ لأن أبحاثه لا تتطرق الى ما له فائدة حقيقية .

ومما يذكر هنا أن للكاتب (سويفت) رأيين فى هذا الأمر ذكرهما فى سياق قصته عن رحلة (كلفر) الى جزيرة (ليوتا) ، فهو يصف رياضيى ذلك البلد بأنهم قوم سخفاء العقول وخياليون لا خير فيهم ، وأن الرجل منهم لا يفيق من تأملاته الا اذا لطم وجهه ، ولهم خدم مختصون بذلك . ويصف خياطا رياضيا قاس له طوله (أى طول كلفر) بالربعية (Quadrant) - وهى آلة تستعمل فى وجدان المسافات والارتفاعات ، تشبه السكستانت - السدسية ، الا أن تقسيماتها تقع على ربع دائرة ، لا على سدسها - ثم استنتج له بقية قياساته مستعينا بالمسطرة والفرجال ، وكانت النتيجة أن خاط له ثوبا لا يصلح له . ومن ناحية ثانية حكم رياضيو (ليوتا) فى البلاد ، واستطاعوا أن يحفظوا سيطرتهم على رعاياهم باختراعهم العجيب لجزيرة « ممغنطة » تقوم فى الهواء ، الا أن (سويفت) فى الحقيقة عاش فى وقت غير ملائم للسخرية من الرياضيين المعاصرين ، اذ كان قد ظهر توا كتاب (نيوتن) :« أصول الرياضيات »، وهو احدى القوى العظيمة التى غيرت العالم الحديث ، فكان (سويفت) كمن يسخر من الزلزال .

ان مجرد تدوين قائمة بما أنجزته الرياضيات من أعمال باهرة ، ليس بالطريقة الوافية لاعطائنا فكرة عن أهميتها ، ونحن جديرون أن نفكر قليلا فى الوصول الى السبب

الأصيل الذى يجعل الرياضيات تبقى خالدة ، بسبب كونها علما مجردا محضا ، من أهم موضوعات الفكر . ولنحاول أن نوضح لأنفسنا بجلاء لماذا يجب أن ننحو فى تعليلاتنا لنظام الحوادث وترتيبها بالضرورة نحوا رياضيا .

تأمل كيف تتلازم جميع الحوادث ، فنحن حين نرى البرق نصغى لسماع الرعد ، وحين نسمع هزيم الرياح نستشرف الى أمواج البحر . وفى برد الخريف تتساقط الأوراق ، وحيثما نظرنا نجد نظاما سائدا وأمورا مترابطة بحيث اذا وقعت بعض الحوادث استطعنا أن نتكهن بما سيجرى بعدها .

وتقدم العلم انما يستند الى اكتشاف هذه الصلات والى العمل بحذق وصبر لبيان أن حوادث هذا العالم الدائم التغير ان هى الا أمثلة من ارتباطات أو علاقات عامة قليلة ندعوها بالقوانين .

وهدف التفكير العلمى أن يستنتج العام من الخاص ، والدائم من العارض ، ويعد سقوط تفاحة ودوران كوكب حول الشمس وتعلق الهواء بالأرض - فى نظر العلم - أمثلة لقانون الجذب العام ، ومظاهر مختلفة لمفعوله ؛ وامكانية تحليل أشد الحوادث العرضية تعقدا الى عناصرها لبيان أنها مظاهر مختلفة لقانون ثابت ، هى النزعة المهيمنة على التفكير الحديث .

لنفكر الآن فى نوع القوانين التى نريدها لنحقق تحقيقا تاما هذا المثل العلمى الأعلى ، اننا نتعرف الحقائق الخاصة بالعالم المحيط بنا بواسطة حواسنا ، فبها نسمع ونذوق ونرى ونشم ونشعر بالحر والبرد وندفع ونلمس ونتألم ونقشعر . وكل هذه احساسات شخصية بحتة ، فان ألم سنى لا يمكن أن يكون ألم سنك ، وبصرى لا يمكن أن يكون بصرك ،بيدأننا نعزو أصل هذه الاحساسات الى العلاقات بين الأشياء التى تؤلف العالم الخارجى ، وعليه لا يقتلع طبيب الأسنان ألم السن ولكنه يقتلع السن . وليس ذلك حسب ، بل نحن نحاول أيضا أن نتصور العالم مجموعة واحدة من الأشياء المترابطة التى تؤثر فى احساسات الناس كافة ، فلا يوجد عالم من الأشياء خاص بحواسى ، وعالم آخر خاص بحواسك ، ولكنه عالم واحد نوجد فيه معا . انها السن نفسها للطبيب والمريض كليهما ، وكلنا نسمع ونلمس العالم الذى نراه نفسه ، فمن السهل اذن أن نفهم أن المطلوب هو وصف العلاقات بين هذه الأشياء الخارجية وصفا لا يعتمد على حاسة مخصوصة ، ولا على مجموعة الحواس لانسان بعينه ، وأنه يجب أن تصف القوانين التى تؤيدها سير الحوادث فى عالم الأشياء الخارجية وصفا حياديا جامعا - ان أمكن -

بحيث تكـون هى هى للعمى والصم ، أو لمخلـوقات أرقى منا فهمـا ، كما هى للرجـل الاعتيادى .

ونحن اذا ما تركنا احساساتنا الآنية جانبا، فالقسم الأكثر فائدة فيمـا يتبقى من مداركنا ـ لوضوحه واحاطته ـ يتألف من الفكر العامة عن الخواص المجردة الأساسية للأشياء، أعنى الأفكار الرياضية المجردة المذكورة سالفا • وهكذا حدث • فان البشرية أخذت تسير خطوة خطوة فى البحث عن وصف رياضى لخواص الكون دون أن تدرك مغزى ما تقوم به ، وبهذه الوسيلة وحدها يمكن تكوين فكرة عامة عن سير الحوادث طليقة من قيود أناس بأعيانهم ، أو احساسات بعينها ، مثال ذلك أننا اذا سئلنا ، ونحن على مائدة ، وفى يد أحدنا تفاحة يأكلها : ما الشىء الذى كان فى متناول حاسـة بصرى ، وحاسـة لمسك ، وحاستى ذوقه وشمه ؟ كان جوابنا جميعا : تفاحة • الا أن العلم فى تحليـلاته النهائية يرمى الى وصف التفاحة ، بدلالة أوضاع ذراتها وحركاتها ، ذلك الوصف الذى يتجاهلنا جميعا : أنا وأنت وهو ، كما يتجاهل البصر واللمس والذوق والشم • وهكذا تزودنا الآراء الرياضية ما يستلزمه الوصف العلمى لسير الحوادث، لأنها أعداد مجردة •

وبسبب فهم هذا الأمر أحيانا بسبب التفكير فيها فى نطاق ضيق ، فقـد كان لدى (فيثاغورس) لمحة عنها حين قال : « ان العدد هو أصل جميع الأشياء » كما أن الاعتقاد فى العصور الأخيرة أن التفسير النهائى لكل الأشياء يوجد فى ميكانيك (نيوتن) ليس هو فى الواقع الا تلميحا عن الحقيقة القائلة : ان العلم كلما تقدم نحو الكمال كان رياضيا بآرائه •

الفصل الثانى : المتغيرات

بدأت نشأة الرياضيات (علما) حين برهن أحد الناس ـ ويرجح أنه كان يونانيا ـ على قضايا لا تتقيد بأشياء معينة خاصة ، بل تنطبق على (أى) الأشياء ، أو على أشـياء (ما) • وكان اليونانيون أول من أحدثوا القضايا الهندسية ، بل ان علم الهندسة هو أعظم ما نتجه اليونان فى الرياضيات • أما الجبر ، فانه مع التمهيدات اليسيرة التى خلفهـا المتأخرون من رياضيى اليونان ، مرت عليه عصور قبل أن تتهيأ له بداية موفقة •

وقد ساعد استعمال الحروف بدل الأرقام الحسابية المعينة على تكوين آراء عامة فى الجبر تبحث عن (أى) مقدار ، أو عن مقدار (ما) دون تحديده • مثال ذلك ، أننا اذا قلنا فى الحساب : إن ٢ + ٣ = ٣ + ٢ ، تكون تلك حالة خاصة • أما فى الجبر ، فاننا

نضع ذلك بصورة عامة ، فنقول : اذا مثلت س ، ص (أى) عددين كانا ، فان س + ص = ص + س كذلك بدلا من قولنا ٣ > ٢ نقول على وجه التعميم : اذا كانت س (أى) عدد ، فلا بد من وجود عدد (ما) ، أو أعداد ، مثل ص بحيث تكون (ص > س)، ولا بأس من الاشارة عرضا الى أن الفرض الأخير ـ ويتجلى كونه فرضا حين يوضع بصيغته النهائية الدقيقة ـ ذو أهمية كبيرة لكل من الفلسفة والرياضيات ، فعنها تنبثق فكرة اللانهاية .

وربما كان تقدم الجبر ـ ونقول (ربما) لأن ما سنذكره هو من باب الحدس ـ متوقفا على معرفة الأرقام العربية التى تم بادخالها اهمال استعمال الحروف الهجائية اهمالا نهائيا فى الرياضيات كأعداد معينة ، ذلك الأمر الذى نبه الرياضيين على الاستفادة من هذه الحروف ، لما فى ذلك من تيسير فنى للدلالة على كميات غير معينة ، كما نقصد بقولنا (أى) عدد أو عدد (ما) . فالرومانيون مثلا كانوا يعبرون عن سنة ١٩١٠ بالحروف Mdccccx ، مع اننا نعبر عنها بالأرقام ١٩١٠ ، وبذلك انفتح المجال أمامنا لاستعمال الحروف فى الرياضيات لأغراض أخرى .

وبعد ظهور الجبر اخترع (نيوتن) و (ليبنتز) حساب التفاضل ، وعقب ذلك ركود فى تقدم فلسفة العلوم الرياضية فيما يخص بالآراء التى سردناها آنفا ، ولم يدرك الرياضيون أهمية الفكرتين (أى) و (ما) وكونهما أساسيتين فى طبيعة الرياضيات الا قبل سنوات قليلة حيث نجم عن ذلك أبواب جديدة فى العلوم الرياضية ليتوغل فيها من شاء من الباحثين .

ولنذكر الآن بعض النصوص الجبرية البسيطة لنعرف معرفة تدقيق كيف تتولد الأفكار الأساسية :

١ ـ (أيا) كانت قيمة س العددية فان س + ٢ = ٢ + س .

٢ ـ لقيمة (ما) من قيم س العددية يكون س + ٢ = ٣ .

٣ ـ لقيمة (ما) أو قيم (ما) من قيم س العددية يكون س + ٢ > ٣ .

وأول مسألة جديرة بالملاحظة هى معرفة المعانى التى يمكن أن تنطوى عليها كلمة (ما) كما استعملت هنا . ففى المثال الأول نقول : لما كانت س + ٢ = ٢ + س صحيحة مهما ، أو (أيا) كانت قيمة س ، فهى اذن صحيحة لكل قيمة (ما) من قيم س ، وهكذا فان (أيا) بهذا النوع من الاستعمال تعنى (ما) ، وان (ما) تتضمن فى معناها (أيا) . أما فى المثال الثانى ، فلا توجد الا قيمة واحدة لـ س تجعل س + ٢ = ٣ ، وهذه القيمة هى العدد ١ . فتدل (ما) فى هذه الحالة على قيمة واحدة ، أى العدد ١ .

وأما فى المثال الثالث فان كل قيمة لـ س ، أو أية قيمة لـ س (أكبر) من الواحد تجعل س + ٢ > ٣ ولذلك تدل (ما) فى هذا المثال على كل مقدار أو عدد يقع بين الواحد و (أى) ، وتدخل فى ذلك الحالتان النهائيتان (الواحد و أى) .

وانه لأمر طبيعى أن نستعيض عن النصين (٢) و (٣) بالسؤالين الآتيين :

٢ . . ما قيمة س التى تجعل س + ٢ = ٣ ؟

٣ . . ما قيم س التى تجعل س + ٢ > ٣ ؟

واذا نظرنا فى (٢) وجدنا أن س + ٢ = ٣ هى معادلة، ومن السهل أن نرى أن حلها هو س = ٣ - ٢ = ١ ، واذا ألقينا مثل هذا السؤال ووضعنا معادلة تتضمن معناه كالمعادلة س + ٢ = ٣ سمينا س بالمجهول ، وغاية حل المعادلة هو وجدان هذا المجهول . ولا ريب فى أن للمعادلات أهمية كبيرة فى الرياضيات ، بل قد يلوح أول وهلة كأن النص (٢) يعرب عن حقيقة أدق وأعمق مما ينطوى عليه النص (٢) ، غير أن ذلك خطأ واضح ، لأن فكرة (المتغير) الذى لاقيمة محدودة له وذلك الذى نعبر عنه بقولنا (أى) أو (ما) انما هو فى الحقيقة الفكرة المهمة فى الرياضيات . أما فكرة المجهول واستخراج قيمته بحل المعادلة بأقصر الطرق ، فهى على أهميتها تعد ثانوية ، ومن الأسباب التى تجعل الكثير من بحوث الجبر الأولية تافهة ، هو شغل الكتب الدراسية بحل المعادلات . وهذه الملاحظات بأعيانها تنطبق على المتباينة (٣) اذا ما قوبلت بالنص الوارد فى (٣) .

انمعظم الدساتير الرياضية المهمة وخصوصا ما يتضمن الفكرة (ما) ، يحتوى على أكثرمن متغير واحد ، فان البحث مثلا عن أزواج الأعداد س ، ص التى تحقق العلاقة س + ص = ١ (سواء أكانت هذه الأعداد صحيحة أم كسرية) ينطوى على فكرة متغيرين مترابطين هما س ، ص . وفى الحالات التى يوجد فيها متغيران تخطر على البال الفكرتان الواردتان فى النوعين الأساسيين من النصوص السابقة ، فنقول مثلا : (١) مهما كان زوج الأعداد س ، ص ، أو (أيا) كانت القيمة العددية لكل من س ، ص ، فان س + ص = ص + س و (٢) لبعض الأزواج من العددين س ، ص أو لأزواج (ما) من القيم العددية لـ س ، ص يكون س + ص = ١ .

والدساتير التى تشملها الفكرة الواردة فى النص (٢) تدعونا الى النظر فى مجموعة أزواج الأعداد التى تترابط فيما بينها بعلاقة ثابتة كالعلاقة بين س ، ص حين يكون س + ص = ١ ، واحدى فوائد الدساتير التى تدخل فى الفكرة الواردة فى النص (١) أى التى تصح فى أى زوج كان من الأعداد أنها تساعد على وضع الدساتير من النوع(٢)

بأشكال مترادفة لا حصر لها ، مثال ذلك : أن العلاقة س + ص = ١ يمكن أن توضح بأشكال مترادفة شتى، مثل: س + ص = ١ ،(س - ص) + ٢ص = ١ ،٦س + ٦ص = ٦ ....الخ . وهي على اختلافها في الشكل تنص على العلاقة نفسها بين س ، ص ، وبذلك يتاح للرياضي الماهر أن يستخدم الشكل الذي يراه أكثر صلاحا للوصول الى مقصده الآني .

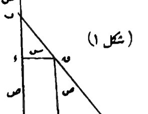
اذا ارتبط حدان بعلاقة ثابتة وفرضت قيمة ما لأحدهما ، فليس من الصواب في الأعم الأغلب القول : أن ذلك يؤدي حتما الى وجدان قيمة معينة للثاني . مثال ذلك : أن س ، ص اذا ارتبطتا بالعلاقة ص = س وفرضنا أن س = ٤ فان ص = + ٢ ، ومعنى ذلك أن كل قيمة موجبة لـ س تقابلها قيمتان لـ ص . أما في العلاقة س + ص > ١ اذا فرضت قيمة ما لأحد الحدين س أو ص ، فان الحد الآخر يمكن أن يأخذ قيما مقابلة لا حصر لها تحقق هذه العلاقة .

وفي الموضوع مسألة مهمة أخرى تستدعي الانتباه ، وتتبين عند درسنا للعلاقة س + ص = ١ ففي هذه العلاقة اذا اقتصرنا على التعامل بالأعداد الموجبة فقط (سواء أكانت صحيحة أم كسرية) وجب أن لا تزيد قيمة كل من ص أو س على الواحد الصحيح . فاذا تجاوزت قيمة أحدهما لهذا المقدار فلا يمكن أن تكون قيمة الثاني موجبة ، وعلى ذلك تحصر هذه العلاقة مجال اختيار قيم للمتغير س بالأعداد التي لا تزيد على الواحد الصحيح ، وكذلك الحال في ص . ولنلق نظرة الآن على العلاقة ص٢ = س فان اقتصرنا ــ عند اعطائنا أزواج القيم للمتغيرين س ، ص التي تحقق هذه العلاقة ــ على الأعداد الصحيحة فقط موجبة كانت أو سالبة ، وجدنا أن مقابل كل عدد صحيح نعده قيمة لـ ص يوجد عدد صحيح لـ س ، ووجدنا أيضا أن مجال اختيار القيم للمتغير ص من بين الأعداد الصحيحة الموجبة أو السالبة غير محدودة بتاتا ، بخلاف قيم س التي يحد من مجالها قيدان: الأول أن هذه القيم لابد أن تكون موجبة دائما ، والآخر أنه يجب أن يكون كل منها مربعا كاملا كيما تكون ص عددا صحيحا ، وعلى ذلك يكون مجال فرض قيم لـ س محصورا في المجموعة العددية ١٢ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٢ .... الخ ، أي من بين ١ ، ٤ ، ٩ ، ١٦ .... الخ .

واذا ارتبط أزواج من الاعداد س ، ص بعلاقة ما ، فان دراسة الخواص العامة لهذه العلاقة تتيسر كثيرا باستعمال الرسم البياني ، وهاك التفصيل :

ـ أرسم المستقيمين المتعامدين م س ، م ص ، ثم خذ على امتداد م س ، س من الواحدة (بأي مقياس كان) واحسب ذلك مثلا للعدد س ، وكذلك خذ على امتداد

م ص ، ص من الوحدات ، بأى مقياس كان ، وعد ذلك ممثلا للعدد ص ، وبذلك يكون طول م ح (راجع الشكل ١)الواقع على م س يساوى س من الوحدات وطول م د الواقع على م ص يساوى ص من الوحدات . فاذا أكملنا متوازى الأضلاع م ح ق د تحدث لدينا نقطة ق ، وهى تقابل العددين س ، ص ، وهكذا فان كل نقطة واحدة يقابلها زوج من الأعداد ، وكل زوج من الأعداد تقابله نقطة واحدة ، ويطلق على زوج الأعداد اسم (الاحداثيين) . ويمكن تبيان النقاط التى تحقق احداثياتها علاقة ثابتة بين متغيرين بوضوح ، وذلك بامرار خط بها ان كانت تقع جميعا على خط ، أو بتظليل مساحة ان كانت تقع جميعا على تلك المساحة .



(شكل ١)

وفى الأحوال التى يمكن تمثيل العلاقة بين المتغيرين بمعادلة ما مثل س + ص = ١ أو ص٢ = س تقع النقاط التى تحقق احداثياتها العلاقة المبينة بالمعادلة الأولى جميعا على خط مستقيم . أما المبينة فى المعادلة الثانية ، فتقع على خط منحن . واذا أخذنا بنظر الاعتبار الأعداد الموجبة فقط ، فالنقاط التى تحقق احداثاتها س + ص = ١ تقع على الخط المستقيم ا ب شكل ١ ، أى أن احداثيي كل نقطة واقعة على المستقيم ا ب هما عددان موجبان يساوى مجموعهما ١ ، . وفيه م ا = ١ . م ب = ١ . وعلى ذلك يمثل هذا الجزء المعين من المستقيم غير المحدود بشكل تصويرى خواص العلاقة بين المتغيرين س ، ص ضمن حدود الأرقام الموجبة .

ان دراستنا للعلاقة بين الضغط والحجم فى درجة حرارة ثابتة لكتلة معلومة من مادة ، غازية ، كالهواء أو غاز الفحم أو البخار ، تمدنا بمثال آخر للعلاقة بين متغيرين . فان فرضنا أن ح هى حجم الغاز بالأقدام المكعبة ، وان ض هى مقدار الضغط بالباونات، كمية ثابتة بشرط أن لا تبدل درجة الحرارة خلال فترة التغير . ولنفرض مثلا أن كمية الغاز فى الأحوال المحيطة بها تجعل من الممكن أن يكون ح ض = ١ (مع علمنا أن مقدار العدد على الجهة اليسرى من المعادلة لا أهمية رئيسة له) فلأجل وضع صورة بيانية لما سبق نرسم الخطين المتعامدين م ح ، م ض ، ونأخذ على أولهما البعد م ك ليمثل العدد ح من الوحدات الحجمية (أىّ عدد الأقدام المكعبة) ، ونأخذ على الثانى البعد م ل ليمثل العدد ض من وحدات

(شكل ٢)

الضغط (أى عدد باوندات الضغط على الانج المربع الواحـــد) ، ثم نكمل المتوازى الأضلاع م ك ن ل ، فنجد نقطة ن ، وهى تمثل حالة الغاز الذى يكون حجمه ح اذا كان الضغط الواقع عليه ض ، واذا كانت أحوال هـــذا الجزء من الغـــاز بحيث أن ح ض = ١ فان النقاط جميعها التى تناظر أية حالة كانت من حالات الغاز تقع على الخط المنحنى ا ب حـ ، وهو يتضمن جميع النقاط التى تكون فيها كل من ح ، ض موجبة ، ويكون ح ض = ١ ، وعلى ذلك يصور هذا المنحنى صورة بيانيـة للعـــلاقة بين الحجم والضغط ، فحين يكون الضغط كبيرا جدا تكون نقطة ن المناظرة لهذه الحالة واقعـــة بالقرب من حـ ، أو وراءها على الجزء غير المرسوم من المنحنى ، ويكون الحجم فى ذلك صغيرا جدا ، أما اذا كان الحجم كبيرا ، فان نقطة ن تقع بالقرب من ا ، أو أبعد منها ، ويكون الضغط قليلا ، وربما احتاج المهندس أو الفيزيائى الى معرفة الضغط الذى يولد حجما معينا ، وبهذا ندخل فى قضية البحث عن المجهول ض اذا كان ح عددا معينا الا أن ذلك يقع فى الأحوال الخاصة فقط ، ولكننا اذا أردنا الوقوف على الخصـــائص العامة للغاز وتصرفاته ، وجب أن نأخذ بنظر الاعتبار الشكل العام لجميع المنحنى ا ب حـ ، وكذلك خواصه العامة ، ونقول بتعبير آخر : ان الفكرة الأســـاسية حقيقة هى فكرة زوج المتغيرين اللذين يحققان العلاقة ض ح = ١ ، وهذا المثال يوضح لنا لماذا نحسب فكرة المتغيرات أساسية فى الرياضيات النظرية والتطبيقية ،

الفصل الثالث : اساليب التطبيق

ان الكيفية التى ظهرت بها فكرة المتغيرات المتصلة بعضها ببعض ، بعلاقة ما ، فى التطبيقات الرياضية ، جديرة بالتفكير ، واذا ما خصصنا لها شيئا من الوقت ، فستنجلى أفكارنا فى الموضوع بأجمعه ،

لنبدأ بأيسر الأمثلة ، ولنفرض أن القدم المكعبة الواحدة من البناء تكلف من المال درهما واحدا ، وأن الدينار كما هو معلـوم يساوى ٢٠ درهما ، فيترتب على ذلك ـ فى جميـع الأحوال المعقدة التى تلازم انشاء بيت جديد وفى وسط تيار الاحساسـات والعواطف المتنوعة التى تتنازع المالك والمعمار والبناء والعامل والمتفرج ، وترافق عادة نمـاء البيت وتكامله ـ أن العلاقة بين سعة القدم المكعبة وكلفة المالك تبقى ثابتة بموجب الدستور المفروض ، أى اذا كانت س عدد الأقدام المكعبة فى البناء ، وكانت ص كلفته مقـدرة بالدنانير ، فان ٢٠ص = س ، ومع أن المفروض أن هذه العلاقة بين س ، ص تصح عند انشاء أى بيت كان لأى مالك كان ، لا يمكن أن يزعم أن الاحساس بحجم البيت

وتكاليفه وادراكهما حدث بتأثير حاسة خاصة ، أو قوة معينة من قوى العقل ، أو أى انسان معين كان • فهما (أى الحجم والكلفة) يذكران ذكرا عاما مجردا ، من غير اكترات لحالة المالك الفكرية حينما يطلب منه دفع التكاليف •

ولنفكر أبعد من ذلك قليلا لنرى ماذا يعنى كل هذا • ان انشاء بيت هو مجموعة معقدة من الأعمال ، وانه ليستحيل البدء بتطبيق القانون ، أو تحقق صحتـه الا اذا استطعنا أن نميز خلال السير العام للحوادث أن مجموعة أعمال معينة تؤلف حالة خاصة هي بناء بيت ، ونقول بايجاز : يجب أن نعرف أن هذا بيت عند مشاهدته ، ونعرف أدوار انشائه ، وفى أثناء هذه الأدوار التى عزلناها بالفكر عن سائر الطبيعة يجب أن يكون عنصرا الكلفة والسعة التكعيبية قابلين للتحديد • واذا ما تم تعيين مقدار كل منهما ، وكان القانون صحيحا ، وجب أن تحقق هذه المقادير الدستور : ٢٠ ص = س •

فهل هذا القانون صحيح ؟ ان كل ذى خبرة بالمبانى يعلم أننا قدرنا السعر عاليا بعض الشىء ، وأن البيت الفخم وحده هو الذى يتطلب مثل هذا السعر • وهذا يثير أمرا آخر يجب ايضاحه ، وهو أننا عند اجرائنا الحسابات المتعلقة بالدستور ٢٠ص = س لا يهمنا أن يكون القانون صحيحا أو مغلوطا فيه ، ونقول أكثر من ذلك : لا يهمنا شىء حتى المعانى التى أعطيناها لـ س ، ص ، وهى أن تمثل أولاهما الأقدام المكعبة والأخرى الدنانير • وذلك أننا فى خلال البحث الرياضى لا نتناول فى الحقيقة سوى دراسة خواص العلاقة بين زوجى العددين س ، ص • أما النتائج التى نتوصل اليها ، فتصلح أن تنطبق بالدقة نفسها كما لو كانت ص عدد السماكين وس عدد الأسماك بحيث يكون القانون المفروض أن معدل ما يصطاده السماك الواحد هو ٢٠ سمكة • ان الحقيقة الرياضية الموثوق بها فى هذا البحث تتعلق بالنتائج التى تبين خواص العلاقة ٢٠ص = س حسب ، أى بين زوجى العددين المتغيرين س ، ص مع أنه لا توجد حقائق رياضية موثوق بها بأى شكل كان لما يكلفه البناء الفعلى لأى بيت كان ، وعلى ذلك لا يكون القانون تام الصحة ، ولا تكون النتائج التى ينتجها مضبوطة حق الضبط ، ولعلها كانت مغلوطا فيها الى حد كبير • لاشك فى أن كل ذلك يبدو واضحا جدا الا أنه فى الحالات التى هى أشد تعقيدا لا يوجد فى الحقيقة خطأ أكثر شيوعا من ادعاء أن الحسابات الرياضية اذا كانت طويلة ومدققة فان انطباقها على قسم من حقائق الطبيعة يجب أن يكون حتميا ، ذلك أنه لا يمكن أن تكون نتيجة قضية ما أكثر صحة من مقدماتها المفروضة • ولما كانت جميع الحسابات الرياضية عن سير الطبيعة تبدأ بقانون طبيعى مفروض كالقانون الذى فرضناه آنفا لكلفة البناء ، فان حساباتنا فى وجوب وقوع

حادثة ما مهما كانت مدققة يبقى الشك يخامرنا فى صحة القانون ، ويكاد يكون من المحقق أن النتيجة الدقيقة التى يقررها القانون لا تكون مضبوطة كما ينبغى . وعلى ذلك لاتنطبق النتيجة الواقعية على النتيجة المحسوبة انطباقا تاما حتى فى أفضل الاحوال . ولما كنا لا نملك قوة قادرة على الملاحظة بتدقيق مثلى ، نرى أن قوانيننا غير المضبوطة تكفى فى بلوغ أغراضنا .

لنوجه الآن أنظارنا الى قضية واقعية ، وهى قانون الجذب ل (نيوتن) فان هذا القانون ينص على أن قوة الجذب بين كل جسمين تتناسب طردا مع حاصل ضرب كتلتيهما ، وعكسا مع مربع البعد بينهما . فاذا رمزنا بـ (م١ و م٢) لكتلتى الجسمين محسوبة بالباوندات و بـ (ل) للبعد بينهما بالأميال ، فان القوة المسلطة على أحد الجسمين الناشئة عن جذب الآخر له باتجاه ذاته تتناسب مع $\frac{ك_1 ك_2}{ل^2}$ ، وعلى ذلك يكون فى الامكان أن ندون أن هذه القوة تساوى $\frac{ب ك_1 ك_2}{ل}$ حيث تكون ب عددا معينا يتوقف مقداره على القيمة المطلقة لهذا التجاذب ، وعلى المقياس الذى تختاره لذرع القوى ، وان رغبنا فى أن نجرى حسابنا بدلالة قوى كوزن كتلة مقدارها باوند واحد ، فمن السهل أن نرى أن العدد الذى تمثله ب يكون فى غاية الصغر . فحينما نفرض أن كلا من ك١ ، ك٢ ، ل تساوى واحدا ، يصبح المقدار $\frac{ب ك_1 ك_2}{ل^2}$ دالا على قوة التجاذب بين كتلتين متساوتين ، مقدار كل منهما باوند واحد ، والبعد بينهما ميل واحد ؛ ويكون قدر التجاذب فى هذه الحالة لا أهمية له .

ومهما كان الأمر فقد توصلنا الى دستور لقوة التجاذب . فاذا سمينا هذه القوة ق ، يكون $ق = \frac{ب ك_1 ك_2}{ل^2}$. وهذا الدستور يعطينا صلة الترابط بين المتغيرات ق ، ك١ ، ك٢ ، ل .

وجاء فى قصة (نيوتن) التى نعرفها جميعا فى الكشف عن قوة الجاذبية أن (نيوتن) كان جالسا فى بستان ، وشاهد تفاحة تسقط من شجرة ، فلمعت فى ذهنه فورا فكرة الجاذبية العامة . وليس من المهم أن تكون الصيغة النهائية للقانون قد خطرت بباله حين كان فى بستان ، أو فى مكان آخر ، فلا شك أنه اذ ذاك فى مكان ما ، ولكن بالنسبة

لأغراضنا يكون من الأفضل تثقيفيا أن ننعم النظر فى الكمية الكبيرة من الآراء التمهيدية التى تمخضت عنها عقول كثيرة خلال عصور عدة كانت ضرورية لامكان صوغ هذا القانون المضبوط • فقد لزم أولا تكوين عادة التفكير الرياضى ، وابتكار أساليب البحث الرياضية مما سبق أن أوضحناه فى الفصلين السابقين ، ولولا ذلك لاستحال على (نيوتن) أن يفكر فى دستور يعبر عن القوة بين أى كتلتين كانتا لأى بعد كان بينهما • ان المصطلحات المستعملة كقوة وكتلة ومسافة كانت هى أنفسها محتاجة الى تعريف • ولنأخذ أيسرها وهى (المسافة) ، فقد يبدو من الوضوح بمكان أن نتصور أن الأشياء المادية تؤلف كلا هندسيا معينا بحيث تتكون الأبعاد بين أجزائه المختلفة قابلة للقياس بأحدى وحدات الطول كالميل أو الياردة ، ويكاد يكون ذلك أول ما يلوح للخاطر عند دراسة مظاهر البنيان المادى ، وهو الثمرة التدريجية لدراسة الهندسة ونظرية القياسات• ومع ذلك ففى قسم من الحالات، بل حتى الآن، يستعمل نوع آخر من التفكير لقياس الأبعاد• ففى الأرضين الجبلية تقاس المسافات بالساعات • فان تركنا المسافة جانبا فان القوة والكتلة أشد غموضا منها • والحقيقة أن التفهم التام للأفكار التى أراد (نيوتن) أن يعبر عنها بهذه الكلمات نمى ببطء ، وأن (نيوتن) نفسه كان أول من أحاط علما بالقواعد العامة للديناميكا •

أخطأ الناس فهم العلم طوال العصور الوسطى بتأثير (أرسطو) وكان من حسن حظ (نيوتن) أنه جاء بعد سلسلة من عظماء الرجال الذين أعادوا تشييد العلم ومهدوا الطريقة الصحيحة للتفكير به ، وخصوصا (غاليلو) فى ايطالية ، وكان ذلك خلال القرنين السابقين له ، فجاء هو فأكمل عملهم بعد أن أصبحت لديه فكرة واضحة ومعينة عن القوة والكتلة والمسافة مع ادراك أهميتها وامكان تطبيق ذلك على سقوط التفاحة وحركات الكواكب • وهكذا عثر على قانون الجذب ، وبرهن على أنه الدستور الذى يصح دائما عند تطبيقه على هذه الأنواع المختلفة من الحركة •

ان الأمر الحيوى فى استخدام الدساتير الرياضية هو أن تكون لديك فكرة واضحة وتقدير صحيح لامكان انطباقها على الظاهرات التى تكون فى قيد الملاحظة • ولم يكن أجدادنا الأقدمون أقل منا تأثرا بأهمية الظاهرات الطبيعية ولا بالرغبة فى اتخاذ الوسائل الفعالة لضبط تتالى الحوادث ، فقد كانوا ـ بحكم الآراء الخاطئة التى يقولون بها ـ يقومون بالاحتفالات الدينية الفخمة لتسهيل ميلاد القمر الجديد ، كما أنهم كانوا يضحون القرابين لانقاذ الشمس فى أثناء أزمة الكسوف • وليس فى الأمر ما يدعو الى اعتقاد أنهم كانوا أكثر بلادة منا ، الا أنه فى تلك الحقبة من الزمن لم يتيسر المجال

للتجمع البطيء للآراء الواضحة الصائبة .

ويتضح الأسلوب الذي نمت به العلوم الطبيعية حتى اتخذت شكلا قابلا للمعالجة بالطرق الرياضية ، من دراسة تأريخ النماء التدريجي لعلم الكهرمغناطيسية . ان عواصف البرق والرعد تحدث كثيرا فترعب الانسان وتروعه ، وكذلك الحيوان ؟ ولذلك كانت منذ أقدم الأزمنة مبعث نظريات وهمية خرق ، غير أن الكشوف العلمية الحديثة المتعلقة بالكهربا ربما كانت أكثر غرابة من كل تعليل سحري تصوره المتوحشون . ثم جاء اليونانيون فعلموا أن الكهرمان « ويدعى باليونانية الالكترون » اذا دلك يجذب الأجسام اليابسة الخفيفة ، وفي عام ١٦٠٠ ب.م نشر (الدكتور كلبرت) من أهل (كولجستر) أول كتاب في الموضوع اتبع فيه الطريقة العلمية بعض الشيء ، فقد نسق قائمة بالمواد التي تشابه الكهرمان في خصائصها ، كما يعود اليه أيضا فضل وجدان علاقة بين الظاهرتين الكهربية والمغناطيسية وان كانت غامضة . وازداد تقدم المعرفة في أواخر القرن السابع عشر وطوال القرن الثامن عشر ، فصنعت مكائن قليلة للحصول على الشرارات الكهربية ، كما اخترعت جرة ليدن التي أمكن بواسطتها تقوية نتائج هذه المؤثرات . وهكذا تم الحصول على شيء من المعلومات المنظمة ، الا أنه لم تكن قد وجدت بعد آراء رياضية تنطبق على هذا الموضوع . وفي سنة ١٧٥٢ أرسل (فرنكلين) طائرة بين الغيوم ، وأثبت أن البروق كهربية .

وفي تلك الأثناء كان الصينيون ينتفعون بخاصية البوصلة المعروفة منذ أقدم العصور « ٢٦٣٢ ق . م » ، ولكنهم ـ كما يبدو ـ لم يربطوا ذلك بفكرة نظرية كائنة ما كانت « بالرغم من مرور آلاف من السنين على معرفتهم هذه الخاصية » .

ان التطورات التي تعد بحق عظيمة في حياة البشر تعود بأصولها الى البحث عن المعرفة لأجل المعرفة ، فان البوصلة لم تعرف في أوربة الا في أواخر القرن الثاني عشر بعد الميلاد ، أي بعد مرور أكثر من ٣٠٠٠ عام على بدء استعمالها في الصين ، ولكن الأهمية التي اكتسبها علم الكهرمغناطيسية منذ ذلك الحين في كل ناحية من الحياة البشرية لم تنشأ عن الميل العملي الفائق للأوربيين ، بل نجمت عن حقيقة أن الظواهر الكهربية والمغناطيسية قام على دراستها في الغرب رجال سيطر عليهم الميل النظري المجرد .

ثم ظهر التيار الكهربي ، ويعود الفضل في الكشف عنه الى اثنين من الايطاليين ، وهما (كالفاني) عام ١٧٨٠ م ، و (فولتا) عام ١٧٩٢ م . وقد أدى هذا الاختراع الى احداث سلسلة جديدة من الظاهرات تتطلب البحث والتنقيب . وبهذا أصبح لدى العالم العلمي اذ ذاك ثلاث مجموعات من الحوادث منفصلة بعضها عن بعض ، متجانسة في

في نوعها ، وهي : تأثيرات الكهربا الساكنة التي تتولد من مكائن الكهربا الاحتكاكية والظاهرات المغناطيسية وتأثيرات التيارات الكهربية • ومنذ ختام القرن الثامن عشر فصاعدا أخذت خطوط الأبحاث الثلاثة هذه تتشابك وتتصل حتى تألف منها علم الكهرمغناطيسية الحديث الذي ينذر حياة البشر بالانقلاب •

ثم بدأت الآراء الرياضية بالظهور ، ففي العشر السنوات من ١٧٨٠ الى ١٧٨٩ م برهن (كولمبس الفرنسي) أن الأقطاب المغناطيسية تتجاذب أو تتدافع بنسبة عكسية لمربع المسافة بينها ، وأن القانون نفسه ينطبق على الشحن الكهربية • ومما يلفت النظر التماثل العجيب بين هذين القانونين وقانون الجاذبية • وفي سنة ١٨٢٠ اكتشف (أورستد الدنيماركي) أن التيارات الكهربية تبدى قوة تؤثر في المغناطيس • وتلا ذلك على الفور تقريبا أن وضع (أمبير الفرنسي) دستور هذه القوة بشكل صحيح ، وبرهن أيضا أن التيارات الكهربية يؤثر بعضها في بعض ، وهاك نبذة مما قاله (كلارك ماكسويل) في الفصل الثالث من الجزء الثاني من كتابه (الكهربا والمغناطيس) في ذلك قال : ان العمل التجريبي الذي أثبت به (أمبير) قانون العمل الميكانيكي بين التيارات الكهربية ، يعد من أعظم الانجازات العلمية اللامعة • ويظهر أن كلا من النظرية والتجربة بزغت من فكر (نيوتن) الكهربا (أي كولومب) تامة النماء بالغة أشدها بحيث كانتا كاملتي الشكلين ، ولا يمكن الطعن في كمالهما ، وقد استخلصنا بدستور جامع يمكن به أن نستنتج جميع الظاهرات الكهربية (وهو الذي سيبقى أبدا الدستور الرئيس لعلم الألكتروديناميكا) •

أما القوانين الخطيرة للبحث الكهربي بين التيارات ، أو بين التيارات والمغناطيس ، فقد تم الكشف عنها على يد (مايكل فردى) في عام ١٨٣١ – ١٨٣٢ م • فلما سئل : « ما فائدة هذا الكشف ؟ » أجاب « وما فائدة الطفل ؟ انه يكبر ليكون رجلا » • وقد كبر الطفل (فردى) وصار رجلا ، وهو الآن أساس جميع المستحدثات الكهربية • وقام (فردى) كذلك باعادة تنظيم الوجهة النظرية لهذا العلم • أما آراؤه التي لم تفهم على حقيقتها بالضبط في عالم العلم اذ ذاك ، فقد وسعها (كلارك ماكسويل) في سنة ١٨٧٣م، ووضعها في قالب رياضي • وبالبحوث الرياضية التي قام بها (ماكسويل) تبين له أنه تحت أحوال خاصة يجب أن تتولد اهتزازات أو موجات كهربية ، ثم ارتأى فورا أن الموجات التي تولد النور هي كهربية ، وأصبح رأيه هذا موضع الفحص لتحقق صحته ، فتبين أن نظرية النور بكمالها ليست الا فرعا من علم الكهربا الواسع • ثم تلاه (هرز الألماني) فاقتفى خطوات (ماكسويل) ونجح عام ١٨٨٨ م في احداث الموجات الكهربية بطرق

كهربية بحتة ، وصارت تجاربه أساس التلغراف اللاسلكي ، وفي السنوات الأخيرة جرت كشوف أساسية مهمة ، ولا يزال هذا العلم مستمرا على النماء والتقدم من حيث الأهمية النظرية والفائدة العملية •

ان هذه النظرية الخاطفة التي ألقيناها على تطور هذا العلم وتقدمه تصور لنا كيف أمكن ـ بالتجارب التي أوحت شيئا فشيئا بالآراء العلمية السديدة ، وأوحت الآراء العلمية بتجارب جديدة ـ أن تنصهر مجموعة من الظاهرات المتفرقة ، بل التافهة ، ليتكون منها علم واحد متماسك ، نرى فيه أن نتائج الاستدلالات الرياضية المجردة المستندة الى عدد قليل من القوانين البسيطة المفروضة تزودنا تفسيرا لسير الحوادث المتشابكة المتراكبة العقد •

وأخيرا فلنخط الى ما وراء العلوم الخاصة بالكهرمغناطيسية والضوء ، لنعمم وجهة نظرنا الى أبعد من ذلك ، فنوجه انتباهنا الى نماء الفيزياء الرياضية التي تعد فصلا عظيما من فصول التفكير العلمي ، ولنسأل أولا : ما محمل قصة نمائها بأيسر حالاتها ؟ انها لم تبدأ علما واحدا ، ولم تكن ثمرة زمرة معينة من الناس ؛ فقد كان الرعاة البابليون يرقبون السماء ، كما كان عمال الحكومة فيما بين النهرين ومصر يمسحون الأرضين • أما رجال الدين والفلاسفة ، فكانوا يطيلون التفكير في الطبائع العامة للأشياء ، فكانت المجموعة الواسعة من أعمال الطبيعة تنسب الى قوى خفية لا يسبر غورها ، والمثل السائر « تهب الريح حيث تشاء » يعبر تعبيرا دقيقا عن جهلهم المطبق اذ ذاك بوجود قواعد ثابتة تتالى على حسب تفاصيلها الظاهرات الطبيعية ، ولكنهم في الأعم كانوا يعلمون ، كما هو معلوم الآن ، انتظام وقوع هذه الحوادث ، غير أنه لم يكن في الامكان تقصى اتصالها بعضها ببعض ، بل لم تكن لديهم معلومات عن كيفية البدء بتأليف مثل هذا العلم • ومعظم ما أمكن نتجه كان مبنيا على القليل من الحزر والتخمين المبعثر عن طبائع الأشياء، ومثلهم في ذلك كمن يرمي في الظلام ، فيصيب حينا ويخطيء حينا آخر •

وفي الوقت عينه نتج مسح الأرض علم الهندسة ، كما كشفت مراقبة السماء عن النظام الشمسي ودقة انتظامه • ثم جاء جماعة من اليونانيين المتأخرين ، مثل (أرشميدس) ممن كانت لهم نظرات صائبة في أوليات قضايا الموائع والبصريات • وفي الحق كان (أرشميدس) الذي جمع العبقرية الرياضية الى اصالة الرأي الفيزيائي خليقا أن يوضع في صف (نيوتن) الذي جاء بعده بألفي عام فيعد من مؤسسي الفيزياء الرياضية • وكان (أرشميدس) يعيش في (سيركوز) المدينة اليونانية العظيمة في (صقلية) ، ويقال : انه أحرق سفن اليونان الذين كانوا يحاصرون هذه المدينة « ٢١٠-٢١٢ ق • م » بأن ركز عليها أشعة الشمس بواسطة المرايا • ومع أن هذه القصة بعيدة الاحتمال جدا ،

فانها شهادة حسنة على ماكان يتمتع به بين معاصريه من شهرة فى البصريات والمناظر • على أنه قتل فى ختام هذا الحصار ، وجاء فىاحدى الروايات المنقولة عن (بلوتارخ) عند سرده سيرة (مارسيللس) أن أحد الجنود الرومان وجده غارقا فى دراسته لشكل هندسى كان قد رسمه على أرض الحجرة الترية، فأراد أسره ، فلم يطع أمره بسرعة، فقتله • ومن الحق أن يقال لصيانة سمعة القادة الرومان أنهم كانوا قد أصدروا أوامرهم للجنود بأن لايعتدى عليه • وفى الأخبار قصة أخرى مشهورة تحتوى على شهادة ضمنية قوية جدا بعبقريته ، فالكشف الذى يعزى اليه يليق ، عن جدارة ، بمثل نبوغه فى التنقيب الرياضى الفيزيائى • ومن حسن الحظ أنه يسير بحيث يمكن ايضاحه هنا بالتفصيل ؛ لأنه من أحسن الأمثلة السهلة للابانة عن طريقة استخدام الآراء الرياضية فى الفيزياء •

يقال : ان (هيرو) ملك (سيراكوز) أرسل الى أحد الصاغة بمقدار من الذهب ليصنع منه له تاجا ، ثم ظن أن الصائغ قد اختلس قسما من الذهب ووضع فى التاج فلزا رخيصا سبكه مع سائر الذهب ، فأرسل بالتاج الى (أرشميدس) وطلب اليه أن يفحصه • ولو حدث ذلك فى هذا الزمان لأمكن اجراء عدد غير محدود من الفحوص الكيميائية ولكن كان فى ذلك الزمان على (أرشميدس) أن يفكر فيه من حيث هو أمر لم يسبقه مثيل ، ثم خطر له الحل وهو يستحم فى الحمام فما كان منه الا أن قفز وأخذ يجرى فى الشوارع نحو القصر صارخا « يوريكا • يوريكا » أى وجدتها وجدتها • ولو عرفنا اليوم الذى وقعت فيه هذه الحادثة لوجب علينا أن نحتفل به بأنه يوم ميلاد الفيزياء الرياضية • ولما كان (نيوتن) جالسا فى بستانه كان العلم قد بلغ أشده • ولقد كان كشف (أرشميدس) هذا عظيما حقا ، اذ رأى أن الجسم حين يغمر بالماء يدفعه الماء المحيط به الى أعلى بقوة تساوى محصلتها وزن الماء الذى أزاحه • ويمكن اثبات هذا القانون نظريا بالاستناد الى القواعد الرياضية لعلم الموائع كما يمكن تحقق صحته بالتجربة • وعلى ذلك فاذا كان وزن التاج فى الهواء « و » من الباوندات ووزن الماء المزاح « و » من الباوندات فان القوة الاضافية الى أعلى اللازمة لموازنة التاج ليبقى معلقا فى الماء تكون « و - و َ » من الباوندات • ويمكن استخراج مقدار هذه القوة بوزن الجسم وهو معلق داخل الماء كما ترى فى الشكل الـ « ٣ » •

(شكل ٣)

فاذا كان مقدار « العيارات » فى الكفة ق من الباوندات يكون الوزن الظاهرى للتاج وهو مغمور بالماء ق من

الباوندات ، ويصبح بذلك لدينا :

ق = و − وَ

أى وَ = و − ق

و = و / وَ = و / (و − ق) .... (١) التى يمكن فيها وجدان كل من و ، وَ

بدقة مرضية بطريقة الوزن السهلة . وهكذا يعرف المقدار و / وَ من المعادلة (١) . ولكن

و / وَ هذه هى نسبة وزن التاج الى وزن ما يساوى حجمه من الماء ، وهى نسبة تبقى ثابتة لكل كتلة من المعدنيات اذا كانت من المادة نفسها ، ويطلق عليها الآن اسم الوزن النوعى للمادة ، وتتوقف على طبيعة المادة الجوهرية لا على شكلها ولا على مقـــدارها . ولذلك ما كان على (أرشميدس) ليمحص ذهب التاج الا أن يأخذ سبيكة من الذهب الخالص الذى لاشك فى نقائه ويجد وزنها النوعى بالاسـلوب عينــه فان اتفق الوزنان كان التاج من الذهب الخالص ، وان اختلفا بان الغش فيه .

لقد عالجنا هذه القضية باسهاب ؛ لأنها مثال رائع ساذج لما يجب أن تكون عليــه الطريقة والروح العلميان فى الأزمان كلها ، لا لأنها أول مثال مضبوط لاســـتخدام الآراء الرياضية فى الفيزياء .

ان قتل جندى رومانى ل (أرشـميدس) يرمز الى تطـور عالمى هو من الدرجة الأولى فى خطورته ، وهو انتقال سيادة العالم الأوربى من اليونانيين المعروفين بولعهم بالعلوم المجردة الى اليونان الواقعيين . ونقد عرف اللورد (بيكونسـفيلد) فى احـدى رواياته الرجل الواقعى بأنه الرجل الذى يمارس غلط أجـداده . ومع أن الرومانيين كانوا شعبا عظيما أصيب بلعنة العقم الفكرى التى تلازم الواقعية فى العادة ، فلم يحسنوا شيئا من المعلومات التى ورثوها من أجدادهم ، واقتصر تقدمهم على قسم من التفاصيـل الفنية الساذجة فى المنشآت الهندسية ، ولم يكونوا من الحالمين أصحـاب الخيـال الذين يطيلون التأمل حتى يصلوا الى وجوه نظر جديدة تمنحهم سـلطانا على قوى الطبيعـة أساسيا واسعا ، فلم نسمع أن رومانيا فقد حياته لاغراقه التام فى تأمل الأشكال الهندسية .

الفصل الرابع : الديناميكا أى علم الحركة

كان على العالم أن ينتظر ١٨٠٠ سنة حتى يجد خلفـــاء للفيزيائيين الرياضيين

اليونان . ففي القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد قام ايطاليون عظماء وخاصة (ليونارد) و (دافنس) المفتن (١٤٥٢-١٥١٩) و (غاليليو) (١٥٦٤-١٦٤٢) باعادة الكشف عن السر الذي كان معروفا لدى (أرشميدس) ، وهو ربط الأفكار الرياضية المجردة بالتحريات التجريبية عند دراسة الظاهرات الطبيعية ، وفي الوقت نفسه كان تقدم الرياضيات البطيء ، وتجمع المعلومات الفلكية المضبوطة ، قد جعلا الفلاسفة الطبيعيين في وضع أقوى على البحث والتنقيب ، كما أن حب الظهور والاعتزاز بالنفس والتنافس الذي كان مستفحلا بين مفكري ذلك العصر حملهم على القيام بالتجارب قياما شخصيا ليشاهدوا الحوادث بأنفسهم حتى كشفوا بالتعليل الاستقرائي عن سر العلاقة بين النظرية الرياضية والتجارب العملية . ولقد كان قيام (غاليليو) الفيلسوف برمي عدة أثقال من قمة برج بيزا المائل عملا باهرا يميز ذلك العصر . ومع أنه لا يخلو زمن من رجال للفكر ورجال للعمل ، فقد كانت الفيزياء الرياضية ثمرة عصر تميز رجاله بأن جمعوا بين القدرة الفكرية والرغبة في العمل .

ان اسقاط أثقال من قمة برج يعد صورة رائعة لعمل أساسي في المعرفة لا يقل قيمة عن أول ادراك للا راء الصحيحة في علم الحركة (الديناميكا) ، وهو العلم الأساسي للموضوع برمته . ولقد كانت نقطة الجدل الخاصة تدور حول الأجسام المختلفة الأوزان هل تسقط من ارتفاع واحد في أوان واحد ؟ ذلك أن (أرسطو) ، وكان يعد قوله بالاجماع ، القول الفصل في ذلك العصر ، قد رأى أن سقوط الأجسام الثقيلة أسرع من سقوط غيرها . ولكن (غاليليو) أصر على أنها تسقط في الزمن نفسه ، وبرهن على صحة قوله باسقاط أثقال مختلفة من أعلى البرج المائل . أما الخروج عن هذه القاعدة الذي يشاهد أحيانا ، فله أسباب : كخفة الوزن القصوى ، أو السرعة الكبيرة ، وذلك لما لمقاومة الهواء من تأثير لولاه لظهر القانون مضبوطا .

لم يكن نجاح تجربة (غاليليو) نتيجة حدس موفق ، بل كان ثمرة آرائه الصحيحة في القوة الاستمرارية والكتلة . ولنذكر الآن نص القانون الأول للحركة كما وضعه (نيوتن) ، وهو : كل جسم ، يستمر على حالة السكون ، أو الحركة المنتظمة على خط مستقيم ، ما لم تجبره قوة مؤثرة على تغيير حالته ؟ فقد كان هذا القانون نشيد الانتصار على المكابرين المغلوبين أكثر من أن يكون دستورا جامدا . ولفهم القضية التي هي قيد البحث نحذف جملة : « أو الحركة المنتظمة على خط مستقيم » لنحصل على ما يمكن عده قانون (أرسطو) المضاد ، وهو : « كل جسم ، يستمر على حالة السكون ، ما لم تجبره قوة مؤثرة على تغيير حالته » .

ان هذا الدستور الأخير المغلوط فيه يزعم أنه فى حالة انعدام القوة يستمر الجسم على حالة السكون ، وعلى ذلك يتطلب الجسم اذا كان فى حالة الحركة قوة لاستمرار تلك الحركة ، فاذا توقفت هذه القوة عن العمل توقف الجسم عن الحركة . أما وجهة نظر القانون النيوتونى الصحيح ، فهى معاكسة لذلك كل العكاس ، فانها تنص على أن حالة الجسيم الذى لا تعمل فيه قوة ما هى الحركة المنتظمة على خط مستقيم . ولا حاجة الى البحث عن قوة ولا عن تأثير خارجي مسبب لذلك . وبعبارة أخرى : ان الحركة المنتظمة على خط مستقيم هى التى تلازم الجسم دائما ، وان حالة السكون هى حالة خاصة بهذا النوع من الحركة ، وذلك حين تكون السرعة صفرا ، وتبقى كذلك . وعليه نحن لا نبحث عن مؤثر خارج حين يكون الجسم فى حركة الا لتعليل التغييرات التى تطرأ على معدل السرعة أو على وجهتها . وما دامت حركة الجسم بمعدل السرعة وبالوجهة أنفسهما ، فلا حاجة الى الاستعانة بقوى أخرى لتعليل حركته .

ان الفرق بين وجهتى النظر يتجلى بالرجوع الى نظرية حركة الكواكب السيارة ، فقد قال (كوبرنيكوس البولندى) المولود فى مدينة (ثورن) من بروسية الغربية (١٤٧٣–١٥٤٣) : ما أيسر الأمر لو تصورنا أن الكواكب السيارة ، وفيها الأرض ، هى التى تدور حول الشمس فى أفلاك تقرب من شكل الدائرة ! ثم جاء بعد ذلك (كبلر) الرياضى الألمانى فبرهن فى سنة ١٦٠٩م على أن أفلاك السيارات هى ، فى الحقيقة والفعل ، قطوع ناقصة ، وهى نوع خاص من المنحنيات البيضية الشكل . وسنعرض لها بتفصيل أكثر . وفى أثر ذلك ورد السؤال عن ماهية القوى التى تحفظ الكواكب فى هذه الحركة ، فعلى حسب النظرية الخاطئة القديمة التى كان يتمسك بها (كبلر) يجب أن يتطلب دوام السرعة الفعلية نفسها قوة ، ولذلك أخذ يتطلع الى القوى المماسة كما يظهر من الشكل الـ (٤) . ولكن على حسب نظرية (نيوتن) ينتج أنه فى حالة عدم وجود قوة ما يجب أن تسير الكواكب السيارة الى الأبد بسرعتها الحالية وعلى خط مستقيم ، فترحل نهائيا عن الشمس . ولذلك كان على (نيوتن) أن يفتش

(شكل ٤)

عن قوة تحنى مسير الحركة لتأخذ شكل القطع الناقص ، وقد رأى أن هذه القوة يجب أن تكون موجهة نحو الشمس ، كما يظهر فى الشكل الـ (٥) . والحقيقة أن هذه القوة هى قوة جذب الشمس تعمل على حسب قانون التناسب العكسى لمربع المسافة الذى مر ذكره .

(الشكل – ٥)

ظهر علم الآلة (الميكانيكا) عند اليونان من ملاحظة نظرية الكفاءة الآلية (الميكانيكية) الحاصلة من استعمال العتلات ، ومن النظر فى المسائل المختلفة ذات العلاقة بأوزان الأجسام ، ولكنه وضع أخيرا على أسسه الصحيحة فى أواخر القرن السادس عشر ، وفى أثناء القرن السابع عشر كما سبق أن بيناه ، ولم يكن لوجدان تعليل لسقوط الأجسام حسب ، بل لوجدان نظرية علمية لحركات الكواكب وهذا فى الأغلب . ومنذ تلك الأيام أخذ علم الحركة (الديناميكا) على عاتقه واجبا أكثر طموحا حتى ليمكن الادعاء الان بأنه المرجع الأخير للعلوم الطبيعية الأخرى ، وان هذه العلوم ليست الا فروعا له . ويلخص السبب لهذا الادعاء بما يأتى : ان الصفات المختلفة للأشياء التى ندركها بحواسنا ليست الا أسلوبنا الخاص بنا لادراك ما يطرأ من تغير على مواقع الأشياء فى الفراغ . مثال ذلك : نفرض أننا ننظر الى (كنيسة وستمنستر) ، فقد كانت قائمة فى محلها كالطود بلونها الرمادى عصورا خلت ، الا أن هذا اللون الرمادى يضفى على البناء ما يقوى شعورنا برسوخه ليس هو على حسب النظرية العلمية الحديثة الا أسلوبنا فى تعرف الحركات السريعة للذرات النهائية المؤلفة لوجه البناء ، التى تنقل اهتزازاتها مادة تسمى الأثير . ثم اننا لو وضعنا أيدينا على حجارته للاحظنا برودتها ، وانتظام درجة حرارتها ، وذلك مما يسبغ على المكان روح الطمأنينة والهدوء . ولكن هذا الشعور بدرجة الحرارة ، لا يدل الا على انتقال الحرارة من اليد الى الحجر أو العكس .

وليست الحرارة على حسب العلم الحديث الا تهيج ذرات الجسم وحركتها ، وأخيرا بدأ الأرغن بالعزف فتسمع الصوت ، وهو نتيجة تموج الهواء وضربه طبلة الأذن .

ان محاولة تفسير الظاهرات الطبيعية تفسيرا حركيا (ديناميكيا) هو العمل على شرحها ببيانات ذات طابع عام تبين أن المادة كذا ، أو الجسم كذا ، كان فى المحل كذا ، وهو الآن فى محل آخر ، وهكذا نصل الى الفكرة الأساسية العظيمة للعلم الحديث ، وهى أن احساساتنا كافة هى نتيجة الموازنات بين الهيئات المتغيرة للأشياء فى الفراغ بأوقات مختلفة . ويترتب على ذلك أن قوانين الحركة ، أى قوانين التغير فى هيئات الأشياء ، هى القوانين النهائية فى علم الطبيعة .

واستخدام الرياضيات فى بحوث الفلسفة الطبيعية يجعل العلم يعمل بترتيب وانتظام ما يعمله التفكير المعتاد ، بطريقة النبه والاتفاق أى المصادفة . فحين نتحدث عن كرسى نقصد شيئا نراه ، أو نحس به بطريقة ما ، مع أن معظم حديثنا يتضمن افتراض وجود ذلك الشئ مستقلا عن بصرنا أواحساسنا . أما فى الفيزياء الرياضية ، فتتخذ طريقا معاكسا لذلك ، اذ يجرى تصور الكرسى دون الرجوع الى أحد بالذات ومن غير سلوك طريقة

خاصة بالاحساس • وتكون النتيجة أن الكرسى يصبح فى الذهن طائفة من الذرات فى الفراغ ، أو مجموعة من الالكترونات ، أو جزءا من الأثير فى حالة الحركة ، أو على ما تصفه الآراء العلمية الشائعة ، أعنى أن العلم يحيلها الى أشـياء متحركة فى الفراغ يؤثر بعضها فى حركات بعض • والعناصر أو العوامل المختلفة التى تدخل فى حسابات مجموعة من الحالات المتصورة ما هى الا الأشياء التى بها يتم تعيين مواقع الأشـياء فى الفراغ : كأطوال الخطوط ، وسعة الزوايا والمسـاحات والحجوم • ومن البديهى أن حقيقـة الحركة والتغير تتطلب – الى العناصر الهندسـية المذكورة – ضـرورة ادخال معدلات التغيرلهذه العناصر، ونعنى بذلك السرع، والسرع الزاوية والعجلة وما شاكلهما• وعلى هذا تتعامل الفيزياء الرياضية بالعلاقات التى بين الأعداد المتغيرة التى يفترض أنها تمثل العلاقات التى فى الطبيعة بين قياسات هذه العناصر الهندسـية ومعـدل تغيرها ، والقوانين الرياضية تتعامل دائما بالمتغيرات ؟ ولا يعوض عن هذه المتغيرات بالأرقام الا اذا اقتضى الحال بين وقت وآخر تحقق صحة القـانون بالرجوع الى التجربة ، أو اذا أريد تطبيقه للوصول الى نتائج خاصة •

ان الشىء الممتع عن العالم حين تتصوره على هذا الشـكل المجرد وأنت تدرس الفيزياء الرياضية – التى تقصر عنايتها على مواقع الأشياء وأشكالها ، وما يطرأ عليها من تغير – هو أن حوادث هذا العالم المجرد كافية فى تفسير احساساتنا • مثال ذلك أن سماع الصوت ناشىء عن اضطراب ذرات الهواء بطريقـة خاصة ، فعند حدوث مثل هـذا الاضطراب ، أو الموجات الهوائية كما يسمونها ، يسمع الناس الاعتياديو السمع صوتا ، وبمثل ذلك أو بما يوازيه – على حسب وجهات النظر المختلفة باختلاف الناس – تحدث احساساتنا الأخرى لأسباب أو بواعث طبيعية • ويبدو أن أفكارنا ذاتها تتغير بالتناظر مع هيأة المخ وحركته • فاذا أصاب المخ ضرر فان الأفكار يلحق بها الضرر أيضا • أضف الى ذلك أن حوادث هذا العالم المادى تتعاقب على حسب قوانين رياضية لا تعبأ باحساساتنا وعواطفنا وتفكيرنا •

ومما لا ريب فيه أن هـذا هو المظهر العام لعـلاقة الفيزياء الرياضية بعواطفنـا واحساساتنا وتفكيرنا • وكم أثار هذا البحث من جدل ومقالات طويلة ! وليست بنا حاجة الآن الى أكثر من ملاحظة واحدة هى أن هذه الحالة بأسرها نشأت كما رأينا فى محاولتنا لوصف العالم الخارجى بشكل (تفسيرى) لعواطفنا واحساساتنا ، ذلك العالم الذى هو أيضا لا يتوقف على حواس معينة ولا على شخص معين • فهل هذا العالم يا ترى قصـة خرافية فخمة ليس غير ؟ ان القصص الخرافية تكون فى العادة خيالية وكيفيـة • ولو

وجدنا حقا مثل هـذا العالم ، لوجب أن يخضع لوصف متقن يحدد بالضبط أجزاءه المختلفة وربطها المتبادل • ومع أن العالم العلمى هذا يخضع لمثل هـذا الفحص خضوعا عظيما ، بحيث يمكن استقصاء حوادثه والتكهن فيها باستعمال أداة الأفكار الرياضيـة المجردة ، يبدو بكل تأكيد أن علينـا أن نتثبت فى الطرائق الاستقرائية من فرضيتنا الأساسية ، وأن نعترف بأن البرهان الاستقرائى لا يمكن أن يكون حاسما • واذا كانت الفكرة عن عالم ذى وجود مستقل عن حواسنا بأسرها خاطئة ، وجب أن نفسر بعناية الأسباب التى تجعل محاولاتنا لوصفها ، بدلالة ما توصلنا اليه من الآراء الرياضية التى تنطبق عليها ، تنتج مثل هذا النجاح الباهر •

وسنضرب تائهين فى بيداء واسعة اذا نحن دخلنا فى الشروح التفصيلية للقوانين الأخرى للحركة ، ولذلك سنحرر بقية هذا الفصل لشرح عدة من الآراء القيمة التى تعد أساسية لكل من الفيزياء الرياضية والرياضيات البحتة ، وهى فكرة الكميات المتجهة وكيفيـة جمعها بقانون متوازى الأضلاع • لقد سبق أن علمنا أن قوام الحركة هو أن جسما ما كان فى (آ) ثم صار فى (حـ) ، ولتحـديد حركة الانتقال هذه من (آ) الى (حـ) انتقالا كاملا يقتضى البت فى أمرين : هما مقدار الحركة (أى طول آ حـ) ، ووجهتها • وأن كل شىء كهذا الانتقال ، يتعين بالضبط كما تعين هو ، أى بمجرد معرفة مقـدار واتجاه يسمى بالمتجـه (Vector) • مثال ذلك : أن تعريف السرعة يتطلب تحديد مقدار واتجاه ، اذ يجب أن يقال : انها كذا ميلا فى الساعة ، وفى الوجهة كذا • وخير مثال يوضـح ضرورة وجود هذين العاملين وتمايزهما لتحـديد السـرعة هو عمل ربان السـفينة حين يتصـل بمرؤوسيه الكثيرين لتعيين هذين العاملين • فيخبر رئيس المهندسين بعدد العقد البحرية فى الساعة التى يجب أن تمخر السفينة بموجبها ، ويخبر مدير السكان بوجهة السـير الذى يجب أن يستمر فيه على حسب البوصلة • ومعدل تغير السرعة ، أى ازديادها فى وحدة زمنية ، هو كمية متجهة أيضا• ومثل ذلك يقال فى القوة بمعناها الحركى (الديناميكى) ، أعنى أنها كمية متجهة • والحقيقة أن الطبيعة الاتجاهية فى القوة تنشـأ من الفور – على حسب القواعد الحركية (الديناميكية) – عن مماثلاتها فى الحركة والعجلة • ولكن هذه قضية ليست بنا حاجة الى بحثها ، بل يكفى أن نقول هنا : ان القوة تعمل على الجسـم بمقدار معلوم ووجهة خاصة •

د ح
م ب
(شكل ١)

ان جميع المتجهات (Vectors) يمكن تمثيلها تمثيلا بيانيا بخطوط مستقيمة ،

وكل ما يطلب عمله للوصول الى ذلك هو أن ينظم (أولا) المقياس الذى ستمثل بموجبه وحدات المقدار بوحدات من الطول ، كأن يقال مثلا فى حالة السرع ان الانج الواحد يمثل سرعة ١٠ أميال فى الساعة ، أو فى حالة القوى انه يمثل ما وزنه ١٠ أطنان ، و (ثانيا) أن تكون وجهة المستقيم فى الشكل مطابقة لاستقامة المتجه (Vector) ، وبعد ذلك نرسم مستقيما بهذه الوجهة بحيث يكون طوله المقدار المطلوب من الانجات ، فيكون هذا المستقيم هو الذى يمثل المتجه بالمقياس الذى وقع الاختيار عليه • وهذا التمثيل التصويرى للمتجهات يأتى فى المرتبة الأولى من الأهمية ، فبالاعتماد عليه تتمكن من الاعراب عن قانون متوازى الأضلاع الشهير الذى به تجمع المتجهات اذا كانت من جنس واحد وبوجهات مختلفة •

لنعد الآن المتجه (Vector) آ حـ فى الشكل الـ (٦) يمثل انتقال جسم من آ الى حـ ، ولنسمه متجه الانتقال (Vector of Transpotation) ، فمما يدعو الى الملاحظة أنه اذا صح امكان اختزال الظاهرات الطبيعية الى مجرد تعبير فى المواقع ، كما بينا آنفا ، فان أنواع المتجهات الطبيعية كافة يمكن فى الحقيقة اختزالها ـ بشكل من الأشكال ـ الى هذا النوع الواحد ، ويمكن الوصول الى النتيجة عينها للانتقال النهائى من آ الى حـ ، وذلك بأن يجرى النقل من آ الى ب ، ثم من ب الى حـ ، أو باكمال متوازى الأضلاع آ ب حـ د يمكن اجراء الانتقال نفسه ، وذلك بأن يبدأ من آ الى د ، ثم من د الى حـ ، ويقال لمثل هذه التنقلات المتتالية : انها جمعت • وهذا هو مجرد تعريف لما نعنيه بقولنا : (جمع التنقلات) • ولنلاحظ أكثر من ذلك أننا اذا عددنا الخطوط المستقيمة المتوازية خطوطا مرسومة بالوجهة عينها ، فيمكننا أن نعد الانتقالين من ب الى حـ أو من آ الى د كانتقال واحد حدث لجسمين كان موقعاهما البدائيان ب ، آ ، وبهذه النظرة يجوز لنا القول بأن الانتقال من آ الى د أجرى على جسم ، أيا كان موقعه ، وليكن ب ، وعلى ذلك يكون فى وسعنا القول بأن الانتقال من آ الى حـ يمكن تصوره كمجموع انتقالين من آ الى ب ، ومن آ الى د ، حدثا بأى ترتيب كان • وهكذا نحصل على قانون متوازى الأضلاع لجميع التنقلات ، وهو اذا حدث التنقل من آ الى ب ، ومن آ الى د ، فما علينا الا أن نكمل المتوازى الأضلاع آ ب حـ د فيكون المجموع آ حـ •

ويلوح كل ذلك بديا كأنه أمر مصطنع ، مع أننا يجب أن نلحظ أن الطبيعة نفسها هى التى تقدم لنا هذه الفكرة ، مثال ذلك : أن باخرة تسير فى وجهة آ د (الشكل ٦) وفيها رجل يقطع ظهرها عرضا ، فلو أن الباخرة كانت واقفة لبلغ نقطة ب فى دقيقة واحدة • ولكن فى تلك الدقيقة تكون نقطة البداية على ظهر الباخرة قد وصلت

الى د ، وتحول طريقه من آ ب الى د ح بحيث أصبح هذا الانتقال بالواقع من آ الى ح على سطح البحر . على أن هذا المجموع ظهر لنا محللا الى انتقالين : الأول من آ الى ب بالنسبة للباخرة ، والآخر من آ الى د وهو انتقال الباخرة .

واذا نظرنا الى عنصر الزمن ، وهو دقيقة واحدة ، فان آ ح فى الشكل يمثل حينئذ سرعة الرجل ، وذلك أنه اذا كانت آ ح تمثل عددا من أقدام الانتقال فانها تمثل العدد نفسه من الأقدام فى الدقيقة الواحدة ، أى سرعة الرجل ، وعلى ذلك يمثل آ ب ، آ د سرعتين ، هما سرعة الرجل بالنسبة لسطح الباخرة ، وسرعة الباخرة نفسها . ومن مجموعهما تتألف سرعة الرجل النهائية . ويتضح من ذلك أن الأشكال والتعريفات المتعلقة بهذه التنقلات يمكن تحويلها الى أشكال وتعريفات تتعلق بالسرع ، وذلك بأن تكون التنقلات حدثت فى وحدة زمنية . كذلك يمكن تحويل الأشكال والتعريفات ذات العلاقة بالسرع الى أشكال وتعريفات عن العجلة ، وذلك بأن نتصور هذه الأشكال تمثل السرعة الاضافية فى وحدة الزمن .

يتضح مما سبق ما نعنيه بجمع السرع المتجهة أو العجلات المتجهة ، هو جمعها بقانون متوازى الأضلاع .

ولما كانت القوة ـ بحسب قوانين الحركة ـ تمثل بالعجلة المتجهة التى تحدثها فى جسم له كتلة معينة ، كان جمع قوتين لمعرفة أثرهما المشترك ، على حسب قانون متوازى الأضلاع .

ونلخص ما تقدم بأن جمع كل متجهين من جنس واحد من المتجهات العلمية الأساسية كالانتقالات والسرع والقوى يتم بوجدان محصلة متجهة على حسب قانون متوازى الأضلاع .

يعد المستطيل من أبسط أنواع متوازيات الأضلاع ، وهو فى الرياضيات البحتة يدل على علاقة كثيرة الوقوع بين المتجه الواحد آ ح والمتجهين المركبين المتعامدين آ ب ، آ د (الشكل الـ ٧) . فاذا فرضنا أن س ، ص ، و ، تمثل عدد وحدات الطول فى كل من آ ب و آ ح و آ د ، وأن ز تمثل عدد وحدات الزاوية ب آ ح ، فان العلاقة بين س ، ص ، و ، ز ، بأشكالها الكثيرة هى من الموضوعات الدائمة فى الرياضيات البحتة ونتائجها تستخدم فى حساب المتجهات الأساسية فى الفيزياء الرياضية . وهذا الشكل هو الجسر الرئيس الذى يجب أن تجتازه نتائج الرياضيات البحتة كيما يمكن استخدامها فى حقائق الطبيعة .

د ح ص و ز س آ ب

(شكل ـ ٧)



تاريخ ابن الدبيثي

في خزانة الكتب الكنبريجية بانكلترا مجلد(۱) من تأريخ بغداد في (۱۸۱) ورقة ، مخروم الأول، قد ذهب اسم مؤلفه في الخرم، ورقمه العام ۲۹۲٤ والخاص ۱٦٩. وجاء نعته في الصفحة ٢٦ من فهرست المخطوطات العربية والفارسية ، تصنيف الأستاذ المستشرق أدوارد براون قال :

« مجلد مخروم الأول ، حاو لقسم العين من تاريخ بغداد ، أي رجالها المشهورين، وقد كتب في أوله بالانكليزية انه جزء من التأريخ المشهور للخطيب البغدادي . وأدل من هذا القول وأقرب الى الايضاح ما ذكره الأستاذ سمويل لي من أنه الجزء الثالث من « ذيل تأريخ بغداد للخطيب » ، مع أن كون الخطيب المتوفى سنة « ٤٦٣هـ » غير مؤلف له من الأمور المحققة ، يدل على ذلك أن كثيرا من تعاليق التراجم في المجلد هذا تختص برجال ماتوا في أوائل القرن السابع للهجرة ، وتأريخ سنة ٦١٧ هـ هو آخر تأريخ استطعت استبانته في الكتاب ، وبالاضافة الى المقياس الكبير الذي ألف عليه التأريخ لا يمكن أن يكون هذا كل المجلد الثالث ؟ لأنه يبتدىء بالعين وبالذي أضيف اليه « عبد » من الأسماء ، يلي ذلك « عمر » ، و « عثمان » و « علي » ، و « عباس » ، و « عيسى » و « عمارة » ، ولكن هذه الأسماء لم ترتب ترتيبا هجائيا تاما(۲) » .

« لقد كتبت ذيول لتاريخ الخطيب الجليل في أزمنة مختلفة ، منها اثنان ذكرهما حاجي خليفة في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، وقد كانا ألفا في القرن السابع للهجرة وهما تأريخ ابن الدبيثي المتوفى سنة « ٦٣٧هـ » ، وتأريخ ابن النجار

(۱) صور المجمع العلمي العراقي نسخة منه لخزانته وهي محفوظة فيها برقم « ٤٤ مخطوطات » .

(۲) خفي على المستر براون سر هذا الترتيب ، فهو مثل تأريخ الخطيب ، ابتدأ باسمي الرسول (صلى الله عليه وسلم) : محمد وأحمد ، لشرفهما على سائر الأسماء ولما بلغ « العين » ، وهي أول أسماء ثلاثة من الخلفاء الراشدين ، أتى بما أشبهها على حسب ترتيبهم في خلافتهم .

المتوفى سنة « ٦٤٣هـ » . وكان حاجي خليفة رأى المجلد السادس عشر منه ، الحاوي - كهذا المجلد - لحرف العين ، فلذلك نسترجح أن يكون اياه ... » . ووصف بعد ذلك أحوال الكتاب الأخرى .

ونحن نرى استرجاح العلامة براون غير مستند الى سند قوي ؛ لأن كل ذيول تاريخ الخطيب قد احتوت على حرف العين من التراجم ، ولأن ذيل ابن النجار وذيل ابن الدبيثي في ذلك على السواء .

وكتب الى صديقي العلامة فريتس كرنكو المستشرق الشهير أيام كنت في باريس كتابا تأريخه ٦ أيار من سنة ١٩٣٦ م يقول فيه :

« قد وجدت في خزانة الجامعة (جامعة كنبريج) نسخة جيدة عتيقة من ذيل تأريخ بغداد لمؤلف مجهول ، اذ ليس للنسخة عنوان لسقوط كراسة أو أكثر من أولها ، الا أن كاتبها قال في آخرها : انه قد كمل حرف العين وسيأتي حرف الغين في المجلد الرابع . والترجمة الأولى عبدالله بن عبدالله الطوسي أبو محمد الصوفي ، ولا تأريخ لوفاته وتليها ترجمة عبدالله بن عبدالرحمن بن أيوب بن علي البستنبان أبو أحمد المتوفى سنة ٦٠١ هـ ، فيظهر من هذا أنه سقط من اسمه عبدالله واسم أبيه عبدالله أيضا الا ترجمة واحدة . ثم رأيت أنه في موضع يقول في حق ابن الجوزي « شيخي » ، ويسبق على الظن أن هذه النسخة آخر المجلد الثالث من تأريخ ابن النجار ، وأما ترتيب التراجم فعلى اسلوب تأريخ الخطيب : ذكر التراجم مرتبة على الأسماء ثم على السنين ، وأكثر التراجم لرجال ماتوا في النصف الثاني من القرن السادس والنصف الأول من القرن السابع . وأحسب أن النسخة كتبت حول سنة « ٧٠٠هـ » . وقد ضبط الكاتب الأسماء المشكلة بالخط حتى لم يبق شك في صحتها . ولم أجد الفرصة الى الآن لآخذ فهرسا للتراجم . ولكن بعد عبدالله يأتي من اسمه عبيدالله ، ثم عباد وعمر وعثمان وعلى وفي آخرها أسماء مختلفة » ا هـ .

فكتبت اليه أرجو منه أن ينقل لي شيئا من تراجم التاريخ المذكور لعلي أستطيع أن أقف على حقيقة مؤلفه ، أما ما ذكره من الاسترجاح فهو من بابة قول المستر براون ، وكان كلاهما في غنى عنه بعد أن قرأ في كشف الظنون أن حاجي خليفة رأى المجلد السابع عشر محتويا على حرف العين ، من التجزئة الأصلية ، مع أن هذا هو المجلد الثالث ففي آخره ما هذا نصه « آخر حرف العين ، يتلوه في المجلد الرابع حرف الغين المعجمة ، ذكر من اسمه غالب وصلى الله على سيدنا محمد وآله » .

ثم كتب الى العلامة الصديق كتابا تأريخه ٢ حزيران من سنة ١٩٣٦ يقول فيه

« وكنت أحب نقل بعض التراجم عن النسخة المحفوظة فى خزانة جامعتنا لعلك تقع على اسم المؤلف ولا شك أنه رتب كتابه ترتيب تاريخ الخطيب وأيضا انه من تلاميذ ابن الجوزى. ولو كانت لى الفرصة اللازمة لأطالع الكتاب من أوله الى آخره لأمكن أن يوجد شىء يدلنا على حقيقة حال المؤلف . وقد نقلت أسماء الرجال من العشر الأول تجدها فى ضمن هذا الكتاب وكتبت سنى وفياتهم بعد علامة « ت » وكلما لم أذكر تاريخا تعرف أنه لا وجود له فى الأصل ، بل رتبت الترجمة تخمينا . ورجائى أن هذه النبذة تساعدك فى كشف اسم المؤلف » .

ولم يتبادر الى ذهن الأستاذ المحقق أن ينسب الجزء الى ابن الدبيثى ، فقد كنت ذكرت له أن فى دار الكتب الوطنية بباريس ثلاثة مجلدات منه ، فكتب الى فى ١٥ نيسان سنة ١٩٣٦ يقول : « أما كتاب الدبيثى فليس فى هذه البلاد نسخة منه البتة ولكن فى خزانة جامعة كامبرج نسخة قديمة من تاريخ ابن النجار تشتمل على أسماء تبتدىء بالعين وهى ناقصة الأول والآخر » يعنى أنها غير كاملة .

ولقد قابلت بين ما ذكره لى العلامة (فريتس كرنكو) وما فى تاريخ ابن الدبيثى المحفوظ بدار الكتب الوطنية بباريس ، فاذا هما متشابهان حقا ، ثم أعلمته بنتيجة المقابلة ، فايقن أن مجلد كنبريج قسم من « ذيل تاريخ ابن الدبيثى » على ذيل السمعانى الذى هو ذيل لتاريخ الخطيب البغدادى ، فكان اذا نقل منه شيئا سماه « تأريخ ابن الدبيثى » على حقيقته وذاته . قال فى نقده طبعة الجزء الأول من كتاب « الدارس فى تاريخ المدارس » :

« ابن الطلاية بالمثناة ، كثر ذكره فى الدرر وفى نسخة جيدة من ذيل ابن الدبيثى[1] » . فقد عنى نسخة كنبريج .

وهذا المجلد الذى بسطنا القول فى تاريخ تحقيقه ، مكتوب بخط نسخى ، من خطوط القرن السابع ، فيقدر تاريخه بما بين سنة « ٦١٧ » وسنة « ٧٠٠ » ، ومعنى ذلك أنه يجوز أن يكون مكتوبا فى أيام المؤلف . ويظهر من الصورة الفطغرافية أن الصفحة الأولى منه قد ألصقت عليها ورقة ، فذهب قسم من ترجمة « عبدالله بن عبدالله الرومى المكنى بأبى الخير » وبقى منها ما أوله « وسمع أبا القاسم بن الحصين وغيره ، رأيته ولم آخذ عنه شيئا » .

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى « المجلد ٢٤ ، الجزء الثانى ص ٣١٢ » وقال فى ص ٣١٥ « شرف الدين على بن محمد بن المسلم ، أرخ ابن الدبيثى (نسخة كامبرج) وفاته سنة ٦٠١ وسماه ابن الشهرزورى » .

وهذا أول الترجمة وهو معظمها منقولا من نسخة باريس :«عبدالله بن عبدالله الرومى أبو الخير الجوهرى ، عتيق جعفر بن سليمان الطيبى التاجر ، كان يسكن درب حبيب وكان خيرا حافظا لكتاب الله العزيز ، قرأ على أبى العز محمد بن الحسين القلانسى الواسطى ببغداد لما قدمها فى سنة سبع عشرة وخمسمائة ، وروى عنه حرف أبى عمرو بن العلاء وأقرأ الناس به ، وسمع أبا القاسم بن الحصين وغيره ، رأيته ولم آخذ عنه شيئا » .

وآخر ترجمة فيه هى ترجمة « أبى نزار عدنان بن المعمر بن المختار العلوى الحسينى ، قال : « عدنان[١] بن المعمر بن عدنان بن عبدالله بن المختار أبو نزار بن أبى الغنائم بن أبى نزار العلوى الحسنى ، من أهل الكوفة ، قدم بغداد وسكنها مدة ، وتولى بها نقابة العلويين بمشهد الامام موسى بن جعفر ، وقرىء عهده بذلك المشهد المذكور يوم الخميس حادى عشرين شهر ربيع الأول سنة ست وستمائة ، ولاه ذلك ابن عمه النقيب الطاهر أبو الحسين محمد بن محمد بن عدنان ابن المختار ، فكان على ذلك الى أن عزل فى شعبان سنة سبع وستمائة . قرأت بخط الشريف عبدالحميد بن أسامة العلوى النسابة : مولد عدنان بن المعمر يوم الثلاثاء ثالث عشرين شعبان سنة سبعين وخمسمائة » .

وترجمة ابن الدبيثى مأثورة فى وفيات الأعيان لابن خلكان والحوادث الجامعة وتذكرة الحفاظ وطبقات الشافعية والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها ، فلا نذكر منها الا ما ورد فى الكتب الخطية رغبة فى التكثر والاستطراف ، فقد قال هو فى ترجمة أبيه من تاريخه[٢] :

« سعيد بن يحيى بن على بن الحجاج بن محمد بن الحجاج أبو المعالى بن أبى طالب بن أبى الحسين المعروف بابن الدبيثى ، والدى من أهل واسط منسوب الى قرية تعرف بدبيثا قريبة من باكسايا منها كان جده على ، ثم قدم واسطا واستوطنها ، وبها ولد أولاده يحيى واخوته .

---

(١) قال ابن الفوطى فى « معجم الألقاب » : « عز الدين أبو نزار عدنان بن أبى عبدالله المعمر بن عدنان بن المختار العلوى الكوفى النقيب ، ذكره شخنا تاج الدين ابن أنجب فى تأريخه وقال : رتب عز الدين نقيب مشهد موسى بن جعفر وعزل فى شهر ربيع الأول سنة ست وستمائة ، وكان سيدا جليلا عالما . ومولده سنة سبعين وخمسمائة ، وتوفى يوم السبت رابع شعبان من سنة خمس وعشرين وستمائة ، ودفن فى داره بالقرب من باب المراتب على شاطىء دجلة » . وكانت محلة باب المراتب تحتوى على محلة السيد سلطان على وما اليها وهناك يجب أن يكون قبره .

(٢) تاريخ ابن الدبيثى ، ذو الرقم « ٥٩٢٢ » من دار الكتب الوطنية بباريس ، الورقة « ٦٥ ظ » و « ٦٦ و » وأصول التأريخ والأدب مج ٢٠ ص ١٨٣ ـ ٤ وهذه الأصول من مجموعاتنا الخطية فى أكثر من « ٣٥ » مجلدا ، منها أجزاء كاملة ، مثل تاريخ ابن الدبيثى هذا .

ولد والدى بواسط وقدم بغداد وهو صغير مع أبيه وأقام بها مـــدة وسكن دار الخلافـة المعظمة بباب النوبى فى الدرب الجديد الى أن توفى والده بها وسمع بها الحديث من أبى الحسن سعد الخير بن محمد الانصارى ، وغيره ، وكتب بها عن جماعة حكايات وأناشيد رأيتها فى مجموع بخطه ، وعاد الى واسط ونزلها الى حين وفاته • وقد أجاز له القاضى أبو على الحسن بن ابراهيم الفارقى وغيره • كتبت عنه أناشيد وغيرها ولم أظفر بسماعه الا بعد وفاته رحمه الله قرأت فى الكتاب الذى سمعه والدى أبو المعالى سعيد بن يحيى بن على بن حجاج ومنه نقلت (وأسند حديثا الى سمرة بن جندب) قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أفضل الكلام أربع سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، ولا عليك بأيها بدأت » •• أنشدنا والدى أبو المعالى سعيد بن يحيى بن على من حفظـه بواسط قال : أنشدنا سعد الدين أبو عبدالله الحسين بن على بن شبيب ببغداد لنفسه :

- وأغيد لـم تسنح لنـا بوصـاله ... يد الدهر حتى دب فى عاجه النمل
- تمنيت لمـا اختط فقـدان ناظرى ... ولم أر انسـانا تمنى العمى قبـل
- ليبقى عـلى مر الزمـان خيـاله ... حيـالى وفى عينى لمنظره شـكل

سمعت والدى يقول : مولدى فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة • وقرأت بخطعمه أبى القاسم ابن على : ولد ابن أخى أبو المعالى سعيد بن أبى طالب يوم السبت سابع عشرى صفر سنة سبع وعشرين وخمسمائة • وتوفى ليلة الجمعة يوم عيد الأضحى من ســنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وصليت عليه يوم الجمعة بين الأذان والاقامة بجامع واسط والجمع وافر ، وكنت اماما ، ومضينا مع جنازته الى مقبرة داوردان وهى مقبرة بينها وبين البلد فرسخ ، فدفن هناك عصر اليوم المذكور والله يرحمـــه وايانا اذا صرنا مصيره انه رؤوف رحيم ، آمين » ا هـ •

وقال زكى الدين المنـــذرى فى ترجمة ابن الدبيثى فى وفيات سنة « ٦٣٧ » من كتابه « التكملة لوفيات النقلة »[1] قال :

« وفى الثالث من شهر ربيع الآخر توفى الفقيه الحافظ أبو عبـدالله محمد بن أبى المعالى سعيد بن أبى طالب يحيى بن أبى الحسن على بن الحجاج بن محمد بن الحجـاج الواسطى الدبيثى[2] الشـافعى العدل ، ببغـداد ودفن بالوردية من الغـد • ســمع

(١) نسخة دار الكتب البلدية المعروفة بمكتبة البلدية بالاسكندرية ، ذات الرقم ١٩٨٢ فى الورقة « ٢٥٠ » وأصول الأدب والتأريخ « مج ٢٧ ص ٤١٠ » •

(٢) قال فى آخر الترجمة : « ودبيثا : بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف وقبل الألف ثاء مثلثة ، قرية بنواحى واسط العراق » • والصحيح فتح الدال كما فى معجم البلدان ، ونقل ابن خلكان قول شيخه المنذرى فاخطا ايضا •

بواسط من القاضي أبي طالب محمد بن علي الكتاني وأبي البقاء هبة الله بن الحسن ابن حباش ، وأبي الفضل هبة الله بن علي بن قسام ، وأبي المكارم علي بن المبارك بن الأمدي ، وأبي العباس هبة الله بن نصر الله بن محمد بن مخلد الأزدي ، وجماعة سواهم . وسمع ببغداد من أبي الفتح عبيدالله بن عبدالله بن شاتيل وأبي العلاء محمد بن جعفر ابن عقيل وأبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن السراج المعروف بابن حمتيش وأبي السعادات نصرالله بن عبدالرحمن القزاز وخلق كثير من طبقتهم بعدهم ، وسمع بالحجاز من أبي المعالي عبدالمنعم بن عبدالله الفراوي ، وسمع بالموصل وغيرها من جماعة وحدث ، وصنف تاريخا كبيرا لواسط وذيل على تاج الاسلام أبي سعد بن السمعاني في تاريخ بغداد ، وصنف غير ذلك . وكان أحد الحفاظ المشهورين والنبلاء المذكورين غزير الفضل ، وكتب كثيرا . وله نظم حسن ، ولنا منه اجازة كتب بها الينا غير مرة . ودبيثا . . قرية بنواحي واسط العراق وجده علي من دبيثا وذكر بعضهم أنهم نزلوا الموضع وأن أصلهم من كنجة » ا هـ . والمقبرة الوردية هي التي دفن فيها بعد ذلك شهاب الدين عمر السهروردي المعروف بالشيخ عمر .

وقال الذهبي في طبقات القراء الموسوم بمعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار[1] :

« محمد بن سعيد بن يحيى بن علي بن حجاج الامام أبو عبدالله ابن الدبيثي الواسطي المقرىء المحدث الفقيه الشافعي الحافظ المعدل ، ولد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وقرأ القراءات الكثيرة على أبي الحسن علي بن المظفر الخطيب وأبي الفتح نصر ابن الكيال وعوض بن ابراهيم المراتبي وأبي بكر الباقلاني ، وجماعة ، وسمع من أبي طالب الكتاني ، وهبة الله بن قسام ، وعبيدالله بن شاتيل ، ونصرالله القزاز ، وأبي العلاء ابن عقيل ، وعبد المنعم الفراوي ، وخلق كثير في القراءات والحديث . وصنف تأريخ بغداد وتأريخ واسط . وله خبرة تامة بالعربية والشعر وأيام الناس . تصدر للاقراء والتحدث ، روى عنه زكي الدين البرزالي وأبو الحسن علي بن محمد الكازروني وعزالدين الفاروثي وجمال الدين الشريشي وتاج الدين علي الغرافي وآخرون وأضر بأخرة وتوفي ببغداد في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة وقرأ عليه بالعشر عبدالصمد (ابن ابي الجيش) » ا هـ .

وقد ولي ابن الدبيثي النظر في أوقاف المدرسة النظامية ببغداد ، ذكر ذلك هو

---

(١) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ذات الرقم « ٢٠٨٤ » في الورقة ١٩٢ وأصول التاريخ والأدب « مج ٢١ ص ١٥٦ » .

نفسه فى ترجمة أبى البركات محمد بن هبة الله بن محمد بن الحسن ابن أبى الحديد المدائنى[1] قال : « وأبو البركات هذا كان كاتبا ذكيا فهما ، تولى عدة أشغال تتعلق بخدمة المخزن المعمور ، وكان معنا بالمدرسة النظامية أيام نظرنا فى أوقافها » . وذكر أنه درس على مجير الدين الواسطى الشافعى .

وذكر المنذرى له ابنا اسمه « أبو المعالى شعبة » توفى سنة « ٦٤٠ هـ » ، ذكره زكى الدين المنذرى فى وفيات هذه السنة قال : « وفى السادس عشر من جمادى الأولى توفى الشيخ أبو المعالى شعبة ابن الحافظ أبى عبدالله محمد بن سعيد بن يحيى بن الدبيثى الواسطى الأصل البغدادى الدار ، سمع بإفادة أبيه من أبى القاسم يحيى بن أسعد ابن بوش وأبى الفرج عبدالمنعم بن عبدالوهاب بن كليب وغيرهما ببغداد وواسط » . ولكن ابن الدبيثى نفسه ذكر فى ترجمة ابن كليب أن اسم ابنه سعيد ، فلعل الذى جاء فى التكملة من غلط الناسخ .

واشتهر فى زمانه ابن عمه « عميدالدين أبو العباس أحمد بن جعفر بن أحمد بن محمد ابن الدبيثى الواسطى الأديب البيع » ذكره ابن الفوطى[2] قال « ذكره محب الدين أبو عبدالله ابن النجار فى تأريخه وقال : كان من أعيان أهل بلده حشمة وتمولا ، وله معرفة بالأدب ، وهو ابن عم الحافظ جمال الدين أبى عبدالله محمد بن سعيد بن الدبيثى ، قدم بغداد مرات وروى بها شيئا من شعره ، وكان قد ضمن البيع بواسط ، وظلم الناس ، وصودر ، ومقته الناس .

ومن شعره :

يروم صبرا وفرط الوجـــد يمنعه   وسـلوة ودواعى الشـوق تردعه

وهى قصيدة طويلة . وتوفى فى واسط فى جمادى الأولى سنة احدى وعشرين وستمائة ، وذكر أن مولده بها سنة « ٥٥٨ » . وله ذكر فى كتب أخرى .

مصطفى جواد

---

(١) نسـخة دار الكتب الوطنيـة بباريسـ ذات الرقم « ٥٩٢١ » والورقـة « ٥٧ ظ و « ١٥٨ و » .

(٢) مجمع الألقاب « م ٤ ص ١٣٦ » من نسختنا . وذكره ابن شاكر الكتبى فى فوات الوفيات « ١ : ٣٤ » ، ومؤلف شذرات الذهب « ٤ : ١٨٢ » ولكنه غلط فى تأريخ وفاته غلطا فظيعا بأن جعل تاريخ ميلاده تاريخا لموته ، أى سنة « ٥٥٨ » ، وهجاه على ابن مقرب العيونى هجوا أقذع فيه كما ورد فى ديوانه . وترجمه ابن كثير فى البداية والنهاية . والظاهر أنه الذى ذكره ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة « ج ٣ ص ٤٠ » .

جمهرة النسب لابن الكلبي

بين المؤلفات المئة والواحد والأربعين المنسوبة الى هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ للهجرة[١] ، مؤلف مهم في علم النسب يقال له « جمهرة النسب » أو « جمهرة الأنساب » أو « الجمهرة في النسب » أو « النسب الكبير[٢] » ، هو على ما يعلم أول كتاب وضع بهذا الاسم[٣] . وقد اعتمد عليه النسابون ، فأخذوا منه ، واقتبس منه من جاء بعد مؤلفه . ومع ذلك فقد عدا الدهر عليه ، وحجب نسخه الأصلية عن أعين المتشوقين بلهفة شديدة اليه ، وظل رهن الغيب حتى الآن .

وقد بذل المستشرقون مجهودا يقدر للبحث عنه ، وما زالوا يجدون في الحصول على الرواية الأصلية للكتاب ، لنشره واتحاف القراء به . وما كان أشد فرح العلماء حين أعلن بعض العلماء نبأ العثور على نسخة منه ، غير أنه تبين بعد ذلك أن الاعلان بذلك كان سابقا لأوانه ، وأن نسخة ابن الكلبي لا تزال في طي الخفاء .

وفي المتحف البريطاني مخطوطة في النسب يقال لها « جمهرة النسب» رقمها في سجله «Add. 23297» ظن أنها جمهرة ابن الكلبي ، كتبت بخط جميل واضح شبيه بخط ياقوت المستعصمي ، ونسخ أخرى وصفها « بروكلمن » في دائرة المعارف الاسلامية بأنها سقيمة لا أهمية كبيرة لها ، ويعتقد أنها منقولة عن مخطوطة باريس[٤] ، وأنها الجزء الثاني ، ولكنها ناقصة لا تفي بالحاجة ، وان كان لابد من الاستعانة بها عند الشروع في نشر الكتاب . وفي خزانة كتب الاسكوريال بمدريد نسخة ثالثة رقمها في سجلها « AZ, 698 » ، جاء في مطلعها : « قال هشام بن محمد الكلبي: ولد ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان أسدا ... » وفي آخرها : « وهو آخر كتاب نسب معد واليمن الكبير » . وتاريخ الكتابة سنة ٦٢٦هـ « ١٢٢٩م » ، وهي أقدم من مخطوطة المتحف البريطاني ذات

---

(١) ترجمته وأسماء كتبه في كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » للمستشرق « بروكلمن » ١/١٣٩ ، وفي ملحقه ١/٢١١ وما يليها ، وفي دائرة المعارف الاسلامية في مادة « ابن الكلبي » .

(٢) Brockelmann, Suppl. Vol, 1 P, 211

(٣) جمهرة أنساب العرب لابن حزم مع مقدمة المستشرق « ليفي بروفنسال » ص ٥ ، طبعة دار المعارف بالقاهرة .

(٤) Codd. MSS. Brit. Pars. I1, No. 915

الرقم « Add. 23297 » بربع قرن تقريبا ، وتقع فى ٢٦٥ ورقة ، وفى كل صفحة ١٧ سطرا[١] . وهى كما يرى من مطلعها جزء متمم لمخطوطة المتحف البريطانى ، ولذلك كانت لها أهمية خاصة ؛ لأنها الجزء الثانى المفقود من الكتاب .

فأما مخطوطة باريس التى أشرنا اليها ، فهى من رقوق ، طول الرق الواحد منها ٢٢ سنتيمترا وعرضه ٢٩ سنتيمترا ونصف ، وفى كل رق منها ١٣ الى ١٥ سطرا ، وتتألف من ١٣ ورقة محفوظة فى دار الكتب الأهلية بمدينة باريس بخط كوفى مشابه لما كان شائعا فى أواخر القرن الثانى من الهجرة[٢] ، ورقم هذه القطعة هو « ٢٠٤٧ » كما جاء فى الجزء الثانى من فهارس المخطوطات العربية المحفوظة فى دار الكتب الأهلية ، تنظيم البارون دى سلان «Baron de Slane» .

وليس فى استطاعتى أن أتحدث عن نسخة باريس ، لايجاز « البارون دى سلان » الكلام عليها ، ولأنها ليس لها صورة فوتغرافية عندى ، حتى أتمكن من دراستها والبت فى أمرها ، فلعلها جزء من نسخة ابن الكلبى الأصلية ، أو من نسخة السكرى ، أو جزء من كتاب « الجمهرة فى النسب » لأبى الفرج الأصبهانى[٣] صاحب كتاب الأغانى . فأما ما ذهب اليه « بروكلمن » فى « دائرة المعارف الاسلامية »[٤] من أن نسخة باريس نسخة مركزة يعود تأريخها الى سنة ٤٦٥ وأنها رواية السكرى عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبى غير أن فيها زيادات أخذت من كتب ابن الأعرابى ومن مصادر أخرى[٥] ، فهو رأى لا أستطيع أن أثبته ، ولا أن أنفيه ؛ لما تقدم من أسباب . ولكن يظهر من اشارة « بروكلمن » الى الرقم ٢٠٤٧ وهو رقم الأوراق التى تحدثت عنها ، أنه اياها

(١) راجع الوصف فى ٢١٥/٣ من فهارس المخطوطات العربية بالأسكوريال سنة ١٩٢٩ رقم ١٦٩٨

Cassiri, Bibl. arabico—hispana, No. 193.

(٢) كتاب الأصنام ، مقدمة أحمد زكى باشا « ص ٢٠ » .

(٣) راجع ارشاد الأريب ٦٠/١ ، و ١٥٢/٥ ، والذريعة الى تصانيف الشيعة ١٤٧/٥ .

(٤) Ency. of Islam. Vol, 2 P, 689

(٥) ابن الأعرابى : أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابى . كان له مجلس يحضره زهاء مئة انسان ، ويقرأ عليه فيه فيجيب من غير كتاب . لازمه ثعلب. ومات بسر من رأى سنة ٢٣١ . أملى على الناس ما يحمل على جمال . الفهرست ص ١٠٢ ، تاريخ بغداد للخطيب ٢٨٢/٥-٢٨٥ . ارشاد الأريب ٥/٧ وما يليها . مرآة الجنان لليافعى ١٠٦/٢ البغية للسيوطى ص ٤٢ . وتجد عناوين الكتب المنسوبة اليه فى كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » لبروكلمن ١٩/١ ، ٤١ ، ٥٦ ، ١١٦ ، ١٣٩ ، وملحقه ١٧٩/١ .

عنى • ولما كان البارون المذكور قدر أن ظهورها كان فى أواخر القرن الثانى للهجرة ، مستدلا بشكل الخط الذى يعود الى هذا العهد ، وجب أن تكون هذه النسخة قد كتبت فى حياة ابن‌الكلبى مؤلف « جمهرة النسب » ، وهذا يخالف رأى « بروكلمن » ، اللهم‌الا اذا كان قد عنى مخطوطة أخرى فى دار الكتب الأهلية بباريس ، لها غير هذا الرقم ، أو كان البارون قد أساء التقدير ، فان « بروكلمن » قد وجد عليها أو فى أثنائها تأريخ الكتابة ، وهو سنة ٤٦٥هـ وقرأها بانعام نظر ، وتتبع أمرها فوجد أنها رواية السكرى مع زيادات قليلة • وكنت آمل أن يتطرق « ليفى بروفنسال » ، أستاذ اللغة والحضارة العربية فى السربون ومدير معهد الدراسات الاسلامية فى جامعة باريس ، الى هذه النسخة فى مقدمته لكتاب « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٦هـ ، الذى نشره فى العام الماضى بالقاهرة بعناية « دار المعارف » بالقاهرة ، وذلك لولعه بجمهرة ابن الكلبى ، ولقربه منه ، ولحثه العلماء على طبع تلك الجمهرة ؟ ولأن فى اقدامه على طبع « جمهرة » ابن‌حزم مايحفزه الى‌البحث فى‌مخطوطة باريس وتعيين‌حقيقتها ، ولكنه خيب ــ يا أسفا ! ــ أملى • والذى يقرأ قوله : « وقد وصلنا مخطوطان من جمهرة ابن‌الكلبى ، أحدهما حسن محفوظ بالمتحف البريطانى تحت عــدد « Add. 23297 » ، والثانى دون المتوسط محفوظ بمكتبة الأسكوريال باسبانيا « عدد Az. 1698 »[1] ، يفهم منه أن الاستاذ لم يطلع على مخطوطة باريس ذات الرقم « ٢٠٤٧ » ، والا أشار اليها ، ولعل العجلة قد أنسته تلك المخطوطة فلم يشر اليها • وأيا كان الأمر ، فالمهم فى نظرى تعيين حقيقتها والكتابة فى وصفها ، اذ لم يتيسر لى الحصول على نسخة فوتغرافية منها •

وقد طلب (المجمع العلمى العراقى) من ادارة دار الكتب الأهلية بباريس أن تصور له نسخة منها فوتغرافية ، فلم تحقق له هذه الرغبة • فقد وضع جماعة من رجال الادارة فيها عوائق كبيرة دون تصوير المخطوطات العربية ، لأسباب لانعرفها ، ويعرفها أولئك الرجال ، ولكنها لا تتفق على كل حال مع الواجب العلمى الذى أنشئت من أجله دار الكتب هذه وأمثالها • وذلك يدعونا فى هذا الموقف الى الموازنة بين هذه المعاملة والتسهيلات الكبيرة ، والخدمات العلمية الجليلة التى تقوم بها ادارة المتحف البريطانى بلندن عند تقديم مثل هذه الطلبات اليها •

وقد اهتم المستشرقون بأمر كتاب « جمهرة النسب » لابن الكلبى ، فلما طرق سمع المستشرق « بيكر » «C.H. Becker» وجود نسخة منه باسبانيا بخزانة الأسكوريال ،

(١) جمهرة أنساب العرب ، المقدمة « ص ٦ » •

ذهب الى هناك ، ليتوفر بنفسه على نسخها ، وليهتم بطبعها بما تستحقه من العناية ، ولكنه تحقق ، بعد دراسة عميقة ، أن الكتاب ليس لابن الكلبى ، وانما هو خلاصة وجيزة له ، وأنه فوق ذلك مبتور ومشحون بالغلط الذى يرتكبه النساخون ، وأنه لا يصلح للطبع على هذا الشكل[١] .

وكتب المستشرق « فريتس كرنكو » «F. Krenkow» فى المجلة الآسيوية تعليقا على ما نشره « بولس ساباط » فى جريدة المقطم عن الجمهرة ، ذهب فيه الى أن الكتاب ليس بالنسخة الأصلية للجمهرة . وانما هو من رواية محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ وعمله[٢] . وكان راوية ابن الكلبى والمقرب اليه ، الا أنه استند الى جمهرة ابن الكلبى ـ كما هو معروف .

وفى سنة ١٩٣١ م أوضح المستشرق الايطالى « ليفى دلافيدا » لأعضاء مؤتمر المستشرقين الأممى الثامن عشر رغبته فى نشر « جمهرة الانساب » لابن الكلبى ، وأعلن أنه بعد انعام النظر وجد أن نسخة لندن ونسخة الأسكوريال تكمل احداهما الأخرى ، وأنهما ليستا رواية موجزة للأصل كما يظن ، بل هما تنقلان الرواية التامة المعزوة الى الأديب الشهير محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥هـ[٣] ، وذهب الى هذا الرأى نفسه « ليفى بروفنسال » فى مقدمته التى وضعها لكتاب « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم .

ويخيل الى أن المستشرقين لم يقرأوا هذه المخطوطات بتدقيق نظر ، ولم يتصفحوها ولا تأثروا سطورها سطرا سطرا . وقد قرأت الصورة الفوتغرافية لمخطوطة المتحف البريطانى التى استجلبها (المجمع العلمى العراقى) ، وتقع فى « ٢٦٠ » ورقة ، فى كل ورقة منها صفحتان متقابلتان ، فوجدت مخطوطة المتحف البريطانى ليست بالنسخة الأصلية لرواية محمد بن حبيب ، وانما هى رواية راويته وتلميذه أبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى المتوفى سنة ٢٧٥ للهجرة . وكان من مشاهير علماء اللغة والنحو والأخبار والأدب ، ومن الجماعين للكتب الحريصين على استنساخها . وهذه الصفحات هى الجزء الأول من الكتاب . فأما الأجزاء الأخرى ، فناقصة ، ولم يستطع المتحف

---

(١) كتاب الأصنام ، المقدمة « ص ٢٠ ـ ٢١ » .
Becker. ZDMG. 1902. P, 796 – 799.
(٢) المقطم تاريخ ٧ـ٤ـ١٩٢٥م .
Krenkow. JRAS. 1925, P, 507. Brockelmann Suppl. 1. P, 212.
(٣) مقدمة ليفى بروفنسال على جمهرة ابن حزم « ص ٦ » .

البريطاني العثور عليها حتى الآن[١] .

واستهلت الصفحة الأولى من مخطوطة المتحف البريطاني بهذه المقدمة :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه التوفيق »

أخبرنا محمد بن حبيب ، عن هشام بن محمد بن السائب ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتهى في النسب الى معد بن عدنان أمسك ، ثم قال : كذب النسابون . قال الله جل ثناؤه (وقرونا بين ذلك كثيرا) . قال ابن عباس : ولو شاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يعلمه لعلمه . وقال : « بين معد بن عدنان واسماعيل ثلاثون أبا[٢] » .

وكانت خاتمة الصفحة الأخيرة هذه الجمل :

آخر الجزء الأول من الجمهرة في

النسب ، ويتلوه في أول الجزء الثاني بعون الله : وولد الخزرج بن حارثة .

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا النبي وآله الطيبين الطاهرين وسلم ، فرغ منه علي بن حسن بن معالي المعروف والده بابن الباقلاوي[٣] الحلي النحوي في رجب من سنة ثلاث وخمسين وست مئة » .

فالمخطوطة من خط « علي بن حسن بن معالي الباقلاوي » فرغ منها كاتبها في شهر رجب من سنة ٦٥٣هـ ، والكاتب عالم أديب ، ابن عالم أديب . ولد سنة ٦٠١هـ ، وتوفي سنة ٦٨٢ ، أو ٦٨٣ للهجرة . وكان كأبيه من علماء النحو واللغة ، ومن الشعراء المعروفين ، وله شعر كثير ، وكان أيضا من المولعين بنسخ الكتب ، فاستنسخ بخط يده كثيرا من المخطوطات . ذكره ابن الفوطي في كتابه « معجم الألقاب »[٤] وقد قام بتحقيق الجزء الرابع منه صديقي الفاضل الدكتور مصطفى جواد ، وهيأه للطبع ، وكان قد نشر الجزء الخامس منه الفاضل « مولوي عبدالقدوس » في مجلة « اورينتل كولج مكزين » = « مجلة الكلية الشرقية » التي تصدر في جامعة عليكرة بلاهور . وأثنى عليه ابن الفوطي ، وقال :«انه رآه ، وكتب له من أشعاره كراسة ، وأنه كتب شعره في كتابه « نظم الدرر الناصعة ، في شعراء المئة السابعة » . » ونوه به شمس

---

(١) راجع الصفحة الأخيرة من المخطوطة .

(٢) مخطوطة لندن ، الورقة الأولى .

(٣) وورد « ابن الباقلاني » .

(٤) الجزء الرابع بحسب تقسيم المؤلف . « تلخيص مجمع الآداب ، المرتب على معجم الأسماء والألقاب » وقد قرر المجمع العلمي العراقي طبع تحقيق الدكتور مصطفى جواد بنفقته .

الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ للهجرة في كتابه « تأريخ الاسلام » في حوادث سنة ٦٨٣ . وقد أعطاني ما ورد في « حيص بن علي الباقلاني » في « مجمع الألقاب » و « تأريخ الاسلام » صديقي الدكتور المذكور ..

أما والده ، فهو الحسن بن معالي بن مسعود بن الحسين الباقلاني الحلي المولود سنة ٥٦٨ المتوفى سنة ٦٣٧ للهجرة . وكان من علماء زمانه بالنحو واللغة . قال عنه السيوطي : انه كان « شيخ العربية في وقته ببغداد »[١] ، قرأ النحو على كبار العلماء في وقته ، مثل : أبي البقاء العكبري[٢] ؛ ومصدق الواسطي[٣] ، وأبي الحسن بابويه[٤] . وأخذ اللغة من أبي محمد بن المأمون[٥] ، والفقه عن يوسف بن اسماعيل الدامغاني ، وقرأ الحكمة والفلسفة على نصير الدين الطوسي الحنفي[٦] ، والحديث على أبي الفرج بن كليب ، حتى صار من كبار علماء بغداد في النحو وعلم الكلام ، وكان حريصا على استنساخ المخطوطات ، فخط بيده عددا كبيرا منها ، وقد لقيه ياقوت الحموي سنة ٦٠٣ ببغداد[٧] ، وعزالدين أبو حامد عبدالحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد المتوفى سنة ٦٥٦ للهجرة في دار صفي الدين محمد بن معد العلوي ببغداد[٨] . وترجمه القفطي[٩] .

فالمخطوطة اذن مخطوطة ثمينة كتبها رجل عالم بما يكتب ومتخصص بعلم الأنساب ،

(١) بغية الوعاة ص ٢٣٠ .

(٢) محب الدين أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري . ولد سنة ٥٣٨ ، وتوفي سنة ٦١٦ للهجرة (راجع نكت الهميان ١٧٨ . والبغية ص ٢٨١ ، والشذرات ٥/٦٧ ، والملحق لبروكلمن ١/٤٩٦) .

(٣) مصدق بن شبيب ولد سنة ٥٣٥هـ وتوفي سنة ٦٠٥هـ « البغية ٣٩١ » .

(٤) « البغية ٢٣٠ » .

(٥) أحمد بن علي بن هبة الله بن الحسن المعروف بابن المأمون ، ولد سنة ٥٠٩ وتوفي سنة ٥٨٠ « البغية ١٥١ ، ٢٣٠ » .

(٦) « البغية ٢٣٠ » .

(٧) البغية ٢٣٠ ، ارشاد الأريب ٤/٣ ، أعطاني الدكتور ترجمته من كتاب « الحوادث الجامعة » لابن الفوطي ، ولم يكن لدي ، جاء ذكره في ص ١٣٧ من حوادث سنة ٦٣٧هـ . وذكر لي أنه مترجم في طبقات الحنفية الموسوم بالجواهر المضيئة لمحيي الدين القرشي « ج ١ ص ٢٠٥ » وذلك يدل على أنه كان حنفيا . وأشار القرشي الى أنه نقل ترجمته من تاريخ بغداد لابن النجار البغدادي .

(٨) شرح نهج البلاغة ٣/١٩٢ ، أشار الى ذلك الدكتور مصطفى جواد محقق « الحوادث الجامعة » ، وكذلك السيد محسن الأمين في كتابه « أعيان الشيعة » ٢٣/٣٠٤ .

(٩) أعيان الشيعة ٣٢/٣٠٤ .

كان من الهوين لكتابة الكتب ، كتبها من نسخة أخرى بعد وفاة والده بسنين . ولهذه الاعتبارات أهمية كبيرة كما هو بين .

لقد تبين لي من مطالعة مخطوطة المتحف البريطاني أنها ليست جمهرة ابن الكلبي رواية محمد بن حبيب كما ذهب الى ذلك المستشرقان « ليفي ديلافيدا » و « ليفي بروفنسال » ، بل هي جمهرة ابن الكلبي مضافا اليها أشياء لم ترد في الجمهرة ، وقد ذكر ذلك جامع المخطوطة في مواضع متعددة منها ، جاء في الورقة ٧٥ ب « الربائع من غير كتاب الكلبي » ، وجاء في السطر الأول من الورقة ٩٣ب « هكذا قال الكلبي ..... » ، وجاء في آخر هذه الورقة : « ليس هذا عن الكلبي » ، ثم عاد في الورقة التالية لتلك أي ورقة ٩٤ فقال : « رجع الى الكلبي » وجاء في السطر السادس من الورقة ٢١٨ « لم يعرفهما ابن الكلبي ، قال أبو جعفر : وقال مرة أخرى وقد صح » ، وورد في الورقة ٢٥٢ب « فدخل فيهم ابن أحيحة في قول ابن الكلبي . وأما ولده ، فقالوا ... » . وتدل كل هذه المواضع ومواضع أخرى على أن هذه المخطوطة ليست النسخة الأصلية للجمهرة ، وانما هي الجمهرة مضافا اليها شروح وزيادات لم ترد في الجمهرة وأن الجامع لها رجل آخر غير ابن الكلبي .

أما راوي الكتاب ، فهو أحد رواة محمد بن حبيب ، لا محمد بن حبيب نفسه كما ذهب اليه المستشرقون « كرنكو » ، و « ليفي ديلافيدا » ، و « ليفي بروفنسال » . وقد نص على ذلك بوضوح في مواضع كثيرة من الكتاب : جاء في الورقة الأولى « أخبرنا محمد بن حبيب ، عن هشام بن محمد ... » ، وجاء في الورقة « ١٩٣ » : « حدثنا محمد بن حبيب ، قال : أخبرنا هشام بن الكلبي ... » ، وقد تكرر ورود هاتين الجملتين في مواضع كثيرة من الكتاب . ولو كان الكتاب رواية محمد بن حبيب ما استعملت صيغة « أخبرنا » و « حدثنا » التي تنبيء أن المتحدث رجل آخر روى عن ابن حبيب . وجاء في الورقة ١١٨ ب بالسطر ١١ : « هؤلاء المقتربات من بنات هاشم ، من كتاب محمد بن حبيب عن الكلبي » وفي الورقة ١١٩ ب سطر ١٤ : « جمهرة نسب قيس عيلان بن مضر ، عن ابن الكلبي ، عن كتاب ابن حبيب » . ويفهم من هذين الموضعين أيضا أن راوي الكتاب هو رجل آخر أخذ من كتاب ابن حبيب . فمن يكون هذا الرجل الذي روى عن محمد بن حبيب ؟

هذا الرجل هو أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري المتوفى سنة ٢٧٥ للهجرة[١] . كان من مشاهير علماء اللغة والنحو والأدب والأنساب ، كما كان من

(١) ولد سنة ٢١٢ للهجرة . وقيل : توفي سنة ٢٩٠ للهجرة . راجع تاريخ بغداد للخطيب ٢٩٦/٧ ، والارشاد لياقوت ٦٢/٣ ، والبغية ٢٠٨ ، والفهرست ١١٧ ، والآمدي : المؤتلف ١٤٨ ، بروكلمن : الملحق ١٦٨/١ . ...

المشهورين بجمع الكتب ، ومن النساخين المعدودين ، وقد مدحه السيوطى فقالفيه انه « كان ثقة صدوقا يقرأ القرآن وانتشر عنه من كتب الأدب ما لم ينتشر عن أحد من نظائره ، وكان اذا جمع جمعا فهو الغاية فى الاستيعاب والكثرة ، وصنف :

١ ـ النقائض ٢ ـ النبات ٣ ـ المناهل والقرى ٤ ـ الوحوش ٥ ـ الأبيات السائرة ٦ ـ النبيزة ٧ ـ كتاب الشعراء المعروفين بأمهاتهم . وقد أشار اليه أبو القاسم الحسن ابن بشر الآمدى المتوفى سنة ٣٩٠ فى كتابه المؤتلف والمختلف[١] ٨ ـ جامع شعر النعمان بن بشير ٩ ـ كتاب من قال بيتا فلقب به ١٠ ـ كتاب اللصوص ١١ ـ كتاب أشعار هذيل .

وجمع شعر جماعة من الشعراء منهم امرؤ القيس ، والنابغة الذبيانى ، والقطامى ، والجعدى ، وزهير ، ولبيد . وعمل من أشعار القبائل شعر بنى هذيل ، وبنى شيبان ، وبنى يربوع ، وبنى ضبة والأزد ، وبنى نهشل وتغلب ، وغيرهم[٢] .

كان السكرى من مشاهير رجال المدرسة البصرية ، وكان من رواة محمد بن حبيب ، روى عنه أكثر كتبه ، ومنها هذا الكتاب الذى نتحدث عنه ، وروى عن المؤرخ البصرى الشهير عمر بن شبة النميرى المتوفى سنة ٢٦٢ للهجرة[٣] من علماء البصرة بالنحو والأخبار والأدب ، وهو صاحب مؤلفات كثيرة ، وكان من مشايخ الطبرى ، وقد استعان بمؤلفاته فى تأريخه ولا سيما فى أخبار مدينة البصرة ، أخذها من كتابه « أخبار البصرة » .

وأخذ عنه محمد بن عبدالملك التأريخى كما سمع نفرا آخرين من العلماء ، منهم : يحيى بن معين ، وأبو حاتم السجستانى ، وأبو الفضل العباس بن فرج الرياشى المتوفى سنة ٢٥٧ للهجرة .

وقد ورد اسم السكرى صراحة فى مواضع من الكتاب ، جاء فى حاشية الورقة « ٢٤٢ » : « قال السكرى : قال ابن حبيب : حفظى حمصان » ، وهو تعليق على أبيات ورد فيها اسم « بنو حمضان » . وجاء فى السطر السابع من الورقة (٢٤٦) : « هؤلاء بنو أياد بن نزار بن معد . كان فى النسخة التى نقلت منها آخر الجزء الخامس من أجزاء أبى سعيد السكرى التى بخطه وتصحيحه » ، وذكر اسمه فى الورقة (٢٤٧) جاء فيها : « آخر المجلد الخامس وبخطه على ظهر السادس من المجلدات أعنى أبا سعيد السكرى ،

---

(١) المؤتلف والمختلف طبع بتحقيق « كرنكو » القاهرة سنة ١٣٥٤ راجع ص ٢٤٨ ، ١٤٩ ومواضيع أخرى .

(٢) ياقوت : الارشاد ٣/٦٤ ، الفهرست ١١٧ .

(٣) وقيل : ٢٦٤ للهجرة ـ راجع : البغية ٣٦٤ ، ابن حجر : التهذيب ٧/٤٦٠ ، ياقوت : الارشاد ٦/٤٨٩ .

توفي محمد بن حبيب يوم الخميس لسبع بقين من ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومئتين بسر من رأى • توفي يعقوب بن السكيت يوم الأحد في رجب سنة ثلاث وأربعين ومايتين ، توفي المازني سنة ثمان وأربعين ومئتين ، توفي الزيادي سنة تسع وأربعين ومئتين • وبخطه علي بن نصر بن علي بن نصر بن صهبان بن ••• » •

يظهر من هذه المواضع ومن أماكن أخرى أن راوي الجمهرة هو أبو سعيد السكري ، وأن النسخة التي نتحدث عنها قد نقلت اما عن هذه النسخة نفسها واما عن نسخة أخرى مستنسخة عن نسخة السكري ، ويظهر أيضا أن الكتاب يتألف من عدة أجزاء ، وأن السكري كان قد علق عليها تعليقات مختلفة لا علاقة لها بالمتن ، غير أن الناسخ أدخلها في الأصل فأصبحت غريبة نابية يمكن استخراجها من الأصل ، مثل ما جاء في السطر السابع من الورقة (٢٤٦) : « هؤلاء بنو أياد بن نزار بن معد » ، فنحن بازاء تعليقات مختلفة يظهر أنها خطرت على بال السكري فدونها في آخر الجزء الخامس وعلى ظهر الجزء السادس فأدخلت في متن الجمهرة • اننا نجد نسب أحمد بن أبي دواد ، ويليه أسماء مساجد أولها مسجد بني غبر بن غنم ، ثم تنتقل فجأة في الورقة ٢٤٦ ب الى التحدث عن حروف المسند وأشكالها منقولة من كتاب ابن خرداذبه • ظهرت هذه التعليقات في القسم الأخير من الكتاب • فأما القسم الأعظم منه ، وهو الصفحات المتقدمة على الورقة ٢٤٠ ، فانه مستقيم ، وللتعليقات والشروح مكان فيه ، كما أنه لم يتطرق فيه الى ذكر الأقسام ،كأن يقال « آخر الجزء الأول » ، أو « آخر الجزء الثاني » وهكذا ، بل تذكر فيه الأنساب جمهرة جمهرة بانتظام ، وأظن أن هذه التعليقات التي أدخلت على آخر الكتاب انما أضيفت على سبيل الاستذكار فأصبحت كأنها من الأصل •

واذ كانت الصفحة الأخيرة من الكتاب قد أشارت الى أن هذا القسم هو الجزء الأول منه ، ثم يليه الجزء الثاني ، نرى أن الكتاب كان يتألف من عدة أجزاء ، وقد أخبرتني ادارة المتحف البريطاني أنه كان يتألف من خمسة أجزاء • والظاهر أنه كان يتألف من ستة أجزاء كما أشير اليه في تضاعيف الكتاب •

وتقابل نهاية هذا الجزء الذي نتحدث عنه ، وقلنا : ان راويه هو السكري ، لا محمد بن حبيب ، الصفحة « ٦٧ » من مخطوطة ذات أهمية كبيرة بالنسبة لكتابنا ، وهي في الأنساب كذلك ، أعني بها « المقتضب من كتاب جمهرة النسب » لياقوت الحموي ، فهي اختصار لأصل « جمهرة النسب لابن الكلبي » • وتوجد للمقتضب

نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية[١] وقد أخذنا عنهـا صورة فوتغرافية (للمجمع العلمي العراقي) فحفظت في خزانته برقم ٦٣/م ، وهي النسخة التي اعتمدت عليها في مقالي هذا ، وتقع في «١١٧» ورقة . وعلى هذا تكون عدة الأوراق البالغة «٢٦٠» ورقة التي تؤلف مخطوطة المتحف البريطاني نصف مادة النسبالواردة في « المقتضب من كتاب جمهرة النسب » . وأما النصف الباقي ، وهو في نسب القحطانيين ولم يعثر على نسخ أخرى منـه حتى الآن ، فهو غير النسـخة المحفوظة بالأسكوريال التي يظن أنها الجزء الثاني من الكتاب ، وانما يجب أن يكون أوسـع حجما من الجزء الأول ، لكونه خاصا بالقحطانيين الذين ينتمي اليهم ابن الكلبي ، ولما عرف عنه من التوسع في أخبارهم والافاضـة في ذكر حوادثهم ولو أداه ذلك الى الافتعـال والوضع وتهويل الحوادث عصبية منه لليمانيين .

وتتألف مخطوطة « المقتضب من كتاب جمهرة النسـب » من جزءين ينتهي الجزء الأول منهما بالورقة « ٤٥ » ، وآخره « ولد كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة » . ويبتدىء الجزء الثاني منه بولد هلال بن عامر بن صعصعـة ، وينتهي بنسب « الهان بن مالك أخي همدان » . وبهذا النسب ينهي ياقوت نسب آل قحطان .

وذكر أحمد زكي باشا ، رحمه الله ، في مقدمتـه لكتاب الأصنام أن المستشرق الألماني « بكر » « Becker » المعروف ، صاحب كتاب « دراسات اسلامية[٢] » ، يظن أن مخطوطة « المقتضب من كتاب جمهرة النسب » لياقوت الحموي ليست هي المقتضب ؟ لأن الترتيب فيها مخالف للذي في كتاب الفهرست وللوارد في النسخة التي رآها في الأندلس وشرح أحوالها[٣] . ولست في وضع أستطيع معه ابداء رأي فيما كتبـه المستشرق ؟ لأن المجلة التي نشر فيها رأيه ، وهي « مجلة الجمعية الألمانية الشرقية ، «ZDMG» ، لا توجد في العراق في الوقت الحاضر ، غير أني أستطيع أن أقول : انه ان كان هذا الرأي هو رأي المستشرق بكر فهو رأي لا يستند الى أساس أبدا بالنسبة لمخطوطة المتحف البريطاني ، فقد أخذت المخطوطتين : مخطوطة المتحف البريطاني ، ومخطوطة « المقتضب » لياقوت ، وقابلت بينهما من أول صفحة الى آخر صفحـة ، فوجدت اتفاقا تاما في الترتيب والتبويب وزيادات وتعليقات في المخطوطة البريطانيـة

---

(١) وهي محفوظة تحت رقم ٧٥٣٥ عمومية ، وتحت رقم ١٠٥م تاريخ . فهرست الكتب العربية التي بدار الكتب المصرية ص ٣٥٥ حـ ٥ رقم ٢٧٨٥ ، ١٠٥م .

(٢) Islam Studien. 2 Vol.

(٣) مقدمة أحمد زكي باشا لكتاب الأصنام ص ٢١ حاشية ٢ .

ليست من صلب المتن ، أدخلها السكرى من كتب ابن حبيب ومن كتب أخرى ، وحواشى تعرف بسرعة أنصاحبها السكرىنفسه ، وذلك مما يدل على أن « المقتضب » هو اقتضاب فىالواقع للمتن الأصلى « لجمهرة النسب » لابن الكلبى ، وليست فيه مخالفة فى الترتيب والتبويب لجمهرة ابن الكلبى . وقد سبق أن قلت : ان مخطوطة المتحف البريطانى هى متن مخطوطة « جمهرة النسب » لابن الكلبى مضافا اليها زيادات وحواش ليست كثيرة دون احداث تغيير فى المتن .

فـ « المقتضب فى جمهرة النسب » هو اذن جمهرة ابن الكلبى بصورة موجزة ، وقد اقتصر ياقوت على أصول الأنساب ، وترك الفروع والتفاصيل والشروح ، ولذلك لا نجد بدا من الاستعانة بهذا الموجز على احياء كتاب « جمهرة ابن الكلبى » الذى أصبح من الممكن احياؤه فى زماننا بالمقابلة بين النسخ المختلفة ومقتضب ياقوت وكتب الأنساب والأخبار التى نقلت كثيرا من جمهرة ابن الكلبى .

ولا بد لاحياء جمهرة ابن الكلبى من الاستعانة بكتب أخرى نقلت من النسخة الأصلية للجمهرة ، مثل : « كتاب الاشتقاق » لابن دريد المتوفى ٣٢١ للهجرة ، وهو فى الأنساب وقد طبعه المستشرق « وستنفلد[١] » ، و « كتاب الاصابة فى تمييز الصحابة » لابن حجر العسقلانى ، و « شرح نهج البلاغة » لعزالدين أبىحامد عبدالحميد بنهبة الله المدائنى الشهير بابن أبى الحديد[٢] ، ومؤلفات أخرى .

ومن المفيد الاستعانة بكتب الأنساب المعروفة ، مثل كتاب « جمهرة أنساب قريش » أو « الجمهرة فى نسب قريش » أو « كتاب نسب قريش » لأبى عبدالله مصعب بن عبدالله بن ثابت بن عبدالله بن الزبير الزبيرى المتوفى سنة ٢٣٣ للهجرة ، ومنه نسخة مخطوطة فى المتحف البريطانى رقمها « Or. 1ı336 » ، حصل (المجمع العلمى العراقى) على صورة فوتغرافية منها حفظت فى خزانته برقم ٦٨/م . وقد اعتمد عليه ابن أبى الحديد كثيرا فى شرحه لنهج البلاغة ، وهو يتألف من « ١٢ » جزءا تضمنت نسب قريش ؛ وبكتاب « جمهرة أنساب العرب » لأبى محمد على ابن سعيد بن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٦ وقد طبعه المستشرق « ليفى بروفنسال » بعناية « دار المعارف بالقاهرة » ، ولقد وجدت فى الطبعة غلطات لا تغتفر ، مثل قوله فى ص « ٤١٠ » « آخر ملوك بنى جعفر » ، والصواب أن هذه الدولة هى دولة « آل يعفر » ويقال لها الدولة اليعفرية لا الدولة الجعفرية ، فيجب أن يقال « آخر ملوك بنى

(١) بمدينة كوتنكن « (Göttingen) سنة ١٨٥٤م .
(٢) ١/٢٦٤ ، ٢/٥٢٩ ، ٣/٤٦٢ ، ٤٧٠ .

يعفر » . وقال : « محمد بن علي الصلحي » ، وكان عليه أن يكتبه الصليحي ، وقد ترجمه ابن خلكان في الوفيات[١] . وجاء في ص ٤٤٥ : « قبيلا همدان : حاشد وبكيل ابنا جشم بن خيوان بن نوفل بن همدان » ، وهذا خطأ وصوابه « ابن نوف » ، ومواضع أخرى ربما أذكرها في جزء آخر من المجلة .

وقد ذكر لي الأستاذ الفاضل السيد حمد الجاسر مفتش معارف الظهران بالمملكة العربية السعودية أنه تتبع الكتاب فوجد فيه غلطات ونقصانا عن مخطوطة القاهرة ، وأراني نموذجا من ذلك كان لديه ، فقد ورد في مخطوطة القاهرة أسواق العرب في الجاهلية في الورقة ١٩٩ ولم يذكره « ليفي بروفنسال » في طبعته لابن حزم ، وذلك مما يدل واضح الدلالة على أن المستشرق لم يكن دقيق النظر في النشر ، وأنه لم يقابل النسخ مقابلة تامة[٢] .

ونجد نماذج من كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي وردت في أثناء « ديوان المفضليات » لأبي العباس المفضل بن محمد الضبي ، شرح أبي محمد القاسم بن محمد ابن بشار الأنباري الذي اقتبس كثيرا من كتب هشام بن الكلبي[٣] في الأنساب وفي الأيام مثل « يوم الرقم » فقد أخذ رواية هشام[٤] . ويوم الكلاب الأول[٥] ، وفي تشعب القبائل وأخبارها[٦] ، وغير ذلك . ويمكن أن نقول : ان قسما من كتاب ابن الكلبي قد نشر في شرح المفضليات . ونجد في هذا الكتاب زيادة على ذلك نماذج من رواية ابن حبيب في النسب تساعد من يريد تحقيق جمهرة ابن الكلبي واخراجها .

جواد علي

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١/٤٦٥ .

(٢) نشر الفاضل السيد حمد الجاسر نقدا لتحقيق الأستاذ ليفي بروفنسال « جمهرة أنساب العرب » بعنوان « نظرة في كتاب جمهرة أنساب العرب » في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد الخامس والعشرين ، الجزء الثاني ، نيسان ١٩٥٠ ، ص ٢٤٧ فما بعدها .

(٣) ديوان المفضليات ، طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢٠ ، بعناية « كارلوس لايل » . ص ١ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٥ .

(٤) ص ٣٠–٣٤ .

(٥) ص ٤٢٧ فما بعدها .

(٦) ص ١١٤ .

المطبوعات

المذكرات

تأليف الأستاذ العلامة محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق . قوامها ٣ أجزاء عدد صفحاتها ٩٩٢ ، طبعت بمطبعة الترقي في دمشق ، الأول والثاني منها في سنة ١٣٦٧ = ١٩٤٨ ، والثالث في سنة ١٣٦٨ = ١٩٤٩

مؤلف هذه المذكرات آري عبقري كسبت به العربية والاسلام في هذا العصر خيرا كثيرا : أخرس لسان الشعوبية ، وحسم باطل المضللين ، وحمى حوزة الحق . ولد في دمشق حيث العروبة نابضة العرق والاسلام خفق اللواء ، من أب كردي من مدينة السليمانية وأم شركسية من قفقاسيا ، فاستهوت عقله بلاغة العربيـــة ، واستولى على لبه جمـــال الاسلام ، حتى فني في حبهما فناء العاشق في معشوقه ، وخدمهما بما تنوء به العصبـــة أولو القوة . تخب به راحلة العمر الآن نحو الثمانين ، وهو في دؤوبه على خدمتهمـــا والنضح عنهما واعلاء شأنهما كما كان في عنفوان شبابه : تدر عروقه نشـــاطا ، ويتوثب ذهنه قوة ، ويزكو عمله الدائب خصبا ونماء .

وقد أنفق بواكير حياته في الدرس والتحصيل ومثافنة العلماء والأدباء ، وكان من أساتذته الشيخ طاهر الجزائري ، ومنزلته في بلاد الشام كمنزلة الشيخ محمد عبده في الديار المصرية ومنزلة استاذنا العلامة السيد محمود شكري الألوسي فيالعراق . وصرف كهولته وشيخوخته في كل عمل مفيد لدينه ولغته ووطنه ، فعانى الصحافة مدة طويلة ، والصحافة مختبر يعين على فهم الناس ومعرفة ألوان الحياة . وغامر في ميادين السياســـة فأدركه التوفيق والخيبة وذاق الحلو والمر ، وأوقعته جراءته في مآزق كثيرة نجا منهـــا بالهزائم الى مصر والحجاز ، ولكنها أسلمته الى ركوب المخاطر في الصحاري ، ومعاشرة أهل المدر والوبر ، وأكل جريش الحنطة وخبز الملة ، وشـرب الماء الرنق والآسن ، والنوم بالعراء . وتقلب في مناصب كبيرة ، وكان أحـــد القلائل الذين أوصلهم فضلهم وبلاغتهم الى الوزارة ، وندر من وصل اليها بهـــاتين الوسيلتين في بلاد العرب كافة في هذا العصر . ثم انصرف عن السياسة انصرافا تاما ، وآثر التفرغ للعلم والتأليف وهمـــا في بلاده ، كما في كل بيئة ضيقة ، هين شأنهما ، محصوصة أجنحتهما ، فرفع بجهـــاده لهما من شأنهما ، وطار بهما كل مطار . وقد رحل أربع رحلات الى بلاد الغرب يبحث

فى خزائن كتبها العظيمة عن الأصول التى تجلو حضارة العرب والاسلام فى معارضها الفاتنة ، ويدرس أحوال الشعوب الغربية وطبائعها وشؤون العمران والادارة ونظام الدولة عندها ليكسب بذلك علما ينقله الى وطنه فى طوره الجديد ، طور الانتقال والتجديد . وعمل على تنظيم دار الكتب بدمشق لتكون مرجعا ميسورا للباحثين ، وحث الناشئين على التعلم ، وشجعهم ، وامتد تشجيعه الى كل من توسم فيه نبوغا من الشاميين وغيرهم ، وافتتح بكتبه (« خطط الشام » و « الاسلام والحضارة العربية » و « أمراء البيان » و « القديم والحديث » و « أقوالنا وأفعالنا » و « المذكرات » وغيرها) عهدا جديدا فى سورية للتأليف المبتكر الذى انقطعت الصلة بمثله منذ عصور . وأسس (المجمع العلمى العربى)وهوأعظم صرح للعلم قام فى ديارالعرب فى أيامنا بمجهود رجل ، وقد لقى فى سبيله الأ لاقى ، فلم تثنه عن بنائه وتثبيته وتبنيه ولفت أنظار الناس اليه ، رفع به اسم بلاده ، وخدم به العلم والتأريخ ولغة العرب ، وجعله مثابة كبار العلماء والأدباء من العرب والمستعربين من علماء المشرقيات ، وكان من نتاجه الطيب خمسة وعشرون مجلدا من مجلته التى حفلت بالروائع من آيات العلم والبحث والتحقيق ، وطائفة حسنة من الكتب النادرة أحياها بالنشر . وما برح يواصل جهاده فى احياء التليد وابتكار الطريف فى العلم والأدب بهمة لا يعروها الفتور ورغبة لا يدركها السأم ، وكذلك شأن المطبوعين على حب المعرفة واذاعة الخير .

***

وهذه (المذكرات) من آخر ما قدمه العلامة الجليل الى الأمة العربية من مؤلفاته ، وهى مرآة حياته ومستودع أفكاره وآرائه وسجل العصر الذى عاشه والرجال الذين عاشرهم وخالطهم فى الشام ومصر وأوربة ، حفلت بصنوف من صور الحياة وخفايا الناس وألوان من التجارب والاختبارات والأحوال والنزعات والآراء والمثل والعبر فى السياسة والاجتماع ، وفى الدين والثقافة ، وفى الاخلاق والعادات . عرض فيها للدول والجماعات كما عرض للأفراد ، وعنى بالشؤون الكبار والصغار ، ونظر فى كل ذلك الى القيم والأقدار من حيث آثارها ، فلم يقومها بالجاه والمنصب والمال والشهرة ، بل قومها بالفضل والأدب والجهاد ونبل النفس ، فهى وأمثالها المعايير التى وزن بها الرجال والأعمال ، وأصدر عنها أحكامه ، فربما أعلى من شأن حوذى لاحسانه وطيبة نفسه ، وحط من قدر زعيم من زعماء المال أو الجاه أو المنصب لأن سيرته مؤذية أو لأنه لا خير عنده ولا نفع للأمة من حياته . وهكذا خاض فى شؤون وأحوال شتى ، ودون ارتساماته وآراءه فى صراحة وصدق ، فسمى الأشياء بأسمائها ، وجلا كثيرا من

الحقائق الخفية عوارى ليس عليها ثياب ولا من دونها ستر أو حجاب • وهـذا هو الذى يجدى تدوينه فى باب التجديد والاصلاح •

لست أزعم أن المؤلف قد سلم له كل ما دونه من ارتساماته وآرائه ، ولا سيما فى السياسة والرجال ، فانه هو نفسه يعترف فى آخر هذه المذكرات (٩٩١) بأنه « ربما وقعت له هنات كان الأجدر أن يسلم منها كتابه » ، ثم يذكر السبب فى وقوع هذه الهنات لـه فيقول : « وما كان السبب فيها الا بعض من أدلوا الينا بمعلومات وهموا فيها » • وليتـه أشار الى هذه الهنات ، وبين وجه الخطأ الذى لم يعصم منه ، لتتميز مروياته عن انطباعاته وآرائه ، وليعرف النـاس ــ ومن حقهم أن يعرفوا ــ هـذه الهنـات التى وقعت له ، و « من فيك أحلى » •

وقد مررت فى كتابه بأشياء لا أحسبها من هـذه الهنات التى عناها ، بل هى من باب آخر مما يتصل بالسياسة وبالرجال ، وعلى بعضها طابع العجلة والارتجـال ، وعلى بعضها أثر الحدة و « الانفعال » ، وما يدرينا اذا أخذنا فى سردها ، وهى ليست بالكثيرة ، أنه سيقول فى ردنا ما قاله فى تلك الهنـات (٩٩١) : « من ذا الذى عصم من الخطـأ ؟ والاجتهاد يختلف فى الحكم على من اشتركوا فى معاناة المصالح العامة اختلافه فى انصافهم على ما يوجب الحق ، ويكفى المؤلف وهو يفيض فى مسائل متشعبة أن يحمل الى قرائه ما خبره بنفسه » ، فيسد بوجهنا الطريق الى مجاذبته أطراف الحوار !

***

وهو يقدم هذه (المذكرات) فيقول : « ليس الموضوع الذى أعالجه الا ن ذا مكانة كبرى اذا نظر اليه أنه مذكرات شخصية كتبها رجل ما كان فى مقام تشخص اليه أبصار العالم ، ولا هو من أمة كان له التقديم والتأخير فى مجرى سياستها • أنا أعرف ما كان لبـلادى الى عهد قريب كيان تعرف به فى العرف الدولى ، ولا هى من احكام الأمر بحيث يرهب بأسها ويسمع صوتها ، ولا هى من العلم والفن بحيث يمكن لها فى مجالس العلمـاء ، ولا هى رابحة الصفقة فى أسواق الحضارة ، فيتنافس العارفون فى اقتناء بدائعها وأعلاقها، وأعلم أن من الأشياء ما يكبر بكبر مصدره ، ومن الرجال من يعظم فى العيون بقـدر ما لأمته من عظمة » •

ونقول على سبيل تقرير الواقع ، وهى غير سبيل المؤلف فى هذا التواضـع : ان موضوع مذكراته انما يتمتع عنـدنا فى جملته بمكانة ملحوظة من ناحيتين : شخصيـة المؤلف الذى يتميز بطول الخبرة ، وصدق اللهجة ، وصراحة الأداء • وبحسبه أنه فى مقام تشخص اليه أبصار قومه ان لم يكن فى المقام الذى تشخص اليه أبصار العالم ، وهو

انما يكتب لقومه لا للعالم ، وللعالم بعد ـ اذا شاء ـ أن يستفيد مما كتب، ففي خبرته ثروة انسانية لا غنى عنها للمستفيد من أى أمة كان .

هذه ناحية ، والناحية الأخرى هى مزية الكتاب من حيث أنه حفلت صفحاته الـ ٩٩٢ بمسائل متشعبة مما اضطربت به الحياة فى مصر والشام وغيرهما من أقطار العرب ، وخبرها المؤلف بنفسه فى مدى ستين عاما ، أى منذ وعيه ومعاناته الصحافة والسياسة وهو شاب يافع ، وقد عاصر ظهور اليقظة وساير ما لابسها من أحداث وتطورات وانقلابات وكان له فى معظمها رأى ومقال ، وتلك مزية جليلة منظور اليها من حيث انها تستمتع بفضيلة الاختبار الشخصى ، وهى ليست بالميسورة لكل أحد فى معظم الأحوال . وليست هذه اليقظة التى يدون المؤلف ارتساماته عنها وآراءه فيها ، وقد جاءت بعد سبات طويل غط فيه العرب والمسلمون غطيطا أحقابا ، بهينة الشأن أو قليلة الخير أو ضعيفة الأثر فى الحياة العربية كما يظن الظان لأول وهلة ، حين يجدها لم تؤت بعد أكلها ، ومن عادة الناس أن يقرنوا أحكامهم بالنتائج لا المقدمات ، واذ كانت النتائج لم تظهر بعد ، وقد تلوح للأنظار بعيدا بلوغها ، فهم لا يحسون حسا قويا آثار هذا التطور فى كل ناحية من نواحى الحياة ، ولذلك هم لا يكبرون شيئا من أشيائه ، بل لعلهم لا يرون فى الغالب الا نقائصه ، وتظل أذهانهم عالقة بصور الماضى وأطيافه وغافلة عما يختلج دونهم من نوازع التقدم والحياة .

فان لم يكبر السواد مصدر هذه المذكرات ، كما يريد المؤلف أن يظن ، فالخواص الذين يقدرون قيم الأشياء حق قدرها جد عليمين بقيمة هذا المصدر ؟ واذا كان « من الرجال من يعظم فى العيون بقدر ما لأمته من عظمة » فالعلماء بالحقائق لا تغيب عن بالهم عظمة الأمة الاسلامية التى منها المؤلف فى ابان مجدها وفيما تركته من تراث يسعى المؤلف ونظراؤه فى احيائه . واذا قل مشاركونا فى الشعور بعظمة أمتنا فى التأريخ ، فحسبنا ـ نحن العرب ـ شعورنا بها ، ذلك الشعور البالغ الذى يحفزنا الى البناء كما بنى أوائلنا ، ويجعل كل بناء منا عظيم القدر فى عيوننا بقدر ما فى نفوسنا من شعور بعظمة أمتنا وايمان بمجدها .

***

كتب المؤلف كتبا كثيرة « كان الجد سداها ولحمتها ، وما جوز لنفسه الحياد عن قوانين المؤلفين ، ولا الصدود عن آيين المتقدمين والمتأخرين » و « أراد هنا ـ فى المذكرات ـ أن ينزع قيودا أثقلته وهو يراعيها ، وأن يبعد عن ذلك الطراز المقيد ، ويخرج الى الأسلوب المطلق » ، وقال :

... أحاول اليوم ، وقد رأيت الدنيا مهزلة ، وذقت حلوها ومرها ، وكرعت خمرها وخلها ، أن أهزل أحيانا ، وأسخر أحيانا ، وأضحك أحيانا ، وأبكي أحيانا ؛ لأن نفسي سئمت التزام الجد ، وتبرمت من الاضطراب فيه زمنا طويلا ، وطبيعتي تعصى على الشيء الرتيب » .

وكذلك قال زهير بن أبي سلمى من قبل :

سئمت تكاليف الحياة ، ومن يعش ثمانين حولا — لا أبا لك — يسأم !

وبدهي أن من يكتب بهذا الأسلوب المطلق عن أهل عصر يعيش بين ظهرانيهم ، ويعطى كل انسان كتابه بشماله ، انما يعرض نفسه لنصب الناس وسوء قالتهم في حقه كالذي حدث له من بعض أصحابه وأحبائه بمصر حين نقد سلوكهم معه فثاروا عليه يناوشونه المطاعن وقوارص الكلام ، وليس بمثل هـذه السهولة تنسخ المودات بين الأصدقاء وتنسى العهود بين العلماء .

ولكن المؤلف الذي أراد أن ينزع قيود الجد هنا ، قد غلبه الجد في أحايين كثيرة ، وعقد العزم على ألا يحفل غضب انسان كائنا من كان مذ قال : « ربما يتألم بعض من عرضت لذكرهم بما يسخطهم ، فأنا لا أحفل غضبهم ، ولا أسعى الى رضاهم . ولعلي تعمدت أحيانا هتك سترهم ، لأنهم يهتكون بأعمالهم ستر هذه الأمة لا يبالون . »وهو يعني بهؤلاء غير من عنيتهم من رجال العلم والأدب ، وهم من أجل اصدقائه ، وما أحد منهم هتك ستر هذه الأمة بحمدالله . ثم يمضي في حديثه بل في ثورته فيقول : « واذا كنت لم أستخذ أمام من كان في أيديهم النفع والضر ، فأنا لا أصانع من لا يرضيهم الا سكوتي عن مساويهم . دأبت على قتال الأردياء ، والشباب غض ، والرغبة في اطالة حبل الأجل عظيمة ، فحرى بي ألا أكف عنهم ، وأنا أطوى آخر مراحل العمر ، وأنفض اليد من بهرج الحياة . قصدت بما دونت التحذير من دجل الدجالين ، والتنبيه على أحابيل المبطلين ، والعمل على مكافحة الظالمين ، ليعرف أن كل جيل لا يخلو من دعاة يحلو لهم الجهر بالحق مهما جشمهم ، ومن أفضل الطرق اليه ضرب السفهاء في وجوههم بعيوبهم . جربت السكوت عمن لم يأتوا ببرهان واحد على حبهم الخير ، وما جنيت من الاغضاء الا البلاء . الجهر بالحق ، ومقاومة الظلم ، من أول مراتب النهوض ، والساكت عن الحق شيطان أخرس » .

هذا هو روح المذكرات ، أردت النص عليه من كلام المؤلف ، لأنه يحدد ما أراده من كتابتها تحديدا دقيقا في ايجاز ووضوح . وهو روح قوى خالج معظم صفحاتها ، وكان في بعضها — كما تجسمه في هذا التقديم من كلام المؤلف — كالسيل الهدار يدوي

صونه ويخرب أتيه ، ولكنه ينشأ مما يسيح من غرينه على الأرضين الصالحة نفع كبير .

والحق أن المجتمعات لا يمكن أن تحيا بالملق والمصانعة والرياء ، بل لعلها لا يقتلها شيء كما تقتلها هذه العيوب التي يتصف بها كثير ممن يتصدون لقيادة الرأى العام فيتملقونه ويصرفونه بهذه الأساليب ، وهم في الواقع لا يقودونه الى الرشـاد كما يظنون ، بل يقودونه الى الضلال والهلاك وما يشعرون ، و « صديقك من صدقك لا من صدقك » .

لقد نفض لنا مؤلف المذكرات الحر بهذا الأسلوب الجرىء خوالج نفسه وآلامها وآمالها ، يريد اصلاح المجتمع الذى عاش فيه وتطهيره من لوثاته ، و « كان يحرص فيها ألا يتكلم على نفسه ، وألا يقول قلت وفعلت ، فتعذر ذلك ؛ لأن أكثر ما فيها مما سمعته أذناه ، ورأته عيناه ، ووعته نفسه ، فمن الصعب ذكره مجردا من سـامعيه ورائيـه وواعيه . وهون عليه هذا الأسلوب أن رأى نفسه لم يأت بدعا ، وتابع طريقة من سبقوه من الغربيين في تدوين مثل هذه الارتسامات » .

***

وأنت في كتاب المؤلف هذا ، ان كنت جالسته ، كأنك تسمعه يحدثك ، فتجسم لك معانيه بما يرن في أذنك من صوته الأجش وتتخيله من صورة أدائه لكلام أداء يتفرد به في صراحته وطلاوته وحلاوته .

فأسلوبه كاتبا ، أسلوبه متحدثا ، وهو أسلوب مطامع ممتنع يختلط بأجزاء النفس ويأخذ بمجامع القلب ؛ لأنه فيض القريحة ، ووحى الطبيعة ، وقل في الكتاب من يكتب لك كما يحاورك ويخاطبك ليؤثر فيك . وسدى كلامه ولحمته الفصاحة والسلاسة ، يندر أن تلقيه مترخصا في لفظة أو تعبير .

ومن أروع منشآته في هذه المذكرات ، فصل عنوانه « في عشر الثمانين » ، جود فيه غاية التجويد ، أنقل لك ذروا منه ، لأنه يلخص منازعه ويقف قارئه على بلاغته . قال :

« يا نفس ! هو ذا الحادى يهيب بك لاجتياز المرحلة الأخيرة دراك ، وخفى في خف من أثقالك للحاق بمن تقدموك من الأهل والعشير ، فالوقت ضـاق وأنت على أوفاز ، والمنزل منزل قلعة .

« يا نفس ! لا تنضبى ولا تعتبى ، فقد عمرت طويلا ومتعت كثيرا ، وفتنت بجمال الوجوه ، وجلال الطبيعـة ، وهمت بصنع الخـالق والمخلوق ، واستكثرت من الخلان والمعارف ، وسعدت اذ كنت أقرب الى التفـاؤل من التشـاؤم ، والى الرجاء أدنى من القنوط ، والى السرور أكثر من الغم ، وعشـت في سـلطان الرضى طيبة الطبعة لا يهـ[illegible]

لأحد عندك .

« أكثر ما آذاك في طويل أيامك أن كنت تشهدين قوى ضائعة ، وطريق الاصلاح مهيعا أمام أصحاب السلطان وهم لا يسلكونه ، فطالبت طغاة الاستبداد بالقيام بواجبهم ، فساءتهم جرأتك عليهم ، وتربصوا بك الدوائر . وقاتلت الشعوبيين أعداء العرب من الترك والصهيونيين والافرنج فشق عليهم سماع صوت الحق ، وما استطاعوا أن ينالوا منك على ما حشروا من أبالستهم ، وافتروا من افكهم ، وأنت عزلى لا سلاح لك الا الحق الذي أخذ من قلبك والا الغرام باستعادة عظمة الأمة الذاهبة .

« يانفس ! الحق مر والصادع به معذب ، وصاحبه أبدا هدف لطعن الطاعنين ، ومن يحاول اصلاحا وتجديدا فهو عرضة للمصفقين والمصفرين ، ولا يكرثنك هذا فالمتعنون ما اعتادوا أن يستجيبوا لأول صارخ يحاول زحزحتهم عن عقائدهم ، ومتى هش أرباب الأرواح الجامدة لمن يحاول ادخال روح جديد عليهم ؟ والناس ما خلقوا كلهم عقلاء وحكماء .

« وكيف تطمعين يانفس في رضى الظالم والجاهل ، وأنت ما حلا لك غير مكافحة المستبدين والسارقين ، ومنابذة المخرقين والمضللين ، وكنت معهم بين عاملين : اما اقرارهم على فسادهم فتعدين من المنافقين ، أو الانكار عليهم وتحمل أذاهم فتقومين بواجب وتؤيدين دينا .

« عاشرت أجيالا ثلاثة كان في الأول معلموك ومؤدبوك ، وفي الثاني اخوانك ومعارفك ، وفي الثالث المستحسنون والمستهجنون لعملك . وكان جيلك الأول خير أجيالك لما تخلله من آمال وأحلام ، وبشارات بما كنت ترتجين في دنياك من استفاضة الصيت وارادة النفع .

« جهدت كأن الموت لا يلاقيك وكنت كل يوم تتوقعينه ، فما قصر حسابك له من أجلك و لازاد فيه ، وتعرضت للهلاك غير مرة فنجوت لا بحسن حيلتك بل بقضاء وقدر .

« وأدركت بأخرة أن ليس في العالم أمس واليوم وغدا غير التكرار ، وأن البشر في بلاء ومحنة ، فاذا خرجت من هذه الفانية وحسناتك عدل سيئاتك ، أو شالت الحسنات قليلا في ميزانك ، فقد فزت فوزا عظيما ، وأنت اذا لم يحقق الزمن أغراضك كلها ، فلست أول من أعوزته القوة وخانه التوفيق ، ولا أول من برد فدفن في التراب ، فلا تسألي خالقك بعد الذي جرى لك الا العفو والعافية » .

***

ولعلي ، بعد هذا ، لن أجد وصفا لهذه المذكرات خيرا مما وصف به الأستاذ ابن

العميد كتب أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، قال : انها « تعلم العقل أولا ، والأدب ثانيا » ، وكذلك هذه المذكرات .

وذكرت متنزهات الدنيا بين يدى أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد ، فقال : « هذه متنزهات العيون ، فأين أنتم من متنزهات القلوب ؟ » قالوا : « وما هى ؟ » قال : « كتب الجاحظ ، وأشعار المحدثين ، ونوادر أبى العيناء » . وأنا أضيف اليها رابعا : كتاب (المذكرات) ، فهو بدع فى كتب هذا العصر ، وما يرجى من نفعه أمتع وأفضل وأغزر .

محمد بهجة الأثرى

اليزيدية

تأليف الباحث الفاضل صديق الدملوجى ، قوامه « ٥١٨ » ص من القطع المتوسط ، وقد طبع بمساعدة مالية من المجمع العلمى العراقى ، فى مطبعة الاتحاد بالموصل سنة ١٣٦٨ = ١٩٤٩

اليزيدية سفر حافل بذكر عقائد اليزيدية وطبقاتهم الروحية ورسومهم وعاداتهم وشعائرهم ومناسكهم وكتبهم الدينية ، ومراقد أئمتهم وتبائلهم وعشائرهم ورؤسائهم وقراهم ، ورحلات المؤلف اليهم ونصه لجماعة منهم ، وتاريخهم القديم والحديث ، والانتقاد على من كتبوا فى أحوالهم من شرقيين وغربيين وغير ذلك .

ولقد استوعب هذا الكتاب أحوال اليزيدية الدينية وأحوالهم الاجتماعية واستوفاها بأسلوب واضح مستتب لم نجد فيه عيبا غير الغلطات النحوية المبثوثة هنا وهناك[1] ، والظاهر أن المؤلف تساهل فى اعتبار النحو فى كتابه لبعض الأسباب ، ومن هنا سرى اللحن اليه ، فعسى أن يستدرك ذلك فى الطبعة الثانية ، ليكون كتابه المرجع الأعظم فى أحوال اليزيدية مع سلامة تعبير وحسن تصوير .

وقد زين الكتاب بصورة المؤلف وصور أخرى موضوعية ، زادته حسنا الى حسنه ، ووضوحا الى وضوحه ، وباقتراحات اقترحها المؤلف لاصلاح حال اليزيدية وضمان مستقبلهم الاجتماعى والثقافى فانه خالطهم وصادق « كارف » عدة رجال منهم

(١) ففى ص ١ « الجهات الأربعة » وفى ص ٢١ « ونرجح ان الشيخ أبى بكر » وفى ص ٥٦ « لطيور هكذا دجالين » وفى ص ٦٣ « سوف لا تنم على يده » وفى ص ٨٠ « ان صخر الأول » وفى ص ٩١ « وهما هذين » وفى ص ١٠٠ « من اربعة وأربعين سنة » وفى ص ١٠٥ « ما لم يلاقيه أصحاب دعوة » ، أراد « الأربع وأبا بكر ودجالين كهؤلاء ولن تنم وصخر الأول وهما هذان وأربع وأربعين سنة وما لم يلاقه » .

فاستحقوا منه بذل النصيحة لهم والعطف عليهم والدعوة الى حفهم ورفهم •

وكثرة محاسن هذا الكتاب الجليل لا تمنعنا الاشارة الى ضعف فيه من الوجهة التاريخية يعز علينا أن نذكره ولعل الاخلاص فى النقد يشفع لنا عند المؤلف الفاضل فى ذكرنا اياه • ومن ذلك قوله فى ص « ل » :

« الشيخ عدى بن مسافر الأموى الذى يتصل بالأب الرابع بمروان بن الحكم رابع الخلفاء الأمويين » •

وهذا محال لأن مروان المذكور من أهل القرن الأول للهجرة وعديا من أهل القرن السادس ، فأربعة القرون التى بين أزمانهما تفنى أكثر من عشرة أجداد فى أقل تقدير ، ولعل الصحيح ما ذكره ابن خلكان فى الوفيات ونقله المؤلف فى ص ٧٤ وهو أن مروان بن الحكم هو الجد الحادى عشر لعدى بن مسافر ، فهو قد كان حريا أن يشير الى هذه الاحالة •

وذكر فى حاشية ص ٤٤ الشيخ قضيب البان الموصلى أنه أبو عبدالله الحسين بن عيسى بن يحيى العلوى الحسنى وأنه توفى سنة « ٥٧٠ » ، وقد اختلف فى تسميته قضيب البان ، فالشيخ أبو الحسن على بن أبى بكر المعروف بالسائح الهروى قال فى مزارات الموصل : « وبها قبر الشيخ حسين المعروف بقضيب البان[1] » ولم يذكر أنه كان علويا ، وقال الشيخ أمين العمرى : « الشيخ حسين قضيب البان ابن عيسى بن يحيى ••• وأمه أمة الخير زهرة بنت يحيى بن محمد بن موسى المبرقع بن محمد الجواد بن على الرضا وانما سمى قضيب البان لجميل صورته وحسن هيئته وهو أحد الأبدال ، له كرامات وقبره غربى الموصل خارج السور نحو رمية سهم ، توفى سنة ٥٧٠[2] » • وترجمه الشطنوفى ولم يذكر الا لقبه « قضيب البان » ولم يقل انه كان علويا ، قال : « سكن رضى الله عنه الموصل واستوطنها الى أن مات بها قريبا من سنة سبعين وخمسمائة وبها دفن[3] » •

وذكره ابن الفوطى بما فيه كفاية للباحث قال : « قضيب البان أبو على عمر بن محمد الكردى الموصلى الزاهد ، كان من العارفين المجذوبين الذين يتكلمون على الخواطر ، روى عنه الخطيب شهاب الدين عمر بن أبى القاسم

---

(١) كتاب الزيارات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٧٥ ، الورقة ٩٤ » •

(٢) عنوان الشرف « نسخة الدار المذكورة ، ٥١٣٨ ، الورقة ٩٠ » •

(٣) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار فى بعض مناقب الشيخ عبدالقادر الجيلانى • ص ١٩٦ » •

ابن المفرج بالموصل سنة ستمائة ، قال : كنت ذات يوم بالموصل جالسا فى سوق الصوافين إذ أقبل قضيب البان ، وكان ذا شكل عجيب : طوالا من الرجال على هيئة الأكراد ، مكشوف الرأس مقزع[1] الشعر ، لا يستقيم على جهة ، عريض اللحية قليلا ، مطرق (كذا) كأنه أعمى وليس بأعمى ، يمشى فى الأسواق ولا يتكلم ، حاف عليه جبة صوف ، مشدود الأذيال والأكمام . فلما قرب منى ـ وكان هناك شخص قد وقف ووعظ وخوف بالله تعالى ثم انصرف ـ قال لى ، وهو تجاهى : كم من مذكر بالله ناس لله ، وكم من مخوف بالله ينسلخ من آيات الله ، وذكر كلمات أنسيتها[2] .

فهذا هو القول الذى نراه صحيحا فى اسمه وجيله وزمنه ، ونزيد زمنه بما ذكره أبو المظفر سبط ابن الجوزى فى ترجمته عماد الدين محمد بن يونس بن منعة الفقيه الشافعى الموصلى المتوفى سنة ٦٠٨ ، قال : « والتقاه قضيب البان الموله يوما فقال له العماد : سلام عليك يا أخى كيف أنت ؟ فقال : أما أنا فبخير وقد بلغنى عنك أنك تغسل أعضاءك كل يوم ، تشطف اللقمة التى تأكلها[3] ؟ فقوله : « يا أخى » يدل على تقارب العمرين .

وذكر المؤلف الفاضل فى ص ٧٣ « الاسرة العدوية ومكانتهم فى التاريخ » وبدأ بذكر الشيخ عدى بن مسافر الأموى فأحسن الثناء عليه وبجله وعظمه ثم بحث عن السبب الذى حمله على الهجرة من الشام الى جبال الأكراد ، قال : « يقال انه بعد سقوط الدولة الأموية هاجر البعض من رجال البيت الأموى مع مواليهم الأكراد الى هذه الجبال وانزووا فيها خوفا من العباسيين الذين كانوا يتعقبونهم ويكثرون القتل فيهم ، وقد عرف عدى هذه الجبال وجاءها واختار السكنى فيها . والحقيقة أن الأمويين لم يسبق لهم هجرة الى هذه الجبال لا قبل عدى ولا بعده ، ولهذا الكلام موضع آخر غير هذا » .

قلنا : بل التاريخ يشير الى قول من قال بانتقال بعض الأمويين الى تلك البلاد ، قال المسعودى فى أخبار مروان الحمار آخر الخلفاء الأمويين « وقد كان سليمان بن هشام ابن عبدالملك اتصل بالخوارج بالجزيرة خوفا من مروان[4] » . ومن المعلوم أن أمهات مدن الجزيرة الموصل وميافارقين وآمد وماردين والخابور وسنجار ونصيبين ورأس عين

(١) أى ليس بأقرع وانما حص شعر رأسه وبقيت منه بقايا فى نواحيه .

(٢) تلخيص مجمع الآداب على معجم الأسماء فى معجم الألقاب « ج ٤ ص ٣٠٦ » من نسختى .

(٣) مرآة الزمان « ج ٨ ص٣٦٥ » قال المؤرخ فى العماد المذكور « وكان به وسواس فى الطهارة يبعث كل يوم غلامه الى الجسر فيقف فى وسط الشط يملأ الأباريق فيتوضأ بها » قال : فنهم قول قضيب البان فرجع عن ذلك .

(٤) مروج الذهب طبعة المطبعة البهية ج ٢ ص ٢٠٣ .

والرقة وحران والرها ، فاتصال سليمان بالخوارج في مواضعهم لا يكون الا بعد القصد اليهم .

وعزا المؤلف هجرة الشيخ عدي الى حبه السياحة كعادة المتصوفين السياح ولم يلتفت الى أن الدولة الفاطمية في زمن انتقال عدي من الشام كانت تحكم في كثير من تلك البلاد ، ومذهبها وعقيدتها معلومان ، وهي ذات الكلمة والسلطان ، فلعل الشيخ عديا هرب من حكم تلك الدولة التي كانت لا تتحرج من ارتكاب ما يؤذي العباسيين ، فضلا عن الأمويين ، والهجرة سبيل معروف الى النجاة من الاضطهاد قديما وحديثا .

وقال في ص ٧٧ : « ظهر لنا مما تقدم أن الشيخ عديا هو الرجل الفذ الذي ظهر في عصره وفاق أقرانه في زهده وورعه الذي جمع اليه وفور العرفان والعلم » . والتحقيق أنه لم يكن فذا فقد أجمع المؤرخون على أن الشيخ عبدالقادر الجيلي كان أعظم منه وأجل وأرسخ قدما في المجاهدة والزهد ، وعدوا عديا ممن أقر لعبدالقادر بالقطبانية أي القطبية[1] .

وتكلم المؤلف في ص ٨٤ على شمس الدين تاج العارفين أبي محمد الحسن بن أبي المفاخر عدي الأصغر ، قال : « وقد اختلى ست سنوات صنف فيها كتاب « الجلوة لأهل الخلوة » أودع فيها عقيدته التي خالف فيها مبادىء الاسلام وقد فقد الكتاب ولم يعلم شيء عنه . ونرجح أنه اتصل بالشيخ ابن عربي ... ومنه أو من غيره انتقلت اليه عقيدة وحدة الوجود فأدت الى القول بالرجعة والحلول وبنى عليه مذهبه الذي عرف به ... ان قيام الشيخ حسن بهذه الدعوى مما أيده المؤرخون الذين تكلموا عنه حتى نبزه أحدهم بالمتأله ... » .

وحقيقة الأمر أن الباحث الفاضل لم يفهم معنى كلمة « المتأله » التي هي من صفات المدح للزهاد العباد ، فعدها قدحا ونبزا . فالمتأله في العربية الشديد التعبد ، قال الجوهري في الصحاح : « والتأله : التعبد والتنسك » وقال الزمخشري في أساس البلاغة : « فلان يتأله : يتعبد . وهو عابد متأله » . وفي المصباح المنير « أله يأله من باب تعب الاهة بمعنى عبد عبادة وتأله تعبد » . ومن الحق أن لكل كلمة قيمتين : قيمة معجمية وقيمة استعمالية وعليها المعول اذا تطرق الشك على معناها ، ولكن « المتأله وأصله التأله » واضح معناه كما رأيت ، ومع ذلك نود أن نذكر القيمة الاستعمالية للتأله ، ففي الشعر والشعراء قول ابن قتيبة « وكان زهير يتأله ويتعفف في شعره » ، وفي مروج الذهب[2] « وذلك عند تنسك

(١) بهجة الأسرار « ص ١٧ » . (٢) ج ٢ ص ٩٥ من الطبعة المذكورة .

ابن الزبير وتألهه وإظهاره الدعوة لنفسه » . وقال رؤبة :

لله در الغانيـات المـده سبحن واسترجعن من تألهـي

وجاء في رسائل الرازي[١] « ومن قبله سقراط المتخلي المأله[٢] » . وهذا الوصف مستفيض في كتب التاريخ والتراجم الا أن الناقد يلزم التمثيل والاستشهاد . وبذلك أخذنا .

وبعد أن ظهر أن الشيخ تاج العارفين « حسنا » كان متألها أي متعبـدا متنسكا ، بشهادة المؤلف الفاضل كتابة نسأله كيف صدق بما نسب اليه ؟ فابن شاكر الكتبي الذي اعتمد عليه قال فيه : « رحمه الله ورضي عنـه[٣] » . وقال شمس الذهبي : « سنة أربع وأربعين وستمائة[٤] الحسن بن عدي بن أبي البركات صخر بن مسافر ابن اسماعيل الملقب بتاج العارفين شمس الدين أبو محمد ، وجده أبو البركات هو أخو الشيخ عدي ، وكان الشيخ حسن هـذا من رجال العالم رأيا ودهاء وله فضل وأدب وشعر جيد وتصانيف في التصوف وله أتباع ومريدون يغالون فيه ، وبينه وبين الشيخ عدي من الفرق كما بين القدم والفرق ، وبلغ من تعظيم العدوية له ما حدثني به أبو محمد الحسن بن أحمد الأربلي قال : قدم واعظ على الشيخ حسن هذا ، فوعظ حتى رق حسن وبكى وغشي عليه ، فوثب بعض الأكراد على الواعظ فذبحه . ثم أفاق الشيخ حسن فرأى الواعظ مذبوحا . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : والا ايش هذا من الكلام يبكي سيدنا الشيخ[٥] ! فسكت الشيخ حفظا لدسته وحرمته . وكان الملك بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل قد خاف منه فعمل عليه حتى قبضه ثم خنقه بوتر بقلعة الموصل خوفا من الاكراد لأنهم كانوا يشنون الغارات على بلاده فخشي[٥] لا يأمرهم بأدنى اشارة فيخربون بلاد الموصل لشدة طاعتهم له . وفي الأكراد طوائف يعتقدون الى الآن أن الشيخ حسنا لابد أن يرجع ، وقد تجمعت عندهم زكوات ونذور ، ينتظرون خروجه وما يعتقدون أنه قتل . ورأيت له كتابا فيه عشرة أبواب أحد الأبواب اثبات رؤية الله عيانا وأن غير واحد من الأولياء رأى الله تعالى عيانا ، واستدل على ذلك ــ نعوذ بالله من الخذلان والضلال ــ .

(١) طبع المستشرق بول كراوس « ص ٢١ » .

(٢) معجمنا اللغوي وقد جمعناه في ربع قرن ولا يزال في التسويد والزيادة .

(٣) فوات الوفيات « ج ٢ ص ١٢٣ » .

(٤) يعني « مات » و « توفي » وهو من اصطلاح المؤرخين كقولهم « وفيها » أي في هذه السنة من دون ذكر « توفي » ، ومن الناس من لا يعلم هذا ويظنه نقصانا في التواريخ ، فليعلمه .

(٥) كلامهم بالعامية في ذلك الزمان .

ومن تصانيف الشيخ حسن « محك الايمان » وكتاب « الجلوة لأهل الخلوة » وكتاب « هداية الأصحاب » وله ديوان شعر فيه أشياء من الاتحاد ، فمن ذلك :

وقد عصيت اللواحي في محبتنا   وقلت : كفوا، فهتك الستر أليق بي[1].

وأشد ما رأينا من الطعن عليه ، وهو من خصومه في المذهب والحكم والسياسة ، ما نقله الخزرجي في تأريخه في وفيات سنة « ٦٤٤ » قال : « ومات الشيخ الكبير تاج العارفين شمس الدين أبو محمد الحسن بن عدى بن أبي البركات صخر بن مسافر العدوى وكان من رجال العالم عقلا ورأيا ودهاءا وله نظم وأدب وتصانيف في التصوف منها كتاب « محك الايمان » وكتاب « الجلوة لأرباب الخلوة » وكتاب « هداية الأصحاب » وفيه انحراف ظاهر لكل مسلم عن الخالق (كذا ولعلها الحق) وعظائم لا تحتمل ، وله كتاب آخر فيه مصائب لا يمكن النطق بها ، وكان صاحب الموصل يخاف منه فتحيل عليه حتى ظفر به وحبسه ثم خنقه بوتر هذه السنة المذكورة وله ثلاث وخمسون سنة[2] » .

وفذلكة القول أن سيرة هذا الشيخ ما زالت غامضة قليلة المراجع التأريخية ولم نر من الآراء فيها الا رأى أعدائه والمخالفين له في العقيدة ، وربما كان تأريخه هذا منقولا عن رجل أو رجلين وذلك لا يكفى في استبانة حالة ، ولهذا نقف موقف الشاكين من قول المؤلف « وبعد أن وجد نفسه بهذه المنزلة وفي جانبه جماعات كبيرة من المريدين ، يدينون به رأى أن ينفذ منوياته التي طالما تختلج في صدره وهي ايجاد انقلاب واسع في الدين والعقيدة والسياسة وفي كل شيء ، أليست الغاية من وضعه هذا الدين (كذا) هي تهيئة الأسباب التي تمكن من ايجاد هذا الانقلاب ؟ » فأكثر ما يصح أن يقال فيه انه كان غاليا من الغلاة .

ومما استدركناه على المؤلف الفاضل في ترجمة الشيخ حسن بن عدى الأصغر المذكور أبيات ذكرها بدرالدين بن حبيب في ترجمة حفيده الشيخ زين الدين أبي المحاسن يوسف بن محمد بن الحسن بن عدى المتوفى سنة « ٦٩٧ » قال :

« وفيها توفى الشيخ زين الدين أبو المحاسن يوسف بن محمد بن الحسن بن الشيخ عدى ، رجل مطاع ، حسن الخلق والطباع ، مقابل بالتبجيل والاكرام ، محترم عند

---

(١) ابن قاضي شهبة في « أسماء الأعيان من تاريخ الذهبي » ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٧٦ الورقة ١٨٣ .

(٢) أصول التأريخ والأدب « مج ٢٢ ٨ ص ١٦٥ » نقلا من تاريخ أبي الحسن الخزرجي وهو ينقل من تاريخ ابن الساعي الشافعي .

أكابر مصر والشام ، جواد حليم ، سخي النفس كريم ، لا يبقى على درهم ولا دينار ، مع وجود الاقطاع والفتوح والادرار ، له زاوية مفوفة الأبراد ، يفد عليها كثير من مريديه الأكراد ، يمد بها السماط للوارد والمقيم ، ويهب على اللائذين برحابها للقبول نسيم وأي نسيم . وكانت وفاته بمصر عن ... سنة ، تغمده الله برحمته . ومن نظم جده الشيخ حسن بن عدي المشار اليه :

بداية نشوتي من خمر فيكا ... فكيف على الغرام ألام فيكا ؟
وكان القلب لي وحدي فأضحى ... هواك اليوم لي فيه شريكا
مليك الحسن قد جئناك نشكو ... تعرض ناظريك لناظريكا
ملكت قلوبنا فغدت رعايا ... ولا نرضى سواك لها مليكا

وله :

تجاوز حسن أحمد كل حد ... فقولي فيه منقطع الجواب
لقد غلطوا بما قد لقبوه ... وهل بدر يلقب بالشهاب[1] .

ولقد نقل المؤلف في أخبار بدرالدين لؤلؤ الأتابكي صاحب الموصل شيئا من كلامنا فيه ولم ينسبه الينا ، حتى الذى نقله بالنص . قلنا : « على أن بدرالدين لم يكن محمود السيرة ولا سالما من الجريرة[2] » . وقال هو : « ويروى أنه لم يكن محمود السيرة ولا سالما من الجريرة » ص ٨٥ ـ . ومن البديهي أن هذا القول ليس برواية وانما هو اجتهاد في الزراية ، فالعهدة فيه على قائله ، ومعنى « يروى أنه لم يكن ... » أن راويا من الرواة أثر بالاسناد أن بدرالدين لم يكن كذلك ، وهذا لا يوافق المقام .

ونقل في ص ٦٨ ما ذكره مؤلف الكتاب الذى ظنناه « الحوادث الجامعة » ص٤٧١ من محاربة بدرالدين لؤلؤ المذكور للبيت العدوى وطائفتهم سنة ٦٥٢ ونبشه قبر الشيخ عدي واحراقه عظامه ، وفيه بعض الغموض والربك ـ أعنى المذكور في الحوادث ـ والصحيح الواضح ما ذكره الخزرجي في حوادث تلك السنة قال :

« وكان زعيم الموصل بدرالدين لؤلؤ قد أخذ من أولاد الشيخ عدي الكردي (كذا) ألوفا من العين على وجه الاكراه ، فعظم ذلك عليهم ، فأطلقوا ألسنتهم في سبه ، فبلغه ذلك فأمر بنبش الشيخ عدى من قبره واحراق عظامه ، فأنكى ذلك في قلوب الأكراد واجتمع بعضهم الى بعض واتفقوا على نهب أعمال الموصل فنهبوها ، فطلب

(١) درة الأسلاك في دولة الأتراك (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٧١٩ عربيات ، الورقة ٩٩) .

(٢) العراق بين احتلالين « ج ٢ » في الملحق الثاني ـ ص ١٤ ـ .

بدرالدين أكراد الجبل فأتاه منهم ألف فارس فضم اليهم عسكرا وبعثهم لمحاربة الأكراد وأصحاب عدى فحاربوهم وكسروهم وغنموا أموالهم وأسروا منهم خلقا كثيرا وحملوهم الى الموصل ، فصلب بدرالدين تجاه القلعة منهم مائة وذبح مائة ، وأخذ شخصا معروفا وجعله عدة قطع . وكان ذلك فى شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة[1] » .

ومنه يظهر أن نبش قبر الشيخ عدى واحراق عظامه سبقا حرب بدرالدين لهم ويظهر أيضا أنهم نهبوا أعمال الموصل قبل أن يسير الجيش اليهم ، وفى ذلك اتساق للحوادث التى جرت هناك .

ونقل فى ص ١٠٣ ترجمة عزالدين أميران الكردى ابن بنت الشيخ عدى من كتاب الدرر الكامنة[2] وفيها « قدم الموصل فولى بها الامرة » . والأصل « قدم دمشق » ، وهو الصحيح .

وتكلم المؤلف فى ص١٦١ وما يليها على وجه التسمية باليزيدية وتعيين الزمن الذى سموا به ، فقال : « وأول من وجدناه ذكرهم بهذا الاسم أبو فراس عبدالله بن شبل ابن أبى فراس بن جميل فانه ألف كتابا عام ٧٢٥ للهجرة (١٣٢٤م) سماه « فى الرد على الرافضة واليزيدية » ، ولم يذكر ما احتوى عليه هذا الكتاب من الأبواب ، وقال : « يجوز أن هذا الاسم أطلق عليهم قبل هذا » . قلنا : ان الاعتماد على اسم الكتاب المذكور فى معرفة تاريخ التسمية ليس بكاف فى مثل هذا الأمر ، لأن الزيدية ، فى أكثر كتب الفرق فرع من الرافضة ، فلعل اسم الكتاب الصحيح « فى الرد على الرافضة الزيدية » أو « الرافضة والزيدية » ، ولكن الناسخ غلط فى النسخ . اذن لا تثبت التسمية المدعاة حتى يؤيد ما فى الكتاب عنوانه . وعطف الزيدية على الرافضة من بابة قوله تعالى : « فاكهة ورمان » .

وانتقل المؤلف الفاضل الى ما نقله مؤلف « تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم » فى تسمية « اليزيدية » ، من كتاب الأنساب للسمعانى المتوفى سنة « ٥٦٢ » فأنكر اتصال أولئك اليزيدية بهؤلاء فى الدين والأنساب ، ونحن لا نرى موضعا لانكاره ، فقد تضافرت الأخبار على أن كثيرا منهم أصلهم أكراد ، وقول المؤلف « يرجعون الى أصل مجوسى» لاينفى كرديتهم ؟ لأن المجوسية دين لاجيل، فالرد بين‌الضعف ظاهره، الا أنه يستطيع أن يقول ان التسمية باليزيدية لم تعم فى ذلك العصر حتى ان المقريزى حين ذكر خبر احراق قبر الشيخ عدى سنة « ٨١٧ » من سلوكه سماهم أولا « العدوية » ثم

---

(١) أصول التاريخ والأدب « مج ٢٢ ب ص ١٦ » نقلا من تاريخ أبى الحسن الخزرجى وهو ينقل من تاريخ ابن الساعى . (٢) ج ١ ص ٤١٤ .

قال : « وصاروا فى هذا الوقت يعرفون بين الأكراد بالصحبتية » كما فى الجزء المحفوظ بباريس ذى الرقم ١٧٢٧ فى الورقة ٢٨٥ .

وقال فى ص ٤٢٢ فى ذكر الشيخ ابن تيمية « يعده مؤلفو الاسلام مجدد القرن السادس الهجرى » والصواب « القرن الثامن » لأنه أدرك هذا القرن .

وأشار فى ص ٤٣٣ الى فتوى الشيخ عبدالله الربتكى المدرس « ١٠٦٠-١١٥٩هـ » فى اليزيدية وعده اياهم مرتدين ، ثم قال : « ونشك أيضا فى نسبة هذه الفتوى اليـه ونرجح أن يكون واضعها غيره وعرفت باسمه » . قلنـا : ان كان الشـك فى الأمور والتأريخ بمثل هذه السهولة وهذا اليسر ، فاننا نستطيع أن نجحد أمورا كثيرة ، والتأريخ لاينقض بمثل هذا الأسلوب التحكمى ، قال ياسين بن خيرالله فى حوادث سنة ١١٥٩هـ :

« وفيها توفى الامام العالم العلامة ملا عبدالله المدرس ابن أحمد بن حسن الكردى الموصلى ، له تآليف منها « مختصر الزواجر » و « شرح المنهاج » و « رسالة فى جواز استرقاق الرفضة وعبدة الشيطان » وله تعليقات فى جميع أنواع العلوم وله أرجوزة فى نظم الأشكال . وكان رفيع الجاه عند الملوك مجاب الدعوة ، وكان اذا حضر عند الملوك لقضاء مصالح الناس يكون صائما لا يأكل أو يشرب عندهم ، وله كرامات ظاهرة ولأهل الموصل فيه اعتقاد ، وقبره فى جامع نبى الله جرجيس رضى الله عنـه ، وذكر لى ولده الفاضل ملا ياسين أن لهم نسبة الى العباس رضى الله عنه وكان عندهم نسب فاحترقت قرية ربتك واحترق النسب فى أيام جدهم المترجم[1] » .

وذكر فى ص ٤٥٣ الحرب التى أنشبها على الأكراد العدوية الصحبتية اليزيدية وشبها جلال الدين بن عزالدين يوسف الحلوانى الشافعى بعد أن حرض أمراء الجزيرة عليهم ، وقال : « ثم من منا يعلم ما كان هذا الفقيه يحمله من عقيدة زائغة وقد خـدع الناس بها ؟ » . وقد كان قال فى ص ٧٦ فى ترجمة الشيخ عدى الكبير : « أليس ممـا يدل على بؤسه تصدى بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل أولا والمجتهد الحلوانى ثانيـا لحفر قبره واخراج عظامه واحراقها ؟ » ، وقال فى ص ٧٧ « لاحتراصات (كذا) سياسـية ومذهبية كانت تجيش فى صدر المملوك الأتابكى والمجتهد الايرانى ولم يخجلا أن يعللا عملهما هذا بالجهاد فى سبيل الدين ، وهـل ان الدين تصـدع وهدمت أركانه لسبب ما أصاب هذه الطائفة من الضلال ؟ ... » .

---

(١) أصول التاريخ والأدب « مج ١٠ ص ١٣٠ » نقلا من الدر المكنون لياسـين العمرى . وترجمته فى كتاب « مشاهير الكرد وكردستان » « ج ٢ ص ٤١ » ، ليست بحاوية لاسم تلك الرسالة ولا وافية .

قلنا : جرت عادة العلماء من أمثال جلال (جمال) الدين محمد أن يفعلوا مثل هذا ، قال تقي الدين المقريزي في حوادث سنة ٧٠٤هـ : « وفيها توجه شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في ذي الحجة ومعه الأمير قراقوش المنصوري الى أهل جبل كسروان يدعوهم الى الطاعة فلم يجيبوا فجمعت العساكر لقتالهم[١] » وقال الذهبي في حوادث سنة « ٧٠٥ » : « فيها نازل نائب دمشق بعساكره جبل الجرد ، وقهر الكسروانيين وفرقهم وأذلهم ، وهم روافض جهلة ، فنكوا بالجيش وقت الهزيمة وعملوا أجل قبيح (كذا)[٢] » .

والحلوائي المذكور لم يكن يتهم بالزيغ في عقيدته ولا بخديعة الناس ، وانما كان من أجلاء الشافعية ، قال شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني في ترجمة والده عزالدين يوسف بن الحسن بن محمود السرائي الأصل التبريزي الحلوائي ـ بفتح أوله وسكون اللام مهموز ـ « الفقيه الشافعي ، ولد سنة ثلاثين وسبعمائة ... واجتمع ببغداد بالشيخ شمس الدين الكرماني ... فلما دخل الدعادعة وهم أتباع طقتمش خان تبريز وضربوها تحول الشيخ عزالدين الى ماردين ... وشرح الأربعين للنواوي ... وكان قد حج ثم زار المدينة فجاور بها سنة ... وكانت وفاته في سنة أربع وثمانمائة بالجزيرة فانه رجع اليها لما كثر الظلم في تبريز فقطنها الى أن مات وخلف ولدين بدرالدين محمدا وجمال الدين محمدا ، وحج بدر الدين سنة تسع وعشرين وأقام بحصن كيفا فشغل الناس بالعلم ، وحج جمال الدين سنة ثلاث وثلاثين وقدم القاهرة سنة أربع وثلاثين وأقام بها مدة وتوجه . وقد تقدم ذكره[٣] في سنة اثنتين وثمانيمائة[٤] » .

وقد كان ترجمه في وفيات سنة « ٨٠٢ » من الانباء نقلا من تاريخ حلب الذي للقاضي علاء الدين علي بن خطيب الناصرية المشهور ، قال القاضي : « قدم علينا ولده جمال الدين فذكر أن والده مات سنة أربع وثمانيمائة والله أعلم » .

ومن هذا نعلم أن جمال الدين محمدا الحلوائي كان كسائر الشافعية صحيح العقيدة معروفا بالفضل والسيرة الحسنة ، والظاهر أن ورود لقبه « جلال الدين » في السلوك تصحيف « جمال الدين » .

ونحن نوافق المؤلف الفاضل في أن نبش قبور الموتى من غريب الأفعال عند العقلاء ، ولكنه كان مألوفا في ذلك الزمان وغيره .

---

(١) السلوك « مج ٢ ص ١٢ » . (٢) دول الاسلام « ج ٢ ص ١٦٤ » .
(٣) يعني ذكر عزالدين يوسف . (٤) أنباء الغمر بأبناء العمر . نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٦٠١ الورقة ١٩٥ . (٥) المرجع المذكور الورقة « ١٧٠ » .

وتكلم في ص ٤٥٤ على سلطة اليزيدية قال : « وفي الموصل ضربوا الرقم القياسي في الاستئثار بالقوة حيث تقلد أحد رجالهم وهو مرزا باشا الداسني البعشيقي منصب ولاية الموصل (١٠٦٠–١٠٦١) وتولى يزيدي بعشيقي الحكم في الموصل يدل على ما كان لهذه الطائفة من النفوذ والقوة في ذلك العهد » . وقال في الحاشية — يعني ولاية مرزا باشا الداسني — « هذا ما أيدته التقاويم الرسمية لولاية الموصل ، وفي الآثار الجلية لياسين العمري ما يخالف هذا ... » .

قلنا : وذكر العمري أيضا في الدر المكنون مثل ما ذكر في الآثار الجلية ، الا أنه قال بعد ذلك في حوادث سنة « ١٠٦٠ » ، ما هذا نصه : « وفيها ولي الموصل ميرزا باشا المعروف بالداسني على خلاف ما تقدم » . فلم يفت الرجل التنبه الى هذا الخلاف ، كما يفهم من هذا الاستدراك .

ثم نقل في ص ٤٥٨ من كتاب « غرائب الأثر » في حوادث سنة (١٢٠٥) نزول اسماعيل باشا من قلعة العمادية وتطوافه في مملكته وبلوغه قرى الشيخان ونزوله قصر نمر أغا واستدعاءه جولو بك بن بداغ بك وأمره بقتله ونصبه أميرا على الشيخان اسمه خنجر بك . وقال بعد ذلك : « وصاحب غرائب الأثر لم يدلنا على أسباب هذا القتل الذي أخذنا الآن نلمس درجة خطورته والأثر الذي أحدثه في المجتمع اليزيدي وكيف رضي نمر أغا بقتل زعيمه الديني في داره ... » .

قلنا : ينبغي أن تلتمس الأسباب فيما تقدم من الحوادث ، فان مؤلف غرائب الأثر قال في حوادث سنة « ١٢٠١ » : « وفيها حدثت بين والي العمادية اسماعيل باشا بن بهرام باشا واخوته فتن فطردهم وساروا الى زاخو وملكوها فبعث لحربهم أخاه الآخر علي بك فطردهم من زاخو وجرت لهم أمور يطول شرحها ولا فائدة لنا بذكرها » . فهو اذن قد طوى من الخبر شيئا ، نجده في الدر المكنون ، قال فيه : « وفيها حصلت فتنة بين والي العمادية اسماعيل باشا بن بهرام باشا وبين اخوته[1] فطردهم من العمادية فساروا الى زاخو وملكوها واجتمعت عليهم خلائق من الأكراد اليزيدية ، فاستولوا على أموال فتاح آغا ضابط زاخو ، فأرسل اسماعيل أخاه علي خان بك لحربهم وأمده بالعساكر والي الجزيرة محمد بك فهرب لطف الله بك وحاصر علي خان بك باقي اخوته ثم قبض منهم اثنين وأرسلهم الى العمادية ثم سار علي خان بك الى حرب اليزيدية فهرب أميرهم جولو ابن بداغ بك وقتل من اليزيدية جماعة » . فهذا هو السبب في قتل اسماعيل باشا لجولو

(١) هم طيفور بك وحسن بيك ولطف الله بيك وحاجي بيك .

اليزيدي . وقد استجاز المؤلف أن ينقل من التواريخ بالواسطة دون اشـارة اليهـا ، وليس ذلك بالطريق العلمي في التاريخ ، من ذلك ما ذكره في ص ٤٩٠ نقلا من الدر المكنون في حوادث سنة ١١٦٧ ، قال : « وهـذا ما قاله مؤلف الدر المكنـون عنها : ان والي بغداد سليمان باشا غزا جبل سنجار وحاصرهم واستولى على قراهم ثم نزلوا يطلبون منه الأمان وأقاموا هناك فأمر العسكر فحملوا عليهم من كل مكان وقتلوهم عن آخرهم وكانوا أكثر من ألف رجل ومعهم بعض النساء ، وقتل من العسكر مائتان » . ففي أي نسخة من الدر المكنون قرأ هذا ومن أيهن نقـل ؟ ان الذي ورد في الدر المكنون في حوادث سنة ١١٦٦ لا سنة ١١٦٧ هذا نصه :

« وفيها خرج من بغداد واليها الوزير سليمان باشا وجمع العسـاكر وقدم الى الموصل فقـابله بالاكرام والاقامات أمـين بك بن الوزير حسـين باشـا الجليلي ثم توجه سليمان باشا الى جبل سنجار وحاصرهم ونهب بعض القرايا ونزل اليه نحو ألف رجل وامرأة فقتلهم عن آخرهم وأسر النساء والأطفـال حتى بيعت الجارية بعشرين قرشا ،والغلام مثلها ، وعاد الى بغداد منصورا[١] » .

ولا يعنينا في مثل هذا أن يكون الكتابان من تأليف رجل واحد .

ونختم نقدنا لهذا الكتاب النفيس في موضوعه ومادته بأن مؤلفه ذكر أسماء مواضع بصورها العامية وان كانت تلك الصور قديمة بعض القدم ، كما جاء في الصفحة الأولى « ثم جاء لالش فاهتزت به الأرض » . والصحيح « ليلش » بالياء بعـد اللام ، قال عبدالحق البغدادي : « ليلش : قرية في اللحف من أعمـال الموصل شرقيها بها الشيخ عدي بن مسافر[٢] » ، وقد نقل هذا من معجم البلدان وترك قول ياقوت « الشـافعي شيخ الأكراد وامامهم وولده » ـ يعني الشيخ عدي بن مسافر ، ومن هذا نعلم أن عديا كان شافعيا ، والشافعيـة مذهب عام للاكراد اذ ذاك . وجاء في ص ٢١٥ حصن زائد والصحيح « حصن زياد » وهو حصن خرتبرت أي خربوط . وكل ما ذكرناه لا يعدو ـ في الحقيقة ـ أن يكون من الأمور الطفيفة بالاضافة الى هذا التأليف الجسيم .

مصطفى جواد

(١) نسخة باريس في الورقة « ٣٠٠ » .
(٢) مراصد الاطلاع على الأمكنة والبقاع .

الاختيار والجبر فى صدر الاسلام

Free will and Predestination in Early Islam

تاليف : « مونتكومرى وت » W. Montgomery Watt

من مطبوعات مكتبة « لوزاك » للمشرقيات بلندن سنة ١٩٤٨ • وهو كتاب قدمه « مونتكومرى وت » سنة ١٩٤٤ م الى جامعة أدنبرة ليظفر « بالدكتوراه » ، فمنحته الجامعة هذا اللقب ، ثم جعل محاضرا فى العلوم العربية فى الجامعة نفسها • وشاء المؤلف فنشر كتابه سنة ١٩٤٨م فى (١٨١) صفحة متوسطة الحجم ، منها (٥) صفحات للفهرست و (٣) صفحات للمراجع •

وقد حصر المؤلف بحثه فى المدة الواقعة بين سنة ٨٠ وسنة ٣٣٠ للهجرة[١] ، فتكلم على الرجال الذين كان لهم رأى خاص فى الاختيار أو الجبر ، وعلى المذاهب التى بحثت فى القضاء والقدر ، فابتدأ بالخوارج ، وعنى من آرائهم برأى ميمون وشعيب ، ثم انتقل الى تطور الفكرة المذهبية عند الخوارج وانتقالها من نزعة سياسية الى عقيدة دينية ، ثم تحدث عن فرق الخوارج التى ظهرت فيما بعد •

ثم انتقل الى غيلان ، فالمرجئة ، ثم الى القدرية فبحث فى تسميتها ، وشايع « نلينو » فى ذلك وتحدث عن قدمائهم • ثم انتقل الى معبد الجهنى ، ثم الى المعتزلة وفروعها فى بغداد والبصرة ، ثم تحدث عن أشهر رجال المعتزلة ، ثم انتقل الى مثبتة القدر فتحدث عن أبى حنيفة ، ثم انتقل الى الجهمية والجبر والمجبرة • ثم المثبتة ، ومنهم ضرار والنجار وبرغوث ، ثم تحدث عن هشام بن الحكم وخشيش والحراز • وأخيرا أداه المطاف الى البحث عن مذهب الأشعرى والأشعريين ، فخاتمة الكتاب •

وقد وضع فى نهاية الكتاب ثبتا بالمراجع التى اعتمد عليها فى تأليف كتابه ، وقسمها الى قسمين : مراجع عربية ومراجع استشراقية هى من وضع المستشرقين • وقد لاحظت أن المؤلف قد اعتمد على مراجع القسم الثانى أكثر مما اعتمد على مراجع القسم الأول ، ولاحظت أيضا أن المراجع العربية التى اعتمد عليها قليلة ، وقد يذكر المرجع مرتين أو ثلاث مرات : يذكره مرة ، ثم يذكر ترجمته ، ثم يذكر مختصره مثل كتاب « الفرق بين الفرق » للبغدادى و « الملل والنحل » للشهرستانى و « كتاب الابانة عن أصول الديانة » للأشعرى • وتبينت أنه لم يعتمد على المراجع التى ألفها أصحاب

---

(١) راجع ص ٢ •

المذاهب أنفسهم أو رجال من أتباعهم ، وهذا نقص في الكتـاب كبير ، اذ كيف يمكن تصوير صورة صادقة لمذهب من المذاهب بالاعتماد على كتب المخالفين له وحدها بغض النظر عن الكتب والوثائق التى ألفها رجاله ؟ فلم أجد من الكتب التى ألفها علماء المعتزلة غير كتاب واحد هو « كتاب الانتصار فى الرد على ابن الراوندى الملحد » للخياط ، وكنت آمل أن أرى تفسير « الكشاف » للزمخشرى فى جملة المراجع التى يعتمد عليهـا فى بحث آراء المعتزلة •

فأما الخوارج ، فلم أجد لهم مؤلفـا بين المؤلفات التى رجع اليها المؤلف ، ومعنى هـذا أنه أخـذ ما قاله فى مذهب الخوارج من كتب المخـالفين لهم • وهـذا شيء غير صحيح •

وقد لاحظت أنه لم يتعرض لرأى الشيعة فى الجبر والاختيار ، وأعتقـد أنه لم يعرف من أمرهم شيئا ؟ لأنه لم يذكر لهم مرجعا غير « كتاب فرق الشيعة » للنوبختى ، ولو تعرض لهم لوجد لمشكلة الجبر والاختيار مكانة كبيرة فى علم الكلام عندهم ، ولوجد أن المتأخرين منهم قد عالجوا الموضوع معالجة المعتزلة له ، وأن مؤلفاتهم فى هذا الباب تكاد تكون صورة طبق الأصل لمؤلفـات المعتزلة ، فى الاختيار وفى نظرية الأصلح واللطف ، وما الى ذلك من آراء مدونة فى كتب الكلام • ثم ان ما ذكره عن « هشـام ابن الحكم » مناقض لما ورد فى كتب الشيعة من آرائه وأحاديثه • وهنالك رجال عـدة عاشوا فى أيام « هشام بن الحكم » وكانوا مثله فى الدرجة وفى الجدل مع رجال الفرق الأخرى ، لم يذكرهم المؤلف ولم يشـر اليهم ، وقـد كانت لهـم مجالس فى الجبر والاختيار •

وقد رأيت أيضا أن المؤلف اكتفى بسرد الآراء فى الجبر والاختيار ، ولم يبحث فى الأسباب التى أدت الى ظهور مشكلة الجبر والاختيار ، وأهمها عوامل سياسية كان لها أثر كبير فى ظهـور مذهب « القدرية » ، ولم يشـر الى موقف حكومـة الأمويين الرسمى من « القدر » ، ولا الى مقاومة رجال الحكومة للقدرية من حيث أن هذه الفكرة كانت لا تلائم نظرية الدولة التى أعلنت مرارا أن حكم « أمير المؤمنين » حكم أراده الله لخير الأمـة فلا يجـوز اعتـراض النـاس عليـه • ولما كان الكتاب قـد قدمه مؤلفـه الى جامعـة كبيرة للظفـر بأكبر درجـة علميـة وهى « الدكتـوراه » ، كنت آمـل أن أرى رأى المؤلف واضحـا مسـتقيما فيهـا ، وأن أقـرأ نقـده ومحـاكمتـه ، وأطلـع على موازنتـه بين الآراء ، ولكننـى لم أجـد شـيئا من هـذا ، بل وجـدت فى الحقيقة آراء الرجال مترجمة الى الانكليزية كما جاءت فى الكتب الاسلامية ، ومـع

ذلك أرى أن المؤلف بذل جهدا كبيرا فى جمع هذه الآراء وعرضها ، لشرح مسألة خطيرة فى سيرة المسلمين الاجتماعية والدينية ، هى مسألة الجبر والاختيار .

بريطانية والدول العربية

Britain and The Arab States

تاليف : ستن ويليمس M. W. Seton Williams

هذا الكتاب هو تذكرة فى الروابط البريطانية العربية منذ سنة ١٩٢٠ حتى ١٩٤٨م . يقع فى ٣٣٠ صفحة من الحجم الوسط . وقد طبع فى مطابع « Burleigh » بمدينة « بريستول » « Bristol » بانكلترة ، بعناية مكتبة « لوزاك » « Luzac » من مكتبات انكلترة المعروفة فى عالم المشرقيات .

ومؤلفة الكتاب سيدة استرالية مثقفة ثقافة تأريخية وسياسية ، درست التأريخ وعلم السياسة ، واشتغلت بالآثار ، وزارت بلاد العرب عدة مرات قبل الحرب العالمية الأخيرة مع البعثات الأثرية التى قامت بالتنقيب عن الحضارات القديمة فى بلاد الشرق الأدنى ، واختلطت بمختلف الطبقات فى البلاد العربية ، ثم اشتغلت فى أثناء الحرب العالمية الأخيرة بوزارة الاستعلامات البريطانية فى قسم الشرق الأوسط منها ، واتصلت ، بحكم وظيفتها ، بكثير من الرجال المسؤولين من الجانبين : العربى والبريطانى ، واطلعت على وثائق مهمة ساعدتها على وضع كتابها « بريطانية والدول العربية » .

تتألف فصول الكتاب من مقدمة عامة هى المدخل الى كل الفصول ، يليها فصل فى ظهور الفكرة القومية عند العرب ، ثم فصول فى العراق ، ومصر والسودان ، وسورية ، ولبنان ، وفلسطين ، وشرقى الأردن ، والمملكة العربية السعودية ، واليمن ، وأمارات الخليج الفارسى ، وختمت هذه الفصول بفصل فى الجامعة العربية .

وفى الكتاب ملحق خصص بالوثائق الرسمية ، وبالمعاهدات والاتفاقيات التى عقدت بين الدول العربية ، أو بين الحكومات العربية والدول الأجنبية ، وثبت بالمراجع التى اعتمدت عليها المؤلفة فى تأليف الكتاب ، وفهرست أبجدى بالأعلام التى ورد ذكرها فى المتن ، وأربع « خرائط » .

والكتاب مفيد ، ما فى ذلك شك . مفيد ؛ لأنه على صغر حجمه يحاول أن يقدم كل ما يمكن تقديمه للناس عن الروابط العربية الانكليزية ، ولا سيما أولئك الذين

يريدون الحصول على نظرة عامة على هذه العلاقات وموقف الحكومة البريطانية من العالم العربى وسياستها ازاء الامارات العربية والمحميات ، وقليل من الناس من يعرف عن هذه الأمور شيئا ، وفى هذا المختصر كفاية .

ومع ذلك يمكننا أن نذكر ملاحظات على هذا الكتاب . فمن ذلك أن المقدمة التى وضعت لتكون مدخلا له مقدمة موجزة ، لم تتعرض لكثير من الأمور المهمة التى كان يجب ذكرها . وقد بدأت بعمل التجار الانكليز فى الشرق الأوسط فى الأستانة وفى حلب ، وزحف « الشركة الشرقية » نحو الجنوب والجنوب الشرقى متبعة طريق الفرات وطريق دجلة الى الخليج ، باحثة عن طريق برى يوصلها الى الهند ، بعد أن أصبح البحر فى حكم البرتغال . وقد استطاع أحد التجار ، وهو « رالف فيتج » « Ralph fitch » ، أن يصل الى « هرمز » « Ormus » ثم الى مدينة «كوا » « Goa » فى الهند سنة « ١٥٨٣ – ١٥٩١ » . واستمرت هذه المقدمة حتى بلغت بالعالم العربى ما بعد الحرب العالمية الأخيرة . وقد كتبت المؤلفة كل هذه الحوادث ، وهى حوادث أربعة قرون فى تسع صفحات متوسطة الحجم .

أما القسم الخاص بالمعاهدات والاتفاقيات فقد أهملت فيه وثائق مهمة لم يكن بد من اثباتها ، مثل معاهدة بريطانية والعراق لسنة ١٩٢٢م ، وتقرير اللورد ملنر عن مصر لسنة ١٩٢٠م ، واتفاقية النيل ١٩٤٦م ، والكتاب الأبيض للحكومة البريطانية عن فلسطين فى مايس سنة ١٩٣٩م ، وقرار التقسيم الذى اتخذته هيئة الأمم المتحدة فى نوفمبر سنة ١٩٤٧م ، واعلان الجنرال كاترو عهده باستقلال سورية ولبنان سنة ١٩٤١م ، ثم الرسائل التى تبادلها المستر « لتل تن » والجنرال ديغول .

وقد أوجزت فى أمور كان لزاما عليها أن تفصل فيها القول ، فمن ذلك ايجازها فى الاتجاهات والموجات الفكرية التى تعم الشرق الأدنى فى الوقت الحاضر ، أو التى تحاول أن تجد لها مكانا فيه مثل حركة جمعية الاخوان المسلمين ؟ فقد أوجزت فيها كثيرا ، وجاء التعليق المذكور فى الحاشية « رقم ٣٠٠ ص ٨٨ » مختصرا جدا ، وكذلك الآراء السياسية فى البلاد العربية . وأهملت كثيرا من المسائل الحيوية التى لم يكن بد من التعرض لذكرها ، كالأحزاب السياسية فى البلاد العربية بمبادئها وآرائها ووجهة نظرها بالنسبة للحكومة البريطانية السياسية ، ومشروع سورية الكبرى والمشروعات السياسية الأخرى .

وقد اقتصر الكتاب فى الواقع على الأحداث السياسية فقط ، فعنى بتغير الوزارات

وتبدل الحكومات ، وبالمعاهدات والاتفاقيات ، ولذلك جاءت صفحاته مكتظة بالأرقام والأسماء • فأما النواحي الفكرية والاتجاهات الروحية والحزبية والمشكلات الاجتماعية والثقافية ، فقلما عنيت بها المؤلفة ، حتى المسائل التى لها مسيس بالسياسة البريطانية لا تجد لها موضعا فى الكتاب ، كالشيوعية مثلا ؟ فانها لم تتعرض قط لذكرها ، كما أنها لم تذكر الأحزاب أيضا ، فقد تعرضت مرارا عدة لذكر النحاس باشا مثلا ، ولكنها لم تبحث عن الوفد المصرى والأحزاب الأخرى مع ما لهذه الأحزاب من أثر فى علاقة بريطانية بالبلاد العربية ، ويصدق هذا القول على الوضع فى العراق وفى الأقطار العربية الأخرى •

والحق أننا اذا أردنا نقد الكتاب من هذه الناحية ، فاننا سنجد فيه نواقص كثيرة ، ولكننا اذا نظرنا اليه نظرتنا الى كتاب أخبارى موجز ، غايته سرد الحوادث والعلاقات البريطانية العراقية سردا زمنيا ، ألفيناه كتابا أقرب ما يكون الى كتب المذكرات ، فهو لذلك يفيد متتبع الوقائع والمراجع ، كما يفيد القارىء الذى يحب العرض السريع على طريقة « جرائد الأخبار المصورة » التى تعرض للأخبار فى دور السينما • ولكننا لا نجد فيه رأيا شخصيا لمؤلفة الكتاب ، ولا نقدا للاوضاع السياسية أو الاجتماعية فى بلاد الشرق الأدنى ، ولا أحكاما اجتهادية فى السياسة البريطانية وفى أعمال الرجال البريطانيين فى بلاد العرب ، ولا نستطيع أن نعرف منه مدى تأثير السياسة البريطانية فى أوضاع البلاد العربية وفى المشكلات القائمة • وهو بهذا يختلف عن الكتب التى ألفها مؤلفون بريطانيون أو أمريكيون فى هذا الباب • ولا بد من الاشارة أيضا الى أن الأعلام الواردة فى الكتاب غير مضبوطة وفيها كثير من التحريف •

سناد الاسلام

The Background of Islam

تاليف المستر فلبى

عدة أوراقه «١٥٢» ورقة ، وفهارسه فى « ٧ » ورقات • طبع بمطبعة « وايت هيد مورس » «Whitehead morris» بالاسكندرية بمصر ١٩٤٧ م •

تختلف طبيعة هذا الكتاب عن كتب « فلبى » الأخرى ، فهو كتاب تاريخى بحت ، تناول فيه تأريخ العرب قبل الاسلام من حيث هو الاساس الذى قامت عليه دعائم الاسلام ، فلم يضمنه شيئا من مخاطراته ورحلاته واستكشافاته ، وهو من أكثر المستعربين خبرة

بهذه الأمور ، وانما قصره على تأريخ العرب « القحطانيين » ، ولم يتعرض لتأريخ القسم الثاني من العرب الذين ظهر الاسلام في ديارهم ، وهم « العرب العدنانيون » الا بقدر ما لهم من اتصال بالقحطانيين ، مع ما لهؤلاء من أهمية في نشوء الاسلام .

وقد عرض للقحطانيين الذين عاشوا في الأقسام الجنوبية من جزيرة العرب أعني اليمن وحضرموت وعمان ، فبحث في الدول العربية القديمة ، وهي : معين ، وقتبان ، وسبأ ، وحضرموت ، وأوسان ، وفي الخلافات التي كانت بين « حاشد » و « بقيل » ومملكة « سبأ وذي ريدان » ، ثم حملة الرومان على اليمن بقيادة « أوليوس غاليوس » ، وبحث في غزو الأحباش الأول لليمن ، ثم ظهور مملكة « ذي نواس » التي اتبعت سياسة عدائية للنصارى فنكلت بالنجرانيين وبنصارى اليمن عامة ، واستشهد في ذلك عدد كبير من مؤمنيهم ، حتى أدى الامر الى تدخل الأحباش واحتلالهم اليمن مرة ثانية ، ثم اخراجهم منها واحتلال الفرس لليمن الى ظهور الاسلام الذي طهر بلاد العرب من رجس الأعداء .

ولم يتعرض للحكومات التي تأسست خارج اليمن ، تلك التي رجح النسابون نسبها الى قحطان ، مثل : مملكة الغساسنة ومملكة المناذرة ، ويثرب القاعدة الكبرى للقحطانية في الحجاز التي لها أهمية بالنسبة لظهور الاسلام . وأستطيع أن أقول : انه قصر بحثه على حضرموت واليمن . وقد دفعته الى ذلك النظرية التي تأثر بها ، وهي أن اليمن وما جاورها الموطن الأصلي للشعوب السامية ، منها خرجت تلك الشعوب وتوجهت الى الشمال ، وهي عكس النظرية الشائعة بين جماعة المستشرقين المتأثرين بنظرية التوراة .

فهذا الكتاب هو في الواقع تأريخ لليمن من أول مملكة عرفت فيها الى ظهور الإسلام ، ولذلك لا ينطبق عنوان الكتاب على ما جاء فيه . وقد كان على المؤلف أن يدرس نواحي أخرى أهم من هذه لمعرفة الأسس التي قام عليها الاسلام ، وكان حرى أن يدعو كتابه بتأريخ اليمن القديم ، أو « تاريخ القحطانيين في اليمن » ، أو ما شاكل ذلك من عناوين لها صلة مباشرة بمادة الكتاب وبنظرية المؤلف التي تحاول لفت النظر الى البلاد العربية الجنوبية على اعتبار أنها الموطن الأصلي للشعوب السامية .

ويدل الكتاب في الحقيقة على أن المؤلف قد بذل مجهودا كبيرا في استقصاء تأريخ اليمن القديم وفي تنسيق المعلومات المتناثرة التي لم تنظم تنظيما علميا حتى الآن ، وعلى رجوعه الى مراجع كثيرة تكونت منها مادة هذا الكتاب . ولكنني كنت أطمع أن أرى هذا المؤلف في صورة أخرى : كنت أطمع أن أراه كتابا حيا تجري في عروقه دماء غزيرة ، ويعرب عن خبرة « فلبي » الطويلة التي اكتسبها في بلاد العرب منذ الحرب العالمية الأولى

حتى الآن . كنت أطمع أن أرى تجارب فلبي ونتائج مباحثه وتحقيقاته التأريخية ماثلة في هذا الكتاب ، وأن أقرأ تصحيحاته لغلطات المتقدمين ، وأن أجد شروحا جديدة لما جاء موجزا في كتب الذين سبقوه ممن عنوا بتأريخ اليمن القديم ، فلقد اتسع له من الوقت وتسى له من الأحوال ما لم يتسن لأحد غيره ، وزار أماكن تاريخية ذات قيمة يصعب على غيره من الأوربيين والشرقيين المعنيين بتأريخ العرب القديم الوصول اليها . ولكن طمعي هذا لم يتحقق اذ خرجت من الكتاب بخلاصة آراء المتقدمين ، لا بوجهات نظر « فلبي » الذي كنت أود أن أراه مجتهدا في تأريخ العرب القديم ، له رأي خاص وثيق يمثل رأي المؤلف الذي عرف بصلابة رأيه في أثناء اشتغاله في الوظائف السياسية ، ينقل الى الباحثين الذين لم يسعدهم الحظ بزيارة تلك الأماكن رأي « فلبي » واستكشافاته الخاصة في تلك الأرضين المجهولة ، في قالب علمي جدي خارج عن أسلوب كتب السياحات .

وقد وردت في الكتاب نظريات تكلم فيها المستعربون ، ولكنهم لم يتوصلوا الى نتائج ايجابية حتى الآن مثل نظرية الأبجدية وعلاقة الخط المسند بالأبجدية الفينيقية ، أو بالعكس . وكانت هذه المسألة لا تزال موضع جدل بين العلماء الذين يرون قدم دولة معين وقدم خطها تبعا لذلك، ثم ما يترتب على هذا من نظريات . وهنالك نظرية أخرى هي نظرية « ابراهيم » وموطن ابراهيم ونظرية العرب القدامى فيه ، وهل كان أهل اليمن يعدونه جدا لهم في العصور السابقة للاسلام وفي العصور التي سبقت ميلاد المسيح ، وهل كان « ابراهيم » جدا للساميين ، وماذا كان يقال له عندهم ، وهو موضوع وضعت فيه مؤلفات ومباحث ؟

وقد لاحظت أن المؤلف مغرم بتحديد أيام الملوك ومدد حكمهم ، فوضع لهم وقتا زعم أنهم حكموا فيه ، وعصرا رأى أنهم عاشوا فيه . وهذا في نظري أمر غير ممكن في الوقت الحاضر ؛ فان كان المتخصصون لم يتفقوا حتى الآن في مبدأ قيام هذه الدول وسقوطها ، وفي عمر الكتابات وان كانت الكتابات أغفالا من التاريخ سوى عدد أرخ بتأريخ لا يزال في حكم المجهول ، كأن يقال انه كتب في شهر كذا من حكم الملك الفلاني ، وان كان الملك نفسه مجهولا عندنا ــ فكيف نستطيع أن نستخرج من ذلك تأريخا ولو تقريبيا للملوك ؟ ذلك في نظري أمر غير ممكن في زمننا ، وقد يسوقنا الى غلطات شنيعة قد تولد أتعابا كثيرة عند اصلاحها في المستقبل من الزمان .

ولاحظت أيضا أن المؤلف لم يذكر أرقام الكتابات ولا النصوص والنقوش التي أخذ منها مادته ، مع أن ذكر ذلك من الأمور الضرورية في الكتب العلمية وللباحث الجاد الذي

يكتب كتبه لأصحاب العلم . ولم يشر أيضـــا الى المراجع التى أخذ منهـا ، بل اكتفى بالاشارة الى آراء جماعة من المستشرقين مثل « هومل » وغيره ، ولكن لهؤلاء كتبا ومباحث ومقالات فى مئات مجلات ، فمن أى كتاب أو بحث أو مقالة نقل (فلبى) هذا الرأى ؟ نضيف الى ذلك أن فى ذكر المصادر فائدة للقارىء أقلها ارشاده الى مراجع جديدة لم يكن يعرفها فتزيد معلوماته فى ذلك الموضوع .

ولم أجد فى الكتاب « خريطة » ولا صورة للاماكن الأثرية والآثار الفريدة التى لا تزال فى مواضعها ، ولو كان المؤلف انسانا آخر غير « فلبى » لما طالبته بخريطـــة أو صورة ، أما والمؤلف هو الرحالة المعروف الخبير بشؤون بلاد العرب ، وعنده ، ولا شك ، صور ومعرفة بجغرافية بلاد العرب الجنوبية لا توجد عند غيره ، فذلك يحملنا على ابداء هذه الملاحظة . ولعل عذر المؤلف فى ذلك أنه كتب كتابه هذا للخاصة ، وجعله هدية لعدد محدود من الناس ، فقد كتب فى صدر الكتاب أنه طبع بعدد محدود لم يتجاوز « ٥٠٠ » نسخة ، تحمل كل نسخة رقما ، وعليها امضاء المؤلف . ويظهر أنه اتبع فى ذلك خطة « لورنس » وطائفة من المؤلفين فى طبع كتب لهم بنسخ محدودة توزع بين طبقة مختـارة من الناس .

ولا بد لى من الاشارة الى كتابة الأعلام فى الكتاب ، فان المؤلف لم يتقيد بالطريقة الاستشراقية فى تدوين الأعلام ، وتلك أمور حساسة بالنسبة للكتب العلمية ، فان تهاونا يسيرا قد يوقع القارىء فى هفوات من حيث كيفية النطق بأسماء الرجال أو القبـائل أو الأماكن ، فلا بد من السير على الطريقة العلمية فى كتابـة بعض الحروف مثل : ح وخ وص وط وظ وع وأ ، وكتابة المدة ، وقد تساهل المؤلف فى ذلك ، وسار على الطريقة المألوفة فى كتب السياحات أو الكتب التى لا تحمل الطابع العلمى فى التأليف .

ان هذه الملاحظات اليسيرة لن تؤثر حقا فى قيمة الكتـاب ومجهود المؤلف القيم ، وأتعابه التى لا يقدرها الا من اشتغل بهذا القسم من التأريخ الذى لم تكتب فيه الا كتب قليلة . وأعترف بأنى قد استفدت من قراءة هذا الكتاب فوائد كثيرة .

جواد علي

أنباء وآراء

ألفاظ مغولية فى اللغة العربية

لابد للغالبين من أن يتركوا فى لغة المغلوبين أثرا اذا طال حكمهم لهم . ونحن نعلم أن المغول حكموا بلادنا مدة غير قليلة ، فلا بد أن أجدادنا اقتبسوا كلمات من لغتهم . لكنى لم أجد من جمع وأظهر ما تركوه عندنا من كلمات ، فأحببت أن أذكر فى مقالتى هذه ما بقى فى لغتنا منها ، وهو ما التقطته من كتاب الحوادث الجامعة لابن الفوطى ورمزت اليه بـ (ح) ، ومن مختصر الدول لابن العبرى ورمزت اليه بـ (م) ، ومن حلية الانسان وحلبة اللسان للسيد جمال الدين بن المهنا ورمزت اليه بـ (حل) . وقد ذكرت أرقام الصفحات بعد الرموز .

وجدت الكلمات الداخلة الى لساننا من المغولية تنقسم الى قسمين ، قسم ورد فى الكتب التى ألفت فى زمن استيلاء المغول على هذه البلاد ولسنا نستعملها الآن فى كلامنا الدارج ، وقسم لازلنا نستعمله فيه . اذكر كل قسم على حدة مرتبا على حروف الهجاء .

أولا : الكلمات الواردة فى الكتب فحسب

اختاجى (م ٤٣٥) : ركابدار ، ركابى . خادم يمسك الركاب لسيده عند ركوبه ونزوله ويمشى بجانبه بعد ركوبه . ج أختاجية .

أردو (ح ٣٣٨) : مقر الملك عند المغول . وكان يقال لمقر القاان (امبراطور المغول) : ألأردو المعظم . أما عند الترك الآن فهو الجيش لاغير .

ايلجيكتاى (هكذا فى م ٤٤٩ ؛ وفى عام ح ٤٣٦ جنكتاى) : أمير الأمراء .

ايلخان (م ٤٦٤) : حاكم على قسم من المملكة ، والى ولاة قطر . استعملها الترك أيضا ، ولا غرو فكلا القومين تورانيان .

باليش (م ٤٠٠) جمعها ابن العبرى على بواليش . وقيل هناك : باليش من ذهب وباليش من فضة . فيكون الباليش عند المغول اما وزنا واما عددا معينا .

بتيكتجى (م ٤٧٤) : كاتب . ج بتيكتجية .

برس (حل ٢٢٣) : نمر أتت كلمة برس فى اعلام مركبة من منكوبرس وطبرس . ويقال للنمر بالفارسية والتركية بارس « بالباء الفارسية » .

ترخان (م ٣٩٥) : الحر الذى لايكلف بشىء من الحقوق السلطانية ويكون ما يغنم

من الغزوات له مطلقا لا يؤخذ منـه نصيب للمالك . وله أن يدخل على الملوك بغير اذن ولا يعاقب على ذنب الى تسعة ذنوب . ج ترخانية . استعملها الترك بلفظة طرخان بالطاء ، فقالوا طرخان بك ، أي الأمير الممتاز ، المطلق اليد .

ترغو (م ٤١١) : غذاء ، مأكل ومشرب .

تليشميشي (م ٤٦٥) : الاكرام والقبول .

تومان (م ٤٢) : الفرقة من العسكر . والتومان أيضـا (م ٥٢١) عشرة آلاف دينـار .

جاو (ح ٤٧٧) : أوراق نقدية عليها علامة الملك استعملت عوض السكة .

جنكزخان (م ٣٩٥) : الملك الأعظم . لقب به ملك المغـول الأشـهر واسـمه تموجـين .

جوالكان (ح ٩٤) : الصولجان وهو معربه . جمعوه على جوالكين .

دناكش (ح ٤٣٠) : فلوس فضة استعملت في العراق سنة ٦٨٢هـ ، وجعلت كل اثنى عشر فلسا بدرهم ، وأبطلت في السنة التالية .

سينا (م ٤٧٣) : سـور ، بدن .

قاان (م ٤٢٨) : الملك العظيم ، العاهل ، الامبراطور .

قراقجي (م ٤٤٠) : مستحفظ ، خفير . ج قراقجية .

قوريلتاي (م ٤٢٦) : مجمع ، مؤتمر .

قويجور (م ٤٥٩) : المواشي .

نوين (م ٤٢٦) : أمير . ج نوينية . تأتي كلمة نوين عندهم بعد الاسم . مثال ذلك ايلكانوين ، سـنتاي نوين ، بايجو نوين . أي الأمير ايلـكا ، الأمير سـنتاي ، الأمير بايجو .

يلدغو (ح ٣٥١) : محاكمة . يرغوجي ، بلا ألف (حل ٢٠٨) : حاكم .

ياسا (م ٤٩١ ، حل ٢٠٨) ياسه (م ٣٩٥) : الناموس ، القضاء ، العدل .

يرليغ (م ٤٦٤) : منشور ، عهد ، فرمان . واقتبسها الترك . جمعها ابن العبري على يراليغ (م ٤٥٠) .

وجاء في م كلمـة باسـقاق (٤٠٨) وبوقتاق أو بوقتاي (٤٥١) وتيت تنكرى (٣٩٥) ولم يفسرها .

ثانيا : الكلمات المستعملة في لساننا الدارج

أرمط (حل ٢١٩) : الكمثرى . وهي أقرب الى تلفظنا (عرموط) من الفارسية

أرمود ومن التركية أمرود وأرمود •

ألكه (حل ٢٢١) : التكة ، رباط السراويل • قال الخفاجى فى شفاء الغليل والجواليقى فى المعرب : التكة معرب • قلت لعلها من أنكله المغولية هذه •

الجى (م ٤٩١) : رسول ، سفير • وقالوا للنبى : الجى دنغرى (حل ١٩٤) ومعناها حرفيا رسول‌الله • والسفير بالتركية أيضا ايلجى • وقد قل استعمالها جدا عندنا ، لا بل عدم •

بول (حل ٢١٢) : عبد ، ضد الحر • مستعملة خاصة ببغداد فى مقام السب والتحقير •

تمغه (ح ٣٧٥) : هى فى الأصل عند المغول الكى والوسم بحديد محمى ثم استعملوها للعلامة (حل ١٩٨) ، ومنهم أخذها الترك فقالوا تمغا للعلامة • ونحن الآن نلفظها طمغة بالطاء ج تمغات •

تنكور (حل ٢٢٠) : صنجة الميزان أو كفته • عربناها فقلنا طنجير • وهو كل وعاء نحاس أو حديد مقعر مفلطح شبيه بكفة الميزان أو أكثر تقعرا • يستعمل الطنجير غالبا فى عمل الحلوى وخاصة فى سبك المعادن • ومن سبك المعادن فيه نقول فى مقام التشفى وطلب الشر وعدم المبالاة : بالقير والطنجير • وقديما استعملت دراهم مقعرة سميت طنجيرا نظرا الى شكلها •

جلاوو (حل ٢١٠) : الشباب ــ جلو : الصبية • سمعت بعضهم يقول للغلام الحسن جلو بفتح الجيم الفارسية واللام واسكان الواو • وبعضهم يسميه كلنج وهذه أيضا محرفة من جلاوو •

داروغة (حل ٢٢٦) : الشرطة ، البوليس •

سوغات (حل ٢٣٠) الهدية • يقول البغداديون للهدية التى يهديها القادم من سفر صوغة • توهموا سوغات جمعا فجعلوا لها مفردا وأبدلوا الصاد بالسين فصارت صوغة • وهى مستعملة ببغداد وجنوبها خاصة • يستعمل الموصليون عوضها كلمة أرمغان وهى فارسية •

طاطور (حل ٢٢٢) : العصابة • لعل طرطور منها •

ططرغان (حل ٢١٩) : الأرز • وبالتركية القديمة ترغان • يقال للأرز ببغداد وجنوب العراق تمن بكسر التاء وتشديد الميم وفتحها • يغلب على الظن أنها مختصرة ومعربة منها •

طوغ (حل ٢٢٥) : العلم • ومثلها بالتركية •

قاتون (حل ٢٠٩) : السيدة ، الست . اقتبسها الايرانيون فقالوا خاتون . وعند الترك قادين .

قطاسون (حل٢٢٢) : المداس ، الخف ، اليمنى . يقول الموصلي متوعدا من نازعه رأغضبه : أقدسك مئة يمنى . فهنا لابد وأن أصل فعل التقديس هو التقطيس بالطاء شتقاقا من القطاسون المغولية هذه ، فيكون معناه الضرب بالمداس . بدلت فيه الدال بالطاء لقرب مخرجهما .

(الموصل) داود الجلبي

تعريف الغرب بالفكر العربي

حضرات الأصدقاء .

أحسست بالسرور والغبطة حينما طلب الى أن أحضر الى البلاد العربية السمحة ، وأمضى فترة من الزمن فى أقطارها العامرة ، وذلك لأنه يطيب لى أن أتحدث اليكم ، وأسمع منكم ، وأعيش بينكم ، وأتبادل الآراء والأفكار معكم .

ويجول بخاطرى ، بهذه المناسبة ، السنة التى سار عليها كثير من خلفاء الدولة الاسلامية المتقدمين : من الارسال بأولادهم الى الصحراء ليعيشوا مع العرب الخلص يسمعون منهم ويحفظون عنهم . كذلك نحن ـ معاشر الأوربيين الذين كرسنا حياتنا لخدمة اللغة العربية لغة القرآن الكريم ـ جديرون أن نرحل من حين الى آخر الى أقطار العرب ؟ لنعيش فى جو العروبة الصافية ، ولنسمع اللغة العربية من أفواه المتحدثين بها لا من بطون الكتب وسطور المخطوطات . وانى أجد صعوبة فى المخاطبة بها لقلة من لقيته من أبناء العرب فى بضع وعشرين سنة .

ان البساط السحرى الذى خلقه الخيال العربى ، أصبح حقيقة واقعة ؟ فقد سافرت من لندن الى القاهرة فى يوم واحد ، ولا بد أن يوجد بينكم من كان يذهب الى الأزهر فيقطع فى الطريق الأشهر الطوال ، ولكنه الآن يقطع المسافة نفسها فى ساعات .

ان التقدم المادى الذى تم أخيرا تمكن مشاهدته مصغرا اذا لاحظ الانسان بطء الجمل وقابله بسرعة القطار أو السيارة أو بما هو أسرع منهما وهو الطيارة . وقد تمكنت بلدان الشرق الأدنى فى نصف القرن الماضى من أن تصل الى درجة من التقدم لم تصل اليها بلدان المغرب الا بعد مرور قرون . وهذه حقيقة ظاهرة قلما تخطر على البال ؟ لأننا نشاهد آثارها كل يوم .

... قد ضاعت العزلة من العالم اجمالا ، فما يحدث من أحداث ، وما ينشأ من آراء في بقعة واحدة من الأرض ، يصبح غدا حديث الناس واهتمامهم في جميع البقاع •
ولكن ما يحدث في العالم ليس كله جيدا ، بل فيه الخير ، وفيه الشر • فمن الذى فيه الخير للناس تقدم علوم الطب والكهربائية والتصوير الشمسى (لعمل صور المخطوطات الثمينة مثلا) • أما الذى فيه الشر ، فأمره لا يخفى عليكم ، ولا حاجة لذكره •

منذ ثلاثين سنة حين كنت شابا ، علمنى شيخ بغدادى قولا كريما ، وهو « كلنا انسان وكلنا اخوان » • وقد حرصت على رغم السياسيين في كل بلد على العمل بهذه الحكمة في معاملاتى مع أفراد الأمة التى قبل هذا القول فى لغتهم ، وبهذا الروح أرجو أن أحدثكم عن رأيى فيما يمكن العرب أن يفعلوه لتعريف الغرب بالفكر العربى • وان الرابطة العلمية التى تجمعنا قوية ، ولكن العلم بفضائل العرب وروح العروبة فى بريطانية العظمى — مع جهود المستعربين — لا يعتد بهما •

لا تحتاجون الى من يعرفكم بقوة الدعاية ، فأنتم تعلمون ما كان للدعوة الاسماعيلية من أثر عظيم • أما فى أوربة اليوم ، فالصحف والاذاعات ملأى من الدعاية ، واذا استثنينا المستعربين والمستشرقين ، فلا نجد من يعرف الشرق الى الغرب ، ونجد الناس حتى المتعلمين منهم يجهلون الأدب العربى • وظل « كتاب ألف ليلة وليلة » و « قصص علاء الدين » و « أخبار هارون الرشيد » أهم مصدر للقارىء العادى • وقليل من الناس يعرفون أن العرب حفظوا فلسفة أرسطو ونقلوها الى الغرب • وأما فى الوقت الحاضر ، فانى أنا المستعرب لا أستطيع أن أجارى التقدم الفكرى والتعليمى فى العالم العربى ؛ لصعوبة الحصول على الكتب اللازمة • ولهذا أرجو منكم سماع هذه الاقتراحات •

... أرى أول شىء وضع كتاب يبحث عن الخلق العربى ، موضح بالقصص المأخوذة من تاريخ رجال العلم والأدب ، للابانة عن كرم الخلق العربى وحسن ضيافته ورقة طبعه • وأرى أن يكتب عربى هذا الكتاب بالانكليزية ، فالكتاب الذى يكتبه غير عربى ليست له القيمة التى تكون لكتاب يكتبه عربى يعرف تاريخ أمته وروحها •

أما اليوم فلا يعرف الا القليل عن نهضة العرب ، وتقدمهم فى طلب العلم ، ورغبتهم فى استعادة مكانتهم العالية فى الفكر العالمى • ومن الناس من يسعون لتسويد صفحتهم ، فيقولون : انهم متأخرون لا يستطيعون التقدم ، ومكبلون بسلاسل التقاليد الماضية ، ويكرهون كل جديد ، ويعادون المدنية • وقد رددت بنفسى هذه التهم فى عدة مناسبات ولكنى أرى أن أحسن رد لها يجب أن يكتبه عربى •

لا يفهم الناس فى انكلترة ولا فى الغرب الأقصى أن العرب الآن فى عهد يشبه

العصرين الأولين من عهد بني عباس يوم كانوا يطلبون العلم ولو في الصين • فالجامعات البريطانية ملأى من الطلاب العرب ، يدرسون فيها مختلف العلوم ، ثم يعودون الى الوطن • والواجب نشر هذه المعلومات وأمثالها في الغرب من نهضة العرب العلمية والاجتماعية ، فاني وأمثالي من المستعربين لا نعرف شيئا عن مشروعات الزراعة والري والصحة والعمران ، ونشر العلوم في البلدان العربية • وأرى أن يكتب في هذه الموضوعات بعض الكتب الصغيرة وتباع بأثمان بخسة في محطات سكة الحديد وفي خزائن الكتب العامة ، كما أرى أن تنشر مجلة بالانكليزية يتولى انشاءها نخبة من العرب ، تعنى بالمباحث الحيوية ، وذلك لاخبار المثقفين والمستشرقين بتقدم الفكر العربي الحديث شهرا شهرا •

أما المجامع العلمية ، فعليها الاعتماد في اصدار الكتب الجديدة ، وتطعيم القديم بنتائج البحث الحديث • وقد ذكر لي صديق في بيروت خبر مخطوطة في الرياضيات فيها اصطلاحات لا تعرفها الكتب الحديثة ، فانها تستعمل الألفاظ الأوربية ، أو ترجمها الى العربية ترجمة جديدة • فالمجامع العربية يمكنها أن تتلافى ذلك باحياء القديم ، وتجنب الجديد الذي لا حاجة اليه •

والطب موضوع كان العرب قد برزوا فيه ، ولست أدري أكانت الكتب الحديثة تستعمل اصطلاحات الأطباء الأولين والذين كتبوا في خلق الانسان أم لا ، ولكني أقول : ان درس هذاالفرع ، وبيان نواحي أهميته ، يفيد العلماء الذين يدرسون الطب العالي •

وقد أصبح من الصعب بعد الحرب أن تطبع الكتب بالعربية في أوربة • فالمستشرقون الآن يعتمدون على ما يصدر الباحثون العرب في الشرق • وأنه ليسر الواحد أن يقرأ كتابا قام بطبعه ونشره عربي ، فيجد الورق جيدا ، والطباعة متقنة ، والشرح وافيا • فطبعة حديثة صادرة من القاهرة أو بغداد أو دمشق أو بيروت مبنية على كل المخطوطات الموجودة والمطبوعات السابقة ، تقنع الباحث بالتقدم العظيم الذي تم في السنوات الأخيرة • فالمستعرب في الغرب ينتظر بشوق كبير ما يصدره زميله الباحث الشرقي •

ان أوربة مدينة للشرق ، فهو الذي أعطاها فن الكتابة ، ولهذا يتوجه الغرب الى الشرق لدرس تطور المدنية الانسانية • فالتنقيب عن آثار المدنية ، كان في السابق موكولا الى علماء الغرب ، ولكن علماء الآثار من العرب ورؤساء المتاحف العرب ، قد دخلوا الميدان ، ونحن ننتظر بشوق نتائج بحوثهم •

واننا حين درسنا لغات الأمم السامية القديمة كنا نرجع الى اللسان العربي لارشادنا ، فثروة هذه اللغة بالمفردات ، وقواعدها ، واتساع نطاق مادتها ، يساعدنا على

كشف معاني تلك اللغات . مثلا فن الألواح التي اكتشفت في رأس الشمراء ، وجدت حرف اللام يستعمل للمنادى ، مثل (يا لزيد) ، وهي التي يسميها اللغويون (لام الاستغاثة) ، وهي بحسب معرفتي لا توجد في غير اللغة العربية . ولكننا وجدناها الآن في الآثار الأدبية التي خلفها جماعة من قدماء الساميين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

وانه ليسرني أن أرى أهل البلدان العربية يدرسون ماضي أجدادهم الثقافي ، وان الرأي القديم بأن العرب بدو لا يقرأون ولا يكتبون ، لا ينطبق الا على جزء صغير من الأمة العربية العظيمة ؛ فان الآثار التي وجدت في جنوب جزيرة العرب وأوساطها ، لم يعرف مضمونها معرفة تامة حتى الآن . والأمل أن يدرس العلماء العرب اللهجات التي كان آباؤهم يتكلمون بها في الجنوب وفي الواحات .

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

وان درس قواعد اللغات السامية بالمقابلة في البلاد العربية لابد أن يؤثر في النظرة الى قواعد اللغة العربية ، ويساعد على حل كثير من مشكلاتها . واننا في جميع هذه الميادين ننتظر بحوث العلماء العرب بشوق عظيم .

وأخيرا أرى حاجة كبيرة – في بلاد الغرب خاصة – الى معجم عربي شامل يشبه معجم (أكسفورد) بالانكليزية ، ففي مثل هذا المعجم يوضح المعنى الأساسي للكلمة ، ثم أصلها اذا كانت أعجمية ، ثم معناها مستعملا في جملة مقتبسة للتوضيح ، ثم مشتقاتها المختلفة ، ثم معانيها التي تغيرت بتغير الأزمان . فانه لا يسهل استعمال « اللسان » ولا « التاج » ، اذ لم يكن وضعهما بطريقة تسهل الرجوع اليهما . أما « المحيط » الذي يسهل استعماله ، فهو ليس بشامل . ومع أني مدين لمؤلفه ، أسميه « غير المحيط » .

لا أطمع أن أعيش حتى أرى هذا العمل العظيم يتحقق ، ولكني على يقين أن ذلك سيتحقق ، وان المعجم سيشمل اشارات الى اللغات السامية مع التصاريف والشروح المأخوذة من كتب اللغويين القدماء .

ومن هذه الاقتراحات ما يقصد به تسهيل اطلاع البريطانيين على ماضي العرب وحاضرهم بما في ذلك من التفاخر والفضائل ، فيساعدهم ذلك على التفاهم المتبادل مع العرب . والاقتراحات الأخيرة في آرائي الخاصة بشأن تعاون العلماء الشرقيين مع العلماء المستعربين في درس اللغات والمدنيات الشرقية . وسأكلمكم في خطابي التالي على ما هو جار في انكلترة لتشجيع الشبان على الدراسات العربية في الجامعات .

وقبل أن أختم كلامي أود أن أخبركم بشرف عظيم قد حباني به (المجمع العلمي

العربى) بدمشق فقد انتخبنى عضوا مراسلا فيه ، وانى أغتنم هذه الفرصة لأظهر افتخارى بانضمامى اليهم ، وأعد نفسى ابنا للأسرة العربية ؛ ولهذا ترونني مهتما بأن ينال العرب مكانهم اللائق بهم بين الأمم المتمدنة فى العالم .

وهذا جوابى لمن يعاديكم فى هذا أو فى غيره

لا تخدعن بأن العرب فى خطر فالبأس والمجد والاقدام للعرب

(لندن) ألفرد كيوم

عضو المجمع العلمى العراقى

خلاصة أعمال المجمع العلمى العراقى

أنشأت الحكومة العراقية فى عام ١٩٤٥م لجنة بوزارة المعارف دعتها « لجنة التأليف والترجمة والنشر » لمؤازرة المؤلفين والمترجمين والناشرين ، ثم نظرت الى منزلة العراق من البلاد العربية قديما وحديثا وما ينبغى من توسيع نطاق النشاط العلمى فيه ومجاراة الأمم الناهضة فى مضامير الارتقاء فألغت تلك اللجنة ، وأنشأت فى ١٢ المحرم ١٣٦٧هـ = ٢٦ تشرين الثانى ١٩٤٧م (المجمع العلمى العراقى) بدلا منها على نمط آخر أبعد هدفا وأوسع عملا وأجدى نفعا كما نصت على ذلك المادة الثانية من نظامه الأساسى ، فكان هذا المجمع ثالث المجامع العلمية التى قامت فى ديار العرب فى هذا العصر بأمرال دولها ورعايتها ، وأولها (المجمع العلمى العربى) الذى أسس سنة ١٣٣٧هـ = ١٩١٩م بدمشق عاصمة البلاد الشامية ، وثانيها (مجمع اللغة العربية الملكى) أو (مجمع فؤاد الأول للغة العربية)[١] الذى أنشأته الحكومة المصرية فى سنة ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م بالقاهرة .

ومن يطالع أنظمة هذه المجامع الثلاثة يجدها متشابهة الأغراض والمقاصد ، تعمل جميعا على احياء مجد اللغة العربية وتجديد شباب الحضارة العربية الاسلامية ، غير أن وجوه الشبه بين المجمع العلمى العربى والمجمع العلمى العراقى أكثر ، والوجهة التى ينتحيانها تكاد تكون واحدة ، ذلك أن مجمع فؤاد الأول لغوى بحت ينظر على وجه

(١) سمى بهذا الاسم بدلا من الاسم الأول فى ١١ جمادى الآخرة ١٣٥٧هـ (٧ آب ١٩٣٨م) بموجب مرسوم خاص باطلاق اسم « فؤاد الأول » ملك مصر على مؤسسات عامة نشأت فى رعايته ، أصدره ابنه الملك فاروق . (مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ٥/٧٩) .

التخصيص في اللغة والاشتقاق والنحو ، ويتوفر على وضع المصطلحات العلمية والفنية لا يتعداها الى ما سواها ، والمجمعان الآخران ينظران في هذه الأمور وفيما سواها من العلم والأدب واللغة والتأريخ والتأليف والترجمة والنشر تمشيا مع حاجة بلاديهما ، اذكانت النهضة العلمية في الشام والعراق حديثة النشأة لم تكتمل بعد أسبابها ، وطبيعة النهضات العلمية الحديثة تقتضي الرعاية العامة لكل فرع من فروعها ، فلم يكن بد من انشاء المجمع العلمي العراقي على نمط المجمع العلمي العربي مراعى فيه حاجات العراق وما يتطلبه التأليف والترجمة والنشر فيه من مؤازرة وتسديد وتوجيه ، وقد أجملت المادة الثانية من نظامه الأساسي الأغراض التي أنشيء من أجلها ، وأجملت المادة الثالثة الوسائل التي يتوسل بها الى تحقيقها[١] .

وقد بدأ المجمع العلمي يعمل على تحقيق أغراضه واخراجها من القوة الى الفعل شيئا فشيئا على قدر ما تتسع له موازنته المالية وتتيحه له الفرص المواتية ، وسبيله في ذلك التثبت والأناة لا التسرع والارتجال ؛ لأن العمل العلمي درس وتأمل وتركيز ، والتسرع والارتجال من أكبر المعاول التي تنال من بنيانه وتأتي على قواعده . فاذا باين باجتهاده هذا بعض المشارب ، ولكل أحد نصيب من الرأي وحق في الاجتهاد ، فأي أمر في الدنيا تصفق عليه كل الآراء وترضاه جميع الأهواء ؟ لا أقول هذا وأنا أريد العذر للمجمع عن تقصير بدر منه أو وناء ظهر في نشاطه ، كلا ! فان ما نظر فيه من الأمور الجليلة ، وما نهض به من الأعباء الثقال ، مع ما أقيم في طريقه من السدود ووضع في يده من القيود ، هو فوق طبيعة الوضع الذي حدد مجهوده في نطاقه .

وهاك خلاصة أعماله :

جلساته = عقد المجمع أولى جلساته في ١٩٤٨/١/١٢[٢] فانتخب ديوان الرئاسة ونظر في شؤون مهمة تتعلق بوسائله ، والدعوة له ، ومن ذلك قراره بأن ينهي خبر انشاء المجمع في العراق الى المجامع العلمية والجامعات في الشرق والغرب لتكوين صلات ثقافية بينه وبينها ، وقد بلغت جلساته من هذا التأريخ الى ١٩٥٠/١/٣٠ ، ٦٢ جلسة . أما جلسات اللجان العديدة التي ألفها لدرس مطالبه فقد أربت على ١٥٠ جلسة ، والأعضاء ينفقون الساعات في حضورها من غير عوض مذى عنها ، وكذلك ما يحاضرون به أو يكتبونه في هذه المجلة .

أعضاؤه = يتألف المجمع من عشرة أعضاء عاملين تقدمت أسماؤهم في (ص ٢١)

(١) انظر ص ٣ من هذه المجلة .
(٢) حرف هذا التاريخ في ص ٢٠ الى ١٩٤٧م .

من هذه المجلة ، ومن ديوان رئاسة يكون انتخابه من هؤلاء العشرة وقوامه رئيس ونائبان له ، وقد تألف ديوان الرئاسة في السنة الأولى من الأستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي رئيسا والسيد توفيق وهبي نائبا أول والدكتور هاشم الوتري نائبا ثانيا ، وأعيد انتخابهم في ١ تشرين الأول ١٩٤٨م غير أنهم ما لبثوا غير قليل حتى ظهر الى الوجود تفسير الفقرة الثالثة من المادة الثلاثين من « القانون الأساسي » وهو يمنع الجمع بين الوزارة أو العضوية في المجلس التشريعي وبين عمل آخر من أعمال الدولة ، فتخلى الرئيس في ١٦/٢/١٩٤٩ عن المجمع اذ كان عضوا في المجلس النيابي كما تخلى عنه في ١٥/٢/١٩٤٩ نائبه الأول محتفظا بعضويته في مجلس الأعيان ، وتلاه العضو السيد نصرة الفارسي للسبب نفسه اذ كان عضوا في المجلس النيابي ، واستقال الدكتور هاشم الوتري في ٢/٤/١٩٤٩ من الرئاسة الثانية مقتصرا على عضويته في المجمع . وفي ٨/١/١٩٤٩ عقدت جلسة للنظر في ملء الشواغر بانتخاب أعضاء جدد ، فانتخب السيد محيي الدين يوسف والدكتور مصطفى جواد والسيد شيت نعمان أعضاء عاملين . وأجرى انتخاب ديوان الرئاسة الجديد في ٢/٤/١٩٤٩ فكان الأستاذ السيد منير القاضي رئيسا ، والدكتور شريف عسيران نائبا أول ، والأستاذ السيد محمد بهجة الأثري نائبا ثانيا . ولما حلت السنة الثالثة أعيد في ١ تشرين الأول ١٩٤٩م انتخابهم لذلك . واتفق أن غادر العراق الدكتور فاضل الجمالي والدكتور متى عقراوي في مهمات رسمية يطول أمدها فقرر في ١٥/١٠/١٩٤٩ جعلهما عضوين فخريين وانتخب بدلا منهما الدكتور ناجي الأصيل والدكتور أحمد سوسة عضوين عاملين .

ونظر المجمع في انتخاب أعضاء فخريين آخرين فاختار العميد السيد طه الهاشمي والسيد يعقوب سركيس ، كما نظر في انتخاب أعضاء مراسلين من الباحثين العراقيين وأعلام العلم في مصر والشام ولبنان وبعض العواصم الشرقية والغربية يراسلونه بآرائهم ويشاركونه في عمله العلمي فانتخب ٢٨ عضوا مراسلا ذكرت أسماؤهم في ص ٢١و٢٢ من المجلة الا واحدا انتخب بأخرة ، ولم يذكر اسمه هناك ، وهو السيد جميل بيهم « بيروت » ، وسيوالي النظر في انتخاب آخرين ممن يتوسم فيهم مؤازرته في أعماله ومعاونته في أداء واجباته للأمة .

بنايته : وجد المجمع نفسه حين أنشىء في دار كراء ضيقة في حي قديم ، فقرر أن يتملك من العرصات الأميرية أرضا رحبة في حي جديد ينشىء فيها بناية تليق به تكون من جملة مرافقها قاعة للمحاضرات ، وثانية للكتب ، وثالثة للمطالعة ، ورابعة للاجتماعات ، وغرف للموظفين وللشعبة الفنية وللمطبعة ، وحديقة . فدرس الأمر مليا

وتسنى له أن يقنع وزارة المعارف باعطائه ٧٠٠٠ر٧ متر من الأرض المنوى انشاء المتحف العراقي عليهـا في الكرخ ، ووافقت وزارة الماليـة على تمليكه اياها بكتابهـا المؤرخ بـ ١٩٤٨/٩/٢٣ ، وخططت حدودها ، وكلف المجمع شعبة المباني بوزارة المعـارف فوضعت له تصميم البناء ، وانتهت معاملة التسجيل الى دائرة التمليك (الطابو) وما كادت تشرع في تسجيلها باسم المجمع حتى أشعرتها بعض الجهات بمخالفتها طالبـة ابطـال المعاملة ، وخفضت موازنة المجمع وهو في مطلع حياته من ٢٥٠٠٠ر٢٥ دينار الى ١٠٠٠٠ر١٠ دينار ، وكان قد أرصد هذا المبلغ للبناء وحده ، فأخذ يتدبر الموقف وهو لا يملك غير المراجعات الرسمية والاعتصام في مساعيه بالصبر . ثم استطاع أن يظفر بالتنقل الى دار تليق به في « الوزيرية » ، ولبث فيها حتى خفضت موازنته في هـذا العام الى ٨٠٠٠ر٨ دينـار بحكم الأزمة المالية الحاضرة فاضطر أن يساير الوضـع وبحث عن دار أقل من هذه الدار أجرة كراء ، فانتقل اليها . ثم عاد يفكر فيما ينبغى لمرافق الدولة ، ومنهـا المجمع ، من جلال الشأن وسمو المكانة ، فكتب الى وزارة المعارف لتقطعه أرضا ، فنزلت له عن ٥٠٠ر٢ متر من عرصاتها في محلة الوزيرية ، وكل رجائنا أن تبلغ المعاملة غايتهـا من التمام .

المطبعة = وقرر المجمع أن تكون له مطبعة حديثة تطبع كتبه ومجلته ، فعهـدت درس ذلك الى الأستاذ محمد بهجة الأثرى والدكتور متى عقراوى والدكتور جواد علي ، ثم استقر الرأى على مفاوضة احدى الشركات التجارية فورا ، فما لبث أن فوجىء بخفض موازنتـه ، فعدل عن عزمه على الشراء ريثما يحسن وضعـه المالى . ثم ألجأه تسويف المطابع وابطاؤها الشديد في انجاز مطبوعاته ، ومنها مجلته ، الى التفكير في خطة تسهل أعماله بعض الشيء ، فرأى أحد أعضائه أن يبتاع حروفا ينضدها ويبعث بها الى المطابع ، وكتب الى وزارة المالية يطلب موافقتها على ذلك ، فلم توافق !

خزانة كتبه = وكان من أوائل ما قام به المجمع من الأعمال شـروعه فورا في تأسيس خزانة كتب خاصـة به ، فاتصل بكبريات دور الكتب في العواصم الشرقيـة والغربيـة ، واقتنى منهـا في زمن قصير زهاء خمسـة آلاف كتاب في مختلف العلوم ، واستطاع بعد جهد متواصل أن يحصل على معظم كتب المستشرقين وكثير من فهـارس الخزائن العالمية ، ويظفر بـ ٩٣ كتابا مصورا من أنفس الـكتب صورت له في بغـداد والقاهرة وطهران والآستانة ولندن وباريس ، ومنها النسب الـكبير للزبير بن بكار وجمهرة النسب لابن الكلبي ، ومختصره لياقوت الحموى ، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسى ، ونزهة الأرواح وروضة الأفراح للشهرزورى ، وتاريخ الموصل

لأبي زكريا الأزدي ، وأخبار ملوك العرب الأولين من بني جرهم وهود للأصمعي ، وتأريخ واسط لبحشل ، ومختصر العين للزبيدي ، والبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ، ومجالس أبي مسلم لمحمد بن أحمد الكاتب ، وتأريخ شمس الدين الجزري ، وخريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الأصبهاني ، وتأريخ ابن الدبيثي ، ومختصره للذهبي ، والمستفاد من ذيل تأريخ بغداد لأحمد بن أيبك الدمياطي الحسامي ، ومنتخب صوان الحكمة لأبي سليمان السجزي ، وما لا يسع الطبيب جهله ليوسف بن الياس الكتبي الشافعي ، ومجلد من شرح ديوان هذيل ، وديوان الصوري وغيرها من النفائس والنوادر .

سارت هذه الخزانة في بداية عهدها سيرا حسنا أثار الاعجاب في أنفس الواقفين على المجهود الذي يبذله المجمع في جمعها وتنسيقها حتى خيل اليهم أنها ستضاهي أعظم خزائن الكتب في العالم العربي ، غير أن الوضع المالي قام سدا حائلا بينه وبين الخطة التي وضعها وشرع في تنفيذها ، اذ منعت وزارة المالية بكتابها ذي العدد ٥٨٣٤ المؤرخ بـ ١٩٤٩/٤/٢٠م ثم مجلس الوزراء بكتابه ذي العدد ٣٣٦٤ المؤرخ بـ ١٩٤٩/٧/٢٤م شراء الكتب اقتصادا في النفقات ، فوقف عند الحد الذي انتهى اليه الا ما يرد عليه من الهدايا ، ومعظم ما تلقاه منها كان من الجامعة السورية والمفوضية الايرانية ببغداد ووزارة المعارف ودار المعلمين العالية ، وما تبقى أهداه اليه المجمع العلمي العربي بدمشق ودار كتب الأزهر بالقاهرة وأفراد من فضلاء المؤلفين والناشرين وأربات المجلات والصحف .

وهي مفتوحة للمطالعين في أوقات الدوام الرسمية ، وفيها قاعة خاصة هيئت فيها كل وسائل الراحة ، ولمن شاء منهم أن يستعير الكتاب الذي يريده .

شعبة التجليد = لاحظ المجمع أن تجليد كتبه على يد المجلدين في الأسواق يكلفه نفقات كثيرة فضلا عن قلة الاتقان ، فقرر تأسيس شعبة للتجليد فيه لاختصار المصروفات وتجويد العمل ، واتصل بالشركات التي تتعاطى بيع آلات التجليد لتجهزه بأحدث الآلات وأتمها ، والمرجو أن تستكمل أسباب العمل في أقرب وقت .

الشعبة الفنية = وقرر تأسيس شعبة فنية فيه ، فجلب من انكلترة الآلات والأجهزة التي يصور بها الكتب النادرة والوثائق ونحوها له ولمن يشاء ذلك من الباحثين . وهي تتألف من « فوتوستات » تنسخ الكتب والرسوم و « الخرائط » ، وأجهزة للغسل والتجفيف والتكبير ، و « مايكروفلم » لأخذ التصوير في رقوق صغيرة ، وآلة قراءة أو معيدة تكبر الكتابات التي تصور في الرقوق ، وفانوس سحري للمحاضرات يعكس

الأبواب الطبيعية ، وجهاز سينمائي ناطق للمحاضرات وعرض الرقوق .

وهذه الشعبة يديرها مستخدم فني واحد ، وقد قامت بأعمال نافعة لمديرية المباحث الصناعية ومديرية الأمراض المتوطنة ولأفراد من الباحثين وللمجمع نفسه ، ومما صورته له من الكتب مجلد نادر في شرح ديوان هذيل ، وكتاب ما لا يسع الطبيب جهله ، وكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه عن الأصل النادر المطبوع بأوربة ، وانما صورته لتعذر الحصول على نسخة منه في الأسواق ، وديوان الصوري وقد أهدى المجمع نسخة منه الى المجمع العلمي العربي بدمشق تعزيزا للروابط الثقافية بين المجمعين .

الجوائز = وقرر المجمع أن ينشىء في كل سنة جوائز لتشجيع التأليف والترجمة والنشر في العراق ، فأرصد لسنة ١٩٤٨–١٩٤٩ ألف دينار لخمسة موضوعات ، لكل موضوع مئتا دينار ، وهي : (١) التجديد في الأدب العربي (٢) اصلاح القرية العراقية (٣) الحشرات الزراعية في العراق (٤) أجود كتاب مترجم في سنة ١٩٤٨–١٩٤٩ (٥) أجود كتاب مطبوع في سنة ١٩٤٨–١٩٤٩ ، ونشر الدعوة الى هذه المباريات في الصحف وأذاعها من دار الاذاعة ، فتلقى في بحر المدة التي حددها ثماني رسائل في « اصلاح القرية العراقية » ، ولم يقدم اليه في الموضوعين الآخرين أحد شيئا ، وأرسل اليه آخرون بكتب مترجمة ومؤلفة مطبوعة .

فأما الكتب المؤلفة في « اصلاح القرية العراقية » فقد أحالها الرئيس على خمسة من أعضاء المجمع مغفلة أسماء كاتبيها وقد وضع على كل منها رقما لا يعرفه غيره ، فدرسها كل منهم على انفراد ووضعوا لها الدرجات التي ارتأوها ، ثم عقدت جلسة ضمت جميع الأعضاء فوحدت الدرجات ثم فض الرئيس الأغلفة التي تضمن أسماء الكاتبين وأرقامها السرية ففاز بجائزة « اصلاح القرية العراقية » كتاب السيد جعفر الخياط ، وفاز بجائزة الترجمة « تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري » للدكتور عبدالعزيز الدوري ، وبجائزة الكتب المطبوعة « تاريخ العراق السياسي الحديث » للسيد عبدالرزاق الحسني . وقد راعى المجمع وهو يمنح أولى جوائزه ، جانب التشجيع فلم يتشدد في منح الجوائز لئلا يقف في بدء حياته موقفا سلبيا من الكتاب والمترجمين والناشرين قد يصدمهم ويؤذي مشاعرهم . ويحسبه أنه أراد الخير ، وأنه أثار في الكتاب حاسة الرغبة في البحث والترجمة والنشر .

وأرصد لسنة ١٩٥٠–١٩٥١م ست مئة دينار قسمها هكذا : ١٥٠ دينارا لمن يؤلف أحسن كتاب في « وسائل إصلاح اللغة العربية العامية وتقريبها من اللغة الفصحى » ، ومنها ٢٠٠ دينار للفائز الأول و ١٠٠ دينار للفائز الثاني في نقل أحسن كتاب من لغة غربية

الى اللغة العربية ، على أن تكون الترجمة قد أنجز طبعها في سنة المباراة ، و ١٥٠ دينارا لأحسن كتاب مطبوع في سنة ١٩٥٠-١٩٥١ ، وشرطت لذلك شروطا تراها في بيـــانه المنشور في آخر المجلة .

وقد اضطر المجمع في هذا العام أن يخفض عدد جوائزه ومقادير المنح للفائزين بسبب التخفيض الذي اجرته وزارة المالية في موازنته من ١٠٫٠٠٠ دينار الى ٨٫٠٠٠ ، وكان يود لو مكنت الأحوال من التوسعة عليه ليوسع على المؤلفين والمترجمين والناشرين ويزيد في مقادير الجوائز ، فما ينفق على العلم ليس بضائع ، وليس احد احق من اربابه بالتأييد والتشجيع .

مجلته = وقرر المجمع انشاء مجلة تكون ميدانا حرا لأقلام أعضائه ومؤازريهم من العلماء والأدباء والباحثين ، فبدأ يعد العدة لاصـــدارها ، والف لها لجنة قوامهـــا « الأستاذ السيد محمد بهجة الأثري والدكتور شريف عسيران والدكتور جواد علي » عهد اليها باخراجها والاشراف عليها واستكتاب الاعضاء وغيرهم من العلماء ، وكان المقدر لها ان تصدر قبل هذا الوقت الذي تصـــدر فيه ، ولكن عراقيل المعاملات الرســـمية كالحصول على موافقة وزارة المالية باصدارها ، واجراء مناقصات الطبـــع على يد ادارة مطبعة الحكومة وتوسيطها في شراء الورق وفي كل كبيرة وصغيرة من هذه الشـــؤون ، وكذلك عراقيل المطابع وبطؤها وتسويفها مع كبر حجم المجلة وضخامتها واتقان طبعها : كل ذلك قضى بتأخير صدورها وصدور كثير من نتاج المجمع الذي أعده للطبع ولم تيسر له وسائله السريعة الفعالة بالرغم من متابعته مساعيه في اقناع المسؤولين في « المالية » وحملهم على تمكينه من أداء رسالته لهذا الوطن الحبيب بزيادة موازنتـــه ورفع القيود الثقيلة التي تمنعه من التصرف وتشل حركته .

محاضراته = وقرر المجمع ، بعد أن فرغ من اعداد كثير من وسائله ومرافقه ، أن يقوم أعضاؤه العاملون بالقاء محاضرات يفيد بها جمهرة المتعلمين الناشئين خاصة ، ثم ينشرها في مجلته وفي كتاب مستقل تعميما لفوائدها ، فنشط فريق منهم لذلك ، وهذه هي المحاضرات التي ألقوها ، وقد شاركهم فيها اثنان من المستشرقين البريطانيين أما العراق وزارا المجمع وتعرفا على أعضائه :

(١) الشعر العربي : ألقاها الأستاذ ألفريد كيوم مدير معهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن وعضو مجمعنا ، في قاعة الملك فيصل ، في ١٩٤٨/١٢/٢٢م .

(٢) اليونســـكو : ألقاها الدكتـــور متـــى عقراوي في قاعـــة المجمـــع في ١٩٤٩/١/١٧م .

(٣) أسلوب القرآن الكريم ومفردات ألفاظه : ألقاها الأستاذ السيد منير القاضي في ١٩٤٩/٢/٦م .

(٤) محاضرة عن مصر : ألقاها الأستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي في قاعة الملك فيصل في ١٩٤٩/٣/٦ .

(٥) الهيئة الصحية العالمية : ألقاها الدكتور هاشم الوترى في قاعة المجمع في ١٩٤٩/١٢/٣م .

(٦) الأدب العراقي في العصر المغولي : ألقاها الدكتور مصطفى جواد في ١٩٥٠/١/٧م .

(٧) الفلسفة العربية في أوربة اللاتينية : ألقاها الدكتور جواد علي في ١٩٥٠/٢/٤م .

(٨) دراسة الشريعة الاسلامية في انجلترة والاتجاهات الفقهية الحديثة : ألقاها ج . د . أندرسن أستاذ الفقه الاسلامي بجامعة لندن ، في ١٩٥٠/٢/٢٠م .
١٩٥٠/٤/١م .

(٩) العلوم الطبيعية الحديثة واللغة العربية : ألقاها الأستاذ شيت نعمان في ١٩٥٠/٣/٤م .

(١٠) ري العراق القديم : ألقاها الدكتور أحمد سوسه في ١٩٥٠/٤/١م .

(١١) الجغرافيا عند المسلمين : ألقاها الأستاذ محمد بهجة الأثري في حديقة المجمع في ١٩٥٠/٥/٢٧م .

مطبوعاته = وكانت عناية المجمع بطلب الكتب النادرة من الخزائن في الشرق والغرب لتحقيقها وطبعها بالغة جدا ، وقد تيسر له الظفر بمجموعة نفيسة منها ، فشرع في درسها ، وعهد الى جماعة من أعضائه العاملين وغيرهم بتحقيقها ومقابلتها بالأصول والتعليق عليها ووضع فهارس ومقدمات لها . وهذه هي الآثار التي قرر طبعها :

(١) « خريطة » العالم : للادريسي ، وقد نقلها من اللاتينية الى العربية الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور جواد علي ، واستدركا على المستشرق الألماني كونراد ملر أشياء كثيرة ميزاها ببعض الأمارات وحققاها تحقيقا علميا بالرجوع الى أمهات كتب الجغرافيا والتأريخ ، تطبع الآن بمطبعة مديرية المساحة العامة ببغداد .

(٢) كتاب النغم : ليحيى بن علي بن يحيى المنجم ، نقل عن النسخة الوحيدة المحفوظة في المتحف البريطاني بلندن ، ونشر في مجلة المجمع بتحقيق الأستاذ محمد

بهجة الأثري وتعليقاته ، وطبع مستقلا وكتب له الدكتور جواد علي مقدمة .

(٣) نزهة الأرواح وروضة الأفراح : لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري ، وهو تأريخ لفلاسفة اليونان والاسلام . حققه وعلق عليه ووضع له فهارس ومقدمة وقابله بثماني نسخ الأستاذ محمد بهجة الأثري ، وهو معد للطبع .

(٤) خريدة القصر وجريدة العصر (القسم الخاص بالعراق) : لعماد الدين الأصبهاني الكاتب ، وقد حققه وعلق عليه ووضع فهارسه الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور جميل سعيد ، يطبع الآن بمطبعة جمعية التفيض ببغداد .

(٥) تأريخ الموصل (الجزء الثاني) : تأليف الشيخ أبي زكريا الأزدي ، عهد بتحقيقه الى الأستاذ محمد بهجة الأثري .

(٦) ابن الفوطي : للأستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي ، معد للطبع .

(٧) كتاب بلاد العرب : تأليف لغدة الأصبهاني ، بتحقيق الأستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي .

(٨) البصائر والذخائر : لأبي حيان التوحيدي .

(٩) تلخيص مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب : بتحقيق الدكتور مصطفى جواد ، معد للطبع .

(١٠) كتاب الدينار الاسلامي في المتحف العراقي : وضع السيد ناصر النقشبندي ، معد لطبع .

الكتب التي ساعد على طبعها = وقدم الباحثون الى المجمع كتبا كثيرة مؤلفة ومترجمة يطلبون منحهم مساعدات مالية ليتسنى لهم طبعها ، فأحالها على لجانه ، فأوصت بمساعدة قسم منها ، ولديها كتب أخرى تدرسها لتوصي بما تراه ، وهذه أسماء الكتب التي منحها مساعداته فطبعت :

(١) اليزيدية : تأليف السيد صديق الدملوجي ، طبع في الموصل .

(٢) أنت والوراثة : تأليف آمرام شاينفلد وترجمة بشير اللوس ، طبع في بغداد .

(٣) المدخل الى الفلسفة الحديثة : تأليف اى . ام . جود وترجمة كريم متى ، طبع في بغداد .

(٤) تأريخ العرب قبل الاسلام : للدكتور جواد علي ، يطبع الآن بمطبعة التفيض في بغداد .

وهنالك كتابان قرر مساعدتهما ، ولما يطبعا . وهما :

(١) كتاب الكيمياء العضوية ٠

(٢) كتاب الديارات للشابشتي ٠

هذا وقد درس المجمع شؤونا جمة ، وشرع في تحقيق أمور ثقافية مهمة ، سنصفها بعد انجازها ان شاء الله ٠

م ٠ ب ٠ أ

بيان

١ ـ خصص المجمع العلمي العراقي بمباريات سنة ١٩٥٠-١٩٥١ المالية الجوائز الآتية :

أ ـ ١٥٠ دينارا لمن يؤلف أحسن كتاب في « وسائل اصلاح اللغة العربية العامية وتقريبها من اللغة الفصحى » ٠

ب ـ ٢٠٠ دينار للفائز الأول في نقل أحسن كتاب من لغة غربية الى اللغة العربية و ١٠٠ دينار لفائز الثاني في ذلك ، على أن تكون الترجمة قد أنجز طبعها في سنة المباراة ٠

جـ ـ ١٥٠ دينارا لأحسن كتاب مؤلف مطبوع في سنة ١٩٥٠-١٩٥١ المالية ٠

٢ ـ الشروط :

أ ـ أن تكون لغة الكتاب سليمة لفظا وأسلوبا ٠

ب ـ أن لا تقل عدد كلمات الكتاب عن أربعين ألف كلمة ٠

جـ ـ تقدم نسختان من الكتاب الى المجمع قبل اليوم الأول من نيسان ١٩٥١م ٠

٣ ـ لا ينظر المجمع في :

أ ـ الأطروحات مؤلفة أو مترجمة ٠

ب ـ كل كتاب نال مساعدة من دائرة حكومية ٠

جـ ـ الطبعات المجددة للكتب المؤلفة والمترجمة ٠

د ـ كتاب سبق أن حاز موضوعه جائزة ٠

٤ ـ المباراة خاصة بالعراقيين والعراقيات ٠

٥ ـ لا يجوز للعضو العامل من أعضاء المجمع أن يشارك في هذه المباريات ٠

٦ ـ على الفائز أن يطبع كتابه بنفقته خلال سنة ١٩٥١ فاذا امتنع فللمجمع أن يسترد منه المبلغ الذي حصل عليه ٠

٧ ـ تعلن نتائج المباريات قبل ١ حزيران ١٩٥١م ٠

٨ ـ اذا لم يجد المجمع الشروط في هذه المباريات تامة فانه يبطل الجائزة ٠

رئيس المجمع العلمي العراقي

فهرس الجزء الأول من السنة الأولى

المقــالات

باب الكتب

الأنباء والآراء

***

من مطبوعات المجمع العلمى العراقى
(تحت الطبع)

خريدة القصر وجريدة العصر

تأليف

عماد الدين الأصبهاني الكاتب

تحقيق

محمد بهجة الأثرى　　　جميل سعيد